



المقدمة

يقول علماء الألوان أن الأبيض رمز للسلام و السكينة، لكن الوضع هنا يختلف، ففي تلك المشفى تشعر و كأن الأبيض يقبض الروح و يعثو التوتر في أنحاء الجسد، يجعل قدما هذا الرجل تهتز ان و رأسه منحني لأسفل مغطيا إياه بين راحتيه.

ما هي إلا لحظات حتى رفع رأسه لتظهر تلك الدموع التي كان يُغطيها، فهو لا يحب أن يبكي أمام تلك الحياة التي تتلذذ بضربه بالسوط حتى أدمت ظهره و ملأته جسده جروحًا، كفكف الدموع من عينيه ليترجل من مقعده و يتقدم بخطواتٍ متهدلة أوصلته إلى غرفة العناية المركزة ليرى صغيره المتمدد على الفراش لا حول له و لا قوة، يراه مؤصل بالأجهزة و جسده مُغطى بملاءة منعته من الاطمئنان على فلذة كبده جيدا، أطل النظر إلى جسده الصغير بدموع متحجرة على مقلتيه منعها من الهطول على وجنتيه، يلعن هذه الحياة التي تختبره في أكثر ما يمثل له أهمية في تلك الدنيا، فلا شيء أصعب من رؤية قطعة منك تتعذب أمامك و أنت واقف مكتوف الأيدي.

قطع شروده ربتة على الظهر تبعها صوتٌ متحضر يخص أحد الأطباء :

-سيد أدريان...

إلتفت أدريان ليرمق الطبيب و ينصت جيدا إلى ما يقول :

-يؤسفني أن أخبرك أننا اضطررنا لبتنر أطرافه ... فالمرض قد تملك منه و إذا لم نفعل هذا كنا سنخسره للأبد

ظهرت لمحة الحزن و الأسف على كلمات الطبيب، واجه أدريان تلك الكلمات بهدوءٍ محجفٍ يتقبل معه تلك الحقيقة بنفس راضية، أو هكذا اصطنع أمام هذا الطبيب، فبداخله يرغب في الفتك بذاك الطبيب ثم إحراق تلك المشفى التي فشلت بمعالجة صغيره، إلى أنه فكر في شيءٍ آخر قد يضحى أفضل من كل هذا..

دلف حجرة صغيره ليقترب منه و يجلس على ركبتيه ليضحى قبالته، وجد دموع صغيره تهطل على وجنتيه الصغيرة بألم جعل قلبه ينفطر.

-أبي .. أين قدامي يا أبي ؟ .. أين ذراعي ؟.. ماذا حدث لي ؟.. أبي أنا لن أستطيع أن
أواصل حياتي بدونهم..

ارتفعت شهقات الصغير بألمٍ و هو يراقب حالته التي أضحي عليها و هو لا يزال في
بداية عُمره، كيف سيلهو مع أصدقائه دون أن يمتلك قدماه ؟ كيف سيواصل حياته
بدون يديه ؟ ماذا سيفعل بذاك الجسد الذي أصبح بلا فائدة بدون أقدامه و ذراعيه ؟؟

وضع أدريان يده على وجنتي صغيره يُكفكف دموعه و يُخبره :

-أشش ... توقف عن البكاء أرجوك ... أعدك أن كل شيءٍ سيعود كما كان أو حتى
أفضل

عارضه الصغير الذي يُدعى جايمس بحدة :

-لا تخدعني، أنا لا أستطيع أن أواصل حياتي بأطرافٍ صناعية ... أنا أريد أن ألهو
مع أصدقائي كما كنت أفعل...

واصل البكاء مجددًا و مع كل قطرة دموع تُذرف من عينيه يزداد والده وجعًا و ضيقًا
من أجله، بل و يزداد حقدًا على تلك الحياة اللعينة التي أقسم على مواجهتها، إحتد
صوته و هو يخبر جيمس بلكنة الإصرار و التحدي :

-سوف تلهو مع رفاقك يا صغيري ... أعدك بذلك...

عاد من ذكرياته لنجده في حجرة محاطة بالأجهزة و الصور و الخرائط كما لو أنها
الغرفة التي يُجري بداخلها إختباراته العجيبة، يُحدق أمامه في شرود على تلك اللوحة
التي حملت جسدًا متراخيًا يخرج منه جسد آخر و كأنه الروح، كُتب على تلك اللوحة
عبارة " الإسقاط النجمي " تلك الجملة التي بقي يُحدق بها لساعاتٍ حتى إردف
بصوتٍ منخفضٍ متحدٍ :

-سأحررك من هذا الجسد يا صغيري

إنفتح باب الحجرة تزامناً مع إنتهاء جملته، تحرك هذا المقعد المتحرك داخل الحجرة ليظهر بعدها صوت جيمس المفعم بالحيرة و هو يرمق هذا المكان الغريب الذي طلب والده من حراسه أن يأتوا به إليه.

-ما هذا المكان يا أبي ؟

ركع أدريان على ركبتيه ليواجه جيمس و يُخبره بلطف :

-هذا هو المكان الذي سأعالجك فيه ؟

عقص جيمس حاجبيه بحيرة و هو يتلفت بعينيه في كل مكان حوله :

-لكنني لا أرى طبيباً هنا كي يعالجنني

-أنا هو طبيبك جيمس، أنا من سيحرك من هذا الجسد الفان

هكذا أخبره أدريان ليزداد جيمس حيرة من كلمات والده الغريبة، يشعر أن والده سيقبل على شيءٍ مجنون فقط من أجل أن ينعم صغيره بحياة تليق به حتى و لو اضطر إلى محاربة القدر.

إنفتح باب الحجرة مجدداً و دلف رجلان بينهما طفل صغير يقترب عُمره من عُمر جيمس، كان الصغير مُكتم لا يُصدر منه سوى همهماتٍ مستتجة تدل على أنيه.

-سيد أدريان، لقد أحضرنا لك هذا الصبي كما طلبت منا

تقدم أدريان بضعة خطواتٍ قُرب هذا الصبي ثم وضع يده على ذقنه ليرفع رأسه لأعلى بأعين حادة لا تهتم بدموع هذا الصغير الذي يرتجف من الخوف :

-جيد ... ضعه بالقرب من جيمس

تحرك الرجلان فوراً بالطفل الصغير حتى أجلسوه على مقعدٍ بالقرب من جيمس، وقف أدريان قبالتهم يحمل كتاباً بين يديه ليقرأ من خلاله ما الذي سيفعله بالخطوة

القادمة، طلب من رجاله أن يجعلوا الصغيران يغرقان في سُبَاتٍ عميقٍ حتى تبدأ تجربته الماكرة، وضع الكتاب جانبًا ليقترّب بخطواته أكثر نحو الصبيان و يضع يديه على صدريهما، يُتمتم بقرارة نفسه بعدة كلمات غير مفهومة لكن يبدو أنها تراتيل لبعض الطلاس، ابتعد عن الصبيان ليُغمض عينيه و يبدأ الترتيل بصوت أعلى :

-يا أيتها الروح المبجلة أدعوك بالتحرر من هذا الجسد الفان ... يا أيتها الروح المبجلة أمرك أن تتركي مكانك بطلب من الإله المخضرم....

بقي يُرتل المزيد من التراتيل حتى وجد جسد الصبيان يهتزان بقوة و بعض الأنفاس تخرج منهما و كأنهما يصارعان من أجل البقاء، بقيا على هذا الوضع الذي جعل أدريان و رجاله يضطربون خوفًا على الصغير جايمس من تلك التجربة التي قد تؤدي بحياته، إنقض أدريان على جسد جايمس الذي كان يشهق بحدة، يحاول إيقاظه كي تتوقف تلك التجربة و يعود إليه صغيره، بات جميع محاولاته بالفشل حتى ظن أن روح صغيره ستصعد إلى خالقها، ما أكد ظنونه هي حالة السكون التي حلت على جسديهما فجأة حتى أصبحا أجسادًا بلا أرواح.

سكن جميع من بالحجرة أمام هذا المنظر الذي أمامهم، كل ما يُفكرون به الآن هو أن التجربة فشلت فشلًا ذريعًا و ذهب جيمس ضحيتها، لكن فجأة...

صدرت شهقة عالية من الصبيان في آن واحد تبعها صوتٌ صغيرٌ أردف بأمل :

-أبي...

فتح الصبي فاهه في صدمة و سعادة هو يرمق يديه و قدميه بابتسامةٍ إعتلت ثغره، فقد ظن لو هلة أن والده قد أعاد له أطرافه المبتورة بفعل السحر و الشعوذة، لكن سعادته تلاشت حالما التفت يمينًا و رأى جسده مبتور الأطراف بجواره و كأنه يرى نسخة منه أمامه...

-أبي ما ... ما الذي حدث ؟

إردفها جيمس بحيرة بعدما رأى ذاته داخل جسد صبي آخر، شقت البسمة ثغر والده و هو يركع على ركبتيه قبالة صغيره بدموع الفرحة تتقاطر من عينيه، لشد ما كان فرحًا إلتقف صغيره داخل أحضانه لا يُصدق أن تجربته قد أتت ثمارها و أن صغيره لن يحيى مبتور الأطراف، أبعء جايمس عنه ليُخبره بسعادة :

- ألم أخبرك أنك ستلهو مجددًا مع الأطفال ؟

اتسعت بسمة الصغير و هو لا يُصدق هذه المعجزة، إرتمى بأحضان والده ليردف بامتنان :

- أشكرك والدي .. أشكرك كثيرًا

بقي أدريان يحتضنه لفترة حتى انتبه إلى بكاء الصغير الذي دلف إلى جسد جايمس مبتور الأطراف، وثب من الأرض يأمر أحد رجاله بصرامة و قسوة و صوتٍ منخفض حتى لا يسمعه جايمس :

- خُذ هذا الصبي و تخلص منه تمامًا، لا يجب أن يبقى على قيد الحياة حتى لا يستطيع العودة إلى جسده

أوماً الرجل بموافقة ليجر بعدها المقعد المتحرك الذي يجلس عليه الصبي الآخر تعيس الحظ، يجره إلى نهايته القاسية التي لا يستحقها بناءً على رغبة من هذا الأب الذي لا يُهمه سوى صغيره.

عاد أدريان ليتحدث قليلاً مع جيمس لكنه لم ينتبه إلى أحد رجاله الذي كان يُحدق بالقمر الأحمر و هذا الضباب الذي تجمع بركنٍ بالسما و الذي هو دليلاً على حدوث كارثة...

-سيدي ... هناك مشكلة

إنتفض أدريان من موضعه بمعالم مقتضبة ليتجه نحو ألفريد أذكى رجاله، وقف قبالته يسأله بتيه :

-ماذا ألفريد؟

-أنظر إلى القمر ... لقد أجرينا التجربة وقت الخسوف

عقص أدريان حاجبيه في حيرة و هو يسأل :

-و ماذا يعني هذا؟

-هذا يعني أن البوابة التي تنقلنا إلى العالم آخر مفتوحة الآن .. و عندما فعلنا تلك التجربة...

توقف عن الحديث ليُفكر في كيفية قول ما سيقوله بصورة توضح لقائده تلك الكارثة.

-ما الذي حدث ألفريد؟

رفع ألفريد رأسه نحو أدريان ليُخبره :

-هذا يعني أن الأرواح الجديدة ستستجيب لنداءاتك ... ستضحى جميعها أرواحًا متنقلة

...

أصوات بكاء الأطفال الرُضع في تلك الحجرة كانت منتشرةً بالأركان، إلى أنه في لحظة واحدة عمّ الصمت عليهم و سكنت حركة الأطفال كما لو أن أرواحهم سلبت منهم، أصبح الصمت مهيبًا في تلك الحجرة حتى قلق الأطباء و اضطربت الأوضاع.

و في ظل هذا الاضطراب نستمع إلى أصوات بكاء و أنين من نفس ذات الحجرة و من نفس أولئك الأطفال، إنما هذه الأصوات لن يستطيع أي شخص سماعها، فهي ليست تلك الأصوات التي تخرج من أجسادهم بل إنها أصوات أرواحهم

الفصل الأول (ماذا حدث ؟)

ضحكات رقيقة انبعثت من جوف هذه الطفلة الصغيرة و هي تركض برواق المنزل البسيط بسعادة طغت على تلك الأجواء المكفهرة من حولها، فالمنزل هاديء لدرجة تجعلك قادر على سماع صدى صوتك يتردد في الأرجاء، بل و تسمع أيضاً نبضات قلبك الذي يطالبك بإزاحة هذا الهموم من على كاهله و الإستمتاع بكل لحظة تمر على حياتك، لطالما أيقن الإنسان أن الخرافة لا يُمكن أن تتحول إلى حقيقة، لكن ماذا إن إكتشف أن الحقيقة التي لطالما آمن بها ما هي إلا خرافة؟؟ وقتها سيتوقف عن التصديق لما يحدث و يترك العنان لذاته و جسده أن يُحركه كما يشاء دون أن ينصت إلى الآنة التي تُرغمه على التوقف و التشبث بالمعتقدات الواهية.

لكن هذه الطفلة الصغيرة ذات الخصلات المموجة بنية اللون و النمش على أنفها، لا تنظر للحياة إلا بصورة بريئة مُزهرة، تبتسم بوجه الظروف و كأنها تُرسل للحياة رسالة تُخبرها كم هي قادرة على مواجهتها و الصمود أمام تحدياتها بل و الابتسام أمامها أيضاً، توقفت أقدام الفتاة الصغيرة أمام النافذة لتضع قدمها فوق حافة النافذة تليها مباشرة القدم الأخرى.

أغمضت عينيها العسليتين تنتسم الهواء المُنعش الذي جعل ابتسامتها تتسع تلقائياً و خصلات شعرها تتطاير بفعل الهواء، فردت ذراعيها بجوارها، لتأخذ بعدها نفساً عميقاً تحتضن معه هذه النسيمات العلية و تندفع بجسدها للأمام غير عابئة بوثوبها فوق حافة النافذة، فقط تترك جسدها بحرية و كأنها ستُحلق كما الأبطال الخارقون، لكن مع الأسف، ليست الخرافات حقيقية، ففور أن ألقت نفسها من النافذة حتى....

صرخة عالية أصدرت من فوهها إثر ارتطامها بالمنضدة المجاورة للفراش و سقوطها على الأرض، فقد ظنت لو هلة أنها تقفز من النافذة لتُحلق بالسماء لكن الحقيقة أنها كانت تقفز من فراشها لترطم بالأرض و ليست السماء الصافية، مسدت على خصلات شعرها تتألم من الوجع و تحاول الوثوب من الأرض لتبدأ يومها و تتغاضى عن تلك الأحلام السخيفة التي دائماً ما تحلم بها، فليست هذه أول مرة تجد نفسها ملقاة على الأرض بعد إحدى أحلامها.

إعتدلت في وقتها تُهدب منامتها ثم تُرتب فرشتها قبل أن تذهب إلى المرحاض و تستعد لبدء يومها كما تفعل كل يوم، إنتهت من وضع العديد من المرطبات التي تعينها بهذا الطقس الحار، ثم ارتدت ثياباً مناسبة كي تذهب إلى وظيفتها.

كانت والدتها تقف بالمطبخ تُعد لها بعض الشطائر كما تفعل يومياً، فداليا هي مُدلة والدتها و دائماً ما تسعى والدتها لتدليلها لأنها إبنتها الوحيدة، كما أن داليا تبر بوالدتها و دائماً ما تساعدها و تعتبرها كشقيقتها الصُغرى، نعم ليست الكُبرى لأن والدتها شديدة الحساسية...

- صباح الخير...

قالتها داليا ببسمة واسعة شقت ثغرها و هي تقترب نحو والدتها بسمة و تنتشل إحدى الشطائر الموضوعة بصحنٍ على الطاولة..

-صباح الخير يا روح قلبي ... كُلِي كويس عشان الشغل

قالتها بسمة بحنانٍ زائد فاستجابت لها داليا و أخذت قضة من شطيرتها ليعلو وجهها علامات الاشمنزاز حتى إردفت بتذمر :

-إيه ده !! مربى !! ... يا ماما قولتلك كذا مرة مش بحب المربى

شهقت بسمة بدرامية وضعت معها يدها على صدرها و هي تقول :

-بتزعي في وش أمك !! يعني دا جزاتي إني بقف كل يوم الصبح أعملك الفطار
عشان في الآخر تزعقلي، دا جزاتي... !!

كادت تواصل دراميتها المعتادة لكن داليا قطعتها و هي تحاول الاعتذار عما بدر منها:

-خلاص حقك عليا، إعميلي بقي لانشون عشان متأخرش على الشغل

شهقت بسمة مجدداً لتعاود دراميتها و تضخمها للأمور حتى و لو كانت بسيطة

-كمان بتأمريني و بتعتبريني شغالة عندك .. لأ، مش إنتي بنتي إلی أنا ربیتها،
خلاص ... بقيتي مش طايقة وجودي و عايزة تخليني خدامة عندك لغاية ما
تتجوزي و تؤديني دار مسنين ... لأ..

تمتمت داليا بقرارة نفسها بتذمر و صوتٍ منخفض :

-يووه، و ربنا ما واكله حاجة

اتجهت بعدها نحو بسمة تأخذها في عناقٍ تكذب معه ما قالته بسمة منذ قليل :

-دار مسنين إيه بس يا ماما كل ده عشان حنت سندويتش!!

شهقت والدتها مجدداً و كادت تتحدث بدرامية ككل مرة لكن داليا أوقفتها بحديثها و
قبلة على رأسها :

-لأ أبوس إيدك كفاية مسلسلات هندي، و سلام عشان متأخرش على الشغل

استجابت بسمة لحديثها ثم إردفت بؤد :

-ماشى، خلى بالك من نفسك....

طفقت تُملي عليها بعض التعليمات التي من خلالها تُحافظ على أمانها و لا تترك
مجالاً لأحد كي يستغل أنوثتها و يختطفها كما تعتقد والدتها دائماً، أو مات داليا رأسها
مع كل نصيحة تمليها والدتها عليها قبل أن تهرع من المنزل، أوقفتها والدتها لتُخبرها
آخر ما لديها بحنان :

-استني رايحة فين؟؟ فين البوسة بتاعتي؟؟

لاحت ابتسامة هادئة على ثغر داليا و هي تعود إلى والدتها لتضمها و تُقبلها من
جبينها في حنانٍ اعتادت عليه قبل أن تترك البنائة لتستقل الحافلة التي ستقلها بدورها
إلى وظيفتها....

تتحرك فرشاة الشعر على خصلاتٍ سوداءٍ لامعة يبدو عليها الاعتناء جيداً، توضع هذه الفرشاة أعلى الحوض ليظهر رجلٌ بمنتصف العشرين طويل البنية ذا جسدٍ رياضي متناسق و أعين داكنة زينتها لحية سوداء بسيطة مع ابتسامة متشفية تلوح على ثغره، يدندن بكلمات أغنية ليست مفهومة أثناء تصفيفه لخصلات شعره للمرة المئة قبل أن يذهب إلى وظيفته، ابتسم لذاته بالمرأة و الغرور طاغ على كلماته و ابتسامته المتغزلة لذاته :

-صحيح العيون مش خضرة بس الهيبة حاضرة

أردف بهذه الجملة و هي يُهتدب من ثيابه، تظن لو هلة أنه يمتلك القصور و الشركات الفخمة من هيئته و غروره الزائد عن الحد، لكن الحقيقة أنه يقطن بمنزلٍ بسيطٍ لا يقارن بالقصر حتى، فالمرحاض بهذا المنزل لا يتعدى الثلاثة أمتار، لكنه يؤمن بأن الإنسان إذا آمن بأن لديه كل ما يملك حتى و لو كان فقيراً، سيأتي عليه اليوم الذي سيحقق فيه ذاته، لذلك فهو يتظاهر بالثراء الفاحش لعل الثراء يأتيه وحده!!

ترك المرحاض ليتجه إلى المطبخ الصغير و يرى صديقه معتر الذي يقطن معه بنفس البناية، بل أن الحقيقة أن هذا منزل مُعتر و هو من جاء متغرباً من محافظة أخرى ليبقى مع صديقه حالما تستقر أمورهِ.

-أعملك ساندوتش ؟

سأله مُعتر و هو يُعد لذاته شطائر ليتناولها على الفطور، فأجابه إسلام فوراً :

-أه، إعملي ساندوتش حلاوة بالمربي

أوما مُعتر إيجاباً و قد كان يعلم أن إسلام سيطلب هذه الشطيرة، فدائماً ما يتناول شطائر تحتوي على مكوناتٍ غريبة خاصة هذه الشطيرة، طفق يتحرك بالمطبخ بحثاً عن الخُبز حتى استسلم و سأل إسلام :

-متعرفش العيش فين ؟

تذكر إسلام انه ابتاع الخُبز بالأمس ما إن عاد من عمله، لذلك اتجه عند إحدى الأركان و إنتشل حقيبة بلاستيكية محملة بالخبز الذي فقض سخونته و ملمسه الطازج بسبب تركه على الطاولة من البارحة، مدّ هذه الحقيبة نحو مُعتز متفوّهاً :

-أهو العيش أهو

التقط مُعتز الخُبز يتحسسه لبرهة قبل أن يردف بتساؤل :

-إيه ده !! العيش ده بايت ؟؟

كاد يوبخ إسلام على تركه للخبز على الطاولة دون أن يضعه بالبراد حتى لا يتعفن، لكن إسلام أحمد ثورته بابتسامة على ثغره و لكنه مزاحه تحمل بعض السُخرية التي اعتادها :

-لأ شوية و مروّح " يذهب إلي بيته"

ابتسامة لاحت على ثغر مُعتز بعد أن فهم مزح إسلام الثقيل الذي اعتاده، مدّ نحوه الشطيرة التي أعدها له و هو يقول بمرح :

-ماشى يا زميلي ... هتروح المستشفى ؟؟

أخذ إسلام قضة من شطيرته و هو يُجيب :

-أه ... و إنت إيه نظامك ؟

أجابهُ مُعتز و هو يُعد شطيرة لذاته بصوتٍ يحمل القليل من التبخر :

-عندي مرافعة في المحكمة ... ما إنت عارف بقى إن أنا محامي

أوما إسلام بتفهم ليواصل تناول شطيرته مستذكراً قراره بالسفر إلى هذه البلدة بعد أن تلقى تكليفه هنا، استغل فرصة أن مُعتر كان يقطن هنا بسبب كلية الحقوق التي التحق بها و التي ساعدته بأن يُحقق إحدى أحلامه و أن يُصبح محامياً جليلاً.

إنتهى إسلام من تناول شطيرته ليُنفض يداه كي يمحو آثار الخبز من عليهما قبل أن يغسل يديه بالمطبخ، ضم قبضته ليُقرّبها من مُعتر في ودٍ قبل أن يرحل من المنزل:

-أنا ماشي ... أصلي يا صاحبي

-مسا يا زميلي

تضاربت قبضتهما في حركة إعتادا على فعلها منذ أن كانا أطفالاً، فتلك الصداقة التي بينهم أكبر من كونها صداقة حميمة، بل أن إسلام يعتبر مُعتر كشقيقه أو حتى أكثر من هذا، فقد ترعرع معه و كان معه بذات المدرسة حتى إفترقا بالجامعة و بقيا على تواصل بوسائل التواصل الإجتماعي، حيث أقسم كلاهما أن يضحى سناً و عوناً للأخر مهما إشتدت الظروف و تحاملت عليهم المحن.

ترك إسلام المنزل و بقي مُعتر وحده بالمطبخ يتناول شطيرته حتى أنته مكالمة هاتفية جعلته يضع الشطيرة على الصحن و يجيب ببعض الارتباك :

-أيوة يا فؤاد بيه ... لأ أنا شوية و جاي أهو

هرع من المطبخ ليرتدي ثيابه و يذهب إلى عمله هو الآخر....

صباحُ مشمس مفعم بالحيوية و الأمل بالنسبة للبعض، أما بالنسبة لها فكان صباحاً مثل أي صباح، فالأيام تتكرر حتى لم تعد تكثرث إذا كان اليوم بداية الاسبوع أو نهايته، فكلها أيام ستمر كما تعبر السفن اليمّة الأخرى، كانت تقف داخل المطبخ تُعد لذاتها الفطور كعادتها بكل صباح، فأمامها صحن أبيض يحتوي على البيض المخفوق الذي تُحركه بالشوكة، اتجهت نحو إحدى الأرفف لتُخرج وعاء الملح "الملاحه" لتضع القليل من الملح على خليط البيض هذا.

حركت وعاء الملح فوق خليط البيض لعل بعض ذراته تهبط على الخليط ليعتدل مذاقه، لكن ما حدث أن الغطاء المصاحب لوعاء الملح قد سقط داخل الصحن و وراءه جميع ذرات الملح، حتى أصبح الملح أكثر من خليط البيض نفسه.

تأفأفت بضجرٍ و أخذت تسب حظها السيء، لكنها تغاضت عن الأمر و ألقت مسحوق البيض بحسرة، ثم اتجهت إلى البراد مجددًا لعلها تجد شيئًا آخر لتتناوله على الفطور، فتحت البراد على أمل أن تُعد لذاتها بيضًا مخفوقًا آخر لكنها للأسف لم تجد و لو بيضة واحدة بالمنزل، عُبس وجهها مجددًا و هي تصفع البراد بضيقٍ بعد أن تأكدت أن لا يوجد طعام بهذا المنزل، هتفت بأعلى صوتٍ لديها كي تنادي على والدتها و هي تترك المطبخ بأكمله :

-ماما...يا ماما أنا عايزة فلوس عشان هفطـ

قطع حديثها شهقة عالية أصدرتها ما إن انزلت قدمها بسائلٍ أخضرٍ افترش على الأرضية، ارتطمت رأسها بقوة على الأرض، كما تالطخت ثيابها بهذا السائل الذي أفسد خصلات شعرها، ازداد غضبها و هي تثب من الأرض تستمع إلى قهقهات شقيقها الصغير شهاب الذي وضع هذا السائل على الأرض كي يتمتع برؤيتها تنزلق.

-أقسم بالله لهوريك

قالتها قمر بتوعدٍ ما إن وقفت مكانها تسب شقيقها كالعادة ثم تتجه إلى المرحاض لتغسل وجهها و تستعد للذهاب لعملها و بداخلها يريد الإنتقام و تلقين شقيقها درسًا لكنها ستفعل هذا ما إن تعود من العمل حتى لا تتأخر، اتجهت إلى غرفتها كي ترتدي ثيابها و كانت شقيقته شمس على فراشها تحتضن زجاجة صغيرة تحتوي على صلوقٍ تقوم بتفحصه وفقًا لدراستها المتعلقة بالحشرات.

تعبت قمر بخزانتها بحثًا عن ثيابها حتى سألت شمس ببعض العصبية :

-البندانة السوداء بتاعتي فين؟؟ كانت معاكي آخر مرة

أجابتها شمس بلامبالاة و جهل :

-معرفة أنا رجعتها الدولاب مكانها

ارتفع صوت قمر بعدم تصديق لما قالت شقيقتها :

-إزاي يعني رجعتها أو مل هي راحت فين؟؟ هو كل شوية تضيعي حاجتي

أصرت شمس على حديثها بنبرة تماثل نبرة شقيقتها :

-و أنا مالي ... هو كل حاجة تلبسيها فيا

انتشلت قمر وشاحاً من خزانها ثم وجهت حديثها لشمس بغضب وصل إلى ذروته :

-إنتِ آخر واحدة أخذتها، و والله ما هديكي حاجة تاني من لبسي لغاية ما البندانة
ترجع مكانها

بدلت منامتها إلى أخرى تذهب بها إلى عملها، حيث إرتدت بنطالاً فضفاضاً من
الجينز تعلوه سترة بيضاء و حجاب أزرق بلون السماء، لم تكن هذه الثياب من
مخططاتها لكنها لم تعثر على الثياب التي أرادت ارتدائها اليوم، فنصف ملابسها أما
بمغسلة الملابس التي تلتهم الملابس و النصف الآخر لا تجده البتة.

هرعت من حجرتها بسرعة كي لا تصطدم بمقابل شقيقتها للمرة المئة و تتلطح ثيابها،
قطعها صوت والدتها و هي تقول بلكنة آمرة :

-تعالى هنا رايحة فين؟؟

التفتت قمر لتواجهها بنفاد صبرٍ من تلك العائلة :

-نعم يا ماما...

حادثتها والدتها بصرامة :

-هو أنا مش قولتلك إمبراح تنصفي الحمام قبل ما تنامي؟؟

تذكرت قمر حديثها الذي غفلت عنه تمامًا و ذهبت في سُبَاتٍ عميق :

-أه، والله نسيت، هبقي انضفه لما أرجع

رفعت والدتها نجمة من نبرة صوتها :

-و انا هستنى لما سعادتك تشرفي، أنا كل يوم بقولك نضفي الحمام و إنتي بطنشي
و تقولي نسيت

تؤسلت لها قمر كي تُنهي هذا الجدل حتى لا تتأخر على العمل :

-يا ماما والله هعمله لما أرجع من الشغل

أصرت نجمة على قولها و هي تُشير إلى الداخل :

-لا إعمليه دلوقتي، ياما مفيش نزول من البيت

حاولت قمر التوسل لها مجددًا حتى تتركها وشأنها حتى لا تتأخر عن العمل، لكن والدتها ظلت تعاند كما لو أن تنظيف المراض أهم من مستقبل ابنتها، اضجرت قمر من هذا الوضع و أخذت خطواتٍ اتجاه المراض لعلها تُنفذ ما تريده والدتها بسرعة و ترحل من هذا المنزل، توقفت أقدامها فجأة ما إن زارتها فكرة ماكرة تساعدها على الهرب من تحكّيات والدتها، لظالما حاولت تجنب هذه الفكرة لكن يبدو أنه لا يوجد حل آخر، فوالدتها لن تكف عن إصدار الطلبات حتى تتأخر قمر عن وظيفتها و تبقى بالمنزل تُنفذ ما تطلبه والدتها، تمتت بقرارة نفسها بخُبت :

-إنتو إلي أجبرتوني على كدة

استدارت إلى والدتها التي كانت تقول في حزم :

-واقفة مكانك ليه، ما تروحي تنضفي الحمام

لم تستجب لها قمر في هذه اللحظة و طفقت تتقدم بضع خطواتٍ اتجاهٍ والدتها تصب
كامل تركيزها بأعين نجمة تستخدم قواها العقلية الفريدة كي ترحل من هنا، بقيت
تُحدق في أعين نجمة التي كانت تتحدث بلكنة أمره لكنها توقفت عن الحديث فجأة و
تغيبت عن العالم بأكمله ما إن فرضت قمر السيطرة على عقلها و استطاعت تنويمها
مغناطيسيًا.

لاحت ابتسامة مُنتصرة على ثغر قمر و هي تقول :

-هما بقى يبغو يفوقوها لما أنزل..-

أصوات العصافير تُغرد بصوتها العذب لُتُرب مسامع هذه الفتاة و هي تتجول في
منزلها الفاخر مع أغنية أجنبية تُدندنها بسعادة، فبعض الناس لا يكثرثون للواقع من
حولهم طالما أنهم يعيشون بسلام و يتنعمون في الثراء الفاحش.

تنطابير خصلات شعرها البرتقالية اللامعة إثر حركتها داخل القصر حتى توقفت عند
كلبتها ذات الفراء الكثيف باللون الذهبي المُختلط مع البني، مسدت برقة على رأس
الكلبة مع كلماتها الحنونة المداعبة :

- good morning jiji

أخرجت الكلبة لسانها بسعادة مع اهتزازاتٍ متتالية من ذيلها تتابعًا مع مداعبات
كوكي، تلك الفتاة المدللة التي تقطن بقصرها الفسيح مع والدها، فهي قد أتت من
خارج البلاد بجنسية أمريكية تظهر جيدًا على عينيها الزرقاء و بشرتها ناصعة
البياض بخلاف حديثها الذي لا يخلو من الكلمات الأجنبية، تحركت بدلالٍ نحو والدها
الذي كان يتوسط طاولة عريضة احتوت على العديد من الأطعمة :

-هاي دادي-

قالتها بدلالٍ و هي تُقبل رأس والدها و تجلس جواره على الطاولة تلتقط الشوكة و
السكين كي تستخدمهما لتناول الطعام، يُقطع والدها مصطفى قطعة من البيض

باستخدام سكينته ثم يبدأ الحديث مع كوكي متفوهًا بإنجليزية مُتقنة تنم عن جنسيته الأمريكية، فوالدها أمريكي الأصل لكن جدتها " والدة والدها " كانت مصرية، و بعد أن توفت والدة كوكي قررا أن يأتيا مصر و يواصلوا الحياة هنا كمحاولة لنسيانها و مواصلة الحياة :

" do you have any plans today -هل لديك خطط اليوم؟"

أجابته كوكي بصدقٍ و هي تضع الطعام بفمها :

- لا ... بس I guess " أعتقد " إني هروح عند صحابي

همهم والدها بتفهم لتلوح بينهما فترة من الصمت كانت تحاول فيها كوكي أن تفتح أمرًا هامًا مع والدها لكنها لا تملك الشجاعة كي تبدأه، بقيت تبادل نظراتها ما بين الطعام و والدها حتى حممت في النهاية تُجلي حنجرتها قبل أن تبدأ الحديث :

- دادي .. ممكن أطلب طلب و please توافق

انتبه مصطفى لحديثها بتساؤلٍ أجابته هي بعد أن نُحِت الارتباك و التردد وجهها :

-دادي ... أنااا .. عايزة أشتغل

تنهد مُصطفى بنفاد صبرٍ فعلمت هي بأنه سيرفض كما يفعل دائمًا، فهو يخشى عليها من ذرة التراب كي لا يفقدها كما فقد والدتها، حاولت التوسل له لعله يرضخ لطلبها هذه المرة :

-لو سمحت وافق، عشان خاطري ... أنا بجد بزهدق أوي من القعدة في البيت

اعترض مصطفى حديثها بتبرير :

-كوكي إنت عارفة كويس إني بخاف عليكي، ده غير إني بعملك كل إللي إنت عايزاه، بوديكي عند صحابك و بخرج أفسح معاكي، عايزة إيه أكثر من كدة ؟

بررت كوكي موقفها :

- بس أنا عايزة يكون عندي **career** " مهنة " و أكون **self independent**
" مسئولة عن نفسي "

ترك مصطفى الشوكة و السكين ليضع يده على يد إبنته ليخبرها بحنانٍ أبوي جامح :

- حبيبي **you know** إن أنا بحبك، مش كدة ؟

أومأت رأسها إيجابًا فواصل حديثه برقة :

-و عشان كدة أنا بخاف عليكي و مش هقدر أخليكي تواجهي العالم ده لوحديك، إنتِ
الحاجة الوحيدة إلي فاضلة من مامتك الله يرحمها

لاح على وجهها طفرات من خيبة الأمل لكنها حجبته و واصلت تؤسلاتها لعل والدها
يطمئن هذه المرة و يسمح لها بتنفيذ رغباتها، فقد شعرت لوهلة أنها كالأميرة
المسجونة بقصرها العريض حتى لا تتعرض لأذية البشر، فحتى أصدقاءها لا تذهب
إليهن إلا بموافقة من والدها الذي يصر على توصيلها بنفسه و انتظارها حتى يتأكد
من سلامتها، كذلك يكتنز العديد من أوقاته ليقضي معها أوقاتًا خارج المنزل حتى لا
تشعر بالملل، و كل هذا من أجل أن يحافظ عليها..

- أنا عارفة إنك كنت بتحب مامي، عشان كدة بتخاف عليا ... بس والله مش
هيحصلي حاجة، **I found a job as a computer teacher** في مدرسة **IG**
" نظام بريطاني " يعني الموضوع مش هيكون صعب

-لم يُعطها أي علاماتٍ تدل على الموافقة فبقيت تلح عليه و تطلق نظراتها المتوسلة
حتى أردف بالنهاية :

- ماشي يا كوكي، **as you like**، بس عندي شرط الأول ...

أطرقت أذنيها كي تنصت إلى شرطه الذي كان :

-مفيش شغل غير لما أجيبك سواق يفضل معاكي طول الوقت و ياخذ باله منك و
أنا في الشغل .. تمام ؟

اتسعت بسمه كوكي بسعادة لا تُصدق معها أن والدها قد وافق أخيرًا على طلبها،
وثبت من مقعدها تُقبل رأس والدها بسعادة تجتنح كل شبرٍ بجسدها و هي تتشكره
بمرح قابله مُصطفى بصدرٍ رحب و حنانٍ جامع...

إنتهت من تناول فطورها لتتجه صوب الأريكة ترتخي بظهرها عليها لتتبعها كلبتها و
تجلس بجوارها لتتأمل شيئًا من مداعبات كوكي و هي تشاهد التلفاز في سلام، يقطع
رفاهيتها صوت هاتفها يصدح عاليًا برقم صديقتها...

تتحرك قدماها بحماس وسط هذه المباني الشاسعة و المتاجر الفاخرة، فجوارها رجل
يحمل قرد على كتفه و آخر يتشقلب في الهواء و كأنه بإحدى العروض البهلوانية،
ارتسمت ابتسامة سعيدة على ثغرها و هي تشاهد كل هذا و تقف في حماس كلما
تؤغلت أكثر في تلك المدينة العجيبة و ابتاعت ما تبتغيه من الملابس و الطعام
الفاخر، هرعت من متجر المجوهرات و معها العديد من القلائد تتفحصها دون أن
تنتبه إلى ذلك الطريق الذي تقطعه، إرتفع صوت هذه السيارة و هي تهرع نحوها
بسرعة البرق يصحبها صرخة مكتومة من تلك الفتاة التي أدركت أن نهايتها
ستضحى الآن، أغمضت عينيها تستلم لقدرها لكن فجأة...

وجدت رأسها ترتطم بالنافذة المجاورة لها لئدرك بعدها أن ما شهدته كان مجرد حلم
ليس إلا، مسدت على رأسها موضع الضربة تسب تلك الأحلام الغبية التي دائمًا ما
تحلم بها، عادت إلى وعيها و واقعها بعد برهة من الوقت لتتذكر أنها داخل الحافلة
التي سئقلها إلى وظيفتها، اتسعت حدقتها في صدمة و هي ترمق البقعة التي تسير
فيها الحافلة حتى أطلقت شهقة تنم عن وقوعها بكارثة :

-يا نهار أزرق !! المحطة فاتتني

تركت مقعدها بسرعة و بدأت تسير داخل الحافلة تصطدم بأولئك الأشخاص المتكدسين جوار بعضهم لعدم وجود أماكن كافية، استطاعت الولوج إلى السائق و إخباره بنبرة متوترة أن يتوقف قبل أن تبتعد أكثر عن المنطقة التي من المفترض أن تضحى بها الآن :

-وقف هنا بعد إذنك

استجاب السائق لطلبها و أوقف الحافلة فهرولت منها بسرعة تتلفت حولها لتكتشف أنها بكارثة أكبر، فهي لا تعرف حتى ما هذا المكان، بان التوتر على ملامحها حتى أنها كانت تسب نفسها بقرارة ذاتها و تلعن هذا الخطأ الذي دائماً ما تقع به، فهذه ليست أول مرة تفوتها المحطة و تجد نفسها في بقعة نائية غريبة عنها، تحركت بضع خطوات لعلها تُدرك أين هي لكن محاولاتها بات بالفشل، لذلك قررت مهاتفة صديقتها لعلها تُخبرها ماذا تفعل :

-أيوة يا كوكي ... أنا واقعة في مصيبة

أجابتها صديقتها كوكي من داخل قصرها الفسيح و أمامها جروتها بنية اللون تداعب رأسها في لطف، فكوكي هي صديقتها الغنية و التي عاشت نصف حياتها خارج هذه الدولة لكن على الرغم من هذا هناك صداقة كبيرة تجمع بينهما كذلك هي تُعتبر من أذكى أصدقائها و لديها قدرة على حفظ الأماكن بسهولة، وضعت كوكي الهاتف على أذنها تجيبها بنفاد صبر و كأنها تعلم ما الذي ستقوله داليا :

- أه ... you got lost ... عشان نمتي في الباص و المحطة فاتتِك، مش كدة ؟

أومأت داليا إيجاباً لتردف بعدها :

-أيوة ... أنا نزلت في شارع غريب و مش عارفة أعمل إيه

أرخت كوكي ظهرها للوراء تحاول أن تعثر لها على حلٍ ما :

-طب إوصيلي الشارع إللي إنتِ فيه يمكن أعرف مكانه

وجهت داليا نظرها إلى أسفل و هي تجيبها ببلاهة :

-الشارع لونه رمادي و مليون رملة

ضربت كوكي جبهتها من شدة حماقة صديققتها التي ترجمت مقصدها بصورة خاطئة:

- مش قصدي ، **tell me** أي حاجة **special** " مميزة " في المكان إللي إنت فيه

رفعت داليا رأسها تتفحص المكان من حولها و تقول :

- إيبويه .. في عمارات و شارع و زرع و ...

دققت النظر مجدداً لعلها تعثر على أي شيء مميز بتلك البقعة، لفت نظرها كلب يسير على الممر يبدو أنها فتاة لأن معدتها كانت مُنتفخة مما يدل على أن هناك جنين بداخلها :

-أه ... في كلبة حامل بتمشي على الرصيف...

رمقت السماء و هي تواصل حديثها بعاطفية ورتتها عن والدتها :

-تفتكري جوز الكلبة دي عايش و بيدور عليها و لا عمل عملته و سابها تشحت بولاده، أصل_

قطعنها كوكي بنفاد صبر و بعض الغضب :

" **Dalia it is not the time** -ليس هذا وقته"

تنهدت كوكي بنفاد صبرٍ تُفكر في طريقة تساعد بها صديققتها حتى أردفت بالنهاية :

-داليا روحي إسألني أي حد إنت فين و بعد كدة قوليلي، تمام ؟

أومات داليا رأسها إيجاباً و بقيت تتلطف حولها لعلها تجد أحدهم لينجدها من هذا المأزق الذي اعتادت عليه....

-إدليه

خرجت تلك الكلمة من فوهه بداخل عيادته و هو يشاهد التلفاز و يضع قدميه فوق المنضدة بأريحية كما لو كان بمنزله، يُعرض أمام عيناه إحدى الأفلام المليئة بالإثارة و التشويق، حيث تعرض البطل و هو يتعارك مع عدوه في ملحمة دموية يعشقها إسلام كما يعشق الأفلام من هذه النوعية، فطالما كانت أمنيته أن يضحى البطل الخارق الذي يقتل المجرمين و يُحقق العدالة على الرغم من شخصيته التي تجعلك تعتقد لو هلة أنه مختل عقلياً بسبب كثرة التناقضات التي بداخله.

إنفتح باب العيادة ليداف منها مساعده سمير بسترتة البيضاء و طلته البسيطة، إقترب نحو إسلام يُخبره :

-دكتور إسلام، أدخل المريض دلوقتي ؟

انتبه إسلام لسؤاله فأعتدل في جلسته متفوّهاً :

-أه دخله، بس عقم الأدوات الأول

أوما سمير بتفهم ثم نادى على المريض كي يتبعه و يجلس بدوره قبالة إسلام و معه حفنة من الأوراق يمدها نحو إسلام :

-التحليل إلي طلبتها يا دكتور ... و عايز أقولك إن الجرح عمال يكبر و يجيب ألوان حتى بعد ما إتخيط، دا غير إن الواد إبنى مش حاسس برجله خالص

همهم إسلام بتفهم و هو يتفحص الأوراق و يسأل :

-إبنك عنده السكر ؟

أوما الرجل إيجاباً و هو يقول:

-أه، و هو إتعوّر لما كان يلعب مع صحابه، بس إن شاء الله المرة الجاية هجيبه
تكشف عليه تاني

وضع إسلام الأوراق على الطاولة ليردف بعدها ببرودِ جامح :

-إحنا كدة هنضطر نقطعه رجله عشان دي غرغرينا

جحظت عينا الرجل في صدمة من حديثه و برودته الطاغية، تشابكت الحروف
بداخله و كاد على وشك الصراخ بغير تصديق لكنه كبت صدمته بداخله و هو يقول :

-ي... يعني إيه إلهي بتقوله ده يا دكتور .. إبنني هتقطعوله رجله

كاد قلب الرجل يتوقف و هو يردف بهذه الكلمات التي قابلها إسلام بلامبالاة تامة أكد
معها على حديثه دون أن يراعي لمشاعر هذا الأب المكلوم على أمره :

-أيوة ... زي ما قولت، كدة رجله لازم تتقطع عشان جسمه يفضل سليم

حاول الرجل اعتراضه لعله يجد حلاً آخرًا غير هذا الحل الذي سيُدمر حياة صغيره :

-طب طب مفيش أي طريقة تانية نعالجه بيها غير الطريقة دي ؟

نفى إسلام رأسه بسرعة و هو يقول :

-لأ مفيش..

حالت بينهما فترة من الصمت استسلم فيها الرجل لقدره و وثب من مقعده يجر أذيال
خبثته قبل أن يهرع من تلك العيادة بنتأقل كاد ينفجر معه من الضيق و الحزن، أرخى
إسلام ظهره بأريحية كما لو أنه لم يفعل أي شيء منذ قليل، تقدم سمير نحوه بعد أن
تابع ما حدث في ذهول و صدمة من ردة فعل إسلام :

-يا دكتور إسلام ... أنا معتقدش إنك كان المفروض تقول كدة للمرضى بتوعك،
المفروض كنت تمهد الأول

خرجت هذه الكلمات بترددٍ من فوهه فأجابته إسلام بلامبالاة و قناعة تضرر بداخله :

-ما هو كدة ولا كدة هيعرف، بعدين فيه نظرية بتقول إننا لازم نواجه المريض
بالحقيقة عشان يهيء نفسه للي هيحصل

عقص سمير حاجبيه في حيرة من حديثه الغريب :

!!-بجد

أكد إسلام على حديثه باقتناع تام من ذاك المُعتقد الذي بداخله :

-أه إنت مش مصدقتي ولا إيه؟ ... وسّع كدة عشان أكمل الفيلم

أنهى الحديث و هو يُشير بجهاز التحكم على التلفاز ليعاود المشاهدة على الفيلم كما لو
أنه بمنزله و ليس بعيادته....

نسمات عليلة تضرب وجنتيها الصافيتين لتزرع بداخلها محصول من الهدوء و
السكينة، فرغم الضجيج من حولها قررت هي المحافظة على هدوءها و تحرير
أفكارها السوداء من سجن عقلها حتى لا تُسيطر عليها الضغينة و تنغص حياتها،
تغلق عينيها مع أنفاس عميقة تأخذها و تُطلقها ليهدأ روعها و تستطيع مواصلة يومها
بُشحنة من الطاقة الإيجابية، فطالما أمنت بكل ما يخص الطاقة و القوة العقلية..

-قمر .. يا قمر

قطعت هذه النداءات تأملها ففتحت عينيها ترمق زميلتها بالعمل و هي تقول :

-مدير التحرير عايزك ضروري

عقست قمر حاجبها بحيرة من ذاك الطلب الذي لأول مرة يطرق مسامعها، فلطالما اعتبرها مدير التحرير و كأنها قطعة من الأنتيك الذي ليس له قيمة، فمن أين يطلبها للمجيء لمكتبه و ماذا يريد منها؟؟ كل هذه الأسئلة تدور بذهنها حتى سألت بالنهاية:

- هو عايزني في إيه؟؟

أجابتها شهد إحدى العاملين بقسم الإخراج بالجريدة :

-معرفة، هو طلب يشوفك ضروري

تنهدت قمر لتستجمع قواها ثم تترك مكتبها و تتجه إلى مدير التحرير الذي قلما تتحدث معه، تدلف مكتبه بهدوء بعد أن طلبت الإذن لذلك، وجدته يجلس برونقٍ على مكتبه يتفحص بعض الأوراق لكنه ما إن انتبه لوجودها حتى أرفد ببعض الود :

-إزيك يا أنسة قمر؟

أجابته قمر و هي تنكس رأسها لأسفل تحاول تجنب نظراته التي تُصيبها بالرهبة :

-الحمد لله

وجه مدير التحرير يُسري بصره نحوها ليردف بتقرير :

-إنتِ طبعا عارفة إن زميلتك راندا في ظرف قهري و مش هتعرف تيجي إنهاردة

أومأت رأسها إيجابًا لأنها تعلم أن زميلتها بقسم الفيتشر ستجنب طفلها الأول اليوم و لن تستطيع المجيء، لكنها أيضًا لا تعرف ما علاقتها هي بهذا الأمر، لم تكذ تطلب المزيد من التفسيرات حتى وجدت يُسري يقول :

-و عارفة كمان إن إنهاردة في حدث مهم أوي و محتاجين حد يغطيه

و أخيرًا تجرأت و رفعت رأسها تطالب بالاستفسارات التي تُعيق ذهنها :

-أيوة حضرتك، أنا إيه علاقتي بالموضوع ده ؟

آجابها يُسري بسرعة :

-إنتِ الصحفية الوحيدة إلی موجوده دلوقتي، يعني مفيش حد غيرك هيقدر يغطي الحدث

زارها شبخ التوتر و الخوف بعد كلماته التي ألجمت لسانها، فهي على الرغم من كونها صحفية إلا أنها لم تُغطي ولو حدثاً واحداً:

-إ.. إيه؟؟ ليه؟؟ ...إنا .. أنا بعمل حاجات تانية

قالتها بتحجج كي لا يُرغمها المدير على تلك الأمور التي تخشاها، لكنها لم تلقى سوى السخرية من مديرها الذي يعلم جيداً ما الذي تفعله بهذه الجريدة :

-وراي إيه؟؟ ... لسة مخلصتيش الكلمات المتقاطعة ؟ ولا حظك اليوم ؟

حمحت قمر بخرج و بقيت تبحث عن أي سببٍ تتحجج به كي تنهرب من هذا المأزق، لكنها للأسف لم تجد ما تقوله لأن يُسري حسم قراره و هو يقول:

-إنتِ هتروحي الإفتاحية بتاعة مصنع الحديد إلی لسة مفتوح_

قطعته قمر بارتباك :

-أيوة بس_

-مفيش بس، دا شغل، روعي دلوقتي على الإفتاحية و إجمعي تصريحات على قد ما تقدري، و لازم تتكلمي مع صاحب المصنع

عبث بالأوراق التي أمامه حتى أمسك بحفنة من الأوراق و مدّهم نحو قمر كي تلتقطهم منه :

-الورق ده في كل المعلومات إللي هتحتاجيها و كمان الأسئلة إللي هتسألها
للمصادر مكتوبة ... و متنسيش .. أهم مصدر هو الأستاذ فاتح نظمي مدير المصنع

أومأت قمر بخيبة أمل و خوف يُفتك بأضلعها، أدركت للتو أنها في كارثة كبيرة
بالنسبة لها، لكنها طمأنت نفسها أن كل شيء سيسير على ما يرام و سوف تتحدى
خوفها و تفعل كما يفعل الصحفيون الماهرون دون أن تفسد الأمور ككل مرة....

طلقات من النار تصدح بكل مكان يتبعها ارتطام أجسادٍ على الأرض صريعة و
الدماء تنبثق من أجسادهم، معركة ملحمية تدور بين فرقتين أحدهما العدالة و القوة
الجامحة و الأخرى أعداء حقيرين يتسابقون على إضمار الفساد في كل مكان، يضع
اللاسيليكي على فمه و هو يردف بنبرة أمره و صارمة :

-لؤي بيه، إحنا مش عارفين نخرق المكان

أجابه لؤي من بقعة أخرى و قد كان يرتدي سئرة واقية و يحمل المسدس بين يديه :

-خليك عندك يا مرتضى، أنا هتصرف

عمر سلاحه استعدادًا لإطلاق النيران منه، ثم تحرك بانسيابية و خطواتٍ هادئة حاول
معها أن يضع أعيانًا بظهره حتى لا يتلقى حركة غادرة، صوب السلاح أمامه و هو
يتحرك بترو حتى باغنته طلقة نارية كادت تخترق جسده؛ اختبأ بسرعة في إحدى
الأماكن و طفق يُطلق النيران من فوهة سلاحه على ذاك الأرعن الذي حاول الفتك
به، و بطلقة واحدة من سلاحه استطاعت أن تلقاه سريعًا بعد أن اخترقت صدر
الرجل مباشرة.

عاود لؤي السير بترو، يُطلق بعض الطلقات النارية في كل وهلة حتى توقف عند
حجرة قابعة بإحدى الأركان ليُطلق النيران عليها ثم يركلها بقدمه بكل ما أوتي من
قوة كي يُفتح بابها الحديدي، ظل يُصوب السلاح أمامه و يردف بصرامة :

-سلم نفسك يا معلم عباس-

كان السلاح الآخر مصوبًا بوجه لؤي مباشرة و كأن صاحبه لن يستسلم بهذه السهولة:

-إبعد عني بدل ما يكون ده آخر يوم في عُمرِك-

ابتسم لؤي بسخرية و قدماه تتقدمان بتروٍ نحو عباس الذي كان يرتجف من الخوف و يتراجع للوراء، ثم بحركة سريعة قام بها لؤي ليدفع يد عباس حتى ألقى السلاح، استغل لؤي الفرصة و قبض على ذراعه الذي آداره حول ظهره فتأوه عباس من الألم، قرّبه لؤي نحوه ليهمس بأذنه بمُكر:

-قولتلك مش هتهرب مني يا عباس...-

بعد مرور بعض الوقت...

إنتهى لؤي من القبض على المجرمين ليضحى الآن أمام اللواء الذي يشكره بامتنان على ما بذله من مجهود بتلك العملية، فالمجرم الذي قبض عليه كان من أخطر المجرمين و المهربين للممنوعات بالبلدة، بعد العديد من الإطراءات أُردف السيد عبد الصبور والد لؤي و قائده بذات الوقت :

-أنا مقدر مجهوداتك العظيمة إلي عملتها الفترة إلي فاتت، و كنت متأكد إنك هتبقى قد المسئولية و تُقبض على عباس و رجالته

ابتسم لؤي إثر إطرأه الذي رد عليه بؤد:

-أنا بقدي واجبي يا سيادة اللوا-

تقدم عبد الصبور بجذعه كي يتحدث مع لؤي بجدية:

-و عشان كدة أنا طلبتك يا سيادة الرائد-

عقص لؤي حاجبيه بحيرة لينتبه بعدها إلى حديث والده :

-في عصابة كبيرة بتاجر في الممنوعات أكبر من المعلم عباس و رجالته، العصابة
دي مش بس بتاجر في الممنوعات، دول بيعملو غسيل أموال عشان يغطو على
عملياتهم الق ***

أرخی ظهره للوراء ليوصل حديثه الجاد ببعض الأريحية :

-إحنا عملنا تحرياتنا و قدرنا نوصل للشركات إلی شاكين إنها بتعمل غسيل أموال
... و من ضمنهم شركات و مصانع نظمي للحديد و الأدوات المنزلية و إلی بيديرها
فاتح نظمي

قطع لؤي حديثه باستنتاج :

-حضرتك عايزني أطلع مأمورية و أقبض عليه ؟

نفي عبد الصبور حديثه بتبرير :

-للأسف إحنا معدناش حاجة نثبت بيها إلی بنقوله، فأی إجراءات هتتاخذ ضده
مش هتكون في صالحنا

ازدادت حيرة لؤي و تقاوم حجم الأسئلة داخل رأسه:

-يعني حضرتك عايزني أعمل إيه؟؟

تقدم عبد الصبور بجذعه للأمام لينتهي حديثه بتقرير و جدية :

-عايزك تراقب فاتح نظمي و تجبلي دليل يثبت إدانته...

ها قد دلفت عيادتها الخاصة أخيراً بعد العديد من محاولات البحث عن وسيلة
مواصلات تقلها الوجهة المرادة، اتجهت مباشرة إلى الداخل عازمة على أداء
وظيفتها و التغاضي عما حدث صباحًا، فهي تحاول قدر الإمكان الفصل ما بين

متاعبها الشخصية و بين ما يحدث في وظيفتها حتى لا تصب جام غضبها على حالاتها..

-دخيلي أول حالة يا شادية

قالتها ما إن دلفت البناية التي تقبع عيادتها بداخلها، فما إن جلست على مقعدها الوثير حتى دلفت سيدة بأواسط العُمر يبدو على معالم وجهها بعض الضيق و الاستياء، أشارت داليا على إحدى المقاعد كي تجلس و تنصت لها...

-إفضلي أقعدي

إرضخت السيدة لطلبها فتقدمت داليا بجزعها لتسألها باهتمامٍ و شغف:

-قوليلي بقي ... بتشتكي من إيه ؟

تنهدت السيدة قبل أن تتلو ما يُثقل كاهلها و يعتمر قلبها :

-جوزي مش بيهتم بيا، و لما بيرجع من الشغل بيدخل ينام في أوضته ولا كأي موجود

سردت السيدة كل ما يحدث معها و مع زوجها لداليا التي كانت تُنصت لها بإمعانٍ، هل ظننت للتو أنها طبيبة لأنها تعمل بعيادة و لديها حالات ؟؟، ربما تكون طبيبة لكن حالاتها لا يشكونها إلاً جثمانية و لا حتى يشكونها إلاً نفسية، فقط يتحدثون عن حياتهم الزوجية و المشاكل التي تنغص عليهم حياتهم بسبب قرار الزواج الذي إتخذه فجأة...

هممت داليا بتفهمٍ مع كل كلمة تسردها هذه السيدة حتى سألتها بالنهاية :

-فكرتي تسأليه ماله ؟؟

أجابتها السيدة بثقة :

-سألته كثير و هو مش بيقولي، انا بدأت أشك إنه بيخوني ... بس برجع أقول لأ،
مُنير ميعملش كدة، دي مش أخلاقه

-طب جربتي تقеди جنبه

-جربت، بس هو بيتهرب

فكرت داليا هنيهة قبل أن تردف بحكمة:

-هو مش بيتهرب منك ... هو بيتهرب من المشكلة إلي عنده...

أرخت ظهرها للوراء تحاول أن تُفسر مقصدها لتلك السيدة :

-الرجالة لما بتعرض لضغوطات بيحاولو يغيرو مسارهم، مش بيحبو يتكلمو في
المشاكل إلي عندهم عشان ينسوها، عكس الستات، إحنا كستات بنحب نحكي
مشاكلنا للي حوالينا، فشايفين إن الرجالة كمان زينا و هتقبل إنها تتكلم معانا في
مشاكلها، فبالتالي لما مش بنلاقي كدة، بنفتكر إن الطرف الثاني متضايق منا، او
مخبي علينا حاجة، في حين إنه ممكن يكون بيعمل كدة عشان ميشيلكيش الهم

سألته السيدة بحيرة :

-إفرضي يا دكتور فضل ساكت كثير ؟

-وقتها إتكلمي معاه في حاجة تريحه، يعني شاركه إهتماماته و حاولي تحسسيه
بالراحة لأنه كل ما يحس إنك هتفتحي معاه مشكلة سواء عشان العيال أو
مستلزمات البيت هيحاول يتهرب منك عشان يريح دماغه

اتسعت بسمه السيدة و هي تُنهي النقاش معها بعد أن توصلت إلى حلولٍ بشأن حياتها
الزوجية التي على مشارف التدهور، صافحتها السيدة في ودٍ قبل أن تترك العيادة و
تبقى داليا وحدها مجدداً تنتظر الحالة التالية...

ما هي إلا لحظات قليلة حتى إنفتح الباب بغوغائية ليدلف منه سيدة و معها زوجها كالقطار السريع غير مراعيين للأداب، انتفضت داليا من مجلسها ترى هذين الزوجين اللذان تعرفهما جيداً يتشاجران كالعادة بعيادتها..

-إفضلي شوفي يا دكتورة، البيه مفهمني إنه في سفرية شغل و أتريه مقضيها مع السنيورة

قالتها السيدة المدعوة بشهيرة و هي ترفع هاتفها كي تجعل داليا تشاهد إحدى الصور الخاصة بزوجها الخائن _ من وجهة نظرها.

-يا دكتورة الست دي كدابة، الصور دي قديمة، و هي بتعمل كدة عشان تغطي على عملتها

شهقت شهيرة بردح و رفعت من نبرة صوتها لتهاجم زوجها :

-عملت إيه يا أبوة عملة .. إنت هتلبسها فيا ولا إيه يا راجل يا خاين

-أنا مش خاين يا شهيرة، و إنتِ إلي بدأتي الأول و كنتي عايزة تاخدي فلوسي و تسافري من ورايا

رفعت شهيرة من صوتها و كادت تهاجمه بالحديث لكن داليا قطعت كل هذا بصوت مرتفع صارم :

-باس ... إسكتو ... ممكن تفهموني بهدوء إلي حصل

توقف كلاهما عن الجدل ليتقدم خورشيد زوج شهيرة نحو داليا ليقص عليها ما حدث بالتفصيل :

-يا دكتورة أنا كنت راجع من الشغل، ملقتهاش هي و العيال، إتصلت بيها على التليفون قالتلي إنها عند مامتها، بعدها فتحت الدولاب ملقتش الفلوس بتاعتي، و

كمان لقيتها منزلة ستوري على الواتس و هي في الساحل، يبقى أكيد سرقت فلوسي الحرامية دي

شهقت شهيرة بفاهٍ مفتوح من إتهاماته المُهينة لكرامتها، فهي لن تتحمل أن يُشهر بها
بهذه الطريقة؛ أمسكته من تلايبه لتهتف بوجهه بنبرة حاقدة :

-أنا حرامية يا بتاع النسوان..-

دفعها خورشيد بعيداً عنه ليؤكد على حديثه بصوتٍ مُرتفع و كلماتٍ مهينة، لم يتوقف
الجدال عند هذا الحد، بل تطور إلى تطاولٍ بالأيدي و تبادل الألفاظ البذيئة دون أن
ينتبه إلى داليا التي حاولت إيقافهما كما تفعل دائماً، فهذين الزوجين هما أكثر حالاتها
استعصاءً و أكثر الحالات التي تأتيها بسبب كثرة مشاكلهما التي لا تنتهي، لطالما
فكرت أكثر من مرة أن تُخبرهما بالطلاق حتى تنتهي من هذا الصداق لكنها تتراجع
لأن هذا منافٍ لوظيفتها التي تفرض عليها إصلاح الحياة الزوجية مهما كانت
مُستعصية...

وقفت كحائلٍ بينهما تحاول إيقافهما عن العراك لكن الوضع يزداد سوءاً، أصواتهما
ترتفع حتى كادت تصم أذناها، و ما إن وصل الجدال إلى ذروته قررت شهيرة أن
تضرب ضربتها القاضية و تلتقط إحدى المزهريات كي تضرب خورشيد بها..

لكن ما حدث للأسف أن المزهريّة لم تطل زوجها، بل طالت داليا التي تأوهت بألمٍ
قبل أن تسقط على الأرض مغشية عليها إثر الضربة.....

انتشر العديد من الصحفيين و المصورين يُغطون هذا الحدث العظيم، فإفتتاح أكبر
مصانع الحديد يُعد من الأحداث الكبرى خاصة مع تلك الحفلة الكبيرة التي أقامها
إحدى رجال الأعمال المشهورين، في خضم هذا الإحتفال الكبير، كانت قمر تلتقط
أنفاساً متتالية تحاول أن تستجمع بهم قواها كي تضحي جاهزة لهذا الحوار الذي على
وشك أن تقوم به للتو، دفعت قدميها داخل هذا الإحتفال رغم أنها لا تُحب الأجواء

الصخبة و الزحام، تميل أكثر للعزلة و الهدوء و هذا ما يجعلها تتدارك العديد من الأمور حتى لا تضطر لخوض هذه الأجواء..

سرقت أنفاساً متتالية ثم حدقت بالورقة الخاصة بصورة هذا المصدر الذي من المُفترض أن تُجري الحوار معه، بحثت بعينيها بكل مكان لعلها تعثر عليه هنا في مكانٍ ما، قررت أن تقتحم حشد الصحفيين لعلها تجده و تنتهي من هذا الأمر الذي يُعيقها.

رغم أنها تكره تكديس السكان إلا أنها استطاعت اقتحام هذا الجمع و رؤية الرجل الذي أتت من أجله " فاتح نظمي "

رأته يمنع الصحفيين من الحديث معه بطريقة فظة جعلتها تشعر بالخوف ما أن تطلب منه إجراء حوارًا معها، لكنها مع ذلك واجهت مخاوفها و عازمت على إجراء هذا الحوار أيًا كانت الصعوبات، فهي لن تسمح لمدير التحرير أن ينعتها بعديمة الفائدة مرة أخرى، استغلّت إبتعاد الصحفيون عنه حتى تتشجع و تسأله بتهذيبٍ أخفت معه ارتباكها:

-أستاذ فاتح، أستاذ فاتح ... ممكن أعمل مع حضرتك حوار ؟

تجاهل فاتح حديثها بفضاظة و هو يُخبر السائق الخاص به :

-روح جهز العربية يا هاني

تحرك خطواتٍ تجاه سيارته لكن قمر أوقفته بإصرار يتضخم داخلها:

-يا أستاذ ... ممكن أعمل معاك حوار، والله مش هاخذ من وقتك كثير، هما عشر دقائق بس

رفض فاتح طلبها بوقاحة :

-أنا قولت مش عايز أتكلم مع صحفيين، و إتفضلي إمشي من هنا عشان ورايا
شُغل

ابتعد عنها و تركها تطبق على شفيتها بحنقٍ من فظاظته، تذكرت لوهلة لما ترفض اجراء مثل هذه الحوارات و الحديث مع المشاهير ، هذا لأنها تترجاهم كي تحصل على تصريح واحد مما يُشعرها و كأنها تشخذ منهم المعلومة، كم أرادت في هذا الوقت أن تلکم هذا الرجل الفظ و تجبره على الحديث معها و عدم تجاهلها بهذه الطريقة، لكنها توّصلت إلى فكرة قد تضحى أسهل و أسرع بكثير.

عادت إلى فاتح مجددًا لتقطع طريقه للمرة الثالثة و هي تردف بإصرار :

-بس أنا هعمل الحوار

كاد السُّباب يخرج من فم فاتح إلا أنها أوقفت حديثه بنظرة ثابتة من عينيها جعلته يتصنم مكانه و كأنه قد تغيب عن العالم تمامًا، فقط ينظر لها بتيه و لا يخرج من فوهه أي من الاعتراضات و هذا ما أرادته بالضبط، أخرجت الأوراق من جيبها لتسأله الأسئلة و تقوم بتشغيل المُسجل كي تُسجل إجاباته التي سيقولها تحت التنويم المغناطسي، لطالما تجنبت هذه الطريقة التي قد تُشكك الجميع بها، لكن هذا الفظ أجبرها على هذا لعدم رغبته بالحديث معها...

-إشمعنا إختارت المكان ده إلی تفتح فيه المصنع ؟

أجابها بأعينٍ زائغة و نظراتٍ مُحملة بالتيه :

-عشان يكون قُريب من العاصمة الجديدة إلی هيبقى فيها مُعظم منشآتنا و شغلنا

سألته العديد من الأسئلة بعدها و التي آجاب عليها بصدقٍ دون أن يدري ما الذي يتحدث عنه، أرادت أن تنهي الحوار بسرعة حتى لا يكتشف أحد فعلتها فتطرق لأمهم الأسئلة و التي كانت :

-إيه الهدف من إنك تفتح مصنع حديد جديد مع إن عندك مصانع تانية غيره

أجابها بنفس نبرته التائهة:

-عشان يغطي على صفقاتنا المشبوهة، عشان لما يكون معانا فلوس كثير الناس
تفتكر إن دي فلوس المصنع و ميعرفوش إن دي فلوس المخدرات و الآثار إللي
بنتاجر فيهم

أحتقن وجهها بعد إجابته الصريحة و المُخيفة بالوقت ذاته، شعرت بلسانها يُلجم مكانه
ما إن علمت الحقيقة وراء رجل الأعمال هذا، الحقيقة التي قالها على لسانه و التي
سجلتها بنفس الوقت....

حلّ المساء و كانت هي بالجريدة تستمع إلى التسجيل للمرة المئة بعد الخمسين، فهذا
يُعتبر من أخطر التسجيلات التي قامت بها، في الحقيقة هذا هو التسجيل الوحيد الذي
قامت به لأنها لا تُجري أي من الحوارات، ظُلت الأسئلة تتبادر بذهنها حول هذا
التسجيل الخطير، هل تستخدمه في كتابة الفيتشر و تفشي سر هذا الأرعن بالعلن ؟ أم
أن هذا سيُعرض الجريدة للمسألة القانونية و ربما تخسر وظيفتها لأنها سجلت
للمصادر دون أن تحصل على إذن منهم، و هذا مخالف للتشريعات الخاصة
بالصحافة...

هل تُعطي هذا التسجيل للشرطة كي تُلقي القبض على هذا المجرم؟؟ لكن ما الذي
سنقوله لرئيس التحرير الذي بالطبع سيسألها عن هذا الحوار؟؟

قطع أسئلتها صوت عامل النظافة و هي يحاول تنبيهها :

-أنسة قمر ... إحنا هنقفل المكتب، حضرتك هتباتي هنا؟

انتبهت قمر للوقت الذي تأخر و تذكرت أنها يجب أن تعود إلى منزلها حتى لا تُعاقبها
والدتها، اعتدلت في جلستها لتضع المُسجل داخل إحدى الأدراج و تترك المكتب
عازمة على العثور على حلّ لتلك المُعضلة في يومٍ آخر...

عمّ السكون الأرجاء بعد أن غفت الطيور و تَلَطَّخت الأجوأ بسوادٍ كاحلٍ يُعرب عن هذه الليلة التي ينعم بها البعض بالسكينة و البعض الآخر يُفضل أن يتحدث مع أفكاره لعله يجد لها حلاً قبل أن تقسم على تدمير حياته، و في جوف هذه الليلة الهادئة كانت داليا داخل حُجرتها تجلس على فراشها و وراءها على الفراش تقف كوكي على ركبتيها تعبت بخصلات شعر داليا كي تضع عليها إحدى هذه القطع المستديرة " بوكليت " التي تجعل شعرها المُجعد أكثر تناسقاً، فطالما كانت داليا من أولئك الذين يعتنون بذاتهم.

- بابي أخيراً وافق إني أنزل أشتغل I cant believe إنه وافق بجد

أثنت داليا على حديثها بفخر :

-برافو عليكِ، لازم باباكي يتأكد إنك كبرتِي وبقيتي قد المسؤلية

أردفت كوكي كي تنفي شفاً من حديث داليا :

-هو إشرط عليا إن لازم يكون معايا سواق يوديني و يجبني و إلا مش هروح الشغل

بان الاستياء على كلماتها لكن داليا وأدت استيائها بتشجيع :

-مش مهم، المهم إنه وافق إنك تشتغلي، موضوع السواق مش حاجة يعني

أيدت كوكي حديثها و كان التلهف يسري بداخلها لشدة رغبتها بالعمل و التعامل مع الأطفال في مُحيط يبتعد عن حياتها، و أشخاص جُدد تتعرف عليهم، سبحت في بحر أفكارها و لم تنتبه إلى ما تفعله بشعر داليا التي أطلقت تأوهاً عالٍ:

-أه ... شعري، يا بنتي بقولك إضربت في دماغي خُدي بالك شوية

انتبهت كوكي لما تفعله بعد أن ضغطت بالخطأ على الجرح الذي برأس داليا نتيجة هذه الضربة التي تلقنها بالعيادة، أرادت الاستفسار أكثر عن سبب الضربة فسألت :

-هو مين إلي ضربك على دماغك ؟

آجابتها داليا ببساطة ولا مبالاة :

-هيكون مين يعني غير شهيرة و خورشيد إلي بييجو العيادة عشان يتخانقو و
الله نفسي أقولهم يطلقو و نخلص من الهم ده بس قلبي مش مطاوعني

انتهت كوكي من العبت بخصلات داليا و هي تقول:

-إنتي إلي إختارتي الشغلانة دي، إستحملي بقى إلي هتشوفيه

كادت تتحدث داليا و تُخبرها أنها ليست نادمة على إختيارها مثل هذه الوظيفة الصعبة
لكن جرس المنزل قطع حديثهما فأردفت داليا باستنتاج:

-دي تلاقيا قمر

و بالفعل دلفت قمر الحجرة بوجه عابس يتكلل بالتخبط و التيه، فمن يحيا بمثل حياتها
الغريبة يجب ألا يفارقه هذه المشاعر المُختلطة، إرتمت على الفراش بجوارهما
فلاحظت كوكي وجهها العابس فسألتها :

" -ماذا بكِ يا فتاة؟ what is wrong with you "

انتبهت قمر لسؤالها فحاولت تضليلهما كي لا يعرفا سبب هذا التخبط و يزيداها
تخبطاً:

-مفيش حاجة

هكذا آجابت باختصار لتستغل داليا الفرصة و تبدأ بالغناء بمرح كما اعتادت :

-مفيش حاجة تيجي كدة إيه ده حبيبي إيه ده و إرجع زي زمااان..

أوقفت كوكي غناءها الذي لا يتوافق مع أحداثيهن الجادة :

-إنت لسة يا داليا فيكي العادة دي ؟ كل ما حد يقول كلمة تقلبها أغنية

كانت داليا من مُحبي الأغاني و الأفلام الشهيرة؛ لهذا السبب كلما استمعت إلى كلمة مشهورة داخل أي أغنية أو حتى فيلمًا تجد نفسها تُغني أو تُمثل مقطع الفيلم المراد حتى و لو كان الحديث الدائر جادًا، كانت تُبرر لذاتها :

-أعملكم إيه، جملتها دي فكرتني بالأغنية

تجاهلت كوكي تبريرها و وجهت الحديث نحو قمر تحاول أن تستفسر منها عما يحدث بحياتها :

-مالك يا قمر

فردت قمر تقاسيم وجهها كي لا يبدو عليها العبوس و هي تُجيب :

-مفيش والله، الفكرة بس إني زهقت من البيت و زهقت من كل حاجة، نفسي بجد أتجوز عشان أخلص من ده كله

فهقهة ساخرة خرجت من فم داليا ما إن استمعت لحديثها، فهي تعلم جيدًا تلك المشكلات التي تحدث بعد الزواج :

-إنت فاكرة يعني إن بعد الجواز كل حاجة هتتحل، والله العظيم إنت ساذجة، الجواز دا كله مشاكل و حوارات خصوصًا بقي بعد ما تخلفي صدقيني أنا خبرة في الحاجات دي، إنت مش بتشوفي الحالات إلكي عندي ولا إيه ؟

عصت قمر حاجبها بلمحة تسأول اجتاحتها و هي تسأل داليا :

-يعني إنت كدة مش ناوية تتجوزي خالص ؟؟

أجابتها داليا بثقة :

-ولا عُمرِي هفكر في الحوار ده، أنا لما هتجوز، هتجوز راجل غني و أكبر مني في السن، ليه بقى ... عشان يموت بسرعة و أورثه

شهقت قمر بصدمة من حديثها و فكرها الغريب، وصلت إلى استنتاج صادم تتوقع أن داليا بتفكيرها هذا قد تقبل على فعله :

-هتقتليه، هتقتلي جوزك المستقبلي عشان تورثي!!-

أردعتها داليا بحديثها المُعنف :

-إنتِ بتقولي إيه إنتِ كمان شايفاني قتالة قُتلة !! أكيد هسيبه يموت موتة ربنا

شُلت الصدمة حلق كوكي فأخذت فترة لتستوعب ما يُلقى على مسامعها من حديثٍ عنيفٍ تسمعه لأول مرة من داليا، فلطالما كانت تعرف أن داليا تكره الزواج و ما يخصه خاصة بعد أن تطلق والداها و بعد أن رأت هذه الحالات التي تأتيها العيادة و التي تزيدها كرهاً في الزواج أكثر، لكنها لم تتوقع أبدًا أن يضحى همها الوحيد هو المال..

-داليا أنا بقول خليكى قاعدة في البيت من غير جواز أحسن

أكدت قمر على قرارها الذي رآته صائبًا بالنسبة لداليا :

-أنا كمان بقول كدة، طنط بسمة أصلًا مش هتقدر تعيش من غيرك

وثبت داليا من فراشها تهاجمها بحديثها رغم أنهما على صواب :

-إنتِ بتقولي إيه إنتِ و هي، انا لازم أبني مستقبلي..-

واصلت حديثها بدرامية نظرت معها للخواء و كأنها داخل إحدى الأفلام و أن الكاميرات تقوم بتصويرها :

-لازم أتعب و أطلع سلم المجد، لازم أبني إسمي و أخلي الناس تحكي و تتحاكى بيا، لازم أواجه الضلمة إلي في حياتي عشان أوصل للنور إلي هينورلي دنيتي_

قطع حديثها انقطاع الكهرباء و إنتشار الظلام في الأرجاء تزامناً مع حديثها عن النور الذي سيضيء حياتها المُعتمة؛ انفجرت كل من كوكي و قمر بالضحك بعد ما حدث فنهرتهما داليا :

-بتضحكو على إيه ؟ مش أول مرة يعني النور يقطع

لم تتوقف وصلة الضحك بينهن حتى جذبت قمر ذراع داليا لتجلسها مجدداً على الفراش و تُخبرها بمزاح :

-قعدى يا ختى مش لما أوضتك تنور الأول بعدين نبقى نشوف النور إلي عايزة توصليله

استمرت وصلة الضحك و المزاح بينهن في أجواء دافئة لا يحياها المرء دون أن يضحى لديه أصدقاء يعينونه في شدته و أوقاته العصبية...

يدلف منزله بخطواتٍ متهدجة تطالبه بإحدى حقوقه ألا و هي النوم و الراحة، استمع إلى ضجيج يُصدر من معدته التي طالبتة أيضاً بالطعام و إلا ستلتهم معدته و تصيبه بالأم جثيمة، أصبح الآن مشتتاً ما بين تنفيذ رغبات جسده الذي يرغب بالراحة و معدته التي تطالب بالطعام، فحتى في فترة الراحة عليه أن يواجه الصراعات أيضاً.

قرر الاستجابة لمعدته بالنهاية ما إن رأى صديقه مُعنز يستوطن الأريكة و معه صحناً يحتوي على طعامٍ تفوح منه رائحة شهية دغدغت معدته و أزدت من صوتها، إرتمى على الأريكة جواره يسأله بشراهة :

-عملت إيه على الغدا ؟

آجابه مُعترز و هو المسئول عن الطهي في هذا المنزل بسبب خبرته نظرًا لبقاءه وحيدًا
لفترة طويلة :

- عملت بشاميل باللحمة المفرومة

عقص إسلام حاجبيه بحيرة و كأن تلك الأكلة غريبة عليه :

-باللحمة المفرومة !! ... معملتهاش بالسجق ليه زي ما بحبها ؟

أنهى حديثه بتذمر سايره مُعترز باعتذارٍ و قلة حيلة :

-مكنش في سُجق فعملتها باللحمة المفرومة

مدُّ نحوه الصحن كي يشاركه الطعام ثم ربت على فخذة كي يُطمئننه :

-خُد إمسك، المرة الجاية هبقى أعملها بالسجق

تتهد إسلام بضجرٍ لكنه إنتشل الصحن منه عازمًا على تهدئة هذه الثورات داخل
معدته، بدأ يتناول الطعام و يسأل صديقه بود :

-قوئي بقي عملت إيه في المرافعة ؟

حادثه مُعترز دون أن ينتبه لسؤاله :

-مرافعة إيه ؟

آعاد إسلام سؤاله متكئًا أكثر على حروفه كي يصغي إليه مُعترز :

-المرافعة إلهي كنت فيها الصُبح

انتبه معترز لسؤاله و ظهر عليه بعض الارتباك الذي أخفاه بإجابة مُختصرة :

-أاه... لأ تمام الحمد لله، أخذ براءة

أشاح وجهه عن إسلام لينتشل جهاز التحكم و يبدأ بتشغيل التلفاز على أي برنامج أو فيلم يشاهده أثناء تناول الطعام، مرّت بينهما فترة من الصمت كان يعبث فيها مُعترز بجهاز التحكم بينما انشغل إسلام بالطعام الذي أمامه يُمعن التركيز به جيداً لعله يستخلص منه بعض العبر كما يفعل دائماً :

-تعرف يا زيزو... إحنا شبه اللحمة أوي، لازم نتفرم عشان يطبخ بينا طبخة حلوة

وجه مُعترز نظرة بلهاء نحو إسلام تتم عن عدم فهمه لأي من حديثه الغامض :

-نتفرم إزاي لا مواخدة

فسّر له إسلام أكثر بعد أن إعتبر نفسه مثل أرسطو، أو أن أرسطو إذا رأى حكمه فسوف يودي بحياته :

-نتفرم يا زيزو... بالك إنت لما اللحمة دي بتفضل صحيحة، مبنعرفش نعملها أكلات حلوة، لازم نتفرم الأول، زيينا كدة، عشان نطلع أحسن ما عندنا لازم نتفرم

فتح مُعترز فاهه ببلاهة قال معها :

-إسلام أنا مش فاهم حاجة

يأس إسلام من التفسير له فوضع الصحن على الطاولة ثم أردف قبل أن يهرع من مكانه :

-ولا عمرك هتفهمني، أنا إللي يفهمني لازم يبقى واحد عميق زيي

قالها بتهكمٍ ثم اتجه إلى حُجرتة كي يستريح تاركًا مُعترز يرمقه ببلاهة و حيرة من حديثه، يكاد يشك أن إسلام متعدد الشخصيات، ففي الصباح يشعر و كأنه شخصية مرحة تُحب المزاح و السخرية، و في المساء يتحوّل إلى حكيم يتأمل الكون من

حوله، عاود النظر إلى التلفاز كي يشاهد إحدى الأفلام متغاضياً عن تصرفات صديقه التي اعتادها...

إرتمت بظهرها على الفراش تُلقي حمولة جسدها على فراشها المسكين الذي شهد على دموعها و قفزاتها الفرحة، و حتى تناولها الطعام و حديثها مع ذاتها، ها قد أتت تلك اللحظة التي تبقى فيها وحدها لتنتهز الفرصة و تجلد ذاتها و تُخرج هذه الأفكار السوداء التي غزت رأسها و اقسمت على تدمير حياتها..

قد تبدو حياتها روتينية مملة، إلا أنها كلما تعمقت بها أكثر، تراها فارغة خاوية ليست لها فائدة، و هذا ما يجعلها تؤنب ذاتها أكثر وهي ترى العُمر يُسرق منها و هي لا تزال بتلك الحياة التعيسة دون أن تتقدم خطوة، ترقرقت دموعاً على أهدابها كلما أقنعها عقلها أنها ليست ذات فائدة بهذه الحياة و إنها إذا لقيت حتفها فمن سيتذكرها فقط هم أصدقاءها قمر و كوكي و والدتها، أي ثلاثة فقط سيحضرون عزاءها، و ربما والدها يتذكرها و يأتي ليسخر منها مع المعازيم كما يفعل دائماً..

غاصت أكثر في بحور أفكارها السوداء لدرجة أنها فكرت أن تستيقظ و تكتب وصيتها لعلها ستفارق الحياة غداً، سرعان ما نفضت هذه الفكرة عن رأسها و حاولت التفكير في شيءٍ أكثر إيجابية لعلها ستنام سعيدة و تتوقف عن أحلامها الغريبة.

كلما حاولت تغيير منحنى أفكارها تجد الأمور تزداد سوءاً فقد تطور الوضع و تحوّلت دموعاتها إلى بكاءٍ مريّرٍ سببت معه هذه الحياة التي لم ترغب يوماً بها، فما فعلته اليوم سُكرره غداً و بعد غدٍ دون أية فائدة، فقط لو تستطيع تغيير حياتها لكانت سعيدة الآن، غطت وجهها بالغطاء تكبت جراحها و تفكيرها الزائد عن الحد و تواصل حياتها كما تفعل دائماً، فحياتها ستظل كما هي ... لن تتغير أبداً..

أشرقت شمس يومٍ جديدٍ لتنتشر أصوات العصافير تُعلن عن بداية رحلة جديدة، تتمثل داليا على فراشها قبل أن تفتح عينيها إثر هذا الضجيج الصادر من المُنبه، فتحت

عينيها ببطء لكنها شهقت مرة واحدة لترتد من الفراش و تثب بسرعة تفرك عينيها
لعلها تتوهم ما تراه، فجوارها على الفراش رجل غريب لا تعلم من أين أتى، ولا تعلم
حتى أين هي، اكتفت بالصراخ بأعلى صوتها حتى استيقظ الرجل المجاور لها يردف
بذعر :

-في إيه يا إسلام مالك؟؟

إسلام !! من إسلام هذا أيها الأبله؟؟ هذا ما كان يجول بخاطرهما ما إن نعتها هذا
الرجل بهذا الاسم الغريب، تراجعت خطواتٍ للوراء تظن أن هذا الرجل الذي لم يكن
سوى مُعترز يخدعها بعد أن اخطفتها و هي نائمة:

-إبعد عني إنت مين؟؟

-يا إسلام في إيه أنا مُعترز صاحبك إنت مش مجمع ولا إيه؟؟

ازدادت حيرتها أكثر و بدأ الارتباك يتقاطر من جسدها حتى جعل الأحرف تتشابك
بداخلها :

-إ.. إسلام مين؟؟

كادت تبكي و هي تتحدث على الرغم من البساطة الطاغية على مُعترز لا اعتقاده أن
صديقه يمزح معه ليس إلا :

-روح إغسل وشك يا إسلام يمكن تفوق

قالها مُعترز قبل أن يترك الحجرة و تبقى داليا وحدها في هذا المنزل الغريب، تتلفت
حولها بتيه حتى إلتقطت عيناها المرأة الخاصة بالسراحة و هذا الشكل الغريب الذي
ينعكس عليها، إقتربت أكثر نحو المرأة بخطواتٍ مرتجفة و صدر يعلو و يهبط تباعاً،
فتحت فاهها بصدمة ما إن رأت انعكاسها على المرأة و الذي لم يكن هي،

بل إنعكاساً لرجلٍ طويلِ القامة ذا شعرٍ و لحيةٍ داكنةٍ
من شدة صدمتها أطلقت صرخةً مدويةً لا تُصدق معها ما حدث !! ...

الفصل الثاني (تهديد)

اللجنة على هذه الحياة التي كلما أردت أن أسامحها تصفني بعنفٍ حتى تزداد رهبتي منها و أتوخي الحذر..

تتلمس وجهها في المرأة بفاهٍ مفتوح لا يُصدق ما يرى أمامه، هل هي بحلم أم أنها بكابوس؟؟ كل شيءٍ حولها يبدو حقيقياً، فيما عدا أنها أصبحت رجلٍ الآن!! لطالما أمنت بوجود الخرافات، لكن هذه أول مرة ترى الخرافات بعينها؛ صفعت نفسها عدة صفعات لعلها تستفيق من هذا الحلم و تعود إلى جسدها، بدأ العرق يتصبب من جبينها و إرتجافة تسري بكل شبر بجسدها، تلاحقت أنفاسها و هي تحاول إستيعاب ما يحدث و تقبل هذه الصدمة التي يستحيل تقبلها.

-أنا أكيد بحلم، أكيد أنا في حلم أو كابوس...-

تحسست وجهها للمرة العاشرة في خضم محاولاتها العديدة لفهم هذا الجنون :

-ما هو ياما ده حلم، ياما أنا إتلغت زي فيلم بنات العم-

إزداد ارتباكها كلما تفاقمت الأسئلة داخل رأسها و كلما أوهمها عقلها أنها ستضحى بذلك الجسد إلى الأبد، كم مقتت اللحظة التي إشتكت بها من جسدها و كم أنها سمينة و كم أن شعرها أشعث لا تستطيع تمشيطة، أما الآن فهي تتمنى فقط هذا الشعر الأشعث و الجسد البدين بدلاً من هذا الجسد الذي يُصيبها بالتقرز.

قطع حبل أفكارها صوت مُعترز و هو يصدح بصوتٍ مرتفع :

-إسلام... يلا يا إسلام أنا عملت الفطار-

عادت إلى واقعها مجدداً أو إلى هذا الواقع الذي لا تعرف عنه شيئاً، قررت أن تتصرف بطبيعية تحاول التمثيل أنها ذاك الذي يدعى إسلام لأنها متيقنة أنها إذا أخبرت أحدهم أنها كانت فتاة سوف يصفها بالجنون، و حتماً لن يُصدقها، فهي حتى الآن لا تُصدق ما يحدث، سرقت نفساً عميقاً قبل أن تتجه إلى خزانة الملابس و تنتقي

منها سترة رياضية زيتية و بنطال بني أنيق، إختلف ذوقها كثيرًا عن ذوق إسلام الذي يرتدي القمصان أغلب الوقت، فهي تُفضل تلك الملابس المريحة عن القمصان و البنزات خاصة عندما تذهب إلى إحدى المشاوير، بخلاف أنها لا تفقه شيئًا عن ملابس الرجال مما جعلها تضع جزء من السترة داخل البنطال كحركة اعتادتها و هي ترتدي ثيابها، هرعت من الحجرة تتجه إلى المطبخ حيث يقف مُعتر كالعادة يُعد الفطور لكليهما.

التفت نحو داليا التي كانت داخل إسلام لكنه عقص حاجبيه بحيرة من هذه الملابس التي يرى إسلام بها لأول مرة، خاصة بتلك الحركة التي فعلتها مع السترة :

- غريبة ... بقالك كثير ملبستش البلوزة دي

توترت داليا قليلاً و هي ترمق السترة ثم تنظر إلى مُعتر كي تجيبه ببعض الأحرف المتشابهة :

-إبيه .. عادي يعني، تغيير

أوما مُعتر بلامبالاة ثم إلتفت لُيعد بعض الشطائر متسآلاً :

-أعمك حلاوة بالمربي زي كل مرة؟؟

عصت داليا حاجبيها بحيرة و بعض التقزز نظرًا لكرهها لكل ما هو حلو المذاق، خاصة هذا المربي :

-لأ...

قالتها بسرعة قبل أن يهم مُعتر بإعداد الشطائر، إزداد معتر ارتيابًا من تصرفات صديقه الغريبة، فهذا ليس إسلام صديقه، هناك ما هو غريب به و لا يستطيع تحديد ما هو..

-لأ !! دا أنا من ساعة ما عرفتك و إنت مش بتفطر غير الساندوتش الغريب ده

تهتت داليا بالحدث و هي تُبرر له :

-إيه المشكله يعني، الواحد بردو لازم يتغير

تدارك مُعترز الأمر ليعطيها شطيرة بالجبن كان قد أعدها لنفسه قبل أن يعرف هذا التغير الذي طرأ على صديقه، انتشلت داليا الشطيرة منه و بدأت تتناول منها و تستمع لحدثه :

-صحيح يا إس إنت هتروح الشغل بالهدوم دي !! أصلك علطول تقولي لازم ألبس فورمال أنا دكتور

توقف الطعام بحلقها و بدأت بالسعال ما إن ذكر أمامها أن هذا الجسد كان طبيياً، أي ستتعرض حتماً إلى أكبر مخاوفها :

-دكتور!!

حملق مُعترز بوجهه بحيرة ظن معها أن صديقه يمزح معه ليس إلا أو أن به خطب ما:

-أيوة دكتور، في إيه يا إسلام ما تصصح، إنت كل يوم تروح المستشفى

تمتمت داليا بقرارة نفسها و الصدمة تجتحتها :

- ينهار مش فايت

رفعت بعدها من نبرة صوتها كي تسأل مُعترز :

-أنا كدة هروح الشغل إنهاردة؟؟

أجابها مُعترز مسائراً حديثها الذي يزيد من حيرته :

-أيوة

-هروح الشغل إزاي ؟

-بالعربية بتاعتك زي كل مرة

شهقت داليا في صدمة من تلك المفاجأة التي لا تتوقعها :

-يعني أنا هسوق!!

كانت هذه أكبر مخاوفها لأنها لا تفقه أي شيءٍ عن القيادة و حتمًا ستفتعل حادثًا و تلقى حتفها بذاك الجسد إذا حاولت فقط التجربة، أما عن مُعترز فزادت حيرته أضعافًا حتى ظن لو هلة بأن صديقه يعاني من حمى ما :

-إيه يا إسلام ما إنت كل يوم بتسوق و بتروح الشغل، مالك مستغرب ليه إنت فيك حاجة؟؟

فكرت داليا هنيهة في حلٍ لتلك المُعضلة حتى انتبهت لسؤال مُعترز فانتبهت الفرصة بفكرة قد جالت بخاطرها :

-إيه .. أه .. أنا..

تأوهت بألم زائف و هي تمسك كاحلها و تُمثل بأنه يؤلمها بشدة و لن يساعدها على القيادة :

-إيدي آاه ... مش قادرة .. مش هعرف أسوق و أنا إيدي بتوجعني .. و يمكن مقدرش أروح الشغل كمان

آرادت أن تنهرب أيضًا من الذهاب للعمل الذي لا تعرف عنه شيئًا و هي تدعي بدرامية أن يداها تؤلمها و لن تستطيع التحرك من المنزل، باغتها مُعترز باقتراحه الذي أحبط جزءًا من طموحاتها...

-مينفع متروحش المستشفى دي أرواح ناس و في عُهدتك، إنت نسيت إلهي
بتقولهولي ولا إيه...!

إقترب من داليا التي كانت داخل جسد إسلام، أحاط صديقه بذراعه كي يُطمئنه بحديثه
لكن داليا انتفضت مكانها و أبعده بغوغائية غفلت معها أنها الآن في جسد رجل و
ليست امرأة ..

-إبعد عني يا حيوان إنت إتجنتت!!

تقاطر الغضب من عينيها، حيث تظن لو هلة أنها ستخلع نعلها و تقذفه على مُعتر
بحدة.

-في إيه يا سطا مالك؟؟ أنا كنت هقولك ولا يهك أنا هوديك الشغل ... في إيه مالك
؟ دا كان حُضن أخوي

شهقت داليا بصدمة من وقاحته _ من وجهة نظرها _ و غفلت تمامًا عن كونها بجسد
رجلٍ و هي تُخبره :

-حضنتك عقربة يا بعيد، مين دي يا با إلهي عايز تحضنها أنا واحدة محترمة

إنفجر مُعتر بالضحك من حديث صديقه الغريب خاصة بعد ما سمعه ينعت نفسه
بالفتاة، فلطالما كان يعرف أن إسلام يمقت الفتيات و يعاملهن كما لو أنه يعامل
الرجال بالضبط، بعد فترة من الضحك انتبهت داليا إلى الحماسة التي ارتبكتها و التي
كانت على وشك أن تفضح أمرها؛ أحنت رأسها بحرج و هي تحاول جمع ما تستطيع
جمعه من تعثرات لسانها :

-معلش أنااا .. بهرتل معلش، أصلي لسة مش فايقة ... مش فايق قصدي

توقف مُعتر عن الضحك متفهمًا لحديث إسلام، ليخطو بعدها خطواتٍ قُرب الباب
يحاول أن يحاوط داليا بذراعه مجددًا لكنها دفعته لشعورها بعد الارتياح، لم يحاول

معتز إحاطت صديقه بذراعه مرة أخرى و اكتفى بالسير معه نحو السيارة التي استقلها ليقل إسلام إلى عمله قبل أن يتجه هو الآخر إلى الوظيفة الخاصة به...

يفتح عيناه بتناقلٍ يصحبه تثائبٍ يخرج من جوفه إلى أن اعتدل في الفراش، يفرك عينيه ليمحي أثر هذا النعاس و يتمطأ بجسده ليضحى نشطاً في هذا اليوم الجديد، ما هي إلا برهة حتى استشعر هذا المكان الغريب من حوله و طفق يتلفت مكانه لعله يجد صديقه الذي ينام جواره في الفترة الأخيرة.

مسد بيده على الفراش يسترشد ذاك المكان الغريب و تلك الرائحة العطرة المُنبعثه من الغطاء، فرك عينيه مجدداً ليتأكد مما يراه لعله لا يزال بأحلام اليقظة، كلما فرك عينيه كلما إزدادت حيرته لأنه يتأكد أكثر أن هذا ليس حلمًا، إذا كيف أتى إلى تلك الغرفة العجيبة، فكل ما حوله هو صور لفرقٍ موسيقية و أفلامٍ مشهورة، و العديد من العطور و مستحضرات التجميل التي ملأت السراحة، كل تلك الأمور زادت من شكوكه حتى ظن أنه إحدى مقالب صديقه الثقيلة..

ازاح الغطاء عن جسده ليترجل من الفراش و يتفحص المكان من حوله أكثر مع تمتاته غير المُصدقة :

-معقولة أكون اتخطفت، يُكونش الراجل إلي قولتله هنقطع رجل إبنك خطفني و عايز ينتقم مني!!

بقيت الأفكار تراوضه حتى استطاع إيجاد المرحاض المجاور لحجرة النوم، ما إن تقابلت عيناه بالمرأة حتى شهق شهقة عالية تحسس معها وجهه الذي أضحي فتاةً تضع أشياء غريبة على شعرها من وجهة نظره، بقي يتحسس تلك الأشياء و يردف باستنتاج :

-يا خبر أبيض !! أنا اتسخت!!

فتح المياه ليغسل وجهه لعله يفيق من هذا الكابوس لكن لا شيء يتغير، يبقى داخل هذا الجسد الغريب الذي لا يعرف كيف دلفه و كيف يعود مجدداً إلى جسده، غسل وجهه عدة مرات مع كلماته المتدمرة :

-ربنا بيعاقبني ولا إيه؟؟

تحسس وجهه بحسرة أردف معها :

-يعني عليك يا إسلام، هتكمل حياتك قرد بعد ما كانت الستات بتترمي عليا ... دا إيه إلهي بيحصل ده يا ربي

إنتهى من غسل وجهه ليتحرك بخطواتٍ متهدجة تتفحص معها هذا المنزل البسيط ذا الصيحة العصرية، إنتبه إلى صوت قهقهاتٍ نسائية تُصدر بالجوار فتحرك صوب هذه الخطوات إلى أن دلف المطبخ ليجد أمامه قمر و كوكي يتسامران على الطاولة التي يتم تناول الفطور بها و جوارهن بسمة تُعد الفطور لهن بحُب و تقول :

-صباح الخير يا دودو

عقص إسلام حاجبيه بحيرة ظن معها أن تلك الفتاة التي تلبسها تُدعى دودو :

-دودو !! إيه الاسم العبيط ده

-تعالى يا داليا إقعدى

ياغنته قمر بهذه الجملة التي أوضحت له اسم هذه الفتاة، تدارك الأمر بسرعة ما إن رأى العديد من أصناف الطعام أمامه مما يعني أنه سيُعد شطيرته المفضلة التي تُعينه على ذاك الجوع الذي ينهش معدته، جلس بينهن بابتسامة متشفية فرك معها يديه استعداداً لتناول الطعام، وجد كوكي تضع يدها على راسه و تردف باطمئنان :

-إحنا قولنا نيجي نوصلك الشغل عشان إنتي المرة إلهي فانت توهتي

-إيه ده !! هي البنات بتشتغل!!

خرجت تلك الجملة منه عنوة دون أن ينتبه لكونه فتاة الآن، رمقها بصدمة من حديثها العجيب من وجهة نظرهن حتى أردفت قمر بحيرة و توبيخ :

-إنتِ عبيطة يا داليا !! إنتي بتشتغلي بقالكِ ثلاث سنين، بعدين إنتِ بتقللي من الستات و إنتِ واحدة منهم ؟

انتبه إسلام إلى ما تقوه به و حاول إنقاذ الموقف بقوله :

-إييه، لأ، أنا كنت بهزر إنتو صدقتو

كان متيقناً أنهن لن يُصدقن حديثه إذا أخبرهن أنه ليس بفتاة، لذلك قرر أن يُمثل مكان هذه التي تُدعى داليا حتى يفيق من هذا الكابوس، تسامرت كوكي مع قمر، حيث كانت كوكي تُريها إحدى الصور من جوالها بينما انشغل إسلام بإعداد شطيرته المفضلة غير منتبهًا لحديثهما :

-بقولك إيه يا دودو .. بوصي كدة على الصورة دي

قالتها كوكي و هي تُقرب هاتفها نحو داليا لترى ما تشعر أنه غريب بتلك الصورة التي التقطتها :

-هي الصورة دي معكوسة؟؟

قضم إسلام قضمة من شطيرته و هو يُجيبها بعفوية و مزاحٍ ثقيلٍ قد اعتاده :

-لأ مع بتجانة

فهقه بحرارة بعد دعابته و كانت كوكي تنظر نحو صديقتها بتقزز، لا تُصدق أن داليا تتحدث بهذه الطريقة، إقتربت قمر نحو أذن كوكي تهمس بأذنها بحيرة :

-هي داليا بقى دمها ثقيل إمتى؟؟

أمعنت كوكي التحديق بإسلام الذي سيطر على جسد داليا و جعلها تتناول أكثر أكلة
تمفقتها أمامهما :

-لأ هو الأغر ب دلوقتي، إمتى داليا بقيت بتاكل مربي؟؟

بقيا يرمقا داليا في حيرة لتمر بُرهة من الصمت تناولن بها الفطور مع والدة داليا التي
ما انتهين من الطعام حتى وثبت تضب السُفرة بمساعدة منهن، أردفت كوكي أثناء
انشغالها بجمع ما تبقى من الطعام و وضعه بالبراد :

-بقولك إيه يا داليا، إنت هتروحي الشغل كدة؟؟

كانت تُشير إلى المنامة التي لم يُبدلها إسلام بخلاف هذه الدوائر التي ملاءت شعره،
انتبه إسلام إلى تلك الثياب التي يرتديها حتى قال :

-لأ، هروح أغير ... بس..

تلمس شعره ليردف بتسأل :

-أنا مش عارف... مش عارفة هلبس هدوم إزاي بالحاجات إلي على شعري دي،
هو ينفع أخرج بيها؟؟

سألها بتلهفٍ فقهقت كوكي قهقهة بسيطة قبل أن تُجيب :

-لأ طبعًا مينفعش، تعالي و أنا هشيلهوملك

جذبت كوكي من ذراعه حتى أجلس صديققتها على الأريكة و طفقت تنزع هذه
الأشياء عن شعرها، بعد أن انتهت من نزعهم أردفت :

-أنا هضطر أمشي عشان بابي قالي إنه خلاص جاب السواق الجديد و لازم أروح
أشوفه، باي

لُوحت لداليا من بعيد كما لُوحت لصديقتها قمر التي قالت موجهة حديثها نحو إسلام و هو داخل جسد داليا :

-دودو ... أنا هسحب فلوس من المكنة و آجي، تكوني إنت لبستي بسرعة عشان
منتأخرش على الشغل

هرعت بعدها خلف كوكي و بقي هو وحده في حالة من التيه لا يدري ما الذي سيفعله بالخطوة التالية، فقد ظن للتو أنه إذا أضحي فتاةً سينعم بحياة هادئة بعيدة عن تلك الضغوطات التي يواجهها، ظن أنه سيعيش برفاهية و دلال حتى إصطدم بالواقع الذي يتساوى فيه الرجل مع المرأة، تحرك بخطوات متدمرة نحو الخزانة ليعبث بها حتى ينتقي ثيابًا مناسبة، كلما أخرج قطعة من الملابس رمقها باشمزاز ثم أعادها مجددًا إلى الخزانة، إلتقطت عيناه قميصًا أزرق اللون يقبع بإحدى الأركان يبدو أنه لا يتم إرتدائه، لكنه ما إن رآه حتى ابتسم بانتصار ليرتديه فوق بنطالٍ من الجينز الفضفاض، أغلق أزرار القميص فيما عدا الأزرار الأولى كما يفعل دائمًا، ثني أيضًا أكمام القميص حتى وصلت إلى مرفقيه، ثم إرتدى حذاء رياضيًا يتناسب مع ثيابه التي جعلته أشبه بالفتاة التي ترتدي مثل الرجال، أو هو هكذا بالفعل...

لم يكن يعرف كيف يتجهز بعدها، أمسك الفرشاة ليُمشط شعره لكن الأمر كان أصعب بكثير مما توقع، فالفرشاة تتشبك بخصلات الشعر هذه مما يؤلمه بشدة، إكتفى بترك خصلات شعر هذه الفتاة كما هو منسدلاً على كتفيه، فكان شعرها مموجًا بني اللون يصل إلى آخر رقبتها، وضع عليه إحدى العطورو لم يأخذ معه أية حقيبة كما اعتاد دائمًا، إكتفى بوضع بعض النقود داخل جيبه و الجيب الآخر وضع بداخله الهاتف و مفتاح المنزل، هرع بعدها من الحجرة بعد أن ورده اتصال من قمر تُخبره أن يُسرع لأن الوقت ينفد؛ تحرك داخل المنزل يكاد يتجه إلى الباب حتى أوقفه صوت والدة داليا الحان :

-استني هنا...

استدار لها إسلام ليجدها تفتح ذراعيها و تقول بكل حُب :

-تعال هاتي بوسة قبل ما تنزلي

احتقن وجه إسلام و إرتبكت خواصه من تلك السيدة التي تطلب منه قُبلة، فهو لا يتذكر أنه قُبِل والدته من قبل، و الأُغرب أنها ليست والدته و هذا ما يزيد ارتباكاً، وجد نفسه يردف بتوتر دون أن ينتبه لكونه فتاة :

-لأ بوسة إيه ... أنا مش ببوس غير رجالة

شهقت بسمة بصدمة بعد هذا الحديث الذي خرج من فم ابنتها، حاول إسلام إنقاذ الموقف بقوله :

-أنا قصدي كإخوات يعني مش أكثر

زادت كلماته من حدة الموقف و جعل بسمة بطبيعتها الدرامية تضع يدها على صدرها و هي تقول بمبالغة :

-رجالة !! بتبوسي رجالة ... أه يا قلبي آاه .. بنتي بقيت تلف على حل شعرها و تشتغل رقاصة، بنتي إللي شقيت عشان أربيها بقيت بتمشي في الحرام ... ليه كدة بس .. انا عملت إيه عشان تعملي فيا كدة؟؟

إزدادت حيرة إسلام و ما هي إلا برهة حتى انتبه إلى ما قد قاله، فحاول تدارك الأمر:

-لا لأ أنا مش قصدي والله، أنا إتلغت

لم تنتبه له بسمة و أكملت دراميتها المعتادة :

-هقول إيه لما ربنا يسألني عنك، هقول إيه للجيران إللي فاكرين إن بنتي طاهرة و عفيفة...

حاول إسلام اسكاتها و تهدئة الوضع بقوله الذي خرج منه بصورة حادة بعض الشيء:

-يا حجة أقسم بالله ما كان قصدي

شهقت بسمة بدرامية إزدادت أكثر و هي تقول :

-كمان بتعلي صوتك عليا !! لا ... أنا خلاص، مبقتش مهمة بالنسبالك

أغمضت بسمة عينيها و طففت تُحرك رأسها باستياء و دموع زائفة تتشقق بوجنتيها
مما جعل إسلام يردف بحيرة :

-هي الست دي طالعة من إم بي سي بوليوود؟؟

أنته مكالمة أخرى من قمر التي استعجلته كي لا يتأخر عن العمل، استأذن هو من
بسمة قبل أن يهرع من أمامها قبل أن يُصاب بجلطة ما...

مرّت بضع ساعات كانت فيهم قمر مندثرة داخل مكتبها يتكوّم أمامها أوراق عدة
بجوار حاسوبها الذي من المُفترض أن تدوّن عليه المقالة، أحنّت رأسها في تيه من
ذاك الموقف لا تدري ما الذي تفعله، فقد توقعت أنها ستحصل على إجابات عادية من
ذاك المدعو بفتح، إلى أنه فاجأها بحقيقته الصادمة التي زادتها تخبّطاً و حيرة، رفعت
رأسها لأعلى تسرق نفساً عميقاً يساعدها على بدء العمل و اتخاذ القرار...

-قمر ... أستاذ يسري ببسال على الفيتشر إللي المفروض تسلميه

انتبهت قمر لحديث تلك الفتاة و تشابكت الأحرف بداخلها و هي تحاول أن تنهرب من
الإجابة :

-هاا ... إيبويه ... أه ماشي هكتبه دلوقتي

سحبت الهواء داخل رئتيها و بداخلها يقول : ما الذي سأفعله الآن بهذه الكارثة؟؟

-لا .. مينفعش أكتب الكلام ده .. أنا هروح أسلم التسجيل للشرطة

حسنت قرارها أخيراً و رأت أن هذا ما الذي يجب أن تفعله من البداية، قررت أن تدوّن الفيتشر بعد أن تُلقي الشرطة القبض على ذاك المُجرم!!
انتشلت حقيبتها و تركت مكتبها بسرعة جعلتها تغفل عن أخذ أهم ما في هذا كله .. و هو التسجيل...

تتحرك قدمها داخل رواق المشفى و عيناها تُحدقان بكل شبرٍ بعناية، كانت المشفى بسيطة ليست فاخرة ولا حتى سيئة، فقط مشفى طبيعية يجلس بها المرضى على مقاعد تحف الرواق، و الممرضات يتسامرن بإحدى الأركان، يبدو عليهن النميمة، إقتربت داليا التي كانت داخل جسد إسلام نحوهن بعد أن انتبهت لأحاديثهن الخاصة بالعناية بالبشرة و تلك الأمور التي تهيم بها..

-يا بت إسمعي، لو إنت عايزة بشرتك ناعمة و فاتحة، لازم تعملي ماسك بياض البيض .. أه والله زي ما بقولك كدة، جيبى بياض بيضة و ضيفي عليه دقيق و شوية زيت و...

تدخلت داليا ببعض السخرية بعد أن أغاظها هذا الجهل :

-و حُطي كمان فانيليا و كوباية لبن و إبقى دخلها الفرن

رمقنها بارتياحٍ و حاجبين معقوصين، حممت واحدة منهما و هي تعتذر للذي تظنه إسلام، فقد اعتقدت أنه سيوبخهما على تسامرها و تركهما للعمل :

-لا مؤاخذة يا دكتور إسلام، والله كنا _

قطعت داليا حديثها و هي تستند بمرفقها على الطاولة و تردف بأريحية جعلتهما يزدادن حيرة :

-أحسن طريقة تفتحي بيها بشرتك هي ماسك الكركم، بتجيبى معلقة كُركم مطحون
و عليها معلقة عسل أبيض و معلقة زبادي، و تعجنيهم كويس و بعدين تحطي
الخليط على بشرتك...

بقيت تشرح لهما ما اكتنزته من خبرتها بروتين الاعتناء بالبشرة، أنصتا لها كلاهما
بأعين حائرة لا تُصدق أن مثل هذا الحديث قد يخرج من الرجال، أعجبتهما هذه
الطريقة و طفقوا يتبادلن الحديث معها بؤد إلى أن قطعهن صوت سمير الذي صدح
عاليًا :

-دكتور إسلام ... يا دكتور..

لم تنتبه له داليا في البداية لأنها لا تزال تعتقد أن اسمها هو داليا، بقي ينادي سمير
حتى هرول نحوها ليضع يده على كتف من ظنه إسلام و اردف بجدية :

-يا دكتور ... في حالة جوة مستنية

اعتدلت داليا في وقفنها لتنتبه إلى ذلك الواقع الغريب، حممت لثجلي حنجرتها و
تحوّل صوتها إلى الجدية أثناء قولها :

-تمام أنا جاية ... جاي أنا جاي

لؤحت بيدها للممرضات قبل أن تتبع سمير داخل حجرة العيادة التي وجدت بداخلها
رجل يبدو عليه أنه بأواسط العُمر، يحمل معه حفنة من الأوراق يمدها نحو داليا التي
جلست على المقعد الرئيسي للمكتب :

- يا دكتور أنا عملت ال-cbc " تحاليل دم "

لم تفهم داليا مقصده بل و ظنت أيضًا أنه يمزح معها لذلك قالت :

-لا يا راجل ... طب و أنا بقى عملت 3 mbc

وضعت قدمًا فوق الأخرى و هي تواصل الحديث :

-إنت هتضحك عليا

عقص المريض حاجبيه بحيرة ثم مدّ الورق نحوها ليُبرهن مقصده أكثر :

-يا دكتور أنا عملت تحليلات الدم إلي قوتلي عليها

اعتدلت داليا في جلستها بعد أن غمرها بعض الحرج و هي ترى هذه التحاليل التي أمامها، تلعثت بالحديث و هي ترمق الأوراق و تُمثل أنها تستطيع فهمها :

-إبيه أه صح .. أنا كنت بهزر معاك

حدقت جيداً بالأوراق لفترة جعلت أسارير المريض تنقبض فسألها ببعض القلق :

-ها يا دكتور ... انا فيا حاجة ؟؟

لم تكن تدري ما الذي تقوله، فأمامها العديد من الأرقام و الاسماء الغريبة التي لا تعرف ما هي، أردفت بالنهاية لئُطيب خاطر المريض :

-لـ ... لأ .. مفيش حاجة، حضرتك صحتك زي الفل

اتسعت حدقتنا المريض و هو يقول بتلهف :

-بجد يا دكتور!!

أكدت داليا على حديثها دون أن تعرف أن ما تفعله قد يُعرض حياته للخطر :

-أه بجد

رسمت بسمة على ثغرها و هي تتحدث حتى وجدت المريض يبتسم هو الآخر بغير تصديق بأنه سليم معافى، فقد أخبره إسلام آخر مرة أن لديه مرض خطير و لن يتعافى منه بسهولة، وثب من مقعده يصافح داليا ببشاشة ثم يهرع من العيادة و داخله يتراقص من الفرح، فهناك مقولة تقول أن المريض إذا اعتقد أنه معافى فسيتعافى

بالفعل و ينسى مرضه، و هذا ما حدث بالضبط لذاك المريض، لكنه حتمًا يجب أن يعاود الكشف و ألا يغفل عن إعياه حتى لا تتعرض حياته للخطر..

أرخت داليا رأسها بأريحية بعد أن نجحت بأول مهمة و قد ظنت لو هلة أن الأمور ستسري على ما يُرام، لكن ظنونها قد هبطت مرة واحدة ما إن وجدت باب العيادة ينفتح بعنفٍ ليدخل منه سمير و يقول بهلع :

-دكتور إسلام ... في واحد عمل حادثة و لازم تيجي بسرعة

انتفضت داليا في جلستها و وثبتت من مقعدها تسير وراء سمير بالرواق و داخلها ينقبض من الخوف، توقفت قدمها أمام فراشٍ أبيضٍ يرقد عليه شاب بمُقتبل العُمر و جسده بالكامل ملطخًا بالدماء؛ شهقت داليا بذعر و قد راوضها شعور جامح بالتقيؤ لكنها بدلًا عن ذلك وجدت العالم يدور من حولها لتغمض عينيها و تسقط بذاك الجسد على الأرض، فالدماء هي أكثر ما تخشاه بهذه الحياة...

وطأت قدمها هذا المبنى ليدلف بعدها العيادة التي من المفترض أن يعمل بها، كانت العيادة أنيقة على عكس عيادته بالمشفى، و الأغرب أن العيادة كانت تخلو من الأجهزة الطبية مما أثاره بالريبة...

-مش مهم أجهزة المهم إنى لسة دكتور

قالها بحماسٍ و هو يرخي ظهره على المقعد يستعد لمقابلة أول مريض يأتيه، لطالما أراد أن يفتح العيادة الخاصة به لكن دائمًا ما يجد ما يُعيقه، أما الآن فهو يتمتع بامتلاك عيادة خاصة به على الرغم من جهله بالتخصص الطبي، فيكفي فقط أنه طبيب..

دلفت سيدة بأوائل الثلاثين كانت قد أتت لداليا بالأمس، أخذت المقعد المقابل لإسلام و بدأت بالترحاب حتى قال إسلام و هو بداخل جسد داليا :

-قوليلي بقى ... حضرتك بتشتكي من إيه ؟

سألها بثقة ليجدها تُجيب بعفوية :

-جوزي يا دكتورة_

قطع إسلام حديثها بلهفة :

-جوزك هو إيلي عيان !!! أو مل مجاش يكشف بنفسه ليه؟؟

رمقته السيدة بحيرة لكنها فسرت حديثها أكثر :

**-جوزي مش عيان يا دكتورة، جوزي مش بيعبرني من أساسه، مع إني حاولت
أعمل إيلي قولتيلي عليه إمبراح و_**

قطعها إسلام بعد أن تداخلت الأحاديث بذهنه و جعلته يزداد حيرة من هذا التخصص
الطبي الذي يُجبره على سماع مشاكل مرضاه مع أزواجهن ...

-معلش ثانية واحدة...

أوقفت السيدة حديثها لينتشل إسلام إحدى بطاقات العمل الموضوعه على الطاولة و
يقرأ اسم هذا التخصص بصوتٍ مُنخفض :

-خبيرة علاقات زوجية!!

بقي في حالة من التيه لا يعلم ماذا يفعل، فقط يُحدق بتلك البطاقة حتى قطعت السيدة :

-ها يا دكتورة .. أعمل إيه؟

انتبه إسلام لحديثها و أراد أن يمارس إحدى هواياته و هي التلاعب بالحديث كي
يخرج من هذا الموقف :

-إنتِ قولتيلي جوزك بيعمل إيه؟

قصت السيدة ما يحدث معها و مع زوجها للمرة الثانية حتى أنهت حديثها بقول :
-بس كدة، و أنا بصراحة كدة حاسة إنه بيخوني، بس إنتي قولتيلي إنه عايز يهرب
من مشاكله

إقترب إسلام بجذعه نحو السيدة ليضحى حديثه جادًا و ينال اهتمامها :

-بوصي يا ستي ... عارفة الكلام إللي قولتتهولك قبل كدة ده ؟؟ ... إنسيه ... جوزك
بيخونك

شهقت السيدة بصدمة من حديثه ثم قالت :

-بجد يا دكتورة

-أه .. هو في حد يبقى عايش مع واحدة حلوة زيك كدة و ميعبرهاش، أكيد بيخونك
و بيروح يتكلم مع واحدة غيرك، أنا عارف الرجالة دي كويس

تجاهلت السيدة كونه يتحدث عن ذاته بصيغة الذكر على الرغم من أنه فتاة الآن، فكل
ما يشغل بالها هو حقيقة أن زوجها يخونها بالفعل، و هذا يعني أنها ستطلب الطلاق
منه لا محالة :

-يا دكتورة أنا أعمل إيه طيب عشان يرجعلي ؟

أجاب إسلام ببساطة و إصرار :

-إطلقي منه طبعًا، هي دي فيها كلام... عايزة تقدي مع واحد مش مقدرك و مش
عاملك قيمة ... دا حتى في نظرية بتقول إن الرجالة إللي متعبرش مراتها لازم
بيجبروهم على الطلاق، و إلا صحتهم النفسية هتبدأ تبوظ و هيبقو مجانيين، يعني
لو فضلتني معاه و هو مش بيعبرك هتبدأي تفقدي عقلك واحدة واحدة لغاية ما
تتجنني و تروحي العباسية

اتسعت حدقتها من حديثه الذي ظنت لوهلة أنه حقيقي :

-أيوة فعلاً، أنا بدأت أخرف الفترة الأخيرة عشان مش لاقيا حد أتكلم معاه

ضرب إسلام بإصبعه على الطاولة كي يصر على حديثه :

-شوفتي بقى .. عشان كدة لازم تسمعي الكلام و تطلبي الطلاق

إحتدت عوالم السيدة و هي تثب من مقعدها بعد أن حسمت قرارها :

-معاكي حق يا دكتورة، أنا هروح دلوقتي و أطلب الطلاق

هرعت بعدها من المكتب و بقي إسلام وحده بعد أن افتعل هذه الكارثة المخالفة لطبيعة وظيفته التي تفرض عليه أن يُصلح الحياة الزوجية و ليس أن يُدمرها، فرك يديه بحماسٍ و لهفة تأتيه حالما يرى شجاراً أمامه و أن يتسبب بالإيقاع بالآخرين، فلطالما الإيقاع بالآخرين كانت متعته، لاحت ابتسامته متشفية على ثغره و هو يقول :

-حلوة الشغلانة دي

تحلق الطيور قُرب هذا القصر الكبير حديث التراث الذي تحفه الحقائق و الأزهار من كل جانب، على بُعد بضعة أمتارٍ منه كان يثب رجل بالخمسين من عمره و جواره مُصطفى يتسامر كلاهما قُرب القصر حتى توقفا عند الباب ينتظران أحدهم على أحر من الجمر، تخرج الكلمات من فوه الرجل الآخر المدعو بفؤاد بطريقة مُطمئنة :

-متقلقش يا مُصطفى، السواق إلي أنا جايبهولك محل ثقة و شخص محترم جداً

رد مُصطفى بامتنان نابع من قلبه :

-كتر خيرك يا فؤاد، مش عارف إزاي هرد جمائك دي

ربت فؤاد على كتفه ليرد على امتنانه بؤد :

-ولا جمایل ولا حاجة، الصحاب لبعضیها

مرّت برهة من الحدیث بینهما حتی هرعّت كوكي من القصر تصافح والدها بابتسامة بشوشة ثم تلوّح لصديق والدها الذي تعرفه جيداً، فهو يُدير إحدى فروع شركات والدها التي هنا :

-تعالی یا كوكي ... أهو السواق إلی هیوصلك الشغل كل يوم

ودعت كوكي والدها و صديقه بلطفٍ ثم وجهت نظرها نحو هذا السائق الذي كان داخل سيارته لأنها كانت على عجلة من أمرها، ولجت السيارة لتجلس بالمقعد الخلفي لتقابل هذا السائق الذي لم يكن سوى مُعترز...

رائحة كريهة لطخت هذا المكان المتكّس بالعديد من الأشخاص و كأن الشعب بأكمله يجتمع داخل هذه الحافلة الصغيرة، تثب قمر بإحدى الأماكن يعلو وجهها التقزز بسبب هذه الرائحة الكريهة التي تكاد تُصيبها بالاختناق، لكنها ستتحمل حتى تصل إلى وجهتها و تنتهي من هذا المأزق الذي يؤرقها، حاولت التقاط أنفاسها كي لا تفقد وعيها خلال هذه اللحظات القليلة، تحاول أيضاً أن تتجنب الالتصاق بالبشر خاصة الرجال الذين تكاثروا داخل هذه الحافلة...

لم تكن من أولئك الذين يفتعلون المشاكل، لكن نظرات هذا الرجل جعلتها تزداد غضباً و تحاول أن تتهرب بعيداً و تتجاهله قدر الإمكان، لم يكف الرجل عن نظراته البذيئة التي تحوّلت تدريجياً إلى إقترابه نحوها و محاولاته للالتصاق بها؛ هتفت بوجهه بحق :

-ما تؤسع یا جدع إنت

قالتها و هي تحاول الابتعاد عن الرجل لكن الحافلة ضيقة و تمنعها عن الحراك، وجدت الرجل يُجيبها بوقاحة حملت بعض من قلة الحيلة و التحجج

-لأ مواخذة يا أنسة مفيش مكان

إقترب منها أكثر فتفاقم غضبها و إرتدت قليلاً للوراء و هي تهتف بوجهه :

-إنت راجل قليل الأدب

-جرا إيه يا ولية أنا جيت جنبك

قالها بوقاحة زادت من غضبها و بدأت تتشاجر معه حتى تدخل واحد من الجالسين يُلقي اللوم عليها و كأنها المُذنبية :

-خلاص يا أنسة مشي الدنيا، ما إنتِ شايفة إن مفيش مكان

وجدتهم قمر يقفون ضدها نظراً لأن الحافلة كانت أكثرها من الرجال و هذا ما جعل حقها مهدور بينهم، أطبقت على شفيتها بغضب و هي تنصت لحديث ذاك الوقح الذي قصم ظهر البعير :

-خلاص يا مهلبية قربنا نوّصل

تبع كلماته بنظرة وقحة تمر على جسدها رغم احتشام ثيابها؛ تصاعدت أنفاسها تباعاً و لم تعد تتحمل أكثر من هذا، فلم تجد أمامها سوى هذه الطريقة لتنتقم من هذا الرجل البذيء، تمتت بقرارة نفسها و الإصرار و الغضب يُغطيان حديثها :

-ماشي ... إنتو إلی جيبتو لنفسكم

وجهت نظراتها الثاقبة نحو هذا الوقح الواثق جوارها، و ما هي إلا دقائق قليلة حتى استطاعت تنويمه مغناطيسياً و جعلته يُغمض عينيه و يسقط على أرض الحافلة مغشياً عليه، إرتفعت أصوات الصراخ و الصياح داخل الحافلة بعد أن ظنوا أن ذاك الرجل لقي حتفه، كذلك انتبهوا إلى ما فعلته قمر و ظنوا أنها تفتعل إحدى أنواع السحر؛ طفقوا يوبخونها و ينعنوها بالساحرة حتى حدثت جلبة بالمكان انتهت بتكبيهم لقمر التي كانت ترتعد من الخوف خاصة ما إن استمعت لحديث إحدى الشيوخ الذي بالصدفة كان بالحافلة :

-إنها من الكفار ... لازم تتعاقب...

أيده من بالحافلة كما إتفق معه السائق هو الآخر و إنتهى الأمر بذهابهم إلى الشرطة
ليُلقنوا تلك الساحرة _ من وجهة نظرهم _ درسًا لن تنساه...

انعدمت الأصوات بتلك البقعة و كان السكون يُعقب بالأجواء مما يسمح لك بالانصات
لأصواتك الداخلية التي تدعوك دائمًا لإرتكاب الكوارث، سيدة بمُقتبل الثلاثين ترقد
على فراشٍ فسيح يبدو عليها الثراء الفاحش، ترقد على ظهرها و رأسها يرتفع بضعة
أمتارٍ لتحدث هذا الرجل الذي يجلس جوارها و على معالمه الحُب و الهدوء، يتلمس
يدها الناعمة بأنامله الرقيقة لعله يبينها بعض الأمان بلمساته الحانية، لكن الحقيقة أنها
لا تشعر بلمساته كما لا تشعر بباقي أنحاء جسدها ...

-متقلقيش ... كل حاجة هترجع زي الأول .. و هترجعي تمشي و تحركي جسمك
تاني

قالها ذاك الرجل المدعو بضُرغام لتلك السيدة المفترشة على الفراش لا حول لها ولا
قوة، فقد مرّت بحادثٍ صعبٍ جعلها قعيدة على فراشها لا تستطيع تحريك أي إنشٍ
بجسدها، بقيت على هذا الوضع لسنواتٍ لا تستشعر مذاق الحياة حتى فكرت أكثر من
مرة أن تودي حياته لولا وجود ضرغام الذي كرس حياته من أجلها، فيأخذ الكثير من
وقته ليجلس جوارها و يتحدث معها كي لا تشعر بالملل، كذلك هناك العديد من الخدم
يتولوا رعايتها أثناء غيابه، تلك العلاقة التي بينهما أكبر من كونها علاقة بين اثنين
أحبا بعضهما، بل هو يعتبرها كالهواء الذي من دونه سيختنق و يلقى حتفه، و هي
كذلك تعتبره كملكها الحارس و لا تعرف كيف يُمكنها أن تحيا بدونه، لاح على
وجهها الاستياء و هي تقول :

-مفيش فائدة يا ضرغام، كل الدكاترة قالو إني هعيش كدة بقيت عمري

أصرُّ ضرغام على حديثه و هو ينفي ما تقول :

-لأ في، لو لقينا البحث بتاع الأرواح المتنقلة كل حاجة هتتحل، هحررك من جسمك
و هتعرفي تمشي تاني

أردفت بيأس حمل معه الحقيقة :

-أبوك حرق كل البحوثات، يعني مش هتعرف تعمل حاجة

فكرٌ ضُرغام هنيهة حتى أتته فكرة ربما تكون شديدة الصعوبة لكن لا يوجد غيرها :

-ممكّن نعمل البحث من جديد، أنا مش هسيبك كدة، ... هدوّر على إلهي أرواحهم
متنقلة و هستخدمهم عشان أخليكي واحدة منهم

تقف بين حشودٍ من البشر كالفرخ المبلول تُلقى عليها الاتهامات كما لو أنها قاتلة أو
من أكبر المجرمين في هذا الكون، كانت تلك أول مرة تظيء بأقدامها مركز الشرطة،
و لم تتوقع أن أول مرة تأتي فيها ذاك المكان، تأتي بصفتها مجرمة!!

-يا باشا الست دي بتعمل سحر و العياذ بالله ... أنا كنت واقف لا بيا ولا عليا لقيتها
فجأة بصيتلي بصة إستغفر الله العظيم خلنتي محسش بإلي حواليا عشان خاطر
تسرقني وأنا مش دريان

قالها الرجل الذي مارست عليه التنويم المغناطيسي بعد أن أرغمت على جعله يستيقظ
حتى لا تزداد الشكوك نحوها، انهالت عليها الاتهامات التي أكدت أقوال هذا الوغد
من وجهة نظر قمر التي شعرت أن نهايتها حتمًا ستضحى بهذه اللحظة، وفتت
تترجى الضابط الذي كان لؤي :

-والله العظيم يا حضرة الضابط أنا مش بعمل سحر ... أنا والله أتفه مما تتخيل ...
دا من كتر تفاهتي بيخلوني أكتب حظك اليوم و الكلمات المتقاطعة في الجريدة

تؤسّلت له بكل ما تملك و الدموع انحبست داخلها تأبى التحرر من مقلتيها، انتشر الضجيج حولها لينفوا حديثها و يصروا على سجنها و معاقبتها أشد عقاب، إضجر لؤي من هذه الضوضاء و أردف بصرامة :

-كله يطلع برة...-

استجابوا لحديثه و تركوا المكتب فيما عدا قمر التي بقيت وحدها تزداد رهبتها أضعافاً حتى ظنت لو هلة أنه سيُغشى عليها، بل وصلت تخيلاتها إلى كونها ترتدي ثياباً حمراء و يُنفذ عليها حُكم الإعدام بسبب استخدامها للسحر، إزدردت غصتها أمام نظرات لؤي الثاقبة و المليئة بالحدة و الصرامة :

-و حياة أمي و أبوية أنا مظلومة ... الناس دي بتتبلى عليا

قالتها لآخر مرة لعل ذاك الضابط يرق من أجلها، لم يُبدِ لؤي أي من التعبيرات أمام تؤسلاتها، حافظ على صرامته و هو يسألها :

-إزاي خلتي الراجل يُغمى عليه ؟

تلعثمت قمر قليلاً قبل الإجابة :

-دا تنويم مغناطيسي... أي حد ممكن يعمله لو إتمرن كويس... والله ملوش علاقة بالسحر

همهم لؤي باستخفافٍ لحديثها الذي يبدو من وجهة نظره ضرب من الخرافة، لم يكذب يتحدث حتى وجد باب المكتب ينفث ليهرع منه أحد الضباط و يقول :

-لؤي بيه ... إحنا قبضنا على فرد من عصابة مختار

تغيرت عوالم لؤي إلى الجدية و الصرامة حتى اعتدل بجلسته ليهتف بحدة :

-دخله بسرعة

لم يُعطِ اعتبارًا لقمر الواثبة بمكتبه و طلب منها أن تتحلى بالصمت حالما ينتهي من التحقيق مع ذلك المُجرم، كان شابًا يافعًا نحيف الجسد أسمر البشرة يبدو عليه الغلظة خاصة مع تلك الندبات على وجهه، إقترب منه لؤي بصرامة ليمسكه من تلايبه و يهتف بوجهه :

-إنطق يااه ... تسليم شحنة الأسلحة هيتم فين و إمتى ؟؟ ... إنطق

إرتجف الرجل بين يديه و تشابكت الأحرف بداخله و هو يقول :

-والله يا بيه معرفش حاجة

شدد لؤي من قبضته و طفق يُحرك الرجل من تلايبه مع نظراتٍ ثاقبة بثت الرُعب بكيانه، أعاد لؤي سؤاله بنبرة متوعدة و صوتٍ غليظٍ مُرتفع :

-ولاااا ... بطل ملاوعة .. يا تقول مكان تسليم الشحنة فين ياما_

قطعت قمر حديثه بثقة بعد أن كانت تتابع ما يحدث من بعيد و كانت واثقة من قدرتها على المساعدة :

-أنا هعرف أخليه يتكلم

انتبه لؤي لحديثها و رمقها بنظرة مُستخفة قال معها :

-إركني على جنب و سبيني أشوف شغلي

أعاد نظره نحو الرجل و كان على وشك لكمه لكنه استمع إلى حديث قمر الواثق :

-كنت هوؤفر عليك كثير ... و هخليه يقول كل حاجة لو بس تديني فرصتي

صك لؤي على أنيابه لكنه إرضخ لطلبها لعله يرى ما تستطيع هذه الخرقاء فعله، ابتعد بضعة أمتارٍ عن المُجرم حتى تستطيع قمر الوثوب قبالتة و التحديق بعينيه و

نظراتها الثاقبة تخترق حدقتنا هذا المجرم الذي كان يتابعها في البداية باستخفافٍ حتى تحوّلت نظراته إلى أخرى تائهة متغيّبة عن العالم ...

-تسليم شحنة الأسلحة هيبقى فين و إمتى؟

سألته قمر بصرامة زائفة فأجابها المجرم ببساطة :

-في مصنع قديم عند *، التسليم هيتم كمان نص ساعة**

سقط فك لؤي بعد رؤيته لما يحدث و كأنه يرى إحدى المعجزات على أرض الواقع، لاحت ابتسامة متعالية على ثغر قمر و هي تتلفت نحو لؤي لتهدم جميع معتقداته و استخفافه بها، إقترب لؤي نحو قمر و هو يُشير على المجرم المتغيب عن العالم و يسألها :

-إزاي عملتي كدة؟

أجابته قمر بتملقٍ ربطت معه ذراعيها :

-قولتك قدرات ذهنية

قطع حيرته صوت واحد من الضباط يقول :

-هنعمل إيه يا حضرة الرائد؟

أجاب لؤي على مضضٍ و الصرامة تعتلي كلماته :

-هنروح العنوان إللي قال عليه ... زمان الشحنة هتتسلم كمان شوية

وجه الحديث بعدها نحو أحد الضباط ليطلب منه أن يضع هذا المجرم بعد أن فاق من غيبوبته في الحجز على أن يتم عرضه على النيابة فيما بعد، طفق يستعد بعدها و ينتشل سلاحه و درعه الواقٍ دون أن يكثرث لقمر التي لازالت داخل مكتبه تُشير على ذاتها بتسأل :
على ذاتها بتسأل :

-طب و أنا هروح فين ؟

رمقها لؤي لفترة قبل أن يحسم قراره و يُشير على إحدى الضباط متفوّهاً :

-هاتها معانا

هرع بعدها من المكتب تزامناً مع اتساع حدقتا قمر في صدمة لا تُصدق أنه سيأخذها معهم و هم يُلقون القبض على مجموعة من المجرمين، فهو أراد فقط أن يتأكد من قدراتها لذلك أخذها معهم، أما هي فكل ما تُفكر فيه الآن أنها ستقع في ورطة لا محالة!!

إنتهت من دوامها أخيراً بعد عناءٍ دام لثمان ساعاتٍ متواصلة، لم تتوقع أن الحياة العملية بهذه الصعوبة، على الرغم من أن هذا هو يومها الأول إلا أنها تشعر بتهشم عظامها و رغبة عارمة في الاستلقاء على الفراش و النوم بقية اليوم، أخبرها شيطانها أن تتقاعص و تُنحي فكرة الاستقلالية جانباً لتتعم بحياة مترفة كما كانت تحيا، لكنها رفضت هذه الأفكار عن ذهنها و أصرت على مواصلة ما بدأته لتتحدى والدها و تُخبره أنها تستطيع الإعتماد على ذاتها...

بقيت الأفكار تراودها لفترة لتكتشف بعدها أن السيارة تسير ببطءٍ شديد و هي في أمس الحاجة للنوم، وجهت حديثها للسائق بعنجهية :

هل يُمكنك أن تُسرع قليلاً أريد الذهاب إلى المنزل would you please go faster I wanna go home

لم يفقه مُعترز أي شيءٍ من حديثها لأنه لطالما كان يكره هذه اللغة و لا يستطيع التحدث بها، حادثها ببلاهة تنم عن جهله :

-عايزة تنزلي هنا ؟؟ ... بس إحنا لسة موصلناش

أطبقت كوكي على شفيتها تحاول أن تكبت غضبها و هي تحادثه :

" are you stupid - هل أنت أحمق "

تنهدت قليلاً ثم أردفت بثباتٍ حافظت عليه جيداً :

-و ديني البيت بسرعة

أوماً مُعترز بتفهمٍ ثم قال :

-حاضر يا أنسة كريمة

اشتعلت برائث كوكي ما إن ناداها بإسمها الحقيقي الذي تمقته على الرغم من أنه ليس بهذا السوء، لكن لديها العديد من الذكريات السيئة بسبب هذا الاسم الذي كانت تتعرض بسببه لضروبٍ من التتمر :

-متقوليش يا كريمة

هتفتها بحدة فوجدته يقول ببلاهة أصابتها بالحنق :

-حاضر يا أنسة كريمة

رفعت كوكي من نبرة صوتها و هي توبخه :

-يوووو ... قولتلك متقوليش يا كريمة ... و إتفضل سوق بسرعة و إنت ساكت

زفرت الهواء من فمها بحنقٍ قابله هو بحيرة و تمتمة خافتة حتى لا يُثير حنقها :

-ماله اسم كريمة مش فاهم؟؟ ... عالم غريبة

العديد من الأسلحة مختلفة الأنواع و الأشكال تم تكديسها داخل عدد من الصناديق الخشبية ليتم تداولها بين زعماء العصابة حتى تتم الصفقة كما يظنون، فدائمًا ما يرتكبوا هذه الفظائع دون أن تطلوهم يد الشرطة و العدالة ...

-الأسلحة أهي زي ما إتفتنا ... فين الفلوس ؟

قالها رجل طويل القامة يرتدي سترة سوداء قاتمة كي لا يستطيع المرء التفرقة ما بينه و بين السماء التي أضحت سوداء بعد أن حلَّ الليل، مُدت نحو هذا الرجل حقيبة سوداء من الجلد الفاخر تحتوي على العديد من النقود المُرتبة، انتشل منه الحقيبة و كاد يرحل من هذه التُّكنة إلى أن صوت تعمير السلاح الموجه نحو رأسه جعل حركته تتوقف و فرائسه ترتعد :

-والله و وقعت يا مختار

قالها لؤي تزامناً مع انتشار الشرطة في المكان و توجيه أسلحتهم على رؤوس هذه العصابة، أخرج أفراد العصابة أسلحتهم من حوزاتهم و وجهوها مباشرة على رجال الشرطة دون أن يكثرثوا لعواقب ما يفعلوه، قبض لؤي على رقبة مُختار و أردف بصرامة :

-كله يسلم نفسه...

شُلت أفراد العصابة و هم يرون زعيمهم بين يدي العدالة و على وشك أن يذهب إلى التهلكة، تحفظت الشرطة على الأسلحة و الأموال و كانوا على وشك أن يُلقوا القبض على أفراد العصابة إلى أن قام واحد منهم بالركض بأقصى ما لديه لينفذ بجلده، هرع واحد من الضباط وراءه لتحدث الجلبة بالمكان و تبدأ الطلقات النارية بالتبادل بينهم.

اختبأ لؤي خلف إحدى الصناديق يتبادل إطلاق النيران و يُركز بحدقتيه على مُختار زعيم العصابة و الذي يجب أن يقبض عليه حياً أو ميتاً، أخرج اللاسلكي من جيبه و أردف بصرامة :

-دورو على مختار ... أهم واحد مختار

كانت قمر في هذا الوقت داخل سيارة الشرطة تستمع إلى أصوات الطلقات النارية و داخلها العديد من المشاعر المُختلطة، هناك شيق يرتعد من الخوف و الآخر مغمور بالحماس يريد رؤية تبادل الطلقات النارية عن كثب كما لو أنها بإحدى أفلام الإثارة و التشويق، حاولت رؤية ما يحدث من خلال النافذة مُلتزمة بتعليمات لؤي الذي أكد عليها ألا تخرج من السيارة حرصًا على سلامتها، إزداد الفضول بداخلها و أرادت بشدة أن ترى ما يحدث، ضربت بأوامر لؤي عرض الحائط و قررت أن تخوض التجربة التي لن تتكرر و تغامر بحياتها بكل بلاهة ...

فتحت باب السيارة و تراجعت منها لتخطو خطواتٍ هادئةً تُمكنها من رؤية ما يحدث، كان قلبها يرتعد من الخوف كلما إقتربت أصوات الطلقات النارية من أذنها، لهذا السبب قررت أن تتراجع و تعود إلى السيارة خوفًا على حياتها، لكن فجأة...

وجدت رجلًا بمُنْتصف العُمر يركض قبالتها و يركض وراءه لؤي مصوبًا سلاحه عليه ليُطلق منه بعض الطلقات النارية التي قد تُرهبه و تجعله يخضع لهم، استنتجت قمر أن لؤي يُريد القبض على ذاك الرجل لذلك قطعت طريق مُختار لتوجه نظراتها الثاقبة على عينيه مباشرة ...

كاد مختار يدفعها عن طريقه لكن نظراتها الثاقبة شلت حركته فجأة و جعلته متغيّبًا عن العالم حتى غاب عن الوعي، هروا لؤي نحوها يلهث من الركض مع قطرات من العرق تتصبب على جبينه، وضع السلاح بجيبه ليُوجه نظرة نارية نحو قمر قال معها بحدة :

-مش قولتلك متطلعيش برة العربية

أحنى جذعه ليكبل مختار ثم يحاول إفاقته و بيتعد بعدها عن قمر التي كانت تهتف بتذمر :

-هي دي شكرًا إللي بتقولهاالي....

خفضت من نبرة صوتها و هي تُكمل حديثها :

-ناس معندهاش ذوق-

إنتهى لؤي من إلقاء القبض على المجرمين ليتجه نحو قمر يريد تشكرها على هذه الخدمة الجليلة التي قدمتها، حاول الحديث معها بلطفٍ رغم صرامته المعتادة :

-متشكر يا أنسة قمر ... إنتِ تعبتي معانا

حادثته قمر بتعالٍ :

-دي أقل حاجة عندي-

لاحت ابتسامه بسيطة على ثغر لؤي من حديثها المتعالٍ لكنه وأدها سريعًا كي يتحدث بجدية :

-خُدي بالك من نفسك، و متدخليش نفسك في مشاكل تاني، الحاجات دي خطر، و أنا آسف لو كنت عرضتك لحاجة زي كدة، أنا بس كنت عايز أتأكد من كلامك، غير كدة أنا مش عايز منك أي حاجة، و ياريت متستخدميش القدرة إلكي عندك في حاجة تخلي الناس تشك فيكي

قال هذه الجملة كي يُحذرها و يُخبرها أنهم لن يستغلوا بسبب قدراتها، و هذا فقط لأنه يخشى أن يطالها أي مكروه بسبب وظيفتهم الصعبة، أرادها أيضًا أن تنتبه على ذاتها لأن الأعين من الممكن أن تبقى عليها إذا ورطت نفسها مجددًا بسبب قدراتها، و هذا ما تخشاه كثيرًا....

لعاب يسيل على وجنته بعد نومه الطويل بالسيارة، فلطالما مقت إسلام النوم داخل أي من وسائل المواصلات، لكن هذا ليس إسلام، هذه داليا و هذه هي عاداتها التي لطالما حاولت إيقافها و فشلت كل مرة، فهي لم تعد تحصي المصائب التي حدثت كلما غفت في أي من وسائل المواصلات

-إسلام .. يا إس ... إصح يلا إحنا وصلنا

انتفضت داليا بذعر إثر هزات مُعترز العنيفة و هو يوقظها، فركت عينيها لتمحو آثار
النعاس و هي تستمع إلى حديث مُعترز الحائر :

-إيه يا سطا إنت أول مرة تنام في العربية

أجابته داليا دون أن تنتبه لحديثها الذي غطاه شيء من النعاس :

-لأ عادي أنا بنام كثير

عقص مُعترز حاجبيه من حديثها و هو يقول :

-إمتى ده، إنت علطول تقولي إنك مبتعرفش تنام في العربية

انتبهت داليا إلى ما قالته و حاولت أن تُغطي الخطأ الذي اقترفته بقولها :

-إييه ... أه .. أنا فعلاً مش بعرف أنام في أي عربية، الفكرة بس إن أنا منمتش من
إمبارح و كدة

فتحت باب السيارة لتهرع منها بسرعة قبل أن ينزلق لسانها و يتفوه بالمزيد من
الترهات، تبعها مُعترز بمعالم حائرة تلازمه منذ الصباح كلما رأى صديقه و تصرفاته
الغريبة، دلف كلاهما المنزل ليتناولوا العشاء و تجلس داليا بعدها على الفراش تضع
وسادة كبيرة جوارها حتى لا تلتصق بمُعترز أثناء نومها، فعلى الرغم من كونها داخل
جسد رجلٍ الآن إلا أنها لا تزال تشعر بالغرابة و أن ما تفعله ليس صواباً..

كانت وحدها على الفراش ترفع يدها للسماء لتتاجي ربها :

-يا رب لو إنت بتعاقبني فأنا أسفة، و الله هحافظ على صلاتي و هتجيب كمان، و
هتبرع للفقرا مع إني واحدة منهم ... بس و النبي يا رب أرجع لجسمي تاني، أنا
ماما وحشتني أوي و مش هقدر أعيش من غيرها، و صحابي كمان وحشوني،
يارب سامحني و أنا والله مش هغضبك تاني

مسحت بيدها على وجهها ثم طفقت تُتمتم بعض الآيات القرآنية و الأدعية لعل ربها يستجب لهذه الدعوة و تنفك عنها هذه التي اعتقدتها لعنة، وضعت رأسها على الفراش تستعد للنوم بوجه عابسٍ تتمنى لتلك الأيام المُحبة لها أن تعود مجددًا....

أشرقت شمس يومٍ جديد لتبدأ معه رحلة جديدة في حياتهم المليئة بالغرابة، استيقظ إسلام من سباته ليصطدم ذراعه بوسادة لا يدري من أين أتت، إعتدل في جلسته يتحسس المكان حوله حتى زفر بأريحية بعد أن إطمأن من كونه قد عاد إلى منزله و جسده الذي افتقده كثيرًا، إتسعت بسمته و هو يقول بأريحية:

-الحمد لله طلع كابوس...

ترجل من فراشه ليذهب إلى المطبخ حيث يقف مُعتز يُعد الفطور كالعادة، فدائمًا ما يستيقظ معتز باكراً و يستغل الأمر بإعداد الفطور لهما، كان يرتدي إسلام قميصًا أبيض اللون مع بنطال أسود من الجينز، إقترب نحو مُعتز يردف بؤد :

-صباح الخير...

ابتسم مُعتز و هو يُجيبه بؤد :

-صباح الهنا ... أعملك ساندوتش إيه ؟؟

إرتاب إسلام من هذا السؤال الذي قلما يسأله إياه، فهو يعلم أن مُعتز يعرف جيدًا الإجابة :

-هيكون إيه يعني ؟ حلاوة بالمربي زي كل يوم

آجابه مُعتز و هو مُنشغل بإعداد الشطائر:

-إيه ده أومل فين التغيير إالي قولتلي عليه إمبراح ؟

إزدادت حيرة إسلام حتى أشار على ذاته و هو يتحدث بغير تصديق:

-تغيير !! أنا إمتى جيبت سيرة التغيير؟؟

أعطاه مُعْتز الشطيرة و هو يُجيب :

-إمبارح فضلت تقول هتغير و بتاع ... تلاقيك بس إنت إلمي مش فاكِر

أمسك إسلام الشطيرة و بدأ يتناولها و هو يُفكر في حديث مُعْتز الذي أصابه بالحيرة،
مرّت بُرهة من الصمت بينهما حتى قطعها إسلام و هو يقول بلهفة:

-أنا حلّمت بحلم غريب أوي ... حلّمت إن أنا واحدة ست

قهقه بعد حديثه ليشاركه مُعْتز القهقهه من غرابة هذا الذي اعتقد أنه حُلْم، بقي يتحدث
معه إسلام عن هذا الحُلْم و كم أنه غريب حتى انتهى من تناول فطوره و كان على
وشك الرحيل لكن مُعْتز أوقفه :

**-معلش يا سطا مش هعرف أوصلك الشُغل إنهاردة، أصل عندي مرافعة في
المحكمة**

عقص إسلام حاجبيه بحيرة من حديث صديقه الذي أجابه:

-و إنت من إمتى بتوُصّني؟؟

أجابه مُعْتز ببعض التيه :

-أصلك إمبارح قولت إن إيدك بتوجعك فخلّنتي أوصلك الشُغل

إزدادت حيرة إسلام و هو يُشير على نفسه و يُتمتم بغير تصديق :

-أنا قولت كدة!!

تدارك الأمر بعدها و تجاهل حيرته كي يرحل من المنزل و يؤدع صديقه ككل مرة
...

استيقظت من سباتها على صوت العصافير التي أطربت أذنها، إعتدلت في فرشتها
بسرعة لتتفحص المكان من حولها حتى تأكدت من كونها قد عادت إلى منزلها و
حياتها، اتسعت بسمتها و كادت تقفز مكانها من الفرح مع حركاتٍ عشوائيةٍ فعلتها
بيدها :

-ياس .. الحمد و الشكر ليك يا رب ... أكيد دا كان حلم سخييف من أحلامي

تنهدت بأريحية شعرت معها بأهمية جسدها الذي لطالما اشتكت منه، احتضنت نفسها
بذراعيها و كأنها تشكر جسدها على وجوده بحياتها، طفقت تتأسف له كما لو أنها
تناجي إحدى صديقاتها :

-أنا أسفة يا جسمي، والله ما هشتم فيك تاني بس متسبنيش وتمشي

أرخت ظهرها للوراء و بقيت تحتضن جسدها و تُدندن بأغنية سعيدة أعربت معها
عن سعادتها، قطع اندماجها بالأغنية صوت والدتها الذي صدح عاليًا :

-داليا ... يا دودو .. تعالي عشان الفطار

انتبهت داليا إلى صوت والدتها فترجلت من فراشها لتهرع من الحجرة و تجد
صديقاتها كالعادة يجلسن بالمطبخ يساعدن والدتها بإعداد الفطور، جذبت مقعدًا
بجوارهن كي تجلس عليه و تقول بمرح:

-إيه يا بنانيت؟؟ مواردك حاجة إنهاردة ولا إيه؟

أجابتها كوكي بصدق:

-أنا الصراحة هربانة من البيت

آجابت قمر بعدها :

-و أنا هربانة من المواعين

قهقهت داليا لوقتٍ قصير و هي تُعد لنفسها شطيرة من الجُبْن و تقول بلهفة :

-مش هتصدقو أنا حلمت بآيه إنهاردة..

سألنها بلهفة عن ماهية حُلْمها فأجابتهن بنفس لهفتها :

-حلمت إن أنا ولد

مرّت ثانية و اثنتان يستوعبا فيها حديثها حتى إنفجرت كلتاهما بالضحك و كأن قُنْبلة موقوتة قد إنفجرت مرة واحدة..

" are you kidding -هل تمزجي ؟"

قالتها كوكي بين ضحكاتها لتُضيف قمر عليها :

-قولناك يا بنتي إتغطي كويس قبل ما تنامي

بقين في حالة من الضحك لفترة حتى أردفت داليا بصدق :

-و الله الحلم كان غريب جدًا .. انا كنت فاكرة إنه حقيقي

عقصت حاجبيها فجأة بعد أن انتبهت أن تلك الدوائر التي وضعتها على شعرها لم تكن موجودة :

-آيه ده !! فين البوكليهاات إالي كانت على شعري ؟

آجابتها كوكي بصدق و حيرة من هذا السؤال :

-شلتيتها إمبراح .. إنتِ مش فاكرة ولا إيه ؟

إزدادت حيرة داليا من حديثهن و حاولت اعتصار عقلها لعلها تتذكر حديثهن لكن لا توجد فائدة، فكأنها بالضبط فقدت الذاكرة ليومٍ كامل، الغريب أنها تتذكر ذلك الذي تعتقد أنه حُلم، و هذا ما يزيدُها غرابة أكثر، ألا يُفترض أن الأحلام يتم نسيان أغلبها بسرعة؟؟ لما تتذكر كل تفصييلة من ذاك الحُلم الغريب؟؟

قطع تفكيرها صوت صياح يُصدر من والدتها بعد أن سكبت مياهاً مغلية على إصبعها، انتفضن من أماكنهن ليساعدهن حيث كانت تتأوه بدرامية من الألم مع بعض الدموع الزائفة على وجنتيها...

-صباعي ... آاه ... إلحقوني ... صباعي هيتقطع و هبقى عاهة .. آاه

إقتربن نحوها بهلعٍ فكانت داليا تهتف بوجوههن:

-حوطي بُن عليها بسرعة ... يلا

هي بالطبع ليست طبية و لا تفقه بتلك الأمور، لكنها تؤمن بخرافة أن البُن يُمكنه معالجة الحروق، أحضرت قمر البُن كما طلبت و بدأت تساعد والدة داليا على تطيب حرقها، لم تتوقف بسمة عن النواح بدرامية :

-يا جزنك يا بسمة ... هيقطعوك إيدك و هيضع شبابك يا بسمة

حاولت داليا اصماتها و إخبارها بالحقيقة التي لا تعترف بها والدتها :

-ماما أنا مش عايزة أصدمك .. بس إنتِ مش في شبابك

حادثتها والدتها بدرامية و صوتٍ باكٍ:

-إنتِ بتقولي عليا مش شباب !! .. لأ .. انا أكيد معرفتش أربي

تدخلت كوكي كي تتوقف داليا عن الحديث الذي كانت ستقفوه به :

-داليا please shut up و خلىنا نشوف طنط بسمة

استجابت لها داليا ليبقين مع بسمة حتى تهدأ ثم يتسامرن لبعض الوقت حتى ذهبت كل واحدة منهن إلى عملها ...

يقف بهيبته الطاغية خلف واحدٍ من رجاله و أمامه الحاسوب يعرض لقطاتٍ تم التقاطها بواسطة كاميرات المراقبة الخاصة بإحدى القاعات التي تمت الإفتتاحية بداخلها، كان فاتح هو الواثب خلف حارسه و كان يقول بصرامة :

-إمسح كل حاجة، مش عايز حد ياخذ باله إننا كنا بنهرب آثار في الإفتتاحية إلی عملينها تمويه

استجاب الرجل لطلبه و أكمل العبث بالحاسوب حتى اقتحم الحجرة رجل بالثلاثين يلهث من كثرة الركض، كانت أساريه مُنقبضة و إمارات الخوف تلوح على وجهه، إقترب من فاتح ليُخبره بهلع :

-فاتح بيه ... المعلم مُختار اتقبض عليه ... و صفقة الأسلحة باظت

قطب فاتح حاجبيه في غضبٍ جامح كاد يتحوّل إلى براكين مليئة بالحمم، إقترب أكثر من الرجل يحاول أن يستفسر عن سبب ما حدث و من تسبب بإفشاء سرهم:

-مين إلی بلغ عننا ... إنطق

إرتعد الرجل من الخوف و هو يُجيب بأحرفٍ مُرتبكة :

-عبد الرؤوف اتقبض عليه، و عرفت إن هو إلی قالهم على مكان تسليم الشحنة ... و كمان ...

توقف عن الحديث لينكس رأسه إلى أسفل لا يعلم كيف يُخبر فاتح بالحقيقة التي رآها بعينه ...

-كمان إيه ؟ .. قول

قالها فاتح بغضب ليرفع الرجل رأسه لأعلى يحاول أن يحافظ على ثباته قدر الإمكان
و هو يقول :

-في واحدة يا باشا كانت بتساعد الشرطة .. شوفتها بعيني و هي بتبص لمختار
بيه بصة غريبة كدة خليته يُغمى عليه فجأة و بعدها مسكو .. والله يا باشا هو ده
إلي حصل

لم يخترق هذا الحديث صميم عقل فاتح الذي يأبى تصديقه :

-إيه التخريف ده ؟؟ _

كاد يواصل حديثه لكن الرجل الذي كان يعبث بالحاسوب قطعه :

-فاتح بيه ... في حاجة مهمة لازم تشوفها

استدار نحو هذا الرجل ليجده يُشير بسبابته على جهاز الحاسوب الذي يعرض صورة
لفاتح و هو يتحدث مع قمر بعد أن رفض أن يتحدث مع أي من الصحفيين كي
يستكمل عمله، اشتعلت برائن فاتح و هو يُشير على قمر هو الآخر و يردف بغير
تصديق :

-إزاي البت دي أخذت مني تصريح ؟؟

انتبه الرجل الآخر إلى حديثهما فأردف بلهفة و ثقة :

-أيوة ... هي دي البنت إلي خليتهم يقبضو على المعلم مختار ... أنا متأكد إن هي
... أكيد بتعمل حاجة و العياد بالله بتخلي إلي قدامها يعمل حاجات غريبة

بقيت حدقتا فاتح تُحدق بالحاسوب الذي أمامه و العديد من الأفكار تتداخل برأسه حول
ما قاله لتلك الحقيرة، فهو لا يتذكر أي من الأحاديث التي دارت بينهما و هذا ما يزيد

غضبًا و فضولًا و خوفًا، فربما حصلت منه على تصريحاتٍ لم يكن يجب أن تحصل
عليها، أشار بإصبعه على صورة قمر ليردف بصرامة و وعيد :

-البت دي تجيبوها حية أو ميتة ... فاهمين؟؟

الفصل الثالث (حياة أبدية)

كلما ضاقت بك الحياة و إختنقت أنفاسك، تذكر أنك لا تستطيع الوصول للقمة دون أن تتسلق و تتعثر

انتهين من تناول الفطور لتذهب كل واحدة منهن إلى عملها كما اعتادن كل يوم، أحاطت داليا والدتها بذراعها لتضع قبلة على وجنتها قبل أن تذهب إلى العمل كما إعتادت يوميًا، فقد أخبرتها والدتها للتو عن التصرفات الغريبة التي فعلتها بالأمس مما جعل داليا تزداد إغظباتًا و حيرة، لما جميعهم يُخبرونها بأشياءٍ لم تفعلها؟؟

كانت تسير أسفل البناية رفقة كوكي التي أصرت أن تقلها للعمل هي و قمر، لكن قمر رفضت نظرًا لكون الجريدة التي تعمل بها بعيدة تمامًا عن وجهتهما فضلت أن تستقل الحافلة كما تفعل دائمًا، إستقلت داليا السيارة بالمقعد الخلفي بجوار كوكي و أمامهما مُعترز الذي سيفلهما إلى الوجهة المرادة، التفت مُعترز برأسه ليرحب بهما بؤد و يسألهما عما يريدان الذهاب إليه...

عقست داليا حاجبها بحيرة و هي تُشير على مُعترز و تقول :

-أنا ليه حاسة إني شوفتك قبل كدة بس مش فاكرة فين

ارتاب مُعترز من حديثها لأنه لا يعرف أنها كانت بجسد صديقه بالأمس :

-حضرتك شوفتيني قبل كدة!!

أجابته داليا بتيه :

-مش فاكرة ... بس حاسة إني أعرفك مش عارفة إزاي

تدخلت كوكي لتبرر لها :

- ما يمكن ده " deja vu " ظاهرة نفسية بديهية"

أومات داليا رأسها بعد أن اقتنعت بحديث صديقتها، فهي لا زالت تتيقن أن ما حدث بالأمس هو مجرد حلم ليس إلا، و أن هذا الذي تحوّلت إليه ليس إنساناً حقيقياً، بل هو إنسان من وحي خيالها، أرخت ظهرها للوراء ما إن تحركت السيارة، ما هي إلا بضع ثوانٍ حتى ذهبت في سُبَاتٍ عميق جعل مُعْتَزٍ يشعر بالقلق من سرعة نومها..

-هي الأنسة فيها حاجة؟؟

أجابته كوكي ببساطة :

-لأ عادي .. روح إنت بس على العيادة بتاعت داليا

تتحرك أقدامه داخل رواق المشفى برونقٍ إعتاد عليه منذ نعومة أظافره، يمثل الهيئة و الرُقي أمام الجميع على الرغم من حقيقته الساذجة و تلك الشخصية المُختلة داخله، عزم على الذهاب إلى عيادته و تأدية عمله ككل يوم لكن إحدى الممرضات استوقفته لتردف بامتنان :

-دكتور إسلام ... ميرسي أوي عشان قولت لنا على ماسك الكركم، أنا جربته و بشرتي بقيت فاتحة و حلوة جداً

دُعمت صديقتها حديثها ثم أضافت عليه :

-أه و روتين الإعتناء بالضوافر كان حلو أوي، بجد حضرتك أنجذتني قبل ما ضوافري تبوظ

قطب إسلام حاجبيه بحيرة من حديثهما الذي لا يفقه عنه شيئاً، لكنه ضعيف أمام امتنانهما و أحب اطراءاتهما التي تُشعره و كأنه شخص مهم؛ رسم بسمه متعالية على ثغره و هو يُجيبهما :

-لا مفيش داعي للشكر، دي حاجة بسيطة

ابتسمت الممرضتان له قبل أن يتشكراه مجدداً و يرحلاه، ما إن ابتعدا عنه حتى عادت حيرته مجدداً أثناء قوله :

-ماسك الكركم !! ... هو الكركم بيحطوه على البشرة!!

لا تزال حيرته طاغية على وجهه لكنه أكمل سيره إلى مكتبه ليبدأ عمله و يتغاضى عن تلك الغرابة التي تحدث معه منذ بداية اليوم، ما إن جلس على مكتبه حتى وجد سمير قبالبته يبدو على وجهه الإهتمام و هو يسأل :

-دكتور إسلام ... أنت كويس؟؟

ارتاب إسلام من هذا السؤال الذي لأول مرة يتم سؤاله به منذ أتى هذه المشفى، و خاصة من سمير :

-أه كويس هو باين عليا إني تعبان؟؟

إقترب منه سمير ليقص عليه ما حدث بالأمس :

-أصل إمبراح حضرتك أغمى عليك و معرفتش تعمل العملية عشان كدة بسأل

أشار إسلام على ذاته بغير تصديق قال معه :

-أغمى عليا !! أنا عمري ما أغمى عليا في حياتي...

فسر له سمير ما حدث بدءاً من وقوعه مغشياً عليه حتى حديثه الغريب ما إن أفاق و كم كان يحادث نفسه على أنه فتاة طيلة اليوم، و هذا ما جعل إسلام يكاد ينفجر من الحيرة لأنه لا يتذكر أي من حديثه، أيعقل أنه يسير و هو نائم و يفتعل هذه الأشياء الغريبة؟؟

هذا ما كان يدور بعقله و هو يراجع ملفات مرضاه قبل أن يدلف أول مريض يبدأ معه عمله...

تعدو السيارة وسط المباني و الحدائق بداخلها كوكي بالمقعد الخلفي و أمامها مُعنز يتولى القيادة كالعادة، انتشرت الموسيقى الهادئة بالسيارة المتناسقة مع ما تُحبه كوكي لأنها رفضت أن يختار هو ما يتم تشغيله حتى لا تستمع إلى أغنية شعبية صخبية كالمرّة السابقة، توجه كوكي حدقتها نحو النافذة تستطلع الطريق حتى تذكرت أنها لم تحتسي قهوتها الصباحية؛ لهذا السبب أردفت ببعض التملق :

-وقف هنا ... عايزة أجيب coffee-

أوقف مُعنز السيارة بناءً على رغبتها ثم سألها مجدداً :

-عايزة تجيبي إيه ؟

حاولت كوكي إجابته بالعربية لأنه لن يفهم حديثها :

-عايزة أجيب قهوة

-ماشى ... خليكى هنا يا أنسة و أنا هنزل أجيبك ... هتجيبى إيه ؟

وافقت كوكي على اقتراحه ثم أرخت ظهرها للوراء و هي تُخبره بما تُريد بتملق :

-عايزة Mocha Frappuccino-

فتح مُعنز فاهه ببلاهة و تسمر مكانه بعد أن رفض عقله استيعاب هذه الكلمة :

-إيه ؟ .. معلش تانى كدة

زفرت كوكي الهواء من فمها بنفاد صبر ثم أخرجت ورقة صغيرة من جيبها تدوّن عليها طلبها ثم تعطيها له مع قولها :

-إديهم الورقة دي و هما هيدوك طلبى

انتشل معتر الورقة ثم ترجل من السيارة و تركها وحدها تشرد في اللاشيء، بقيت جالسة مكانها لبضع دقائق أرادت أن تنتهي بسرعة كي لا يفوتها ميعاد المدرسة، فجأة، طرأ شيء ما بعقلها لا تعرف كيف غفلت عنه و هي تُعطيه الطالب :

-نسيت أقوله إني عايزاه بـ " skimmed milk حليب خالي الدسم"

فتحت باب السيارة كي تهرع منها و تذهب بسرعة إلى مُعتر قبل أن يأتي بطلبها، لكنها ما إن فتحت الباب و هرولت بضع خطوات حتى اصطدمت بمُعتر الذي كان يتحرك باتجاه السيارة و معه كوب القهوة التي انسكب القليل منها على كوكي...

شهقة مصدومة خرجت من كوكي و هي تنظر إلى حذاءها العزيز بعد أن وقعت عليه القهوة :

"جدائي !! هل أنت ضير ؟- My shoes Are you blind?"

زمجرت كوكي بغضب و هي منحنية بجذعها على الأرض تحاول تنظيف حذاءها، ظن مُعتر أنها تبالغ كثيراً لأن ما تضرر هو فقط مجرد حذاء ...

-خلاص يا أنسة دي مجرد جذمة يعني

قالها باستخفافٍ جعلها تزداد غضباً و هي ترفع جذعها و تشرح له سبب خوفها على الحذاء بطريقة حادة :

-مجرد جذمة !! دي Gucci يا متخلف

لم يفهم مُعتر ماهية هذه الماركة لذلك أجابها ببلاهة امتزجت مع حنقه من طريقتها المتعالية :

-و إيه يعني كوتشي !! ما في كوتشيات كتير زيها في العتبة

أطبقت كوكي على شفيتها و لم تُرد الجدل معه أكثر حتى لا يزداد غضبها، انتشلت منه ما تبقى من قهوتها ثم عادت إلى السيارة في حنق، اتبعها في صمتٍ دام طوال الطريق حتى أوصلها إلى وجهتها...

جلست على مقعد مكتبها تستعد لبدء وظيفتها التي ربما لم تختارها لكنها فُرضت عليها بعد ما عانته من أسرتها المُفككة، انتشلت الملفات لُرتبهم و ترى من سيأتيها اليوم من الحالات، فتحت دفترها لتلقي نظرة على المواعيد لكنها أرادت أن تنظر إلى هاتفها أولاً كي تتأكد من تاريخ اليوم على الرغم من أنها شبه متيقنة أن اليوم هو الثلاثاء....

فتحت هاتفها لتتحول معاني وجهها إلى الحيرة ما إن رأت تاريخ اليوم الذي ظنت أنها تعرفه :

-الأربع !! ... إزاي إمبراح كان الاتنين و إنهاردة الأربعاء!!-

أغلقت هاتفها بحيرة تنظلي على وجهها و تؤكد لها أن هناك ما هو غريب يحدث معها منذ بداية اليوم، بل و حتى منذ أمس، أغلقت الدفتر ما إن أخبرتها موظفة الاستقبال بمجيء أول حالة، اعتدلت في جلستها كي تستقبل حالاتها بوجده كالعادة، لكنها وجدت رجل بمقتبل الثلاثين يأتي مع زوجته التي أتت بالأمس من وجهة نظرها و طلبت مساعدتها بسبب زوجها الذي يتجاهلها، هذه المرة أتت هي و زوجها الذي حمل معه عوالم الغضب من تلك الطيبة التي كادت تُفسد حياتهما الزوجية..

-مممكن أفهم إنتِ إزاي تقولي لمراتي تطلب مني الطلاق؟

احتقن وجهه داليا من حديثه و طففت تُشير على نفسها و تقول بغير تصديق :

-أنا !! أنا قولتلها تطلب الطلاق !! ... لا أكيد حضرتك فاهم غلط

تدخلت زوجة الرجل و هي تقول باستماتة و بعض الغضب :

-لا هو صح، أنا جيت إمبراح و إنت قولتيلي إطلبى الطلاق

أسبلت داليا بأهدابها و هي تحاول استيعاب هذا الهراء الذي يُتلى على مسامعها، فمستحيل أن تطلب مثل هذا الطلب منها، فهي بالأساس اختارت هذه الوظيفة حتى تمنع ظاهرة الطلاق التي تؤثر على الأبناء، وثبت من مقعدها لا تزال تُكذب حديثهما لكنها قررت مسائرتهم و إصلاح الموقف ...

-طب معلش .. ممكن تقعدو على الكنبة و نتكلم بهدوء؟؟

ترجتهما بحديثها الهاديء الذي تغلغل إلى عقولهما و قررا أن يجلسا على الأريكة لعل هذا الخلاف الذي نشب بينهما ينتهي بفضلها أكملت معهما الجلسة و لا زال ذهنها مشغول بهذا الهراء الذي يتم إتهامها به منذ الصباح...

إنتهى لؤي من التحقيق مع مختار و عصابته الذين رفضوا أن ينسوا ببنت شفة خاصة هذا الذي يُدعى مختار و الذي قرر ألا يبوح بأي سرٍ كي يساعده زعيمه على الهرب من هذا المكان، ترك لؤي حجرة التحقيقات بغضبٍ عارٍمٍ كاد يقذف معه كل ما يقابله أمامه، دلف مكتبه يرخي ظهره للوراء و يُطلق العنان لأفكاره كي تُطربه ببعض الحلول التي من شأنها أن تجعل هذا الذي يُدعى مختار يعترف على زعيمه الذي يظن أنه فاتح لكنه لا يملك أي من الأدلة، يخشى استخدام معه أي من أساليب التعذيب نظرًا لحالة مختار المرضية حيث أنه يعاني من مرض السكرى و الذي من الممكن أن يتسبب بوفاته إذا حاول فقط أن يمس شعرة منه...

مسد بيديه على رأسه بعد أن باتت حلولة بالفشل و جعلته يستاء أكثر، سمع طرقات هادئة على الباب جعلته يعتدل في جلسته ثم يثب مكانه ما إن وجد الباب يتم فتحه و يدلف منه والده اللواء عبد الصبور، رحب به لؤي بتهديب ثم ترك مقعده ليجلس قبالة والده على مقاعد المكتب احترامًا له و لمكانته العالية، بدأ عبد الصبور الحديث بوقار:

-المعلم مختار إتكلم؟

صمت لؤي برهة عن الحديث ثم أنكس رأسه لأسفل و هو يُجيب بحرج :

-لأ..

لم يبدو على عبد الصبور الغضب أو السخط، بقيت عوالمه هادئة وقورة و كأنه كان يعلم هذه الإجابة :

-أنا كنت حاسس

رفع لؤي رأسه ليحاول أن يُبرر لوالده :

-صدقني حاولت أحقق معاه بكل الطرق ... بس ابن ال***مش عايز يقول حاجة

أوما عبد الصبور رأسه بهدوء ثم سأل بعد فترة وجيزة من الصمت:

-ليه مجبتش البنت إلي كانت هنا إمبارح دي و خليتها تحقق معاه ما هي عملت كدة مع المُجرم بتاع إمبارح

رمقه لؤي بنظراتٍ حائرة لا يفهم كيف وصلت الأخبار إلى والده، كاد يهم بالاستفسار لكن عبد الصبور أجابه قبل أن يسأل :

-الأخبار بتؤصلي أول بأول ... و البنت دي زي ما ساعدتنا عشان نعرف مكان صفقة الأسلحة، أكيد هتساعدنا في قضية فاتح نظمي

كاد يهم لؤي بالاعتراض بقوله :

-بس مينفعش_

قطع عبد الصبور حديثه للمرة الثانية لأنه يعرف ما يدور بُخلد فلذة كبده :

-مينف عش نعرض حياة بنت مدنية للخطر ... عارف إنك هتقول كدة ... بس إحنا مش هنعرضها للخطر، البنت هتكون مسؤولة مننا، يعني هنعلمها في مقابل الخدمة إلی هتقدمهالنا

إقترب بجذعه نحو لؤي ليُخبره بقراره الصارم :

-كل إلی عليك إنك تجبهالي هنا، و تقنعها تشتغل معنا

ألقى كلماته ثم هرع من المكتب دون أن يكثر لرفض لؤي و عدم رغبته في تعريض حياة فتاة ساذجة مثلها للخطر، فليس هذا ذنبها أن تمتلك مثل هذه المقدرة التي تُجيدها بمهارة، ليس ذنبها أن تدلف عالمًا مليئًا بالمخاطر مثل عالمهم، لكن ما باليد حيلة، عليه أن يُنفذ الأوامر مهما كان الثمن...

انتشرت أصوات العراك و الشجارات من حولها داخل منزلها الذي لا يخلو من الضجيج، فصوت شقيقته التي تتشاجر مع شقيقها يصل إلى حجرتها ممزوجًا مع صوت والدتها التي تصرخ بهما و بتلك الحياة المُرهقة كالعادة، أما عن والدها فلا يُصدر منه أي صوتٍ لأنه لا يكثر لهذه الحياة من الأساس و لا بهذا الجنون القابع بهذا المنزل...

أخذت قمر ركنًا بحجرتها كي تجلس على فراشها في هدوءٍ تغمض معه عينيها و تتربع على فراشها لتنتقل إلى حالة اللاوعي و تذهب بفكرها بعيدًا عن هذا العالم البغيض، أخذت نفسًا عميقًا فردت معه ظهرها و كانت على وشك السفر بذهنها لعالمٍ آخر حتى قطعها صوت رنين هاتفها الذي أعادها مجددًا لأرض الواقع و التذمر بادٍ على وجهها ...

-يووه ... هو لازم حاجة تقطني!!

قالتها بتذمر و هي تنتشل الهاتف لترى رقمًا مجهولًا يتصل بها؛ عصت حاجبيها بحيرة لكنها أجابت على أي حال لعله رقم إحدى صديقاتها :

-ألو مين معايا؟؟-

كان فاتح هو من قام بالاتصال بها رغبة في تهديدها كي تتقاعص و تُخبره ما أجبرته على قوله بعد أن تشعر بالرهبة منه، صبغ حديثه بالهيبية و الوعيد أثناء قوله :

-أكيد إنتِ عارفة الصوت ده كويس...-

كان يقصد صوته الذي قامت هي بتسجيله لكنها لم تفهم مقصده و بترت حديثه بسرعة :

-لأ النمرة غلط مع السلامة-

قالتها ثم أغلقت المكالمة بسرعة دون أن تُعطيه فرصة للحديث، رمق الهاتف بغضب لكنه لم ييأس و عاود الإتصال بتلك الغبية من وجهة نظره، عادت هي إلى وضعية التأمل التي كانت عليها لتأتيها مكالمة من نفس الرقم مما أوقد داخلها نيران من الغضب :

-يووووه ... إنت تاني!!-

وضعت الهاتف على أذنها تستمع إلى حديث فاتح الذي أراد أن يدخل في صُلب الموضوع مباشرة :

-إسمعي يا قمر_-

كانت كلماته حادة لكنها لم تستشعرها بسبب الهاتف الذي يُغير شيء ما بالأصوات، فقد ظنت لو هلة أنه يتغزل بها و ينعته بالقمر بينما غفلت عن أن اسمها بالفعل قمر!!

-إنت بتعاكسني يا حيوان يا قليل الأدب-

قالتها ثم أغلقت المكالمة بوجهه للمرة الثانية أمام صدمته، امسكت هاتفها و هي تقول بصرامة :

-والله لأعمك بلوك

بينما كان فاتح على الجهة الأخرى يرمق الهاتف بغيظٍ قال معه :

-إيه الولية الهبله دي!!

جلس واحد من رجاله قبالته لئريه ما وجده بعد أن اخترق ملفات قمر كي يحاول ابتزازها حتى تعترف بما أجبرته على قوله يوم الإفتتاحية، فقد اخترق للتو الهاتف الخاص بقمر لعله يجد العديد من فضائحتها، لكن أماله سقطت من أعلى الهاوية ما إن تفحص الهاتف و وجد هذه الصور :

-فاتح بيه ... الموبيل بتاع قمر مفهوش غير صور حيوانات و بيبيهاات مكتوب على صورهم صباح العناب و صباح النور، و اللاب توب مفهوش غير ألعاب و مقالات عن الحظ و الطاقة

تفحص الحاسوب ليتأكد من حديث الرجل الذي بالفعل كان على صواب مما جعله يردف بسخرية :

-هو إنت اخترقت جهاز جدتي؟؟ دا إيه الولية الغريبة ؟

سأله الرجل باستفسار :

-هنعمل إيه يا رياسة ؟

فكر فاتح هنيهة قبل أن يحسم قراره و يردف بصرامة :

-مفيش غير إننا نخطفها

هالات من الأفكار و القرارات الغريبة تلوح على ذهنها في ذلك الوقت المتأخر من الليل و أثناء استلقاءها على الفراش الفسيح تجاهد جسدها على الاسترخاء حتى يغلبه

النوم، تملمت على فراشها أكثر من نصف ساعة لعلها تغط في سباتٍ عميق لكن لا شيء يحدث، فالنوم أقسم على ألا يزورها في هذه الليلة على الرغم من الجهد الذي بذلته في ذاك اليوم ...

سئمت من المحاولة فاعتدلت على فراشها تفتح هاتفها المجاور لها و تُقرر أن تتفحصه حتى يغلبها النوم، تعلم جيداً أن تلك الطريقة ستؤثر على عينيها و ربما تجعلها مستيقظة الليل بطوله، لكن شيطانها يُحركها و يُخبرها أن تفعل هذه العادة السيئة التي من الممكن أن تضر بعينيها، فتحت الهاتف لتتصفح وسائل التواصل الإجتماعي بمللٍ تبخر مرة واحدة ما إن توقفت عند إعلان لإحدى المواقع الخاصة بالتعارف...

فهذا الموقع يجعلك تتعرف على الآخرين و تتحدث معهم دون أن تعرف اسمائهم و لا يُمكنك إرسال الصور به حتى، مُخصص فقط للتعارف على الآخرين دون التطرق لتفاصيل خاصة ربما تأتي فيما بعد، لاحت ابتسامة على ثغرها ما إن رأت هذا الموقع الذي من الممكن أن يساعدها في تضخيم دائرتها الإجتماعية، لذلك أسرعت بتثبيته على جوالها و تسجيل بياناتها به و أول حرف من اسمها باللغة الإنجليزية الذي كان موضوعاً على صورتها التعريفية ...

من المفترض أن يُحدد لها هذا التطبيق الشخص المناسب الذي ستتعرف عليه و تكوّن معه صداقة حميمة، بعد برهة من الوقت أنتها رسالة من مجهول عبر هذا التطبيق و من رجل أول حرف باسمه z ، لاحت ابتسامة متلهفة على ثغرها على الرغم من رغبتها بالحصول على أصدقاءٍ من الفتيات و ليس الرجال، لكنها رأت أن تفضيلات هذا الرجل مناسبة لخاصتها فمن الممكن أن تتحدث معه لعله يفهم تفكيرها، و بالطبع هذا ليس صحيحاً بثقافتنا، لكن نظراً لبقاءها أغلب الوقت في دولة أجنبية فهذه الأمور بالنسبة لها طبيعية، وجدت رسالة منه كان فحواها :

-هاي...

ردت عليه ببساطة و نفس الكلمة ثم مرّت بعض الجمل الترحيبية حتى قال :

-أنا زيزو ... و إنتِ ؟

فكرت كوكي هنيهة قبل أن تُجيبه حتى ارتأت إلى عدم إخباره الحقيقة لأنها بالنهاية لا تعرف هذا الرجل و لا يُجب أن تُخبره اسمها الحقيقي بهذه السهولة :

-أنا كنزي-

قالت هذا الاسم لأنه يملك أول حرف من اسمها كي تنطلي عليه كذبتها، وجدت الطرف الآخر يُجيبها بلُطف :

-اسمك حلو-

ابتسمت ابتسامة خجولة حمدت ربها أنه لم يرها، أسرعت بالرد عليه بودٍ و بعض الخجل:

-شكرًا-

مرّت برهة من الصمت لم تدري بعدها ما الذي ستقوله لكنها بالنهاية سألت بفضول :

-بتعمل إيه ؟-

-ولا حاجة .. و إنت-

-ولا حاجة بردو-

و هكذا أخذ الحديث يدور بينهما في ودٍ و مرح جعلها تبتسم في بعض الأحيان و تتحدث عن همومها و مشاكلها مع ذاك الرجل الذي شعرت معه براحة كما لو أنها تعرفه منذ فترة طويلة...

أشرقت شمس يومٍ جديد و كان الجو مُفعمًا بالحوية و النشاط مع خطوطٍ ذهبية انعكست على سفحات الطريق و جعلته لامعًا كالذهب، استيقظت داليا من سباتها تتمطأ و تفرك عينيها لتمحي آثار النعاس، كانت الرؤية مُشوشة حولها لكنها ما إن

اتضححت حتى احتقن وجهها و طفقت تتحسس الفراش لتُدرك بعدها أنها بذاك الحُلم
السخيف مُجددًا أي أنها رجل الآن!!

-لاااا...-

صاحت بتلك الكلمة بتذمر ضربت معه على الفراش و وجهها يتقاطر منه الضجر،
هبت من الفراش لتدلف المرحاض و تُبدل ثيابها بتذمر طمأنت معه نفسها أن كل
شيء سيسري على ما يرام كما المرة السابقة، إرتدت سُترة حمراء على بنطالٍ من
الجينز الأزرق و طفقت تبحث عن أية حقيبة لتضع بداخلها مستلزماتها لكنها لم تجد
سوى حقيبة رياضية سوداء إستخدمتها لتضع الهاتف و المفاتيح و غيرها من
المستلزمات التي بالعادة لا يأخذها إسلام معه بوظيفته، أمسكت هذه الحقيبة و هرعت
من الحجرة لتقابل مُعتر بالمطبخ يُعد الفطور كالعادة، ما إن رآها مُعتر حتى رمق
صديقه بحيرة سأل معها :

-إنت عندك تمرين ؟

كان يوجه نظره نحو تلك الحقيبة الرياضية التي بالعادة لا يأخذها إسلام إلا إذا قرر
الذهاب إلى الصالة الرياضية، أجابته داليا ببعض التيه :

-لا عادي...-

هرع مُعتر من المطبخ و هو يقول بتقرير :

-هضطر أمشي عشان عندي شُغل، عملتلك ساندوتشات حلاوة بالمربي و جبنة
عشان معرفش مزاجك إيه إنهاردة_

أوقفته داليا قبل أن يتحرك خطوة :

-استنى استنى ... إنت مش هتؤديني الشُغل ؟

ربت مُعتر على كتف صديقه و هو يقول بأسف :

-أنا أسف والله بس لازم أكون مع المتهم، بعدين يا إس إنت طول عُمرِك بتسوق
إيه إللي جد يعني

سألته داليا ببعض الأمل :

-هو أنا ممكن مروحش الشغل إنهاردة

عقص مُعنز حاجبيه بتيه و هو يسأل :

-إنت تعبان ولا إيه ؟

فكرت داليا هنيهة قبل أن تؤيد حديثه بتحجج :

-أه تعبان .. و حاسس إني مصدع كدة، مش هقدر أروح الشغل

أعطاها مُعنز مفتاح السيارة الخاصة بإسلام و هو يقول:

-مينفحش تغيب من غير أجازة، و لو تعبان روح و استأذن بدري، بس لو
مروحتش هتتحول للتحقيق و هتتجازى

أمسكت داليا المفتاح بتخبطِ صاحبه تمتتها المذعورة :

-شيت، هروح أنا إزاي دلوقتي؟؟

ربت مُعنز على كتف صديقه قبل أن يرحل من المنزل متفؤها :

-أنا لازم أمشي ... أصلي يا صاحبي

رفع قبضته نحو داليا لعلها ترفع قبضتها هي الأخرى و تقوم بتلك الحركة التي إعتادا
القيام بها و التي لا تفقه عنها أي شيء، أعاد مُعنز الجملة لينتبه صديقه :

-أصلي يا صاحبي...

طالعه داليا ببلاهة لا تستطيع فهم ما يقصده :

-إيه... مش فاهمة

أخفض مُعترز قبضته و هو يردف بخيبة أمل :

-لا دا إنت شككك مش متظبط خالص، سلام .. و إياك متروحش المستشفى دي
أرواح ناس و في عُهدتك

بقيت داليا وحدها بالمنزل لا تعلم لما هذا الذي يُدعى مُعترز يعامل ذاك المدعو بإسلام
كما لو أنه ابنه، فبالنظر لكلاهما تعتقد أن إسلام يكبره عُمرًا نظرًا لطوله الفاره و
بنيته الضخمة نسبيًا عن مُعترز قصير القامة ذا البنية المتناسقة المائلة للنحافة، كانت
الأفكار تتبادر بذهنها و تجعلها تُتمتم بصوتٍ عالٍ و أعينها مُنصبّة على مفتاح
السيارة :

-طب أنا هعمل إيه؟؟ مش هينفع مروحش المُستشفى عشان هتجازي ... و إيه
المشكلة لما أتجازي أنا مالي أصلًا و مال الحوار ده !! ... لأ .. ما أنا ممكن
أفضل في الجسم ده علطول، و لو سيبت الشغل هتبقى مصيبة ... لأ .. أنا لازم
أروح .. إيه المشكلة يعني لما أسوق، ممكن الموضوع ميكنش صعب زي ما أنا
فأكرة

و هكذا إنتهى تخبطها و حسمت قرارها بالذهاب إلى العمل و كأن قيادة السيارة هو
أمر سهل يُمكنها تعلمه بسهولة...

فتح عينيه على سقفٍ أبيضٍ عليه خيوط من أشعة الشمس الذهبية، إعتدل على فراشه
يريد أن يحك فروة شعره لكنه ما إن وضع يده على خصلات هذا الشعر حتى
حفظت عيناه و طفق يُمسد على شعره الذي أصبح طويلاً فجأة، رمق المكان من
حواله ليتأكد أنه عاد إلى ذاك المكان مجددًا، أي أنه بحُلُمٍ آخر من وجهة نظره..

-تاني الحلم ده !! ... والله إتغطيت كويس قبل ما أنام

ترجل من الفراش و تركه ليدلف المرحاض و يبديل ثيابه إلى سترّة فضفاضة عليها كلمات اجنبية و بنطال أسود أنيق، ترك الحجرة ليجد أمامه نفس الفتاتان اللتان رآهما مُسبقًا، قمر و كوكي، كانا بهذا الوقت واثبتان قُرب الباب و كأنهما للتو أتيا، صافحا صديقتهما التي احتل إسلام جسدها و بادلهما المصافحة ببرود و فظاظة حيث أنه اتجه فورًا إلى المائدة دون أن يكثرث لمحاولتهما لعناقه و السؤال عن أحواله، جلس على المقعد يُعد لنفسه شطيرته المفضلة و يسأل بفضول :

-هو إنتو عايشين هنا ؟

كان هذا السؤال صادق لأنه كلما دخل هذا الجسد يجدهما بهذا المنزل، حتى عندما يأتي الليل يكونا معه، لكن قمر و كوكي ظنا أن صديقتهما تمزح معهما فأردفت قمر بابتسامة على ثغرها :

-إنتِ مش عايزانا نعيش معاكي ولا ليه ؟؟

آجابها إسلام بوقاحة و هو يأخذ قزمة من شطيرته :

-لأ...-

إنفجرت كلتاها بالضحك يظنا أن صديقتهما تريد مشاكستهما ليس إلا، ضربته قمر على كتفه بمرح:

-ماشي يا ستي، إبقى شوفي بقى مين هيوديكي الشغل

كاد يتحدث إسلام و يرد عليها لكن صوت صياح بسمة قطعه لينتفض جميعهن في جلستهن بذعر، وثبن بعدها إلى المطبخ مع صوت كوكي المُستنتج :

-طنط بسمة !! تلاقيها إتحرقت تاني

اجتمعن داخل المطبخ و كانت بسمة تمسك إصبعها و تتأوه من الألم بدرامية مثلما فعلت بالأمس، فدائمًا ما تحرق نفسها و هي تُعد الشاي، هتفت كوكي بقمر بهلع :

-روحي يا قمر هاتي بُن بسرعة

استجابت قمر لحديثها بينما تابعن إسلام بحيرة عقص معها حاجبيه ثم قال:

-بُن !! هو الحرق بيخلي الواحد ينام ولا إيه ؟

أجابت كوكي و لازال الفزع يُغطي صوتها :

-لا طبعًا، البن عشان يعالج الحروق

كاد إسلام ينفجر من جهلن فهتف بنبرة مُندفعة نظرًا لدراسته الطب:

-بُن إيه ده إيلي بيعالج الحروق، دا مين المتخلف إيلي قالوكم كدة ؟؟

حدقت كل من قمر و كوكي نحو صديقتهما بريبة و هما يهتقان بصوتٍ واحد :

-إنتِ

تنهد إسلام بيأس و قد ظن للتو أن هذه التي تلبس جسدها فتاة حمقاء، فمن أين أتت بتلك المعلومة التي تقول أن البُن يعالج الحروق، قطع تفكيره تأوه بسمة الذي تحول إلى فيلم درامي حزين لو رآها أحد المخرجين لأخذها معه تؤدي أحد أفلامه، أُردف إسلام و هو داخل جسد داليا بلكنة أمرة :

-حُطي إديها بسرعة تحت مائة ساعة لمدة عشر دقائق ... بسرعة

تحركت كوكي و معها بسمة تُقرب يدها المحروقة تحت المياه الفاترة لعلها تُخفف بعضًا من تألمها، واصل إسلام تعليماته بنبرة علمية واثقة :

-لازم تقلعي أي ساعة أو إسورة ضاغطة على الإيد، و لما تشيل إديها من الماية الساقه تُحط شاش فازلين و إياكي تُحطي أي حاجة على منطقة الجرح سواء معجون سنان ولا زيت ولا سمنة ولا أي حاجة ... و البلونات الصغيرة إلي هتظهر بعد الحرق إياكي تلعبى فيها ... و إوعي تحطي تلج عشان ده هيزود الألم

استجابت كوكي لتعليمات صديقتها بحيرة اكتفت طياتها هي و قمر و كذلك بسمه، لم تستطع قمر كبت فضولها أكثر من هذا فسألت :

-داليا هو إنتي درستي طب إمتى ؟

تخسر إسلام و هو يُجيبها بتعالٍ دون أن يُبرهن السبب الحقيقي الذي بالطبع لن يُصدقوه :

-ولا درست ولا حاجة ... دا ذكاء طبيعي

حاولن استيعاب حديثها و تصرفاتها الغريبة التي تغاضن عنها حتى إنتهى هذا الأمر و تركن المنزل استعداداً للذهاب إلى العمل، كانت كوكي تسير رفقة داليا التي احتل إسلام جسدها و انسل معها درجات سُلّم البناية و هو يستمع إلى كوكي التي كانت تقول بلهفة :

-تعالى يلا عشان السواق مستتينا و هيوصلنا الشغل زي إمبارح

استجاب إسلام لحديثها دون أن يسأل حتى، فقط يتبع خطاها بتيه حتى اتسعت حدقتيه ما إن رأى هذا السائق الذي تتحدث عنه :

-مُعتر!!

ابنسم مُعتر بودٍ و هو يُرحب على التي ظنها صديقة كوكي، لكنه تعجب من معرفة داليا لاسمه، حتى كوكي التي لا تتذكر أنها أخبرت داليا باسم سائقها من قبل، فقد اكتفت فقط بإخبارها أنه سائقها دون أن تُخبرها باسمه الذي لن يعنى لها شيئاً، وجهت حديثها لصديقتها و هي تسأل بحيرة :

-إيه ده إنت عارفة اسمه منين ؟

كان إسلام يُتمتم بقرارة نفسه :

-يا ابن الصايعة ... طلعت سواق

انتبه بعدها إلى مُعترز الذي سأل بتعجب :

-هو حضرتك تعرفيني؟؟

أجاب إسلام بجهلٍ زائف لأنه لا يملك إجابة منطقية ليقولها :

-إبيه، لأ، هعرفك منين يعني ؟ دا كوكي هي إلكي قالتلي الاسم بس تلاقىها ناسية
بس

قالها بسرعة ثم دلف السيارة فوراً متجاهلاً نظرات كوكي الحائرة التي لا تعرف من أين أنت صديقتها بهذا الحديث...

تضعنا الحياة بإختباراتٍ ربما تضحى سهلة و لكننا لا نجد الوقت الكاف لنستعد لها جيداً، نجد أنفسنا في خضم المعركة فجأة و نحن لا نعرف حتى كيف نُقاتل، كانت داليا هكذا و هي داخل سيارة إسلام بعد أن شاهدت مئات المقاطع حول كيفية القيادة، وضعت الهاتف أمامها لتحاول تقليد أحد هذه المقاطع بعد أن ملاءت نفسها بجرعة من الشجاعة و فركت كلتا يديها استعداداً لخوض هذه التجربة، كانت تُراجع ما تعلمته بصوتٍ مُنخفض :

-واحدة بتحرك العربية و واحدة للفرامل ... هندوس الزر ده و...

اتسعت بسمتها في حماسٍ ما إن وجدت السيارة تُصدر صوتاً ينم عن تشغيلها، وضعت قدمها على المُحرك لتتبع باقي التعليمات حتى وجدت السيارة تتحرك ببطء على سرعة هادئة لكنها شجعتها على لمواصلة...

-الموضوع سهل أهو أو مل أنا كان مالي-

قالتها بتعالٍ بعد أن بدأت تتأقلم و ترى أن القيادة أسهل مما ظنته، أسرع قليلاً من سيرها فكلما تقدمت خطوة ينمحي الخوف من جوانحها، كادت تسير بالشوارع المليئة بالسيارات مما سيجعل الوضع أصعب لكنها أوقفت نبضات قلبها الثائرة و الخائفة و تحلّت بالشجاعة و هي تخطو نحو هذا الشارع الرئيسي بقلب جريء مُتصلب، لكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، فما إن وطأت السيارة بهذا الشارع حتى مرّت سيارة متعجرفة من أمامها جعلتها ترتبك و تظن أنها ستفتعل حادثاً؛ صرخت بفرع و هي تُحرك عجلة القيادة بعيداً عن تلك السيارة لكنها لم تنتبه إلى ذاك المتجر الصغير الذي اخترقته و دمرت كل شبرٍ به.

إرتد جسدها للأمام تزامناً مع إرتطام السيارة بذاك المتجر و تدميره، وجدت صاحب المتجر يضرب بيديه على زجاج السيارة و الغضب يتطاير من عينيه :

-إنت يا أعمى ... إنزلي من العربية دي لا طربقها فوق نفوذك

ترجلت داليا من السيارة بضربات قلب متصاعدة و العرق يتصبب من جبينها، حاولت الاعتذار بقولها :

-والله العظيم ما قصدي...

وجدت الرجل يمسكها من تلابيب هذا الرجل الذي لعنت اليوم الذي تلبست فيه جسده، كان يهزها صاحب المتجر بغنف حتى ظنت أنه سيلكمها :

-أقسم بالله لو ما دفعتلي تمن إلي حصل لأجرجرك في الإقسام

غضبت داليا من كونه يمسكها بهذه الطريقة و هي لا تزال تظن أنها فتاة و لا يجب أن تُعامل إلا بالبرقة، أطبقت على شفثيها بغضب لأن أكثر ما تكرهه هو أن يحاول رجل أن يتناول عليها، كذلك لم تُعجبها هذه الطريقة الفظة المُحملة بالتهديد و التي يتحدث بها هذا الرجل، دفعته بكل قوتها و هي تصيح بوجهه :

-ما تبعد إيدك يا راجل إنت، ما قولتلك أنا أسفة و هدفعلك إلي إنت عايزه

لم تكن تعلم أن هذا الجسد بهذه الصلابة، فما إن دفعت الرجل حتى سقط على الأرض وارتطمت رأسه بشيءٍ صلبٍ جعلت دماؤه تنزف بغزارة، شهقت دالياً بفرع ما إن انتبهت لما فعلته و ما جعل هذا الرجل يزداد غضباً و يتهجم عليها حتى تضخم هذا الجدل في حين عُمره و شارك فيه المارة بل و الشرطة أيضاً...

لم تتوقف حدقتاه عن التحديق بصديقه المخادع، حتى أنه في لحظة غفل عن هذا الجسد الذي استوطنه و الذي من المفترض أن ينام في الطريق كالعادة، و هذا ما آثار ريبة كوكي التي كانت تجلس جواره، كانت كوكي تعبت بالهاتف الخاص بها في صمتٍ تامٍ قطعه مُعترز بتسأل :

-أوصل حضرتك العيادة يا أنسة داليا ؟

لاحت ابتسامة ساخرة على وجه إسلام و هو داخل جسد داليا، أردف بعدها بسخرية :

-أنسة داليا، إيه الإحترام ده ؟

رمقه مُعترز ببلاهة لا يفهم لما تتحدث هذه الفتاة بتلك الطريقة و كأنها تعرفه منذ قديم الأزل، توعدت معدة إسلام فجأة و أنته رغبة مُلحة للذهاب إلى المرحاض؛ تقدم بجذعه للأمام ليردف بجدية :

-وقف بسرعة عند المطعم ده عايزة ... أدخل الحمام .. يلا

حاول جاهداً أن يتحدث بصيغة الفتاة كي لا يُثير الشكوك نحوه، استجاب مُعترز لطلبه بموافقة من كوكي حتى توقفا عند إحدى المقاهي حديثة التراث ليترجل إسلام من السيارة بسرعة و يذلف المطعم عازماً على التوجه إلى المرحاض لقضاء حاجته، لكنه لم ينتبه إلى تلك العلامة التي تُشير إلى دلوفه مرحاض الرجال و هو داخل جسد فتاة!!!

تجمع العديد من الأشخاص داخل مركز الشرطة يشهدون على تلك الواقعة التي تسببت بها داليا، فكان صاحب المتجر يربط رأسه التي انسلت الدماء منها و يتحدث بنبرة غاضبة تُلقي الاتهامات على هذا الهمجي من وجهة نظره :

-يا باشا الرجل ده دخل بعربيته الكشك بتاعي و كسره، أنا عايز حقي يا باشا

ارتفعت الأصوات التي أصابت داليا بالرعب و ظنت أنها ستقضي ما تبقى من حياتها ليس فقط داخل هذا الجسد بل و حتى داخل زنزانة كريمة الرائحة، أيد الشهود حديث الرجل و دافعوا عنه لأن داليا هي المخطئة بالفعل، أراد الضابط أن يستمع إلى مبررات داليا التي استوطنت جسد إسلام كي يُرغمها على دفع تعويض عما تسببت به من متاعب؛ تقدمت داليا نحو الضابط لتتحدث بنبرة متؤسلة :

-يا حضرة الضابط أنا...

انتفض جسدها فجأة مما قطع حديثها، فقد عاد إسلام فجأة إلى جسده ليجد نفسه داخل مركز الشرطة و جواره رجل بمنتصف العمر يربط رأسه التي ينسل منها الدماء، جالت على ملامحه التيه و الحيرة فتلفت حول نفسه يستطلع هذا المكان من حوله و يحاول أن يتذكر كيف جاء إلى مكان كهذا، تفحص يديه و جسده ليُدرك أنه قد عاد إلى جسده مرة أخرى مما جعله يشعر بالراحة التي قطعها الضابط بنبرة صارمة أعادته إلى الواقع :

-إنت إيه؟؟

أراده أن يستكمل ما كاد يقوله لكن إسلام لم يكن يعرف عما يتحدث هذا الضابط فأشار على ذاته و هو يُجيب الضابط ببلاهة :

-أنااا ... أنا إسلام

أطلق الضابط نيراناً من عينيه و هو يهتف بوجه إسلام :

-و حياة أمك!!

أشار على الرجل صاحب المتجر الصغير ليستكمل حديثه :

-الراجل ده بيشتكي عليك

شهو إسلام في صدمة أشار معها على نفسه ليردف بغير تصديق :

-بيشتكي عليا أنا !! ليه ؟ دا أنا حتى طيب و غلبان

أنهى حديثه باستعطافٍ أثار حفيظة الضابط الذي هتف بوجهه :

-إنت هتستعبط يلا...

تؤسل له إسلام لأنه يريد تفسيراتٍ منطقية جعلته يأتي إلى هنا :

-أبوس إيدك يا حضرة الضابط قولي أنا عملت إيه ؟

تنهد الضابط بنفاد صبر ليخبره الحقيقة و هو يُشير على صاحب المتجر :

-الراجل ده بيقول إنك دمرتله المحل و فتحتله دماغه، و في شهود بيأكدو الكلام ده

شهو إسلام مجددًا في صدمة سقط معها فكه و هو يُشير على نفسه متفوّهاً بغير تصديق :

-أنا !!! أنا عملت كل ده!!

تدخل الرجل بالحديث بعد أن طفح الكيل به :

-أنا عايز حقي يا باشا

رفع من صوته و هو يطالب بحقه و كان إسلام في حالة من التيه و الارتباك لأنه لا يدري من أقحمه في تلك المشكلة، وجه الضابط حديثه نحو إسلام ليردف بصرامة :

-إنت هتدفع غرامة عشر تلاف جنيه تمن الحاجة إلي اتدمرت ياما هتتحول على
النيابة، إنت فاهم ؟

سقط فك إسلام و هو يردف بصدمة :

-ع .. عشر تلاف جنيه!!

لم يكن بحوزته هذا المبلغ لأنه جاء للتو على هذه البلدة دون أن يملك بجعبته سوى حفنة من النقود التي أضاف عليهم من وظيفته و أنفق منهم لمستلزمات المنزل حتى لم يتبقى معه سوى خمسة آلاف جنيه سيضطر أن ينفقهم ليهرع من هذا المكان قبل أن يتدمر مُستقبله، أصر الضابط على قراره مُضمرًا التهديد في كلماته حتى عاد إسلام من صدمته و قرر أن يطلب المساعدة من صديقه لعله ينجده من هذا الموقف.

-لو سمحت ممكن أعمل مكالمة تليفون

وافق الضابط و أعطاه الهاتف الخاص به ليُجري مكالمة هاتفية على صديقه قال بها
بهلع :

-إسمعني يا معتر ... حوَلِي خمستلاف جنيه بسرعة أنا في مصيبة

أغلق الهاتف في ارتباكٍ لا تزال الحيرة و التخبط طاغيتان على وجهه لكنهما إمتزجتا
بالغضب ممن أوقعه في هذا المأزق...

على الجهة الأخرى كانت داليا قد عادت إلى جسدها لتشعر بالراحة و السعادة لأنها خرجت من ذلك الموقف المقيت، احتضنت جسدها بامتنان كالمرّة السابقة و ما هي إلا لحظاتٍ قليلة حتى اكتشفت وجودها بالمرحاض، تقف أمام الباب لعلها كانت على وشك الرحيل، تنهدت بأريحية ثم فتحت باب المرحاض كي تهرع من هنا و تواصل حياتها...

أُجمت مكانها لتخرج شهقة من فوهها جعلتها تُغلق الباب بسرعة و تستند عليه بقلب
ينبض من الحرج :

-أنا إيه إيلي دخلني حمام الرجالة ؟

كانت تستمع إلى أصوات الرجال تتهااتف أمام الباب و يتحدثون بأمر تُصيبها
بالحرج، لطمت على وجنتيها و هي تقول بهلع :

-أعمل إيه دلوقتي؟؟ هخرج من هنا إزاي ؟

بقيت تستند على الباب لعلمهم يرحلون لكن ما يحدث أنه كلما ذهب رجل حل محله
رجل آخر حتى امتلاء المرحاض بالرجال و بقيت هي الأثنى الوحيدة!!

-أنا هفتح و هجري بسرعة قبل ما ياخدو بالهم

همست بهذه الجملة بقرارة نفسها لكنها تراجع عنها بسرعة ما إن رمقت يداها :

-لا، بس أنا هحتاج أغسل إيدي ... خلاص هبقى أغسلها لما أخرج من هنا

سرفت أنفاساً متتالية و كان آخر نفسٍ فيهم طويلاً قبل أن تدلف هذه المعركة من
وجهة نظرها، فتحت الباب و تقدمت خطوة سريعة جريئة لعلها تركض بعدها و
تهرب من هذا المكان، لكن ما حدث أنها ما إن خطت قدمها خارج المرحاض حتى
اصطدمت بجسد رجل يبدو عليه الوقاحة؛ شهقت في فزع و هي تنظر إلى الرجل
الذي يرمقها بصدمة تحوّلت إلى السخرية مع كلماته :

-إيه ده !! إنتِ بنت!!

رفع من صوته فانتبه له جميع من بالمرحاض و بقوا يُحدقون بداليا التي شعرت و
كأن دلو من المياه الباردة قد سُكب عليها، إزدردت غصتها في توتر و حاولت
التبرير لهم بصوتٍ متلعثم و العرق يتصبب من جبينها، تحركت خطواتٍ قليلة للأمام
لكن هذا الرجل الوقح حاول محاصرتها حتى كاد قلبها يهوي من موضعه..

-ما تخليكي يا قطة إنا ضايقتناكي في حاجة

خرجت حروفها متلعثمة حاولت معها الابتعاد عنهم بخطواتٍ مرتبكة :

-لأ .. أنا .. لازم أمشي

ما هي إلا برهة حتى هرولت من أمامهم بسرعة تدفع من يقابلها بحدة و تستمر بالركض بأقصى سرعة لها حتى تركت هذا المقهى و طفقت تبحث في الطرقات حتى وجدت السيارة التي تجلس بها كوكي، ركضت نحوها بسرعة لتستقلها و قلبها لا يزال ينبض بسرعة من شدة الهلع، صفعت الباب وراءها بأطرافٍ مرتجفة و العرق يتصبب من جبينها، عقصت كوكي حاجبيها و تعجبت من حالتها الرثة فتسأل :

"ماذا حدث ؟-? what is wrong "

أجابت داليا وسط لهيئتها بصوت مُرتبك و وجنتان حمراوتان يبدو عليهما الحرج الشديد :

-مفيش يلا إمشو بسرعة..

استجاب مُعترز لحديثها ليتحرك بالسيارة إلى الوجهة المرادة...

سلب القمر الأضواء ليحل الظلام في كل مكان و تتبدد الأصوات بما فيهم أصوات الزواحف و الطيور، وضع يديه على الباب ليفتحه بجسدٍ متهاكٍ بعد هذه المتاعب التي يواجهها منذ بداية اليوم، يكاد يجزم أنه أضحى مريضاً نفسياً بسبب ما يحدث معه، فربما كل ما حدث له هو إحدى أعراض مرضٍ نفسيٍّ شائع...

جاس المنزل بملامح باهتة قطعها مُعترز الذي كان يجلس على الأريكة يتصفح هاتفه لكنه ما إن رأى إسلام حتى وثب من مكانه ليعتذر له بضيق :

-آسف والله يا إس ... لولا إن كان عندي مرافعة في المحكمة كنت جيتلك علطول

همهم إسلام و السخرية تلوح على وجهه لأنه يعرف أن ما يتفوه به هو محض من الهراء، تخطى مُعتر ليرتمي بجسده على الأريكة و يبقى صامتاً حتى جلس مُعتر جواره فقال :

-بقولك إيه يا زوز أنا بفكر أجيب سواق لغاية ما العربية تتصلح، متعرفش سواقين ؟

تلطخت كلماته بالمُكر و الدهاء مما أصاب مُعتر ببعض الارتباك و ظن أن إسلام أدرك ما أراد إخفاءه، تلعثم مُعتر قليلاً لكنه بالنهاية حافظ على صموده و هو يقول :

-إيبيه ... لأ معرفش .. هعرف مين يعني ؟

واصل إسلام حديثه الماكر و هو يشيخ بنظره عن مُعتر كي يواجهه بالحقيقة :

-غريبة ... أنا قولت السواقين عارفين بعضيهم

أحتقن وجه معتر و بدأ العرق يتصبب من جبينه، تتحنح لِيُجلي حنجرته و هو يقول بارتباكٍ و أحرفٍ مرتجفة :

-ه... هما مين دول إلي يعرفو بعضيهم ... إنت .. إنت تقصد مين ؟

هبطت يد إسلام على كتف معتر ليحادثه بتسفي :

-إنت عارف أنا بتلكم عن مين يا محامي

إتكأ على آخر كلمة لِيُبرهن لمُعتر أنه قد عرف الحقيقة، أنكس معتر رأسه لأسفل و الحرج يكسو كل شبرٍ به، إبتلع غصته و هو يتحدث بارتباك و بعض الحيرة :

-إنت ... عرفت إيه؟؟

أراد أن يتأكد إذا كان قد عرف الحقيقة أم أنها فقط مجرد شكواكٍ ليس إلا، لكن إسلام فاجأه بحديثه المتهمك :

-عرفت الحقيقة يا أسطا..-

أشار على ذاته ليواصل الحديث بنبرة عتاب :

-أنا بتخبي عليا !! بعد العشرة إليي بينا ... لأ و عمال تقول المحامي راح المحامي
جيه .. و إنت في الآخر حته سواق

أوقف معتر حديثه بنبرة هجومية دافع بها عن ذاته :

-ما إنت عارف إني كان المفروض أبقى محامي .. لولا بس إني إترفدت من
الجامعة

أنكس رأسه مع آخر كلماته بضيقٍ استترفده إسلام فسأل :

-طب إنت مقولتليش ليه إنك إترفدت من الجامعة، مقولتليش ليه إنك معرفتش تبقى
محامي زي ما كنت عامل حسابك

كادت الدمعات تترقرق على وجنتي معتر و هو يُجيب بقلة حيلة :

-مش عايز أرجع البلد يا إسلام، عيلة أبوية لو عرفت إني بشتغل سواق هيجبروني
أرجع و أشتغل في شركة أبوية ... و إنت عارف إني مش عايز حاجة تربطني
بالراجل ده

كان يعرف إسلام بتلك الخلافات التي بين معتر و والده الذي تسبب بوفاة
والدته، لذلك تفهم لما أخفى عنه الحقيقة خشية من أن يفشي إسلام سره لأحد و خشية
أيضاً من التعرض للتهكم ما أن يُدرك صديقه أن الذي ظن طوال حياته أنه محامٍ
جليل يضحى بالنهاية مجرد سائق، أحاطه إسلام بذراعه ليُطمئنه :

-عارف يا صاحبي ... بس بردو مكنش المفروض تخبي عليا، إحنا بقينا عايشين
تحت سقف واحد

أوما معتر بتأييد لحديثه ثم اعتذر له بندم :

-أنا آسف، بس إياك تقول لحد في البلد إني سواق

أنهى حديثه بتحذيرٍ ليربب إسلام على كتفه كي بيثه الطمأنينة :

-ولا تفلق .. مش هفتح بوقي

مرّت برهة من الصمت حتى أردف مُعترز بحاجبين مقطوبين و لكنة متسألة :

-هو إنت صحيح عرفت إزاي إني سواق ؟

رفع إسلام حدقنيه لأعلى يحاول أن يعثر له على إجابة لسؤاله، فكان يتمتم بقرارة نفسه :

-أجيبهاله إزاي دي ؟...

فكر هنيهة و لم يجد إجابة منطقية فقال :

-إبيه ... حسيت

عقص مُعترز حاجبيه بحيرة إزدادت أكثر و كاد يسأل المزيد من الأسئلة لكن إسلام قطعه و هو يثب من مكانه مُغيرًا ضفة الحديث :

-أنا جعان .. هروح أجيب أكل من المطبخ أجيبك معايا ؟

نفى معترز برأسه فأردف إسلام بأريحية قبل أن يبتعد من أمامه :

-أحسن بردو...

قالها ثم رحل أمام نظرات معترز المتعجبة من حالته، و متعجبة أيضًا منذ معرفته لما حدث مع إسلام، حيث رفض أن يخبره الحقيقة ليس لأنه لا يريد بل لأنه لا يعرف، و هذا ما زاد من حيرته....

تجلس كوكي على فراش داليا تتحدث معها كعادتهما أغلب الأوقات، كان من المفترض أن تأتي قمر لكنها اعتذرت اليوم لانشغالها بتنظيف المنزل مع والدتها المهووسة بالنظافة و إعطاء الأوامر، أرخت كوكي ظهرها للوراء تصغي باهتمام لداليا الجالسة أمامها تتحدث عما يحدث لها بحيرة و تيه :

-أنا حاسة إن فيا حاجة غريبة ... أنا بلاقي نفسي فجأة بروح مكان ثاني

تقدمت كوكي بجذعها للأمام تستفسر منها باهتمام :

-إزاي يعني؟؟

رفعت داليا كتفيها دلالة على الجهل و هي تقول :

-معرفةش، يعني أنا إنهاردة كنت في القسم، و مرة واحدة لقيت نفسي في الحمام

إزدادت حيرة كوكي لتعقص حاجبيها في غرابة أردفت معها باستنتاج :

-ما يمكن بيتهيا لك

سألته داليا بشك :

-تفتكري؟؟

ربتت كوكي على كتفها لتبثها بعض الطمأنينة :

-أه... don t worry ... أكيد إلتِ فيه ده بسبب ضغط الشغل

أومأت داليا بتفهم على الرغم من عدم اقتناعها البتة، فما يحدث معها لا يستطيع عقلها الصغير ترجمته على أنه مجرد حُلْمٍ أو هلاوس بصرية حتى، فكل شيء تستشعره كما لو أنه حقيقيًا، حالت بينهما برهة من الصمت قطعتها كوكي بلهفة و هي تقول :

-عايزة بقى أكلمك عن الرجل إللي إتعرفت عليه من النت، ده كيو ت

و شبهى أوي كمان

عقست داليا حاجبيها بحيرة و هي تسأل :

-إتعرفتي عليه إزاي ؟

آجابت كوكي بصدق :

- من application

تعارف، بس **don't worry**، هو ميعرفش حتى اسمي الحقيقي

حاولت داليا تحذيرها بقولها :

-أيوة بس الحاجات دي مش صح، و إنت المفروض تكوني عارفة

تفوّت كوكي بتبرير لنفسها على الرغم من أنها خاطئة :

-أنا عارفة، و انا واخدة بالي، بس الرجل ده مختلف ... شكله محترم و كمان
مامته ماتت زيي، فهو حاسس بنفس إحساسى... و بجد لما بتكلم معاه بحس إن هو
فاهمني

تعجبت داليا من إطراءات كوكي على ذاك الرجل و كأنها تعرفه لذلك سألتها بحيرة :

-هو اسمه إيه ؟

-هو قالي زيزو .. بس **I think** إن اسمه بيبدأ بحرف الـz ممكن يبقى زياد أو
زين

وجهت كوكي حديثها نحو داليا تحاول أن تُفسر لها كم أنها حذرة :

-إحنا بنتكلم مع بعض عادي كأننا إخوات، بس شكلنا هنبقى في relationship
"علاقة"

بان الرفض على ملامح داليا مما أبقاها صامته تحاول أن تستجمع حديثها دون أن تنهر صديقتها، لاحظت كوكي صمتها فتقدمت بجذعها أكثر كي تحصل على رأيها
بالحاح :

-ها .. ساكتة ليه ؟

تنهدت داليا بعمقٍ قبل أن تُجيبها بصدق :

-إنتِ عارفة رأيي في الموضوع ده من الأول، العلاقات إلي بتيجي من السوشيال ميديا كلها fake و مش حقيقية، لأن الشخص على الطبيعة بيكون مختلف تمامًا و غالبًا بيبقى أسوأ، و ساعتها إنتِ بس إلي هتضري

حاولت كوكي استمالتها بالحديث :

-بس ممكن يكون مختلف لأحسن، أو ممكن الإختلاف مش كبير

تنهدت داليا بخيبة أمل ثم أنهت الحديث بتحذير :

-بوصي يا كوكي، متديش أمان لأي حد، و متعلقيش نفسك بشخص كل معرفتك بيه على السوشيال ميديا إلا بقى لو هو كان راجل جد و جيه يطلبك من باباكي علطول ... و إياكي تقوليلي relation و بتاع ... الكلام ده عندكم في أمريكا ...
إنما هنا يا جواز يا متكلميهوش نهائي

أومأت كوكي رأسها بتفهمٍ للحديث الذي دائمًا ما تُلقيه داليا على مسامعها، فداليا هي أكثر من يعرف بالعلاقات و أضرارها و عن تلك العادات و التقاليد التي لا تفقه كوكي عنها شيئاً بسبب ترعرعها في بلاد أجنبية، فهي ترى أنه أمر طبيعي أن تتحدث مع شخص غريب على وسائل التواصل الإجتماعي لكن الحقيقة أن ما تفعله سينعكس عليها بالسلب في النهاية، مع آخر حديث داليا تمننت أن يأتي هذا الذي لا

تعرف اسمه ليتزوجها و يرتاح بالها، رفعت يدها إلى السماء تناجي ربها بصوتٍ مسموع :

-يارب يبجي يتجوزني يارب

ربتت داليا على كتفها و هي تكمل حديثها بتوصية :

-إن شاء الله تتجوزو و لما تتجوزو بقى و تتخانقو إن شاء الله كدة، متنسيش داليا حبيبتك ... إتفقنا

عصت كوكي حاجبها في حيرة قالت معها :

-داليا على فكرة الصحاب بيدعو لأصحابهم إنهم يعيشو حياة زوجية مفياش خناقات ... إنت الوحيدة إلي بتدعي إننا نتخانق

بررت داليا حديثها بقلة حيلة :

-معلش بقى أكل العيش مُر

صاح صوت الهاتف الخاص بكوكي لترى اسم والدها يُزين الشاشة، مما يعني أنه يريد أن تذهب معه إلى المنزل؛ وثبت من مكانها تصافح داليا بعناقٍ أخوي قالت معه :

-أنا لازم أمشي عشان بابي مستيني .. باي

لُوحت لها داليا قبل أن ترحل و تتركها وحدها بالحجرة، استندت داليا بظهرها على الفراش ترفع يدها للسماء لتدعو ربها قبل أن تخذل إلى النوم :

-يا رب .. يا رب بكرة مصحاش ولد يا رب

قالتها ثم قررت النوم على أمل أن يستجب ربها لدعائها و يتركها داخل جسدها الحبيب...

سواد قاتم يحل على تلك البقعة التي تنبجس منها هالات من الشر و الضغينة، فكأن من يجلس على تلك المقاعد هم شياطين و ليسوا من البشر، يوجد صورة كبيرة مُعلقة على الحائط تحمل شكل هرم تخرج منه أشعة تُشبه أشعة الشمس، هناك عين كبيرة إنتصفت هذا الهرم يرى البعض أنها عين العناية الإلهية للتعبير عن علم الإله بكل شيء، إجتمع على تلك الطاولة المستديرة مجموعة رجالٍ من عُلية القوم و أكثرهم حُبناً و ضغينة، فهم يجتمعون في كل مرة لعلهم يجدون خطة تساعد على السيطرة على العالم، ترأس الطاولة ضرغام و كان هو قائدهم و الأكثر حُبناً و دهاءً من بينهم، تحدث بإنجليزية مُتقنة نظراً لكونه نصف إنجليزي و نصف مصري، كذلك كان الأعضاء من جنسيات مختلفة و لم يكن بينهم سوى اثنين فقط يتحدثون العربية بخلاف ضرغام :

-نحن في عالم يتطور بشكلٍ دائم، و كلما كثرت هذه التطورات إزدادت قدرتنا على السيطرة على العالم و محو آثار البشر

تجوّل حول الأعضاء ليوصل حديثه بخُبت :

-تخيلو معي أن يضحى باستطاعتنا تحرير أرواحنا من أجسادٍ فانية و نقلها إلى جسد معافى بكل سهولة و يسر، تخيلوا أن تنعموا بحياة خالية من الأمراض كلما مرّت عليكم السنوات وقتها يُمكننا أن نحيا لآلاف السنين دون أن نكثرث لجسدا الذي يفقد رونقه يوماً بعد يوم ... فما فائدة الجسد و نحن نتنقل بأرواحنا

تبادلت نظراتهم في تيهٍ من حديثه المُبهم، أردف فاتح نظمي إحدى أعضاء هذه المؤسسة :

-و ما الذي سنجنه إذا كانت حياتنا أطول؟؟

تدخل جيفري أحد أعضاء المؤسسة صاحب الجنسية الإيطالية :

-سنستطيع أن نتمتع بحياة أبدية نتمكن بها من القضاء على العالم و نتمتع بعدها

لاحت ابتسامة على ثغر ضرغام و هو يؤيد حديثه :

-هذا ما كنت سأقوله

عقب سليم دويدار صاحب الجنسية المصرية و اللبنانية :

-كيف سنجعل أرواحنا تنتقل ؟

عاود ضرغام السير و هو يُفسر لهم :

-هل سمعتم عن ما يُسمى بالإسقاط النجمي؟؟

نفوا برؤوسهم دلالة على الجهل فأكمل بنبرة علمية :

-الإسقاط النجمي هو تفسير لحالة الخروج من الجسد، فالأجساد التي استجابت أرواحها لنداءات التنقل يُصبح لديها هيئة نجمية تُمكنها من الانفصال عن جسدها الفيزيائي هناك طريقتان تجعل هذه الهيئة النجمية تتكون داخلنا الطريقة الأولى هي طريقة روحانية تساعدنا على التواصل مع الروح و ندعوها للاستجابة لنا ... لكن العيب أنها طريقة خطيرة و ليست مضمونة أيضاً لذلك سنلجأ إلى الطريقة الثانية و هي أن نعثر على من يملك هذه الأرواح المتنقلة كي نُجري العديد من الأبحاث حتى نتوصل إلى تلك الهيئة النجمية و نزرعها داخل أجسادنا ... و من بعدها سنُصبح أرواحًا متنقلة و ننعيم بالحياة الأبدية...

الفصل الرابع (أصبح الخيال حقيقة)

وسط هذا الكون المليء بالضباب، نجد شعلة من الضوء تمحي هذا التشوش و تجعلنا نرى عالمًا آخرًا يختلف كثيرًا عن العالم الذي ظننا أننا نعرفه...

فتحت عينيها بترو خشية من تحقق أكبر مخاوفها في الفترة الأخيرة و تجد ذاتها في مكانٍ آخر، فقد أحببت جسدها كثيرًا في الفترة الأخيرة بعد أن كانت تسبه و تتمنى أن تحصل على جسدٍ آخر أكثر رشاقة، أما الآن فهي تحترم جسدها كما لو أنه صديقها الصدوق، اعتدلت في جلستها و تنهيدة عميقة تخرج من جوفها بعد أن تأكدت أنها لا تزال بغرفتها العزيزة، لاحت ابتسامة سعيدة على ثغرها و هي تقول :

-الحمد لله يا رب ... لسة موجودة زي ما أنا

ترجلت من الفراش لتذهب إلى المرحاض و تبدأ يومها كما تفعل يوميًا، وطأت أقدامها المرحاض و ما إن التقط عيناها بالمرآة حتى أطلقت شهقة عالية وضعت معها يدها على صدرها من هول الصدمة، فمرآة الحمام لا ينعكس عليها صورتها!!

إقتربت من المرآة بفاه مفتوح لا تُصدق ما تراه، فركت عينيها بكلتا يديها لعلها تتوهم ما تراه أمامها :

-هو أنا بحلم ثاني ولا إيه؟؟

بقيت عيناها تُحدقان في المرآة حتى هرعت فورًا من المرحاض لتدور حول حجرتها لعلها تعثر على تفسير لما يحدث، فهي لا ترى انعكاسها على أية مرآة ...

-أنا شوفت الحوار ده في فيلم قبل ... أه أكيد أنا مش لاقيا نفسي زي الفيلم ... أيوة فعلاً .. شكلي كدة مش لاقيا نفسـ

قطعت حديثها ما إن رأت انعكاسًا لنفسها على مرآة الحجرة لكن و هي لاتزال مستلقية على الفراش، شهقت بصوتٍ عالٍ و هي تُشير بإصبعها على المرآة و تردف بصوتٍ مرتفع :

-نفسى أهى...-

تصاعدت ضربات قلبها مع حيرتها التي تزداد أكثر فأكثر، جلست جوار جسدها
المُستلقي على الفراش لتتحدث بذعر :

-إزاي ... إزاي حصل كدة؟؟-

أخذت أنفاسًا متتالية لعلها تُهديء من روعها و تُفكر بطريقة حكيمة، مرّت برهة من
الصمت و التحديق بتيهٍ في جسدها حتى استسلمت للأمر و أرخت ظهرها للوراء
لتردف باستنتاج :

**-هو أنا كدة قاعدة مع نفسى !! ... يعنى أنا لو إتكلت دلوقتي .. هبقى بكلم نفسى
بحق و حقيقي!!-**

تتهدت بعُمقٍ لتشيح بنظرها عن جسدها المستلقي و تُحدق في سقف الحجرة لتنتهز
الفرصة و تتحدث بأريحية :

**-طيب ... طالما أنا بقى قاعدة مع نفسى، فأحب أقولك يا داليا على كام قرار أنا
عايزة أخده الفترة إلي جاية_**

قطع حديثها صوت والدتها الذي صدح عاليًا و جعلها تنتفض من موضعها كلما
إقتربت خطوات والدتها من الحُجرة لتوقظها من النوم كي لا تتأخر على وظيفتها،
لطمت على وجنتيها بهلعٍ و هي تقول :

-أعمل إيه دلوقتي؟؟ دا ماما لو شافتني اتنين ممكن تروح فيها..-

دلقت والدتها الحجرة و طفقت تقترب من جسد داليا و تهتف بصوتٍ حانٍ :

-يلا قومي يا حبيبتى عشان الشغل ... يا دودو ... يلا يا حبيبتى عملت الفطار

كانت روح داليا تناديهـا و لا تعلم كيف لا تسمعها والدتها، حتى أنها وجدت والدتها تقرب نحوها حتى كادت تجلس بنفس البقعة التي تجلس بها و كأنها ليست موجودة من الأساس، تحركت داليا قليلاً و هي لا تزال تنادي على والدتها حتى وجدت نفسها تلتصق بجسدها، انتفضت فجأة قبل أن تفتح عينيها مجدداً و تجد ذاتها لا تزال مستلقية على الفراش و كأنها للتو آفاقت من النوم، وجهت نظرها نحو والدتها التي تُخبرها أن تتناول الفطور معها لأن صديقتها كوكي ستنتظرها بالأسفل و لن تأتي هي و قمر اليوم، استجابت داليا لحديث بسمة لكن ملامح الذعر و التخبط لا يزالان على وجهها، فما إن رحلت بسمة حتى أردفت باستنتاج :

-هو أنا روعي خرجت برة جسمي!!-

مرّت بضع ساعاتٍ كانت كوكي بهم داخل السيارة بعد أن أوصلت داليا إلى وجهتها و حان دورها ليقبلها معتر إلى وظيفتها، كانت صامته طوال الطريق تعبت بهاتفها كالعادة و إمارات التملق تلوح بجسدها و تصرفاتها، قطع معتر صمتها بسؤال :

-هتروحي على المدرسة علطول يا أنسة كريمة ؟

زمجرت كوكي بغضب من مناداته لها بهذا الاسم الذي تمقته، أغلقت هاتفها لتتقدم بجذعها قليلاً كي توبخه و تُخبره أنها تمقت هذا الاسم للمرة التي لا تعلم عددها :

-إنت مش بتفهم يا بني آدم إنت ... مش قولتلك مليون مرة متقوليش يا كريمة

عاندها مُعتر بحدة لأنه لن يسمح لأمثالها أن تنهره بهذا الطريقة حتى و لو كان يعمل لديها :

-و هو يعني الاسم ده جبته من دماغي .. ما هو اسمك... و بعدين فيها إيه لما أقولك كريمة، محسساني إني بقولك يا شعبان

أنهت الجدل معه بإصرار أطبقت معه على شفيتها :

-إسمع الكلام و إنت ساكت، إنت المفروض بتشتغل عندنا، يعني إلی أقولك عليه
يتسمع

شعر ببعض الإهانة من حديثها لذلك لم يمنع نفسه من الرد عليها بنفس لكانتها
الهجومية الصارمة :

-لا إسمعي مني بقى يا حلوة، أنا صحيح شغال عندكم بس ليا كرامة، و مش واحدة
زيك إلی هتمشي كلامها عليا إنتي فاهمة

هتفت كوكي بوجهه و الغضب يجتنحها :

-لأ همشي كلامي عليك، و لو مسمعتش كلامي هقول لبابي يمשיك و يجيب سواق
غيرك

استخف معترز بحديثها الذي لم يكن يعنيه بتاتاً :

-قوليله يا ختي هخاف منك يعني، دا على أساس إني هموت و أبقي سواق عند
حضرتك

زمجرت بغضب و قررت ألا تتحدث معه مجدداً على أن تطلب من والدها أن يأتي
لها بسائق آخر يحترمها و يعاملها كملكة بدلاً من هذا الوقح الذي يثير حنقها، أكمل
معترز القيادة لبرهة قصيرة في صمت قطعه هرولة رجل ملثم من إحدى المتاجر
الكبرى و وراءه مجموعة من الرجال، أوقف هذا الرجل السيارة التي يقودها معترز و
رفع سلاحه أمام معترز كي يتحرك إلى المقعد الآخر و يترك له أمر القيادة..

شهقت كوكي بفرع و غطت وجهها خوفاً من ذاك المُلثم الذي معه السلاح و يُهددهما
به، استجاب معترز لحديثه أيضاً و جلس على المقعد المجاور للقيادة و أمامه السلاح
يتم إشهاره على وجهه :

-مش عايز أسمع صوت

قالها المُلثم بصوتٍ مرتفعٍ لكوكي التي كانت تصرخ من الخوف و مُعترز الذي إزدادت ضربات قلبه و بقي مستسلمًا ليرى ما سيفعله هذا المُلثم، فبالطبع لن ينتهي هذا الأمر دون خسائر جثيمة خاصة مع تلك العربة التي تتابعهم لتأتي بذاك المُلثم و الأشياء التي قام بسرقتها...

تحركت سيارتهم بسرعة تعادل سرعة البرق ثم تنحرف لليمين و اليسار بغوغانية تجعل أجسادهم ترتد في كل الاتجاهات، حاول مُعترز أكثر من مرة أن يوقفه عند حده لكن السلاح الموجه على رأسه يمنعه من التحرك قيد أنملة، سكنت كوكي قليلاً و تقدمت بجذعها لتواجه مُعترز بعينيها التي أشارت حدقاتها على مقود السيارة لعله يُنفذ ما يدور بذهنها و الذي استطاع مُعترز فهمه بعد العديد من المحاولات ...

حيث وثبت كوكي من مقعدها تُغطي أعين المُلثم حتى لا يستطيع القيادة فيتدخل مُعترز و ينزع السلاح منه ليستطيعا النجاة من برائته، كان كل شيء يسير كما خططت له كوكي بالضبط فيما عدا تلك السيارة التي لم تجد من يقودها وسط شجارهم فاصطدمت بقوة بإحدى الأشجار...

أرخی ظهره للوراء يُطلق العنان لأفكاره على أمل أن تعثر له على تفسير لتلك الغرابة التي تُحيط به، فمذ أتى إلى هنا و هناك شيء عجيب يحدث معه كما لو أنه داخل إحدى أحلامه، بل هذا الحلم يكاد يقترب من الحقيقة، وضع يده على الطاولة كي يلتقط إحدى الأقلام الجافة و يبدأ بتحريكه في الهواء كحركة تُشتت ذهنه و تحد من الملل الذي اغتابه، استيقظ البارحة في جسد فتاة غريبة داخل منزل غريب، و قد تكرر هذا أكثر من مرة، فتارة يجد نفسه فتاة و تارة يعود إلى جسده مجدداً و هو لا يعرف كيف يحدث هذا و لا يجد تفسيرًا منطقيًا على ما يحدث له ...

وضع القلم على الطاولة بعد أن جاهدته أفكاره و تضخم رأسه من كثرة التفكير، قرر أن يقف و يستكمل التفكير و هو يتجول بأرجاء المكتب بعد أن طالبتة قدميه بالتجول قليلاً، هب من مقعده ليبعد خطوات عن المكتب، لكن هناك شيء غريب يحدث معه الآن ...

يشعر و كأن جسده يتحرك بكل سهولة و انسيابية على الرغم من جلوسه على المقعد لأكثر من ثلاث ساعات، تجاهل هذا الشعور و بقي يتجول بالحجرة حتى وصل إلى الباب، قرر أن يهرع إلى صديقه سمير ليتحدث معه قليلاً قبل أن تزدهم العيادة بالمرضى، وضع يده على مقبض الباب كي يفتحه لكن العجيب أن يده لا تشعر أبدًا بلمس المقبض كما لو أنه فقد الإحساس، عقد حاجبيه بحيرة حتى توصل إلى استنتاج أبله قاله بصوتٍ منخفض :

-أنا ليه مش حاسس بالأوكرة ... يُكنش عندي كورونا

نفي استنتاجه بسرعة :

-لأ الكورونا شم و تذوق بس ملهاش علاقة باللمس ... مش يمكن ده مرض جديد ؟

إزدادت حيرته بل و تلطخت بارتباكه أيضاً بسبب عقله الذي لا يُفكر سوى بالأمراض و الكوارث لكثرة ما يبقى بالمشفى بين مرضاه، وضع يده على المقبض مرة أخرى لكنه يعجز عن فتح الباب لسبب جهله، بعد العديد من المحاولات التي لا فائدة منها أتى بذهنه أن أحدهم قد أغلق عليه الباب من الخارج كنوع من أنواع المزاح الثقيل بين الزملاء، لا يدري أي شخص يُمكن أن يفعل هذا لكنه قرر أن يضرب الباب حتى ينكسر و يُلْقن هذا الأرعن درسًا، أطبق على شفتيه ثم عاد خطوتان إلى الورا استعدادًا لدفع الباب، انقض على الباب بكل ما أوتي من قوة لعله ينكسر و يهرع من تلك الحجرة، لكن ما حدث فاق كل توقعاته ...

فقد وجد نفسه خارج الحجرة بالفعل يقف بمنتصف ردهة المشفى دون حتى أن يسمع صوت الباب يتهشم أو يراه ملقياً على الأرض حتى، استدار بوجهه ليرمق الباب و يجده كما هو كما لو أنه لم يلمسه من الأساس، أخذ يُتمتم بحيرة و صوتٍ مسموع :

-هو أنا إزاي خرجت من العيادة و الباب مقفول؟؟

اقتحم هذا السؤال رأسه حتى قرر معاودة الكرة و التوجه نحو الباب مجددًا ليعيد ما فعله للمرة الأولى، تقدم بخطواتٍ سريعة نحو الباب على أمل أن يدلف الحجرة، و بالفعل وجد نفسه داخل عيادته دون أن يفتح الباب؛ اتسعت بسمته و هو يُعيد الكرة

أكثر من مرة و كأنه يُجرب لعبة ما بمدينة الألعاب، فهو لا يعلم كيف يخترق الحائط بهذه السهولة، توقف عند ردهة المشفى ببسمة واسعة تعنلي ثغره بعد أن توصل إلى سبب اختراقه للباب مما جعل الحماس يصل إلى قمته :

-إيه الحلاة دي !! أنا عندي قوة خارقة!!-

كاد يطير من الفرحة لأن أمنية حياته طيلة العُمر أن يضحى من أولئك الأبطال الخارقون اللذين يشاهدهم في صغره و يتمنى أن يضحى مثلهم، كان يظن أنهم مجرد خرافات ليست حقيقة لكنه الآن أضحي يؤمن بتلك الخرافات و طفق يُهيء ذاته بأنه بطلاً خارقاً و عليه أن ينقذ العالم من الشر، بل و أخذ حتى يُجهز سترة بذهنه تُشبه سترات الأبطال الخارقون حتى يرتديهم في مهماته ...

خرج من بحر أفكار على صوت باب عيادته و هو يفتح ليتوغل إليها صديقه سمير مساعده، استغل هذه الفرصة و أراد أن يُخبر صديقه عن تلك القوة التي اكتشفها بنفسه، ركض وراء سمير يناديه بصوت مرتفع متلهف :

-إلحق يا سمير أنا عندي قوة خارقة ... يا سمير..-

ظل ينادي على سمير و لا يلقى أي استجابات منه و كأنه لا يتحدث من الأساس، و لاه سمير ظهره و طفق ينادي :

-دكتور إسلام .. يا دكتور...-

آجابه إسلام الذي كان يعتقد أن لديه قوة خارقة :

-ياض يا سمير أنا أهو وراك إنت اطرشت ولا إيه...-

و للمرة الثانية لا يلقى أي إجابات حتى غضب إسلام من الأمر و ظن أن صديقه يعاني مشكلة ما بسمعه ..

-إنت يا زفت أنا بكلم-

بتر كلماته و هو يرمق هذا المشهد أمامه، فهو يرى نسخة طبق الأصل منه تجلس مكانه على مقعد المكتب الذي قد تركه منذ فترة، كانت هذه النسخة تغمض عينيها و لا تتحرك أبدًا كما لو أن الروح خارجها، أو هي هكذا بالفعل، احتقن وجهه من تلك الصدمة، وضع يده على فاهه المفتوح و عقله الذي أوصله إلى استنتاج آخر أكثر بلاهة :

-يا مصيبي !! هما عملولي إستساخ و أنا نايم.. !!

إقترب سمير من جسد إسلام و طفق يُحركه بقلق و يردف :

-دكتور إسلام يا دكتور ... يلاهوي دا مفيش نفس...

يراقبه إسلام و هو يقف أمام سمير في ريبة لا يفهم كيف يرى نفسه نسختين و لا يفهم لما لا يراه صديقه أو حتى يسمعه، لكنه بالنهاية توّصل إلى استنتاج أصابه بالصدمة :

-مفيش نفس !! يعني أنا ميت!!

إنتهى من الاستنتاج الذي وصل إليه ليهول سريعًا إلى جسده يحاول أن يُحركه مع كلماته المذعورة :

-لا أبوس إيدك قوم ..أنا مش عايز أموت دلوقتي

وجد نفسه ينتفض فجأة و يفتح عينيه ليجد أن جسده قد عاد مجددًا إلى مكتبه و أمامه سمير ينظر له بقلق :

-إنت كويس يا دكتور؟؟

حاول إسلام حجب ما حدث بتحجج :

-أه الحمد لله ... كنت مقيل " نائم " شوية بس .. هو في حاجة ؟

تنهد سمير بأريحية بعد أن اطمأن أن شكوكه كانت خاطئة، أوماً بعدها رأسه ليُخبر
إسلام ما أتى لأجله :

-أيوة في ... عايزينك دلوقتي عشان في عملية

أوماً إسلام رأسه و أخبره أنه سيأتي وراءه حالما يحضر بعض الملفات الخاصة
بالمريض الذي سيتم إجراء عملية جراحية له، ما إن رحل سمير عن العيادة حتى
أرعى إسلام ظهره للوراء بعد أن وصل إلى استنتاجٍ لما قد حدث للتو :

-طلعت كمان بتحوّل لشبح ... إيه الحلاوة دي!!

توقف بسيارته أمام تلك الجريدة التي من المفترض أن تضحى قمر بها الآن وفقاً
لمعلوماته عنها، اصطف بسيارته ببقعة بعيدة نظراً لعدم وجود أماكن أخرى، فلا
يُمكنه أن يصف سيارته جوار الجريدة حتى لا يأخذ أية مخالفة.

كانت قمر بهذا الوقت قد وصلت أخيراً بعد عناءٍ طويلٍ بالحافلة و وقوفها طوال
الطريق كالعادة لعدم وجود مقاعد خالية، تحركت بخطواتٍ رتيبة نحو الجريدة لكن
فجأة ... اصطفت سيارة سوداء كبيرة الحجم وراءها ليهرع منها بعض المُثمنين و
يكتنفونها بعد أن أجبروها على اشتداد إحدى الروائح التي تجعلها تغط بالنوم و لا
تُصدر أية من الأصوات.

كان المكان خالٍ من السكان فيما عدا لؤي الذي رأى كل ما يحدث أمام عينيه و هرع
نحوها ليحاول إنقاذها لكنه للأسف وجد السيارة تنطلق فوراً بعد أن أخذوها معهم،
عاد بسرعة إلى سيارته كي يستقلها و يذهب وراءهم عازماً على إنقاذها من أولئك
الذين لا يعرف لما قاموا باختطاف فتاة مثلها و لماذا؟!...!!

هزات عنيفة أصدرها هذا الرجل المُقيد على مقعد القيادة، انزاح الغطاء عن وجهه
لتظهر قسّمات وجهه الحادة و الغاضبة مع لحيته البنية و أعينه الخضراء التي ظهر

بهما الخُبث، كانت رأسه تسيل منها الدماء إثر هذا الارتطام الذي حدث بالسيارة، فما حدث بعد أن أدار مُعترز المقود هو ارتطامهم بإحدى الأشجار، لم يتأثر بهذا الحادث سوى ذاك المُلثم لأن كوكي تشبثت جيداً و مُعترز ألقى بنفسه على المُلثم فجعله يرتطم بباب السيارة و يُغشى عليه لفترة وجيزة استطاع فيها معترز تقييده و انتزاع السلاح منه.

ما إن فتح الرجل عينيه حتى وجد مُعترز يوجه السلاح نحوه و يردف بصرامة استطاع تمثيلها جيداً.

-إياك تتحرك و إلا هفرغ السلاح ده في دماغك

رفع من صوته ليضحى صارماً و حاداً لكن كوكي كانت وراءه تربت على كتفه و تنادي :

-مُعترز ... يا معترز

التفت لها ببكرة مندفعة :

-في إيه ؟

همست بأذنه و هي تُشير على السلاح :

-إنت ماسك المُسدس بالمقلوب

وجه مُعترز نظره نحو السلاح ليجد يده توجّه مسكة السلاح على رأس اللص و ليس فوهته، حمحم بجرح ثم أمسك السلاح من مسكته ليوجهه مجدداً نحو اللص مع كلماته الهامسة :

-مأخذش باله الحمد لله

عاود اللص حركاته العنيفة كي يتملص منهم فرفع مُعترز من نبرة صوته مجدداً عازماً على تهديده هذه المرة :

-إثبت مكانك أحسنك...

أضافت كوكي على حديثه و هي تتصنع الحدة :

-أيوة إحنا كلمنا البوليس و هيبجي يقبض عليك

قزّب مُعترز رأسه ناحيتها ليسألها بصوتٍ هامس :

-إنتِ كلمتي البوليس ؟

أجابته بصوتٍ خافتٍ مُتعجب :

-إنتِ مش قولتلي إنك هتكلمه

برر لنفسه بنبرة أكثر انخفاضًا لكنها لا تزال مسموعة :

-أنا معيش رصيد أكلمه

تنهدت كوكي بخيبة أمل ثم أخرجت هاتفها لتتصل هي بالشرطة بينما أعاد مُعترز نبرته الصارمة كي يهابه هذا اللص :

-خليك مكانك بقولك...

مرّت بضع دقائق و هما داخل السيارة يجرسان اللص حتى لا يفر من مكانه حتى أتت الشرطة و ألقَت القبض عليه بعد أن تشكروا معترز و كوكي و أرسلوا إليهما إحدى الشاحنات لنقل سيارتهما إلى مكان يتم به اصلاحها، بعد انتهاء هذه الضجة إقتربت كوكي من مُعترز كي تعتذر له عن تلك الفظاظة التي تعاملت بها معه في بداية اليوم :

-سوري عشان زعفتك الصبح

كانت كلماتها تخرج منها بلطافة جعلت مُعترز يتعجب منها، لكنه لم يُبدِ تعجبه و هو يردف بهدوء اعتذر معه أيضاً :

-و أنا كمان آسف لو كنت ضايقتك ... و عشان بقولك يا كريمة و أنا مش عارف ليه بتكرهي الاسم ده

بررت له كوكي بنبرة حزينة :

-لما كُنت عايشة في أمريكا كانوا صحابي بيتريقو عليا بسبب الاسم ده، كان بنالسبالهم اسم غريب، و اتعرضت لمضايقات كتير بسببه، عشان كدة كنت بقولهم يقولولي كوكي عشان محسش إني مختلفة عنهم

أوما مُعترز بتفهم و استنياء أيضاً لما تعترضت له في صغرها بسبب اختلاف الثقافات، أردف بنبرة لطيفة أوقد بها حزنها :

-اسمك حلو على فكرة ... و أنا أوعدك إني هناديكي بالاسم إللي إنت عايزاه إن شالله لو كان إبراهيم

نفت كوكي حديثه الساخر ثم طلبت منه بلطف :

-لأ، قولي يا كوكي

وافق على حديثها بمشاكسة :

-كوكي !! ... ناجتس يعني ... تمام هقولك يا ناجتس

ابتسمت إثر كلماته كما ابتسم هو الآخر و لا يدري كيف انقلبت الأوضاع بتلك الطريقة، فقد كانا يتشاجران منذ برهة قصيرة إلى أن حدث هذا كله و انقلبت الأوضاع، سار وراءها حتى استقلت السيارة مجدداً بعد أن تم إصلاحها، عليه أن يقلها إلى منزلها كما يفعل دائماً، فهو لا يزال السائق الخاص بها و لا يجب أن يضحى غير ذلك...

فتحت عينيها لتجد الظلام و الفراغ يحلان على تلك الحجرة الصغيرة، حاولت تحريك جسدها لكنها وجدته مُتصلبًا مكانه تمنعه تلك القيود السميقة عن الجراك، حاولت الاستنجاد بأعلى صوت لها لكن محاولاتها بأت بالفشل، فما هي إلا بضع ثوانٍ حتى ظهر أمامها رجل ضخم البنية و جواره حوالي رجلين من نفس قامته يرتديان ثيابًا سوداء كليلة قاتمة، ما إن رأتهم قمر حتى هتفت بأعلى صوتٍ لديها :

-إنتو مين؟؟

تقدم نحوها قائدهم بنبرة صارمة :

-إنتِ إلي مين؟؟ و عايزة إيه من المعلم فاتح؟

تهتفت قمر بالحديث و هي تقول بخوفٍ غطا كلماتها :

-م... مين المعلم فاتح ده؟

رفع الرجل من نبرة صوته كي تهابه :

-إنطقي يا بت و قولي إنتِ مين و مين إلي مشغلك

ارتعدت قمر من الخوف و هي تُجيبه بعد أن ظنت أنه سيلكمها :

-خلاص خلاص .. انا قمر

رمقها الرجل بتقززٍ بعد أن ظن أنها تمزح و تستخف بحديثه :

-إنتِ هتستهلي يا بت، قمر إيه و إنتِ شبه البُرص الجعان قولي يا بت اسمك إيه؟؟

كادت الدموع تُذرف من عينيها من شدة الخوف و هي تقول :

-يووه، والله العظيم قمر ... انا اسمي قمر

أوماً الرجل بتفهم ليُكمل استجوابه بحدة :

-مين إللي مشغلك ؟

أجابت قمر بصدق و هي لا تعلم عما يتحدثون :

-الأستاذ يُسري ... والله هو إللي مشغلني في الجريدة، بس و حياة ماما عمري ما كتبت حاجة في الجريدة غير حظك اليوم و ساعات الكلمات المتقاطعة أبوس إيديكم أنا واحدة هبلة و مش حمل الكلام ده..

و اصلت تؤسلاتها لعلهم يتركوها وشأنها، لكن الرجل إضجر من ثرثرتها و أخرج هاتفه ليُريها إحدى المقاطع لعلها تتذكر ما فعلته، قرّب الهاتف نحوها و هو يقول :

-مش دي إنتِ؟؟

اتسعت حدقتا قمر و هي ترمق صورتها داخل المقطع و تردف بذهول :

-أه صحيح، دا أنا فعلاً ... بس إيه ده الطرحة مش معدولة

أزاح الرجل الهاتف عنها و هو يقول بصرامة :

-كنتي بتقولي إيه للمعلم فاتح، و إيه إللي سجلتيهوله ... يلا إنطقي بدل ما يكون ده آخر يوم في عُمرِك

إزدردت قمر غصتها بخوفٍ و قد بدأت تتذكر ما يتحدثوا عنه حتى أردفت :

-آآآاه ... إنت قصدك التسجيل إللي خلّيت فيه الراجل إللي في الفيديو ده يعترف بكل حاجة؟؟

بقي يرمقها بترقبٍ حتى وجدها تُكمل حديثها ببلاهة :

-تصدق فكرتي، أنا كنت عايزة أدي التسجيل ده للشرطة و نسيت، كويس إنك فكرتي

ابتسم الرجل بُخبت بعد أن تأكد أن تلك الحمقاء لم تفشي سرهم، أخرج سلاحه من جيبه ليوجهه على رأس قمر و هو يقول باصرار :

-كويس إنك نسيتي، إبقى وديه في الآخرة بقى

احتقن وجه قمر و طفقت تسب غباءها بقرارة نفسها :

-الله يحرقني، إيه إلهي قولته ده، كان لازم أتزفت و أتسحب من لساني

أغمضت عينيها باستسلام و كانت تنتظر مصيرها و الخوف يتقاطر من جبينها، كادت الدموع تُذرف على وجنتيها و هي ترى نهايتها بأعينها لكن فجأة...

صوت طلقاتٍ نارية خرجت من فوهة إحدى الأسلحة التي ظنتها لو هلة هذا السلاح الموجه على رأسها و أنها ستلقى حتفها، أطلقت صرخة مدوية فتحت أعينها بعدها لتجد هذا الرجل ملقياً أمامها لا تعلم إن كان ميتاً أم ماذا، لكنها ترى دماءً تسيل من قدمه و كذلك رأسه، شعرت بأيدي أحدهم يفك وثاقها فالتفتت للوراء لتجد شاباً يبدو مألوفاً عليها لكنها لا تتذكر أين رأته بسبب ذاكرتها الضعيفة ...

-إنت مين ؟

-أنا لؤي، لازم تخرجي من هنا بسرعة

-أنا_

كادت تُعرف ذاتها ما إن فكت وثاقها لكن لؤي قطعها ليُكمل حديثها لأنه يعرفها جيداً:

-قمر هلال أبو ستين

تعجبت قمر من معرفته لاسمها الثلاثي فسألت :

-إنت عارفتني؟

-أه، و إنتِ كمان عرفاني بس مش فاكرة

قطع حديثهما صوت طلقاتٍ نارية مصوّبة نحوهما فاخْتبأ لؤي خلف الجدار و معه قمر ليتبادل بعض الطلقات مع الرجال المتبقين، أصاب واحد منهم في صدره و الآخرون لم يستطع النيل منهم، التفت لينظر إلى قمر و يُلقى تعليماته :

-هعد لتلاتة و نطلع نجري من هنا بسرعة...

أومأت قمر بتفهم و الرعب يبرز على ملامحها :

-واحد ... اثنين ... تلاتة

ما إن أنهى حديثه حتى هرع كلاهما من ذاك المكان يخفضا جذعيهما حتى يحميا أنفسهما من طلقات النار، أوقف حركتهما ظل لرجلٍ ضخم البنية يوجه فوهة سلاحه عليهم و كذلك لؤي الذي قابله بصرامة و وجه سلاحه عليه هو الآخر، كانت قمر تختبئ خلفه تستظل بحمايته حتى أُردف الرجل بوعيد :

-لو إتحركتو خطوة واحدة هتمشو من هنا على القبر

تقدمت قمر بضع خطواتٍ لتُحدق بأعينها الثاقبة على هذا الرجل لفترة وجيزة استطاعت خلالها نشر شعاعها الذي في غمضة عين جعلته يتغيب عن العالم و يسقط مغشياً عليه، أخفض لؤي سلاحه ليوجه نظرة عابرة نحو قمر يتشكرها من خلالها ثم يركض كلاهما خارج هذا المخزن نحو سيارة لؤي، كانت تسير قمر خلفه و لا يزال الرجال المتبقون يلاحقونهما، توقفت قمر عن السير قبل أن تدلف سيارة لؤي مباشرة لتُخبره باستماتة :

-لأ، مش هركب العربية مع راجل غريب، ماما قالتلي لو عملتي كدة ممكن تتخطفي

ربطت ذراعيها لتؤكد على قرارها، لكن لؤي هتف بوجهها مُذكرًا إياها :

-يا قمر فوقى إنتِ أصلاً كنتى مخطوفة

انتبهت قمر إلى صدق حديثه و كان الرجال قد إقتربوا كثيراً حتى أطلق واحد منهم
طلقة عابرة في الهواء جعلت أجسادهما تنتفض و تهرع قمر فوراً داخل السيارة
مؤكدة على حديثه :

-أيوة صح عندك حق

استقل لؤي السيارة ليتولى هو القيادة و يهربا من أولئك الرجال....

تتحرك يداها على مكتبها بحثاً عن أي قلم لتدوّن به على بعض ملفات عملها، ما إن
وجدت القلم حتى خطت به بهدوء نظم أفكارها و جعلها قادرة على ترتيب مواعيدها،
فهي لا تستطيع أن تبدأ عملها دون أن يضحى كل شيءٍ مُرتبٍ أمامها، ليس هذا
وسواهاً قهرياً إنما فقط حباً للنظام ليس إلا، قطع انشغالها صوت صياح عالٍ تعرف
أصحابه جيداً، هذا ما جعلها تترك القلم مكانه لتنتهد بخيبة أمل تستعد معها للشجار
الذي على وشك أن تخوضه ...

-إحضرينا يا دكتورة ... الراجل ده خاين و أنا شوفته بعيني و هو بيخوني

قالتها شهيرة و هي تُشير على خُرشيد الذي استنكر حديثها بتوبيخ :

-شوفتي مين يا كدابة...

قطعتهما داليا بصوتٍ مرتفع :

-باس ... إسكتو و فهموني إللي حصل بالظبط

حادثتها شهيرة بنبرة مُستعطفة :

-يعني يرضيكي يا دكتورة، أبقى حاطة صورة على الفيس بوك و هو ميعملش ولا لايك ولا كومنت؟؟ لأ و كمان بيعمل لايك للبت ماهي بتاعت الانستغرام

برر خورشيد لنفسه بنبرة هجومية :

-يا ستي قولتلك عملت من غير ما أقصد

قطبت حاجبيها و هي تهتف بوجهه بغير تصديقٍ لحديثه :

-من غير ما تقصد !! و باقي صورها عملتها لايك بردو من غير ما تُقصد ؟

-أه من غير ما أقصد ما هي بتظهرلي كل شوية

كادت تتجادل معه لكن داليا أوقفت هذا الجدل الساذج للمرة الثانية :

-بس بقى إنتو عاملين الهلومة دي كلها عشان الزفت اللايك!!

كانت على وشك الانفجار بوجهيهما لكثرة شجاراتهما التي لا تنتهي و التي دائماً ما تنتهي بطريقة سيئة، ربطت شهيرة ذراعيها و هي تقول بتملق :

-أه ... يا دكتورة ده عمره ما عملي لايك على صوري

هاجمها خورشيد بحديثه :

-و إنتِ كمان مش بتعملي لايك على صوري، إكمن صوري بتبقى أحلى من صوركِ إلي ملهاش لازمة دي

شهقت شهيرة بصدمة من وقاحتها؛ تحوّلت عوالمها إلى أخرى غاضبة في حين غمرة حتى قالت :

-أنا صوري وحشة ... طب والله لافتح دماغك

أمسكت المزهرية التي كانت على الطاولة و كانت على وشك أن تقذفها على خورشيد لكن داليا أمسكت يدها لتمنعها و هي تصيح بكلاهما لكن فجأة...

انتقلت فجأة إلى حجرة العمليات داخل إحدى المستشفيات، كانت الرائحة كريهة حولها و قناع الوجه كان يُغطي فمها، شهقت بصدمة و هي ترى يديها الممسكتان بالمشروط و الملتطختان بالدماء كما هذا الجسد الذي يرقد على الفراش أمامها، لم يأتي ببالها أنها انتقلت إلى جسد إسلام و هو بمنصف إحدى عملياته الجراحية، بل اعتقدت أنها انتقلت إلى تاجر أعضاء يقوم بتقطيع الجثة التي أمامه ...

أطلقت صرخة مدوية ألفت معها المشروط ثم ارتدت للوراء أمام حيرة باقي الأطباء ...

-يا دكتور إسلام ... العملية

لم تنصت داليا التي استحوزت على جسد إسلام لأي من الأحداث و بقيت تتراجع للوراء حتى اصطدمت بالحائط لتجد الباب جوارها، فتحت الباب بسرعة لتهرع من تلك الحجرة قبل أن يُغشى عليها من منظر هذه الدماء، فكان هذا بمثابة كابوسٍ تتعرض له و لا تعرف أنها بهذه الفعلة ستجعل إسلام يتعرض للمسألة و من الممكن أن يتجازى بسببها...

على الجهة الأخرى كان إسلام داخل عيادة داليا يقف بين هذين الزوجين الذي لاحظ أنهما يتشاجران و هو يمسك بيد إحدى الفتيات، ترك يد شهيرة ليتلفت حوله في ذعرٍ و يسب حظه بقرارة نفسه :

-الله يخرب بيت الحظ، دا أنا كنت في نص العملية ... أعمل إيه أنا دلوقتي ؟

لطم على جبهته من تلك الكارثة التي قد تُعرض مستقبله للخطر أو أنها عرضته بالفعل، بقي في حالة من الصدمة و الضيق إلى أن قطعه صوت شهيرة الحانق :

-يا دكتورة ... أنا مش هسكت على إيلي خورشيد بيعمله ... هضربه يعني هضربه

انتبه إسلام لحديثها الذي أخرجه من قوقعة قلعه، لاحت ابتسامه على ثغره ما إن استمع إلى كلمة شجار، فكم يُحب هذه الكلمة، فهو من الأشخاص الذين يُحبون الوقوف أمام المشاجرات كي يشاهدها و يستمتع بها على عكس أولئك الذين يتدخلون لإصلاحها، استند بظهره على المكتب و هو يقول ببساطة :

-عايزة تضربه؟؟ ... إضربه إنتِ مستنية إيه

وافقت شهيرة فورًا على حديثه فأمسكت المزهريه لتلقيها على خورشيد لكنها لم تُصبه و وقعت على الأرض لتتهشم إلى مئاتٍ من القطع، لم يتوقف شجارهما عند هذا الحد بل كان خورشيد يهرب منها و يلتقط كل ما يقابله بغرفة العيادة كي يُلقيه عليها، استمر الجدل بينهما مع أصوات الضجيج الصادرة من تلك الأشياء التي تتهشم، يشاهدهما إسلام من بعيد بابتسامه تعطي ثغره يتمتع بمشاهدة هذا الجدل و كأنه يُشاهد إحدى العروض السينمائية على أرض الواقع، فهو لا يكثر حتى لهذه العيادة التي تتدمر أمام عينيه...

أوقف سيارته قُرب بناية تقبع بإحدى الأحياء البسيطة، كادت تترجل منها قمر لكنه أوقفها لرغبته في الحصول على تفسيرٍ لما حدث، و ما الذي يريدونه هؤلاء الرجال منها...

-أنا عايز أعرف دلوقتي مين الناس دي و عايزين منك إيه؟

سألها بصرامة أعادت هالات الخوف بداخلها، استجمعت قواها رغم أنها هشة لا تتحمل هذه الكوارث :

-و الله ما أعرف هما مين ... بس إلي فهمته إنهم تبع الراجل ده إلي عملت معا حوار و سجلتله و هو بيقول على البلاوي إلي بيعملها

ساورته الشكوك حيال حديثها فقطب حاجبيه و هو يسأل رغبة في الحصول على مزيد من الاستفسارات :

-مين ده إللي إنت سجلتيه ؟

حاولت قمر النيش في ذكرياتها لعله تتذكر هذا الذي يتحدثون عنها، لكن ذاكرتها لم تساعدها ككل مرة؛ حيث اعتصرت عقلها و هي تُجيبه :

-مش فاكرة ... كان راجل ثقيل كدة كنت بعمل معا حوار في إفتتاحية باين ... كان اسمه ... اسمه ... حاجة كدة ليها علاقة بالألوان

رفعت إصبعها لأعلى بلهفة بعد أن ظنت أنها تذكرت الاسم أخيرًا :

-أه ... اسمه غامق

عقص لؤي حاجبيه بحيرة من ذاك الاسم الأحمق حيث قال :

-غامق !! ... هو في حد يبقى اسمه غامق ؟

آجابته بجهل :

-معرفش بقي هو اسمه كدة

أدرك فورًا أنها لا تتذكر الاسم بصورة صحيحة لذلك حاول مساعدتها بشتى الطرق :

-طب إفتكري كدة ... الإفتتاحية دي كانت بتاعة إيه و إمتي؟؟

فكرت قمر هنيهة قبل أن تقول :

-كانت إفتتاحية مصنع ... ثانية واحدة كدة

تذكرت الأسئلة التي حفظتها بالهاتف الخاص بها، تلك الأسئلة التي سألتها بالحوار و قررت أن تحتفظ بها كي لا تفقدها إذا تضررت الأوراق، طفقت تعبت بهاتفها لو هلة حتى وجدت الأسئلة و استطاعت أخيرًا أن تعرف اسم المصدر و عن أي إفتتاحية تتحدث عنها ..

-أهو ... إفتتاحية مصنع حديد ... و صاحب المصنح ده اسمه فاتح نظمي

جحظت عيناه في صدمة ما إن أردفت بهذا الاسم أمامه :

-فاتح !! إنت مسجلة لفاتح نظمي و هو مُعترف بكل حاجة!!

أومات رأسها ببساطة و كأن ما فعلته هو مجرد شيء هين، أضافت أيضًا على حديثه
لثبرر لذاتها :

-هو مرضيش يعمل معايا الحوار، فاضطريت أعمله تنويم مغناطيسي و آخذ
المعلومات إلی أنا عايزاه، بس لقيته بيقلولي كل شغله الشمال و أنا وقتها كنت
بسجل

فتح فاهه بغير تصديق من حديثها الذي قد يضحى مهمًا في قضيتهم، لكنه أيضًا لعن
غباها بقوله :

-يعني إنت كل ده معاكي إعراف من فاتح نظمي بكل الو*** إلی عملها و
مؤدتيش التسجيل للبوايس!!

بررت لنفسها بقلة حيلة و نبرة اندفاعية :

-أنا أعمل إيه يعني ما أنا نسيت مفيهاش حاجة يعني لما أنسى

ضرب على مقود السيارة بنفاد صبر قال معه :

-إرحمني يا رب...

أخفض رأسه لوهلة ليستجمع قواه العقلية التي قد أتلفتها، رفع رأسه بعدها ليرمقها و
يسأل :

-فين التسجيل؟؟

-عملتي إيه!!-

إرتدت قمر للوراء رهبة من نبرته الحادة، حاولت التبرير لنفسها بخوف :

-والله العظيم ضغطو عليا و أجبروني أعترف بكل حاجة

ضم قبضته لعلها تمتص غضبه قبل أن يثور عليها، كانت نبرته تحمل القليل من السخرية التي إمتزجت بشكلٍ طفيفٍ مع حنقه :

-ما إنت زي الفل أهو، مين دول إلي ضغطو عليكي، بعدين إنت إتخفتي أقل من ساعتين، لحقتي تقوليلهم على كل حاجة!!

تراجعت قمر للوراء و هي تُجيبه بخوف :

-ما نبرة صوتهم كانت بتخوفني أعملك إيه يعني ؟

تنهد مجدداً بنفاد صبرٍ كبت معه شحنة غضبه، أشاح بنظره عنها كي لا يُفجر رأسها و طفق يسأل نفسه، كيف لهذه الفتاة ذات القدرات غير العادية أن تضحى بهذه السذاجة، أعاد نظره نحو قمر ليُحذرهما بصرامة :

-اسمعي كويس ... الناس دي مش هتسيبك، و هيحاولو يقتلوكي تاني

ما إن أدلى بهذه الجملة حتى شهقت في ذعر وضعت معه يدها على صدرها و هي تقول :

-يعني أنا مهددة بالقتل!!-

أكمل حديثه بنفس الصرامة و اللكنة التحذيرية :

-أيوة مُهددة بالقتل، الناس دي مش سهلة، و لغاية ما تفتكري مكان التسجيل فين، إياكي تخرجي من البيت غير لما تتصلي بيا ... هاتي موبيلك

مدُّ يده ليأخذ هاتفها و يُسجل عليه رقمه، أعطته الهاتف بإمارات القلق مُصطبغة على وجهها لا تعرف من أين تأتيها هذه المصائب، تلعن هذه اللحظة التي وافقت فيها على إجراء الفيتشر بدلاً من زميلتها، فياليتها بقيت تدوّن الكلمات الفارغة الخاصة بالحظ و الطاقة على خوضها هذه المصائب و تعرض حياتها للخطر، أعطاها الهاتف مجدداً بعد أن سجل رقمه فكانت هي على وشك الترحل من السيارة لكنها تذكرت شيئاً ما فسألته :

-لؤي بيه..-

انتبه لؤي لحديثها الذي كان

-هو إنت عرفت منين إن أنا مخطوفة ؟-

هدأت نبرته قليلاً و هو يقص عليها حقيقة الأمر بصدق :

-بصراحة أنا كنت جايلك في خدمة و شوفتهم و هما بيخطفوكي فمشيت وراهم، بس دلوقتي موضوع التسجيل دا أهم من الخدمة إللي كنت عايزها... فُخدي بالك من نفسك

اختصر الحقيقة ببضع كلماتٍ كانت كفيلة بإرضاء جزءٍ من فضولها، فلو أكثر بالحديث معها لا يعلم من ستُخبره هذا الثرثرة بحقائق لا يجب لأحدٍ أن يعرفها، لذلك إكتفى باحجاب الحقيقة و التركيز على ذاك التسجيل الذي سيضحى دليلاً قوياً على ارتكاب فاتح لجرائمه و اعترافه بهم بنفسه...

أوراق متناثرة في كل مكانٍ بتلك الحجرة، ظهرت يد ضرغام من بينهم و يبدو على وجهه الغضب العارم، كان معه حفنة من الأوراق التي تفحصها لوهلة ثم ألقاها مع بقية الأوراق المتناثرة كما لو أنه ألقى قنبلة موقوتة و انفجرت بوجهه، ركل الأوراق عديمة الفائدة من وجهة نظره لأنه لا يستطيع إيجاد مبتغاه، فهو يبحث بتلك الحجرة منذ بداية اليوم و لا فائدة تُرجى من البحث.

دلف الحجرة شاب بمقتبل العُمر، الشقيق الأصغر لضرغام، أشفق على أخيه من تلك الحالة التي به منذ هذا الحادث الخاص بزوجته، فهو يعلم كيف يهيم بها عشقاً و يستعد لفعل أي شيء حتى تعود إليه زهرته كما كانت، حتى ولو اضطر لخداع أعضاء المنظمة كي يساعده على خطته الشيطانية.

-ضرغام ... مش هتلاقي حاجة هنا ... بابا حرق كل حاجة

قالها مخيمر شقيق ضرغام كي يتوقف شقيقه عن العبث بدون فائدة، التفت له ضرغام ليُخبره بنبرة هجومية تحمل الإصرار في طياتها :

-لازم أعرف التجربة اتعملت أول مرة إمتي ... لازم أوصل لأي حد من الأرواح المتنقلة

آراد مخيمر أن يحصل على مزيد من الاستفسارات لذلك سأل :

-و إيه علاقة إللي أرواحهم متنقلة بتاريخ أول تجربة

إقترب منه ضرغام و هو يُجيبه بثقة :

-كل الأرواح إللي إتولدت في نفس يوم التجربة بقيت أرواح متنقلة ... و أنا لو قدرت أعرف اليوم ده كان إمتي، هيبقى سهل عليا أوصل لواحد منهم

إقترب أكثر نحو مخيمر ليُشير عليه مع قوله :

-أنا لو عرفت أنقل مراتي من جسمها ... هعرف أنقلك إنت كمان...

فتحت باب المنزل بتر و لتدافه بخطواتٍ متهدجة تُحيطها عوالم الذعر و الخوف، أوقفنها والدتها التي كانت بالمطبخ و قد ظنت أن قمر في وظيفتها التي تبقى بها إلى أن توشك الشمس على المغيب، لكن الشمس لاتزال بازغة و ها هي قمر قد عادت من عملها الذي من المُفترض أن تعود منه بعد ساعتين.

-إيه إلهي رجّعك بدري؟؟

سألتهما والدتها أثناء إنهماكها بجلي الصحون، حيث أن باب المنزل قريب من المطبخ، فما إن تدلف المنزل تجده قبالتك، تنهدت قمر قبل أن تُخبر والدتها الحقيقة دُفعة واحدة:

-كنت مخطوفة..

يبدو أن هذا الحديث لم يخترق لب عقل والدتها التي ظنتها تمزح فرفعت حاجبيها و هي تقول :

-لا يا شيخة ... و هو إلهي خطفك مستحملش قعدتك فرجعك تاني؟؟

أجابت قمر ببلاهة لم تكن تُدرك أن والدتها تسخر من حديثها :

-لا، أنا هربت منهم

تنهدت نجمة والدتها بلا مبالاة لا تُصدق معها هذا الهراء، فمن سيقوم باختطاف أحدهم في وضح النهار و لمدة ساعتين فقط؟؟، أرذفت نجمة :

-طب إدخلي بقى طبقي الغسيل بما إنك جيتي بدري

أطبقت قمر على شفتيها و شعور بالحنق يغمرها لأن والدتها لا تكثرث لحديثها بل و لا تُصدقها أيضاً، توغلت داخل المنزل و هي تُدبب على الأرض و تقول بتذمر :

-يووو... بقولك كنت مخطوفة إنتِ ليه مش عايزة تصدقيني

كانت نبرتها مرتفعة حادة مما أثار حفيظة نجمة فوبختها:

-إنتِ كمان بتعلي صوتك عليا يا قليلة الرباية ما تشوف بنتك يا هلال

وجهت الحديث لهلال والد قمر الذي يجلس بالبهو في هدوء تام يتصفح إحدى الجرائد و معه فنجان القهوة كعادة يفعلها ما إن يعود من وظيفته، لكن اليوم لديه إجازة من العمل فكان هكذا طوال اليوم، اتجهت قمر نحوه تستنجد به لعله يُصدقها، ركعت على ركبتها قبالة لتُخبره بتوسلٍ :

-بابا والله العظيم كنت مخطوفة و متهددة بالقتل إنتو ليه مش مصدقين إن أنا في خطر

أزاح هلال الجريدة عن وجهه لينتبه لحديث ابنته، فما إن أنهت حديثها حتى قال بصوتٍ رخيمٍ يحمل القليل من القلق :

-إيه !! إنتِ كنتي مخطوفة بجد!!

لاحت إمارات الأمل على وجهها و هي توميء برأسها و تقول :

-أيوة والله و متهددة بالقتل كمان

ربت والدها على كتفها ثم إردف بهدوء :

-معلش يا حبيبتي .. معلش

قالها بلامبالاة اعتادها مما أوقد نيراناً من الغضب داخل قمر حتى وثبت من الأرض تقول بسخط :

-معلش !! والله العظيم أنا لو جرالي حاجة هيبقى ذنبي في رقبتم

دببت بقدميها مجدداً داخل الحجرة حتى ارتمت على الفراش بين كومة الملابس التي وضعتها والدتها على فراشها عمداً حتى تُجبرها على طيها، إقتربت منها شمس و كذلك شهاب و قد سمعا ما قالته بصوتٍ عالٍ مما زرع بداخلهما بذرة الفضول، فكانت تسأل شمس بتشكك :

-هو إنتِ بجد كنتي مخطوفة ؟

آجابت قمر بنفاد صبر :

-يووه ... والله أيوة إنتو ليه مش مصدقين؟؟

إقتربت منها شمس لتسألها بلهفة :

-طب المكان إللي خطفوكي فيه لقيتي فيه حشرات غريبة، ما هو أكيد الأماكن دي بتبقى مليانة فران و حشرات... فقولولي بقى شوفتي حشرات إيه ؟

كانت شمس من القلائل و ربما النوار من الأشخاص الذين يُحبون الحشرات بأنواعها و يقومون بدراستها و جمعها، كادت قمر تهم بتوبيخها حتى أُردف شهاب شقيقها البالغ من العمر عشرة أعوام :

-حشرات إيه !! أكيد مش هتبص على الحاجات دي

كانت قمر على وشك أن تمدح شقيقها العاقل حتى وجدته يقترب نحوها و يسألها بلهفة:

-هما يا قمر خطفوكي إزاي، أصل أنا عايز أعمل مقلب في واحد صاحبي و أخطفه فعايز أعرف هما عملو إيه عشان يخطفوكي

لاحت إمارات الغضب على وجهها ما إن أدركت نوايا شقيقها و أدركت أيضاً أنها لا تعني شيئاً بهذا المنزل، فجميعهم يسخرون من حديثها، دفعت شقيقها بعيداً عنها لتردف بحدة :

-إبعد يلا إنت و هي و سيبوني لوحدي... هي مش نقصاكم أصلها

ما إن تركاها وحدها في الحجرة حتى نزعت حجابها و ارتكنت داخل الفراش تحتضن ركبتيها في مزيج من الغضب من تلك الأسرة و الخوف مما يحدث معها، تكاد تجزم أنه إذا أصابها مكروهاً ما فلن يتذكرها أي منهم فيما عدا والدتها التي ستحزن فقط لأنها لن تساعد بتتنظيف المنزل.

بقيت على تلك الوضعية حوالي ساعتين حتى قطعها دلوف كل من داليا و كوكي التي غطا شعرها الطحين و ظهر على وجهها التذمر ، رحبت بها داليا بعناقٍ دافيء و عندما جاء الدور على كوكي سألت قمر و هي تُشير على شعرها :

-هو إيه الدقيق إلي على شعرك ده ؟

آجابت داليا بدلاً عنها :

-اتكعبت في مقلب من مقابل شهاب

كانت كوكي تُنفض الطحين من شعرها و تردف بتذمر :

-مش راضي يطع

ربتت داليا على كتفها لتطمئننها :

-إبقي اغسله لما ترؤحي

وجهت الحديث بعدها لقمر كي تسألها عن سبب غيابها عنهن بالفترة الأخيرة، وجدت قمر تتنهد بيأس و تقول :

-أصل أنا اتخطفت إنهاردة ... و كلهم مش مصدقيني...

قصت عليهن ما حدث بالتفصيل أمام نظراتهن المذهولة من حديثها و آذانهن التي أصغت لها بامعانٍ تام، فلا تعلم قمر إن لم يكن لديها أصدقاء مثلها لمن كانت ستشكوا همومها، ما إن انتهت من الحديث حتى أردفت داليا لتبرر لعائلتها :

-ما هم عندهم حق بردو ... أصل مش منطقي إنك تتخطفي و ترجعي في نفس اليوم و الصبح

ربتت كوكي على كتف قمر لتواسيها :

-الحمد لله إنك رجعتي بالسلامة، thank god إن إلي اسمه لؤي ده كان معاكي

أيدت قمر حديثها و أخبرتهن أيضاً عن ذاك التسجيل الذي لا تعرف أين وضعته و كم أنه بهذه الأهمية و لا تعلم ماذا تفعل، بعد برهة من الحديث عن مشكلة قمر و جهت كوكي ناظرها نحو داليا لتسألها بحيرة :

-هو إيه إلي حصل للعيادة بتاعتك؟؟

كانت داليا لا تعلم بالفعل ماذا حدث لأنها ما إن عادت لجسدها حتى رأت عيادتها قد تدمرت كلياً و العديد من الأشخاص الذين أتوا إثر الضجيج يجتمعون داخلها ليفضوا الخلاف الذي تضخم كلياً، لم تجد إجابة منطقية لتقولها لأنها لا تزال تُفكر فيما يحدث معها، حتى أنها بدأت تقتنع أنه حقيقي، لذلك غيرت ضفة الحديث بقولها :

-قوليلي إنتِ بس الأول ... مروحتيش المدرسة إنهاردة ليه؟؟

تنهدت كوكي قبل أن تقص عليهما ما حدث من أحداث غريبة في هذا اليوم العجيب، أنهت الحديث بسعادة و فخرٍ مما فعلته مع سائقها :

-و بس كدة ... كلمنا البوليس و هما جُم قبضو على الحرامي ... و أنا كمان
اتأسفت لمعتز عشان كنت بز عقله الصُبح

سألته قمر بنبرة لعوب :

-و إيه أخبار سي زيزو بتاعك ... لسة بتكلميه؟

أدرجت كوكي رأسها بخجلٍ و هي تقول :

-أه ... بس أنا قولته زي ما داليا قالتلي بالظبط ... قولته إن إحنا مينفعش نبقي
صُحاب عشان أنا بنت و هو ولد

توقفت عن الحديث فسألته داليا بفضول :

-و هو قالك إيه ؟

اتسعت بسمه كوكي و هي تُجيبهما بلهفة :

-قالي إحنا ممكن نبقي زي الإخوات و أنا وافقت

تسمرت كل من داليا و قمر أمام حديثها و لهفتها، فهي قد ضربت بحديث داليا و توصياتها عرض الحائط بطريقة خبيثة و حمقاء، كادت داليا توجهها للمرة المئة لكن قمر أوقفها بخيبة أملٍ من تصرفات كوكي المتهوره :

-سببها سببها ... بكرة تاخذ على قفاها و تيجي تعيطلنا

بُهتت ملامح كوكي من حديث قمر الشامت لكنها لم تُعقب، التفتت قمر نحو داليا كي تُخبرهما عن سبب تدمير عيادتها المفاجيء :

-قولي إنت بقي العيادة بتاعتك حصلها إيه، ما إحنا أصلنا في يوم الكوارث
العالمي

أخذت داليا نفساً عميقاً تستجمع به قواها كي تُخبرهما ما استنتجته أخيراً، فلا يوجد سبب يُفسر ما يحدث معها غير هذا السبب الذي لا تُصدقه العقول البشرية، صمنت برهة قبل أن تُمهد لهن :

-أنا أخيراً عرفت سبب كل إلهي بيحصلي...

عقدت قمر حاجبيها و هي تسأل بجهل :

-هو إيه إلهي بيحصلك ؟

أجابت داليا بتفسير و لهفة :

-الحاجات الغريبة إلهي بقالها كذا يوم بتحصلي ... أخيراً عرفت الحاجات دي
بتحصلي ليه

سألت كوكي بفضول :

-بتحصلك ليه

سحبت داليا نفساً عميقاً داخل رنتيها ثم أطلقتها لتُلقِي فُنبلتها دُفعة واحدة :

-عشان أنا بتحوّل لراجل!!

الفصل الخامس (مواجهة)

أطفأت جميع نيران العالم بفعل الرياح، إلا نيران قلبي التي لا تنطفئ سوى بالسكينة

...

صوت أزيز الباب يصدح ما إن فُتح و دلف إسلام بأكتافٍ متهدلة و لمحة اليأس في خطواته، ارتدى بجسده على الأريكة أمام معتر الذي كان يجلس بعد أن جاء من عمله باكراً، كانت عينا مُعتر تُحدقان بالهاتف الذي معه بابتساماتٍ تلوح على ثغره و كأنه يقرأ إحدى النكات، لم ينتبه إلى إسلام الذي كان يقول باستياء :

-تحوّلت للتحقيق ... و كنت هترف من الشغل كمان

لم ينتبه معتر لحديثه فكان يُهمهم بلامبالاة جعلت إسلام يضجر و ينتشل هاتفه كي ينتبه إلى حديثه الغاضب :

-إنت يا بأف مش بتكلم

ما إن انتزع إسلام هاتفه من بين أصابعه حتى رمقه ببعض التذمر :

-في إيه يا سطا ؟

آعاد إسلام ما قاله بلكنة مرتفعة بعض الشيء :

-بقولك إتحوّلت للتحقيق...

عقص معتر حاجبيه بذهول من حديث إسلام الذي يبدو و كأنه اقترف إحدى المشكلات على غير العادة :

-تحقيق !! ليه ؟

سأله بذعر فأجاب إسلام بتيه و شيء من الغضب :

-بيقولو إني سببت عملية في نصها و عرضت حياة مريض للخطر

أرخی ظهره للوراء ليواصل حديثه بتذمر :

-كله من الست دي إلي ما تتسمى

قال هذه الجملة بتوبيخ لتلك الفتاة التي انتقل إليها فجأة مما تسبب له في العديد من المتاعب، لم يفهم معتر مقصده فسأله بتيه و غير تصديق :

-ست إيه؟؟ هو إنت بتصاحب بنات؟؟

نفى إسلام حديثه باستماتة :

-بصاحب إيه يلا، ما إنت عارف إني مبعرفش أتعامل مع الستات

تنهد بعد حديثه ليحاول أن يعثر على طريقة يُخبر بها صديقه بما يحدث معه منذ فترة ليست قصيرة، بقي معتر يترقبه و ينتظر تفسيره بوجه ينم عن التساؤل و الحيرة، تقدم إسلام بجذعه ليُخبر مُعتر دفعة واحدة :

-أنا عارف إن إلي هقوله يمكن يكون غريب شوية بس....

صمت برهة ثم واصل :

-أنا حاسس إن أنا بتحوّل لواحدة ست

ما إن أدلى بهذه الجملة حتى شهق معتر في صدمة قال معها :

-إستغفر الله العظيم يا رب، إنت هتكفر بربنا ولا إيه، إزاي يعني بتحوّل، إستغفر
الله العظيم يا رب _

أوقف إسلام حديثه بتوبيخ :

-مش إلی فی دماغک یا حیوان

تنهد مجددًا لیستجمع أفكاره و یحاول أن یفسر بطريقة أخرى حتی یفهمه صديقه
الأحمق من وجهة نظره، سأله معترز باستفسار :

-أومل یعنی إیه بتحوّل لست لا مواخذة ؟

سرق إسلام نفسًا عمیقًا قال بعده بجهل :

-والله ما أعرف، أنا بلاقي نفسي مرة واحدة بقیت واحدة ست، كأن روعي بتروح
جسم تاني...

كان یرمقه معترز بتیه و یواصل إسلام حديثه عن ما یحدث له حتی أنهی الحديث
بقوله :

-و بس كدة، أنا بقى بقیت واحدة ست و أنا بعمل العملية عشان كدة مكملتهاش و
إتحوّلت للتحقیق

أوما معترز برأسه یحاول أن یفهم هذا الحديث الغریب الذي یلقى على مسامعه، بعد
برهة من الصمت أردف معترز بتساؤل :

-طب هي البنت إلی بتتحوّلها دي، شكلها عامل إزاي ؟

استطرد إسلام و هو یسترخي بظهره للوراء یحاول أن یعتصر ذهنه لیتذكر تلك الفتاة
التي ینتقل إليها، فكان یحدث و كأنه یصفها أمامه :

-بُص، هي عنیها ... عاملة زي عین الكلب كدة و بوقها ... أوسع من بوق
سمكة القرش

عقص معترز حاجبيه بحيرة من حديثه بينما واصل إسلام و صفها كما یراها هو :

-مناخيرها بقى يا سيدي ... عاملة زي مناخير الخنزير ... و شعرها أحسن من
المقشاة

قطع معنز حديته مستفسرًا :

-هو إنت متأكد إنك بتتحول لست مش لحيوان أليف ؟

آجابه إسلام بثقة :

-أيوة يلا متأكد ... و اسمها كمان داليا

أوما معنز رأسه لا يزال غير مصدقًا لهذا الهراء الذي يُتلى على مسامعه، بعد برهة
من الصمت و التفكير هب معنز من مقعده ليقترح على إسلام :

-طب أنا هقوم أعمل أكل، أعملك معايا ؟

رفض إسلام متعللاً :

-لا لا مش قادر، بطني قالبية و حاسس إنى هرَجع

وضع معنز يده على فمه مع شهقة مصدومة خرجت منه و هو يقول :

-إنت حامل!!

رمقه إسلام بنظرة نارية كاد ينفجر معها لكنه خلع حذاءه و كاد يقذفه على معنز
متفوهًا :

-حامل إيه يا غبي إنت كمان

برر معنز قبل أن يُقذف عليه الحذاء :

-ما إنت لسة قايل بتتحول لست فقولت عادي يعني

لم يتحمل إسلام كتلة الغباء هذه فألقى الحذاء عليه و هو يقول :
- عادي !! ... إمشي يلا من وشي هي ناقصة غباوة أهلك...

-أنا بتحوّل لراجل

مرّت ثانية و اثنتان منذ أن قالت هذه الجملة أمام صديقاتها حتى انفجرت كليهما في الضحك مرة واحدة من حديثها الأبله :

-راجل إيه يا داليا إنتِ كمان

قالتها قمر بين قهقهاتها حتى بدأ كلاهما يسخران من ذاك الحديث فاندفعت داليا بوجهيهما كي يُصدقانها :

-والله العظيم بتكلم جد، أنا بلاقي نفسي بقيت راجل فجأة، إنتو ليه مش مصدقين ؟

توقفت كوكي عن الضحك و هي تقول :

-داليا **come on** ، إنتِ مستوعبة إيلي إنتي بتقوليه ؟

أصرّت داليا على حديثها بثقة و اندفاع :

-أيوة أنا متأكدة من إيلي بقوله

أردفت قمر بغير تصديق و قليلٍ من الاستنتاج :

-قصدك يعني إنك بتحولني لراجل حقيقي!!

فكرت داليا في حديثها الذي تعتقد أنه صائب، فمن الممكن أن يضحى هذا الذي تنتقل إلى جسده هو شخص موجود بالفعل و ليس من وحي خيالها، لكنها لم تفكر أبداً في هذا لذلك أردفت :

-والله ممكن، ممكن فعلاً يكون موجود ... أنا عارفة اسمه و عارفة كمان بيشتغل فين

وثبت من الفراش كي تردف بلهفة و تقرير :

-أنا لازم أعرف إذا كان إيلي بتحوّله ده موجود فعلاً ولا لا..

أدلت جملتها ثم رحلت دون أن تكثرث لتحديقهما بها و كأن صديقتهما قد فقدت صوابها، فكانت قمر تضرب كفاً بالآخر و تقول :

-يا حول الله يا رب، البت كانت عاقلة

مرّت برهة من الصمت قطعتها كوكي و هي تثب مكانها لتودع قمر :

-أنا كمان لازم أروّح عشان بابي قالي إنه واقف تحت

عانقت قمر لتودعها بحرارة ثم تسألها :

-هتروحي الشغل بكرة؟؟

أجابت قمر باستياء :

-لا للأسف، لؤي بيه قالي مخرجش من البيت غير لما أفكر مكان التسجيل و يكون معاهم

سألت كوكي بفضول :

-طب و حاجاتك إالي في المكتب هتجيبها إزاي ؟ إنت مش قولتي إنك بتسيبي حاجاتك المهمة هناك و بتجيبهم يوم الأجازة، أكيد هتحتاجيهم

آجابت قمر فوراً و كأنها تعرف ما الذي ستفعله :

-لا ما أنا هقول لمحروس يجيبي كل حاجة الورق و الملفات و...

بترت كلماتها ما إن زارتها إحدى الذكريات، توسعت حدقتها مع أفكارها التي تبادرت إلى ذهنها و جعلتها تردف بصوت عالٍ :

-التسجيل !! .. أنا عرفت التسجيل فين

عقدت كوكي حاجبيها بحيرة من تصرفاتها بينما جذبت قمر هاتفها لتجري إحدى المكالمات و تقول بها :

-لؤي بيه ... أنا عرفت التسجيل فين...

مرّت ثلاثة أيامٍ كالسلفاة و هي تزحف على طريق وعرٍ مليء بالعقبات، فكلها كانت أياماً ثقيلة على الرغم من كونها بضعة أيامٍ فقط، انشغلت داليا بالبحث عن ذاك المجهول كما كان إسلام يفعل الشيء ذاته، فكلما يرغب في العثور عليها يجد نفسه داخل جسدها و يُعيد الكرة مجدداً حتى أصبح كلاهما يدوران خلف بعضهما في حلقاتٍ لا تنتهي، أما عن كوكي فبقيت حياتها الهادئة كما هي، لا تفعل بها أي شيءٍ سوى الذهاب إلى وظيفتها و التحدث مع ذاك الذي تعرفت عليه مؤخراً، استطاع لؤي أن يحصل على التسجيل الذي استمع إليه بنفسه و تأكد من وجود الدليل الذي سيجعلهم يُلقون القبض على فاتح نظمي لكن للأسف ما إن أصدروا قراراً بالقبض عليه حتى وجدوه قد اختفى تماماً عن الوجود و كأن الأرض انشقت و ابتلعتهم، ما هم مُتيقنون منه الآن هو أن فاتح نظمي لا يزال داخل البلدة يُخطط من بعيد كي ينتقم منهم.

-أنا نشرت اسمه و صورته في كل مكان، يعني لو رجله خطت المطار كنا هنعرف

قالها لؤي بثقة لعبد الصبور الجالس على مكتبه يحادثه بصرامة :

-فاتح نظمي لازم يتجاب .. مش بعد ما نجيب أدلة ضده يختفي

توقف برهة عن الحديث ليتقدم بجذعه ليحادث لؤي بجدية :

-اسمعي يا سيادة الرائد، فاتح نظمي مش هيسكت على إللي حصل، خصوصاً و هو حاطط إللي اسمها قمر دي في دماغه إنت تجهز نفسك و تروح عند البنت دي و تحميها ... أكيد فاتح هيفضل وراها لغاية ما يجيبها ... و ساعتها إحنا كمان هنعرف نجيبه

أوماً لؤي بتفهم بعد أن أدرك هذه المهمة التي عليه القيام بها و التي بشأنها مساعدتهم على الانتهاء من تلك القضية تماماً...

يفترض جسدها المكلم على أمره فراشها البسيط بعد أن أضحت قعيدة بالمنزل منذ ما حدث، لاتزال خائفة على حياتها لذلك طلبت إجازة ممتدة من العمل حفظاً لسلامتها حتى يتم القبض على هذا المجرم قبل أن يمس شعرة منها، كانت في تلك الأيام تُهيئ نفسها للموت بكل لحظة و كلما تذكرت أن حياتها مُهددة بالقتل، فقد أكثرت من صلاتها و أضحت تدعو ربها ليلاً و نهاراً لينجدها من هذه المحنة و تعاود مباشرة حياتها، كذلك منعت أصدقاءها من زيارتها و اكتفت بمهاتفهن على الجوال كي لا يتضررن بسببها كما حذرها لؤي، فمن من الممكن أن يختطف فاتح إحدى صديقاتها و يبتزها من خلالها.

تنهدت بعُمق كي تُنفذ تلك الأفكار عن ذهنها ثم أمسكت دفترها تدون عليه بعد أن فقدت الأمل بنجاتها و قررت مواجهة مصيرها ...

-لو إنتو بتقرو الكلام ده دلوقتي، يبقى أنا انتقلت للرفيق الأعلى، و مبقتش موجودة على وش الدنيا ... عارفة إن أنا مكنتش مهمة أوي في العيلة دي ... بس مع ذلك هوصيكم على بعض، متزعلوش عليا، و من فضلكم ابنولي مسجد و طلعو عليا صدقة ... حاولو تفتكرولي أي حاجة حلوة حتى لو مفيش...

توقفت عن الكتابة كي تفكر في ما ستكتبه بعد ذلك، عبثت بالقلم على جمجمتها لعلها تعثر على الكلمات المناسبة حتى عاودت الكتابة باستذكار :

-عايزة اعتذرلك يا ماما، عشان أنا إللي كسرت الحلة البايركس و قولتلك إنك نستيتها عن طنط إلهام إللي عزلت ... و عايزة اعتذرلك يا شمس عشان أن إللي أكلت الشوكولاتة بتاعتك إللي كانت في التلاجة مش شهاب ... عايزاكم تاخدو بالكم من بعض من غيري ... و إنت يا داليا مع إني علطول بقول عليكي أوفر بس والله بحبك، و أسفة يا كوكي عشان كنت بقول عليكي متكبرة و إنت كدة فعلاً بس بردو بحبك ... عايزاكم متنسونيش و لما تتجوزو و تخلفو سمو عيالكم باسمي...

توقفت مجدداً عن الكتابة و قد كانت عيناها تشعان نفحاتٍ من الضيق، لكنها غيرت نظراتها إلى أخرى صارمة و هي تُتهي كتابة وصيتها:

-و إياكم إياكم ... إياكم تفتحو اللاب توب بتاعي بالذات إنت يا شمس ... و إلا والله هطلع عفريتي عليكم يلبسكو كلكم لو حد مد إيده على اللاب بتاعي ... و لو أمكن يعني إدفنوه معايا في تُرْبتي...

أنهت الكتابة لثُغلق دفترها و تضعه مجدداً داخل الخزانة الصغيرة المجاورة لفراشها ثم تتربع بعدها و ترفع يديها في السماء تناجي خالقها كما تفعل كل صباح في الأونة الأخيرة :

-أنا عارفة يا رب إن أنا قصرت في حقك كثير، بس والله أنا مش جمل ده، أنا واحدة هبلّة والله، دا أنا لما النور يقطع عليا و أنا في الحمام بعيط ... يا رب ساعدني بالله عليك ... قولّي بس أعمل إيه في المصيبة دي، قولّي بس أحمي نفسي منهم إزاي .. أعمل إيه يا رب أعمل إيه؟؟

-قومي نضفي أوضتك يلا

باغتها نجمة بهذا الحديث فعقدت قمر حاجبها بحيرة و قد ظنت للتو أن هذه هي
الرسالة التي تنتظرها :

**-أنضف أوضتي !! هو الرد جيه بالسهولة دي ... بس تنضيف الأوضة هيجميني
إزاي ؟**

كانت تتهامس بهذا الحديث في قرارة نفسها حتى قطعها والدتها بصرامة و حدة :

-إنت لسة هتتودودي قومي يلا نضفي الست جاية

وثبت قمر من فراشها استجابة لنداء والدتها و رغبة في معرفة هذا الزائر الذي
سنتظف الحجرة من أجله :

-مين دي إلي جاية ؟

أجابتها نجمة و هي تنتشل بعض الأغراض من الحجرة :

-الست إلي جاية تنضف

عقدت قمر حاجبها بحيرة و هي تتسأل "

**-هو أنا هنضف الأوضة عشان الست إلي جاية تنضف جاية !!! أومل الست دي
جاية تعمل إيه ؟**

اندفعت نجمة بوجهها و هي تُجيبها :

-إنت عايزة الست إلي جاية تنضف تقول علينا معفين!!

أطبقت قمر على شفيتها و حاولت مسaire حديث والدتها رغم الغيظ الذي تكبته
داخلها و الذي غطته بلمحة من السخرية :

-أه صح، إزاي تقول علينا معفين ... مش عايزاني أعملها الغدا بالمرة

رفعت من صوتها مع آخر جملة كي تسمعها والدتها التي هرعت من الحجرة على أمل أن تُنظفها قمر، مالت قمر بجذعها كي تلتقط حفنة الأوراق المتناثرة على الأرض و هي تسب بقرارة نفسها تلك الحياة و هذه الأسرة المُرهقة، قطع تدمرها صوت جرس الباب يصدح عاليًا فانتهزت الفرصة كي تترك أمر التنظيف و تهرع نحو الباب لتفتح لذاك الزائر، ارتدت إزدال الصلاة و هرعت من الحجرة لكن فجأة

...

وجدت شيئاً يرتطم بوجهها الذي تلطخ بالكريمة البيضاء، استمعت إلى ضحكات شهاب الشامتة لأنه بالطبع من تسبب في هذا، زمجرت قمر في غضب و كادت تهم بضرب شقيقها لكنه ركض فوراً من أمامها فاكتفت بسبه بصوت عالٍ ثم هرعت نحو الباب فوراً لتفتح لذاك الزائر الذي أضحى مُزعجاً وفقاً لحالتها النفسية، غفلت تماماً عن تلك الكريمة البيضاء التي لطخت وجهها و فتحت الباب لتجحظ عيناها في صدمة ما إن وجدت.....

تداعب جروتها بيديها برقة و لطافة جعلت الابتسامة تُرسم على ثغرها، فلطالما داعبت جروتها التي تعتبرها كصديقتها حتى و إن كانت لا تفهمها، فيكفي أن جروتها تبقى جوارها في أشد ظروفها و تبعث بداخلها الأمان و الحنان، آتاها إشعار على هاتفها بوصول إحدى الرسائل من إحدى التطبيقات؛ أبعدت يدها عن جروتها لتفتح الهاتف الخاص بها و تجد رسالة من ذلك الذي تتحدث معه ...

لاحت ابتسامة على ثغرها و هي ترد على تلك الرسالة بأخرى و ترتخي بظهرها ليبدأ الحديث بينهما ككل يوم، حديث متبادل يملاءه المرح و بعض الأحاديث الجادة و أخرى مازحة، انتهت أحاديثهما الشيقة بسؤاله:

-أنا عايز أشوفك ... عايز أتعرف عليك أكثر ... عارف إن إنت مش عايزة يكون في علاقة غير شرعية بينا ... و أنا كمان زيك، عشان كدة عايز أشوفك

إحمرّت وجنتاها بخجلٍ من حديثه، عضت على شفتها السفلية و قد بدأ جسدها يحترق بلهب الحرج الذي أوقفها عن الكتابة لفترة كي تُفكر في حديثه، و تتخيل ذاتها برداء الزفاف لذاك المجهول الذي لا تعرف حتى اسمه الحقيقي لكنها انجذبت لشخصيته من تلك الكلمات المتداولة بينهما، عادت من شرودها و حيرتها على رسالة أخرى ترجوها بالرد عليه.

استجمعت قواها و حسمت قرارها أخيرًا و هي تُدوّن بكل جراءة :

-موافقة، ممكن نتقابل في كافيه هقولك على مكانه...

-... لؤي بيه!!

خرجت هذه الكلمة من قمر التي فتحت فاهها في ذهول مما تراه أمامها، أخذت تسأل نفسها عن سبب زيارته المفاجئة دون أن تنتبه إلى نظراته الحائرة و المتشككة من هيئتها، فوجهها لا يكاد يظهر من هذه الكريمة التي تُلطحها ..

-هو إنتِ قمر؟؟

سألها ليتأكد من شكوكه فانتبهت هي إلى هيئتها و حاولت إزالة القليل من تلك الكريمة التي جعلتها تشعر بالحرج أمامه، فكم كانت تتوعد لشقيقها بتلك اللحظة.

-إييه .. أه أه أنا ... معلى أخوية كان بيهزر معايا

أتاها صوت والدتها من الداخل بتساؤل :

-مين يا قمر إلي على الباب

محم لؤي قبل أن يستأذن :

-ينفع أدخل؟

رمقته قمر بنيه لأنها لا تريده أن يدلف منزلها و يرى تلك الأسرة المجنونة التي
ترعرت بينهم، أشارت إلى الداخل و هي تسأل بتوتر :

-جوة !! ... أه أكيد ينفع

لم تجد أمامها سوى أن تجعله يدلف المنزل و تُلبي معه واجب الضيافة، دعت من كل
قلبها أن يمر كل شيء على ما يرام خاصة بعدما دلف لؤي منزلها أمام حيرة والدتها
التي أخبرتها قمر مسبقًا أنه سيدلف فدلفت حجرتها تُبدل ثيابها، صافحه هلال بكل
هدوء حالما تأتي نجمة، عرفهم لؤي على نفسه بوقارٍ و تهذيب :

-أنا الرائد لؤي عبد الصبور ... و جاي بخصوص حاجة مهمة لازم تعرفوها

قبل أن يواصل حديثه أتاه صوت شهاب و هو يُشير على إحدى المقاعد و يردف
بتؤسل :

-طب إقعد يا عمو و قولنا كل حاجة مينفش تفضل واقف

أيد هلال حديث شهاب الذي حاول تأدية واجب الضيافة على الرغم من طبيعته
الماكرة :

-شهاب عنده حق ... إتفضل حضرتك إقعد

أشار هو الآخر على المقعد و قد كانت قمر في تلك اللحظة ترتعد من الخوف تشعر
بمكبدة شقيقها، كادت تمنع لؤي من الجلوس لكن الأوان قد فات، فما إن جلس لؤي
على المقعد حتى وقع على ظهره لأن المقعد كانت أرجله مُنكسرة، صدحت ضحكات
شهاب عاليًا و هو يُشير على لؤي بشماتة، أما عن قمر فكانت تتمنى أن تنتشق
الأرض و تبتلعها لتهرب من هذا كله، ساعده هلال على الوثوب و هو يتأسف له بكل
هدوءٍ ينافي حدة الموقف..

جزت قمر على أسنانها و هي ترمق شهاب بوعيدٍ ثم تتجه نحو لؤي الذي وثب من
الأرض كي تعتذر له :

-أنا أسفة والله أصل شهاب هزازه ثقيل شوية

حافظ لؤي على هدوءه قدر الإمكان ثم أشارت قمر على الأريكة كي يجلس عليها، ما إن جلس حتى أردف بجدية :

-أنا الرائد لؤي عبد الصبور، و أنا دلوقتي مُكلف بإني أقولوكم إن حياة قمر في
خطر

قطعتة قمر بلهفة و هو تُشير عليه و تقول :

-أهو ... شوفتو حياتي في خطر أهو زي ما قولتكم عشان تبغو تصدقوني بعد كدة

انتبهت إلى نظرة لؤي الحادة لأنها قطعت حديثه؛ حممت بحرج قبل أن تعتذر و يواصل لؤي الحديث مجددًا عازمًا على الانتهاء من هذا الأمر بسرعة قبل أن يفقد صوابه :

-الموضوع أخطر مما تتخيلو، إنتو كلكم بقيتو في خطر مش بس قمر، يعني الراجل
ده ممكن يخطف أي حد فيكم لمجرد إنه عايش معاها_

قطعتة قمر للمرة الثانية بلهفة :

-شايفين ... شايفين أنا مهمة إزاي

دعّم والدها حديثها بفخر على الرغم من ضيق الموقف :

-طول عمرك يا حبيبتي مهمة و الناس كلها بتجري وراكي، حتى المجرمين

أطبق لؤي على شفثيه بغضبٍ كبتة بداخله قدر المستطاع، أوقف هذا الحديث الدائر بينهما بقوله :

-إنتو حياتكم في خطر... !!

كانت نبرته حادة لكن هلال لم يكثرث لخطورة الموقف كعادته اللامبالية :

-حضرتك عايزنا نعمل إيه طيب ؟

سأله بكل هدوءٍ فأجاب لؤي بأخر ذرة صبرٍ لديه :

-أي حركة من البيت تبقى بحساب، و ياريت متخرجوش غير للضرورة و أي طلبات هتعوزوها هتيجي لحد عندكم الوضع ده هيبقى مؤقت لغاية ما إللي اسمه فاتح ده يتجاب ... تمام ؟

أوما هلال رأسه بهدوءٍ على الرغم من أنه لا يعرف حتى ما الذي يريده هذا الرجل من ابنته، فالأمر لا يعنيه طالما أن ابنته أمامه، سألت قمر بقلق :

-طب شمس ... دي راحت الكلية هتيجي إزاي ؟

أجابها لؤي بثقة :

-هبعت حد من الزملة يبقى معاها و ياخذها يروحها على البيت، بس أهم حاجة كلامي يتسمع

أوماو رؤوسهم بتفهم لذاك الوضع الخطير الذي تسببت به قمر، فهي الآن سعيدة لأنها انتقمت من أسرتها و أثبتت لهم أنها على حق من البداية، تحرك لؤي بضعة خطوات كي يهرع من ذاك المنزل لكن فجأة...

اشتبكت قدماه بحبلٍ كان على الأرض ليتعثر به و يُسقط عليه دلو مليء بسائلٍ أبيضٍ يتم استخدامه في البناء، شهقت قمر في صدمة بينما كان شهاب يُقهقه كالعادة و والدها محافظ على هدوءه و داخله يُريد أن يعتذر، وثب لؤي من الأرض و النيران تُطلق من عينيه ما إن رأى قهقهات شهاب و علم أنه وراء ما حدث حتى أطبق على شفثيه بحنقٍ، فقد كل صبره في تلك اللحظة و وجد نفسه يُخرج السلاح من جعبته و يردف بتهديد يوجهه نحو شهاب :

-و حياة أبوية لاوريك....

أطلق شهاب صرخة عالية و هو يركض بعيداً عن لؤي الذي طفق يركض وراءه في أرجاء المنزل كي يُلقنه درساً...

تدور بكل ركن بتلك المشفى بحثاً عن ذاك المجهول الذي عزمت على ايجاده مهما تكلف الأمر، فطوال هذه الأيام لم تتوقف عن البحث، لكنها استطاعت أن تعثر على عنوان المشفى، فعندما اقتحمت جسده المرة الأخيرة عزمت على معرفة اسم المشفى و مكانها كي تسأل عنها حالما تعود إلى جسدها مجدداً، و ها هي الآن تقف في المشفى التي سألت بها عن الطبيب إسلام و علمت أنه بالفعل يعمل هنا.

بقيت لأكثر من ساعة تنتظره بردهة المشفى و كان التوتر يُفتك بها في تلك اللحظة، فهي لا تعلم ماذا ستفعل ما إن تراه أمامها، أتحاسبه على المشكلات التي تسبب بها، أم تتناقش معه فيما يحدث لكليهما، فبالطبع هناك رابط بينهما يُمكنهما من إبدال أدوارهما.

رمقت ساعتها بمللٍ لتكتشف أنه قد مرّ أكثر من ساعة على انتظاره، زفرت الهواء بضجر و هي تُتمتم بقرارة نفسها :

-أنا كدة هتأخر على الشغل-

تنهدت مجدداً و قد فاض الكيل بها في تلك اللحظة، فهذا الطبيب ربما لن يأتي اليوم، انتظرت بضع دقائق مجدداً حتى حسمت قرارها و وثبتت من مقعدها كي ترحل من هنا، فمستقبلها المهني أهم بكثيرٍ من هذا العبث، قررت أن تذهب إلى وظيفتها و تعاود المجيء هنا مرة أخرى.

انتشلت حقيبتها و هرعت من المشفى على أمل أن تستقل سيارة أجرة و تذهب إلى عملها، لكن فجأة....

وجدت نفسها داخل عيادتها بالفعل و كأنها انتقلت في لمح البصر، رمقت المكان حولها في ذهول و ظنت أن لديها قوة خارقة أخرى تُمكنها من الانتقال للأماكن التي

ترغب بها في هذه السرعة، لاحت ابتسامة على ثغرها لكنها تلاشت فجأة ما إن أدركت هذا الجسد الذي اقتحمته، فهي الآن داخل جسد إسلام و داخل عيادتها الخاصة!!

عقدت حاجبها في حيرة و طففت تتسأل عن سبب وجود هذا المدعو إسلام بمكان كهذا، فربما هو الآخر يبحث عنها مثلها بالضبط.

قطع شرودها صوت موظفة الاستقبال و هي تقول :

-أستاذ إسلام ... دكتورة داليا مش موجودة دلوقتي ممكن حضرتك تستناها هنا و هي شوية و هتيجي

ابتسمت داليا و هي تُجيبها ببلاهة دون أن تنتبه لكيونة حديثها :

-ماشى هستنى هنا لغاية ما الدكتورة داليا تيج_

ارتمت على المقعد كما اقترحت عليها موظفة الاستقبال لكن فجأة، تذكرت شيئاً لا تعلم كيف غفلت عنه :

-ثانية واحدة !! ... ما أنا داليا

وثبت مجدداً من المقعد لترحل من هنا بخيبة أمل كالعادة، فكيف ستعثر عليه بتلك المتاهة هي حقاً لا تعرف، فقد اعتقدت للتو أن البحث سيضحى أسهل بكثير مما تتخيل، لكنها الآن تشعر و كأنها بمتاهة كلما إقتربت فيها من الهدف وجدته يبتعد عنها.

هرعت من العيادة تستقل سيارة الأجرة لأنها لا تستطيع القيادة، أوقفت السيارة و استقلتها لئخبر السائق العنوان الخاص بمنزلها بعد أن نسيت تماماً انها بداخل جسد إسلام، كل ما أرادته أن تذهب إلى منزلها و تعاود البدء من جديد كما تفعل دائماً، لكن هل ستستطيع الذهاب إلى منزلها حقاً؟؟

على جهة أخرى، وجد إسلام نفسه قُرب المشفى الخاصة به بجسد تلك الفتاة التي يبحث عنها، عقص حاجبيه في حيرة و هو يقول بقرارة نفسه :

-أنا إيه إيلي جابني عند المستشفى!!-

رفع كتفيه دلالة على الجهل و التيه مما كانت ستفعله هذه الفتاة، كان يشعر أيضاً بأصواتٍ تُصدر من معدته تُخبره بأنها تتضور جوعاً، فيبدو أن هذا الجسد لم يتناول شيئاً منذ الصباح، سرعان ما اتخذ قراره و إتجه إلى إحدى المطاعم القريبة من المشفى ليتناول ما يشتهيهِ من طعامٍ غريبٍ كالذي يتناوله طيلة الوقت، غفل تماماً عن كونه داخل جسد فتاة رقيقة و التهم العديد من الأطعمة التي من المستحيل أن تتناولها داليا إذا كانت داخل جسدها....

شردت عيناها على الطريق و كادت تغفو مكانها كالعادة لكن هذه المرة تحاملت على نفسها كي تُخبر السائق :

-لو سمحت بس لما نوصل قولي-

قالتها بجسد إسلام لعل السائق يوقظها من النوم كما تفعل في كل مرة، لم تعد تحصي المرات التي خدعها فيها سائق سيارة الأجرة كلما غفت بالطريق، فكانت في إحدى المرات تتعرض للاختطاف لولا إفاقتها بإحدى المطبات التي تتعرض لها السيارة، لذلك هي حريصة على إخبار السائق أن يوقظها و إلا ستستمع إلى رنين الهاتف الخاص بها إذا كان هذه السائق محتالاً.

غلبها النوم كالعادة فأرخت رأسها للوراء لكن فجأة...

انتفض جسدها دلالة على عودة إسلام مجدداً إلى جسده، كان يتلفت حوله في تيه و قد قاد السائق السيارة إلى وجهة تقترب من منزل داليا، التفت السائق نحو إسلام كي يسأله :

-أدخل يمين يا باشا؟

تلقت إسلام حوله ليرى هذا المكان الذي لا يفقه عنه شيئاً، فهو لا يزال جديداً على تلك البلدة و لا يعرف سوى طريق المنزل و طريق المشفى و القليل من الأماكن التي أخبره عنها معتزو عنوان العيادة لخاصة بداليا مؤخراً، انتبه إلى سؤال السائق و لم يكن يريد أن يخبره أنه لا يعرف هذا المكان حتى لا ينتهز السائق الفرصة و يخدعه، صبح حديثه الكاذب بالثقة و هو يقول :

-إبيه... أه أه أدخل يمين

استجاب السائق لطلبه و آدار مقود السيارة نحو الجهة المرادة، تحرك بضعة أمتار ليسأل مجدداً عن الطريق و يُخبره إسلام بثقة زائفة عن طريق لا يفقه عنه شيئاً، بقي على هذا الوضع لفترة طويلة، يسأله السائق عن الطريق و يجيبه هو أية إجابة حتى تأكد السائق أنه لا يعرف الطريق، أوقف سيارته ببقعة قريبة من منزل داليا و الوجهة التي أخبرته عنها ليلتفت إلى إسلام و يُخبره بحدة :

-إتفضل يا باشا؟؟

التفت إسلام حوله ثم أردف بتيه :

-إيه ده لأ ... أنا مش عايز آجي هنا

احتدت نبرة السائق من اعتراض إسلام بعد قيادته التي دامت طويلاً :

-يعني إيه مش هنا ... إنت قولتلي بعضمة لسانك العنوان ده

اعتذر له إسلام بصوتٍ أمر :

-معلش أنا آسف ... إتفضل إرجع بقى العيادة عشان سايب عربيتي هناك

أطلق السائق شراراتٍ من عينيه و هو يقول :

-يعني إنت معاك عربية !! و عمال تلففني كل ده!!

اعتذر له إسلام مجددًا بوشاح من التملق :

-ما خلاص يا سطا قولت آسف، إطلع بينا على العيادة بقى

عانده السائق بغضب :

-و أنا مش هتحرك من هنا ... و إنت هتنزل و هاخذ منك أجرتي

احتد إسلام هو الآخر من لكنة السائق الفظة :

-يعني إيه الكلام ده ... أنا عايز أروح مكان تاني و مش هدفع الأجرة غير لما
أروح المكان إلي عايزه

أطبق السائق على شفتيه ثم أخرج سلاحًا أبيضًا كان يحتفظ به في سيارته ليُشهره
أمام إسلام و يردف بوعيد :

-هدفع الأجرة و لا تحب تقابل رب كريم

إزرد إسلام ريقه بإمارت من الهلع تلوح على وجهه، تراجع برأسه للوراء بعيدًا عن
ذاك السائق المتهور و هو يُخرج حافظة النقود من جعبته ليُعطي السائق أجرته و
يترجل من السيارة في ذاك المكان الذي لا يفقه عنه شيئًا، ما إن رحلت سيارة الأجرة
حتى طفق يسب نفسه :

-كان لازم أتفرعن و أعمل نفسي عارف الطريق، ما كان من الأول قولتله يرجع
بيننا

زفر الهواء من فمه بضيق ذكر معه نفسه السبب الذي يجعله يتجنب سيارات الأجرة
و يُفضل القيادة، فلا يوجد أفضل من القيام بالقيادة بنفسك، هو حتى لا يعرف ما الذي
أتى به داخل سيارة الأجرة و كيف سيعود مجددًا إلى منزله في تلك البقعة التي لا

يوجد بها سيارات للأجرة، إنتهى الأمر بإخراجه لهاتفه من جيبه لعله يتصل بالمنجد
الوحيد لمصائبه العجيبة....

فتحت عينيها على يقين بأنها ستستيقظ داخل سيارة الأجرة و أن ارتطام السيارة
بإحدى المطبات قد أوقظها من نومها، لكن الحقيقة أنها استيقظت داخل إحدى
المطاعم ذات الصيحة الشعبية و أمامها العديد من الصحون الفارغة و كأن وليمة
كانت أمامها و هي التهمت، فهي تشعر بثقل في معدتها و كأنها التهمت إنسيًا و ليس
طعامًا.

أوقظها النادل من شرودها و من ذاك الوجع الذي يُفتك بمعدتها كي يطلب منها :

-الحساب يا أنسة ؟

حاربت داليا أوجاعها كي تُخبره بصوتٍ متهدج :

-حساب إيه ؟

أجابها النادل بعملية :

-تسعميت (900) جنيه يا فندم

احتقن وجهها من ذاك الحديث الذي ألقى على مسامعها، فهي لا تحمل معها سوى
ثلاثمئة جنيه بالكاد تُسعفها للعودة إلى المنزل، تشابكت الحروف بداخلها و لم تعد
تقدر على التحدث، بل لم تعد حتى قادرة على الحراك، فما الذي تناولته بحق الجحيم،
فهنالك خناجر تُقطع بمعدتها و إنتفاخ جثيم أو شك على الإنفجار بداخلها، تقوصت
بظهرها ما إن اشتد عليها الألم، و ما هي إلا برهة حتى أطلقت صرخة مدوية أدت
إلى ارتجاج كل من بالمطعم و محاولة إسعافها بشتى الطرق.....

ولج مُعترِ المنزل بعد أن أحضر إسلام من تلك البقعة النائبة التي لا يعرف حتى الآن، لما ذهب إليها، فكل ما يقوله إسلام أن تلك الفتاة المجهولة هي من تسببت فيما حدث، و هذا ما يجعل معترِ يزداد حيرة و شفقة على صديقه الذي يظن أنه فقد صوابه :

-يا بني إسمع ... أنا متأكد إن البنث إلي بتحوّلها دي موجودة أنا روحت العيادة بتاعتها بنفسي و سألت هناك قالولي إن فعلاً في دكتورة اسمها داليا رُستم و بنفس مواصفاتها

قالها إسلام بنبرة مرتفعة بعد أن طفح كي له لعدم وجود من يُصدقه، ففي هذا العالم يسهل رؤية المعجزات لكن يصعب تصديقها، حتى لو رأيتها أمام عينك، فلا يزال هناك طفرة داخلك تؤكد لك أن هذه ليست معجزة و أن عقلك هو من فقد صوابه، لم يُدلي معترِ أي من اعتراضاته كي لا يُحزن صديقه، فقط أراد أن يبقى جواره حتى و لو كان مخبولاً، حاول مجارة هذا الهراء باستفسارٍ :

-طب و هي إزاي مش بتروح العيادة ؟

أجابه إسلام بجهلٍ و استنتاجٍ بعدها :

-معرفةش ... يمكن هي كمان بتدور عليا

-يبقى تروحها البيت، أكيد هي بترجع هناك في الآخر

تحرك إسلام بأركان المنزل لعله يُشتت عقله الذي على وشك أن يفقد صوابه و يُصاب بالجنون بسبب تلك التي لا يستطيع ايجادها على الرغم من أنه تأكد بالفعل أنها موجودة كما أخبرته شكوكه :

-منا لو أعرف عنوان بيتها كنت رويحتلها، دا أنا عرفت عنوان العيادة من اسمها إلي بيبقى مكتوب برة

استفسر معترِ مجدداً في محاولاتٍ عدة للعثور له على حل :

-إنت مش قولت إنك ساعات بتصحى في بيتها إزاي بقي متعرفةش عنوانه ؟

آجابه إسلام بتفسير و هو يجوب بقدميه أركان المنزل :

-ما هي كل يوم مش بتروح الشغل مواصلات، في بنت صاحبها كدة اسمها كيوي باين ... هي إللي بتيجي تاخدها من البيت تؤديها الشغل و ترجع بيها تاني ... و بتفضل ترغي طول الطريق بتخليني معرفش أركز...

سأله معترز مجددًا لكن هذه المرة ببعض من الفضول :

-هي صاحبها بتسوق؟؟

آجاب إسلام بسرعة:

-لا مش بتسوق ... بيبقى معاها السو_

بتر حديثه و هو يُمعن النظر لمعترز و قد أدرك للتو ما غفل عنه طيلة هذه الأيام، إقترب نحو مُعترز ليُخبره باندفاع و لهفة بعد أن عثر على الحل أخيرًا :

-إنت إنت عارف عنوان بيتها

عقد معترز حاجبيه و هو يُشير على نفسه متفوّهاً :

-أنا !! أنا عارف عنوانها إزاي؟؟

فسر له إسلام بصوتٍ مُندفع كسديم متدفق :

-عشان إنت السواق بتاع صاحبها...

إزدادت حيرة مُعترز و هو يسأل :

-صاحبها مين؟

حاول إسلام الاستنكار و هو يُخبره :

-اسمها كيكي كيوي حاجة كدة ... شعرها برتقاني كدة و عينها زرقا و تحس إنها
خواجاية أو هي خواجاية فعلاً

فهم معنز فوراً عمن يتحدث فأردف باستنكار :

-أأاه .. إنت قصدك ناجتس؟؟ ... هو إنت بتحوّل لناجتس ... و أنا عمال أقول
البت بتقلب مرة واحدة ليه

أمسكه إسلام من تلايبه ليرد بحدة وبخ معها حماقته، فمن المفترض أن صديقه
يعلم اسم الفتاة التي يتحدث عنها :

-ناجتس إيه بقولك اسمها داليا ... و بعدين إيه ناجتس ده ؟

فكر معنز مجدداً في حديثه حتى استطرده باستنتاج :

-إنت قصدك صاحبته إلهي كل يوم بروح أوصلها العيادة بتاعة خبيرة العلاقات
الزوجية دي؟؟

أوما إسلام رأسه إيجاباً فسأله معنز :

-أيوة إنت عايز منها إيه بردو أنا مش فاهم

ضرب إسلام جبهته من غباء صديقه الذي لا ينتهي، تحدث بعدها بمباشرة كي يفهمه
أكثر :

-ما هي البنت إلهي إنت بتوصلها دي هي نفسها إلهي أنا بتكلم عنها ... هي نفسها
البنت إلهي أنا بتحوّلها

و أخيراً فهم معنز مقصده و طفق يقول :

-أأاه ... و هو ده إلهي خلاك تعرف إن أنا سواق؟؟

أوماً إسلام رأسه إيجاباً ليتأكد معتز أن من يتحدث عنها لها وجود على أرض الواقع لكنه وجد معتز يسأله ببلاهة للمرة التي لا يعرف عددها :

-بس أنا مش فاهم بردو .. إنت عايز إيه من البنبت دي ؟

أطبق إسلام على شفتيه بغضب و قد ظن في هذه اللحظة أنه سيصاب بشللٍ جُثماني، انقض على معتز ليمسكه من تلايبه ثم يقول :

-بقولك إيه، إنت هتقولي عنوان بيتها فين من غير أي أسئلة تاني عشان أنا جيبت أخرى و لازم أوصل للبنبت دي قبل ما حياتي تدمر إنت فاهم

أوماً معتز ببعض الرُعب من نظرات إسلام النارية، وافق على حديث إسلام لكنه اقترح أيضاً :

-حاضر .. بكرة الصبح هوّديك عندها عشان دلوقتي الوقت إتأخر

تركه إسلام وشأنه بعد أن حصل على وعد منه بأن يذهب إلى بيتها في الصباح الباكر و ينتهي من هذه المتاهة قبل أن تتدمر حياته كلياً، فمذ أدرك أنه يتبدل مع هذه الفتاة و حياته لا تخلو من الكوارث و المصائب التي كان سيخسر وظيفته على إثرها ذات مرة، عزم على الذهاب إليها و ايقاف هذه المهزلة قبل أن يتطور الأمر و يصل إلى حد الوفاة....

صريير يدوي جوار أذناها ما إن آفاقت للمرة الثانية ببقعة أخرى غير التي كانت بها، هذه المرة لا تزال داخل جسدها، لكنها الآن بالمشفى، فقد اضطرت إلى إجراء غسيلٍ للمعدة بعدما تناولت طعاماً لا تحمله معدتها الرقيقة، تشعر بخواءٍ بمعدتها و كأنها فارغة من أي طعام قد تناولته طيلة اليوم، إجتمع خواء معدتها بألمٍ طفيفٍ يزداد كلما تحركت و حاولت الاعتدال مكانها، لا تعرف ماذا حدث و ما سبب مجيئها هنا، لكن ما استنتجته أن هذا المجهول هو من يتسبب لها بالمتاعب كما كل مرة.

ما إن استيقظت من غفوتها حتى هرعت نحوها والدتها بسمة بدموع تنهمر على خديها و صوتٍ درامي اعتادته خاصة في أي ضائقة تحدث حتى ولو صغيرة :

-يا حبيبتي يا بنتي ... مكنش يومك يا ضنايا، الدنيا كانت هتاخذك و مكنتش هلق
أشبع منك، أنا أسفة يا حبيبتي...

قالت هذه الجملة ثم انخرطت بالبكاء مما جعل الذعر يتغلغل داخل قلب داليا و هي ترمق رفيقاتها اللتان كانتا معها، سألتهما بوشاح من القلق بعد أن أخافتها درامية والدتها :

-هو أنا هموت ولا إيه ؟

ربتت قمر على كتفها لتطمئنها :

-لأ متلقيش الموضوع بسيط خالص، دا مجرد غسيل معدة يعني مش حاجة

على الرغم من كلماتها البسيطة إلى أن شعور الذعر قد تضخم داخل داليا و بدأ يختلط بتيها :

-عملولي غسيل معدة ليه هو إيه إللي حصل؟؟ و مين إللي جابني هنا ؟

أجابتها كوكي بلكنة هادئة مطمئنة :

-الـ "waiter النادل " هو إللي جابك بس **don t worry** أنا دفعتله الفلوس
إللي هو عايزها _

قطعت داليا حديثها بأمرٍ :

-هاتي الحساب يا كوكي لو معاكي

مدت يدها كي تلتقف ورقة الحساب التي كانت بحوزة كوكي لأنها من تكفلت بدفع
ثمن ما تناولته داليا دون علمها، أمسكت داليا الورقة تقرأ ما عليها بأعين جاحظة لا
تُصدق ما تراه.

-فشة و كرشة و كوارع و...-

اشمئز وجهها و هي تقرأ هذه المأكولات الغريبة و التي تعرفها جيداً و لا تتناولها أبداً
خاصة من تلك المطاعم مجهولة الهوية، كادت تتقيأ بالفعل في تلك المرة و قد عاد ألم
معدتها مجدداً فتركت الورقة على الفراش تتأوه من الألم و تلعن هذا المجهول الذي
ودت لو رآته فقط لتلقنه درساً على كل ما يفعله بها و خاصة جسدها الرقيق...

سواء داكنة مُرصعة بالنجوم اللامعة التي تتراقص بين السُحب لتبرز مدى جمالها و
جاذبيتها، أعين حادة تراقب تلك النجوم لعلها منفذاً لأفكاره المتخبطة و إصراره
الدائم، يرتقى على حشائش خضراء و جواره سيدة بمُقتبل العمر يبدو عليها الحكمة،
كان ضرغام هو هذا الرجل بعد أن طُفح الكيل به و يأس من العثور على تاريخ أول
تجربه بسبب والده الذي أحرق كل شيء، فلو لم يفتعل والده هذا لما بقي على تلك
الحالة، لاستطاع ايجاد ضالته أخيراً.

-أنا دورت في كل حنة ... مش عارف ألقاهم و مش عارف أوصلهم إزاي

آجابته السيدة و هي لا تزال تنظر إلى السماء:

-لازم توقف بحث يا ضرغام ... لازم تعرف إن الحاجة بنلاقيها وقت ما نفتكر إننا
مش هنلاقيها

رمقها بإبهامٍ بعد أن فهم القليل من مقصدها لكنه أيضاً لا يود الرضوخ لها :

-مش هقدر استنى أكثر من كدة، حالتها النفسية بتسوء يوم عن إيلي قبله، و
مبقتش تثق في كلامي زي الاول

كان يتحدث عن زوجته التي بدأت تفقد الأمل بحديثه و وعوده التي أضحت بلا فائدة لأنها لا تزال قعيدة كما هي لا حول لها و لا قوة، و هو من أقسم على تحدي القدر حتى و إن اضطر لاختراق قوانين الطبيعة، لن يترك زوجته على فراشها حتى و لو اضطر لتدمير العالم، بعد برهة من الصمت سألته السيدة باستفسارٍ :

-ليه مجربتش الطريقة الثانية ... مش يمكن تنجح ؟

أجابها بصدق :

-مينفمش أجازف ... الطريقة دي احتمالية نجاحها متتعداش العشرة في المية، أومل ليه عمي أدريان عمل البحث ... عشان ميطرش يلجأها تاني ... الطريقة دي أحياناً بتخلي الروح تنتقل للعالم الثاني مش بس تنتقل من جسم لجسم

فهمت مقصده و خوفه البادِ على زوجته فسألت بشكٍ:

-إنت متأكد إنك هتعرف توصلهم؟؟

أجابها ضرغام بثقة :

-أيوة، لازم أوصلهم...

طمأنته بحديثها كي توضح له أنها بصفه :

-أنا كمان لو عرفت أوصل لواحد منهم هبلغك...

صباح اليوم التالي كانت داليا تجلس أمام النافذة بأعين شاردة لا تزال تُفكر فيما ستفعله، فقد ار غمتها والدتها على المكوث في المنزل بسبب حالتها الصحية و هي لم تعترض أبداً و كأن جسدها انتهز فرصة البقاء في المنزل لتبقى وحدها مع أفكارها دون تدخل من مقتضيات الحياة، اسندت رأسها على باطن يدها تتنسم بنسمات الهواء

التي تُدغدغ حواسها و تملأها ببعض الراحة التي اخترقت جسدها لتتصارع مع وحش التخبط و الحيرة داخلها.

تنهدت تنهيدة عميقة أطلقت معها ما بداخلها بصوتٍ مسموع كعادتها، فهي قد اعتادت الحديث مع نفسها بصوتٍ مرتفع و كأن نفسها تتمثل أمامها، فهي قد ترعرت و حيدة دون أن تمتلك أية أشقاء لذلك لا تجد من تتحدث معه و يفهم عقليتها في أوقاتها بالمنزل سوى ذاتها التي تعرف بكل تخبطاتها و شوائبها :

-أعمل إيه أنا دلوقتي ... أنا روحت أكثر من مرة و ملقيتوش ... مع إني سألت هناك و قالولي إنه موجود فعلاً يعني هو حقيقي ... بس يا ترى هلاقيه إزاي ...

رفعت يدها نحو السماء تناجي خالقها كالعادة لعله يساعدها في تلك المُعضلة :

-يا رب دنني على أي حاجة تخصه أنا لو فضلت على الحال ده حياتي هتدمر

أوقف شرودها صوت سيارة تصطف قرب المنزل، كانت تلك السيارة هي نفسها السيارة التي نقلها للعمل كل يوم لذلك أردفت :

-هو إيه إيلي جاب كوكي دلوقتي أنا قولتلها إني مش رايحة الشغل

و لكنها وجدت سيارة أخرى تتركن جوار هذه السيارة ليترجل منها رجل آخر يبدو مألوفاً عليها، رجل طويل القامة ذا بشرة مخمرية و شعر داكن تم تصفيفه بعناية ليضحى متناسقاً مع لحيته السوداء البسيطة، اتسعت حدقتا داليا في ذهول و قد اقشعر بدنهما من هول الصدمة، أئشبه هذا الرجل المجهول الذي تبحث عنه أم أن عقلها يههما بما ليس حقيقياً.

-لأ أكيد مش هو .. أكيد أنا بدأت أتخيل

أمعنت التحديق بالرجل لعلها تنصت للحديث الدائر بينه و بين الرجل الآخر الذي لم يتبين لمكوته داخل سيارته، استطاعت الإنصات لحديثهما لأنها بالطابق الأول، أي تقرب عن الأرض ببضعة أمتارٍ تُمكنها من الانصات إلى هسيسٍ يُصدر منهما، حيث كان يقول إسلام لمعتز قبل أن يرحل :

-إنت متأكد إن ده بيت إلهي اسمها داليا؟؟

آجابه معتز بثقة :

-أيوه بس معرفش هي في الدور الكام أنا كنت بستنى تحت

أردف إسلام بثقة لأنه يعرف أي طابق تسكنه :

-مش لازم أنا عارف هي ساكنة فين

لم تستطع داليا سماع حديثهما بشكل كامل لكن أذنهما التقطت اسمها الذي تقاذفته
ألسنتهما، هذا ما أكد لها شكوكها و جعلها تهرع من موضعها مع كلماتها :

-أيوه هو .. أنا لازم أنزله قبل ما يروح مني

و هكذا أنهت حديثها و هي تهرع من حجرتها كالسهم المارقة ترتدي ما يقابلها من
ملابس في عجلة ثم تترك المنزل بأكمله دون أن تلتفت لاعتراضات والدتها التي
تعجبت من هرولتها السريعة بأركان المنزل..

انسلت داليا الدرجات بقلبٍ ينبض من الهلع و اللهفة أيضاً، فأخيراً ستتقابل مع ذلك
الذي شغل عقلها للعديد من الأيام، مع ذلك الذي أوقعها بالعديد من المشكلات و جعلها
تظن أنها فقدت صوابها.

اصطدمت بجسدٍ صلب حتى كادت تسقط على الأرض و توبخه، لكنها ألجمت مكانها
ما إن رآته أمامها و بدأت الأحاديث تتداخل بعقلها و الذكريات تتدفق أمامها، لا
تعرف ما الذي ستقوله بتلك المواجهة... !!

الفصل السادس (مؤامرة)

عندما تنقش غمامة اليأس ترى وراءها رياح عاتية من المواجهة تجرفك إلى قدرٍ محتومٍ بنهايةٍ مُهلكةٍ...

استيقظ من نومه على إثر رائحة شهية تُدغدغ حواسه و تُذكره أنه لم يلتهم شيئاً طوال الليل، تحرك بأقدامه صوب المطبخ ليرى والديه يضعان الطعام على الطاولة ليبدأ تناول الفطور كما يفعل صباح كل يوم، إقتربا نحوهما بابتسامة ارتسمت على شفثيها و هو يحادثهما بحبورٍ و سعادة، جذب إحدى المقاعد ليجلس بينهما و يبدأ بإعداد شطيرة لنفسه أثناء إستماعه إلى والده الذي قال:

-عملت إيه مع البنت إالي اسمها قمر؟؟

أجابهُ لؤي و هو يقضم من شطيرته و يُجيب بعد فترة من تلويكه للطعام:

-روحلتها و قولت لها على كل حاجة ... بس هروحلهم تاني، شكلهم عيلة غريبة زيها

ربت عبد الصبور على كتفه كي يستمع جيداً إلى تَوْصياته:

-خليك معاها يا لؤي، البنت دي مهمة و مهمتك إنك تحميها

أوما لؤي و هو يردف بثقة:

-متقلقش يا حج، أنا مش هسمح لحد يلمس شعرة منها

أردفت والدته بحنانٍ هدم جدار الجدية بينهما:

-خُد بالك من نفسك يا حبيبي، الناس دي مش سهلة

رماها لؤي بابتسامة مُطمئنة و هو يقول ببعض التعالي المرح:

-متخافيش يا ماما، لو الناس دي مش سهلة فأنا أصعب منهم

بادلته بابتسامه أخرى هادئة تُطفيء نيران القلق بداخلها لأنها تخشى على طفلها الوحيد من أي مكروه خاصة و هو في هذه الوظيفة الصعبة التي أصرَّ عليها بسبب حُبهِ الشديد لوالده و رغبته الجامحة في نشر العدالة و الدفاع عن الحق...

نظرات نارية تبادلت بينهما و كل منهما يريد أن يُخرج ما بجعبته لكن عقلهما يمنعهما بصدمة شلت أوصالهما، فها هو أمامها حيُّ يُرزق بعد أن ظنت أنه محض خيالٍ ليس إلا، ها هو أمامها لتنتقم منه كما يريد هو أيضاً الإنتقام منها، فما تسببت به من متاعب له تجعله يريد الفتك بها الآن، بقيا في حالة من الصمت لو هلة يستجمعا قوتها حتى خرجت أصواتهما بصورة مترددة مصدومة:

-إنت .. إنت حقيقي؟؟

-إنتِ موجودة؟

قالا هاتين الجملتين بنفس واحد و لم يساعدهما لسانهما على الحديث أكثر، لكن داليا تماسكت و أخرجت ما بجعبتها أخيراً:

-أنا كنت متأكدة إنك حقيقي عشان أنتقم للي إنت عملته

أشار على نفسه ليرد عليها بنبرة هجومية مُحملة بالملامة:

-أنا !! إنتِ إلي كنتي هتدمريلي حياتي ... أنا اتحوّلت مرتين للتحقيق بسببِك، دخلت القسم و خسرت شقى عمري بسببِك، أنا إلي المفروض أنتقم مش إنتِ

هتفت بوجهه بنبرة مندفعة لترد عليه:

-أنا دخلت المستشفى بسببك، و عيادتي ادمرت بسببك و اتحطيت في أكثر موقف
مُخرج بسببك بردو ... و بعدين إنت إزاي تقول للحالات بتاعتي إن الطلاق بيطول
في العُمر

-إنتِ إزاي تخرجي من العملية في نُصها ؟ أنا كنت هخسر شغلي بسببك و كل
ده بسبب إن إحنا_

قطع حديثه انتفاضة جسديهما ليجد كل واحد منهما نفسه بمكان الآخر، فكانت داليا
تتحسس جسد إسلام بتذمرٍ و ضيق:

-يوووه ...اتبدلنا تاني

بينما إسلام كان يطالعها و هو داخل جسدها بيتسم ابتساماة متعالية و يُثني على
نفسه:

-الله عليا، دا أنا طلعت جامد و برنس، دا إيه الحلاوة إزاي أنا فيها دي

قطبت داليا حاجبيها بتذمرٍ من تعاليه فقالت بصوتٍ مرتفع:

-هو وقته؟؟

اعتذر لها إسلام مُحممًا:

-معلش أصل موضوع إني أشوف نفسي قدامي كدة غريب أوي

أومأت داليا رأسها بتأييد لحديثه ثم قالت:

-هو غريب فعلاً ... بس إحنا لازم نشوف حل للموضوع ده

ما إن أنهت حديثها حتى انتفض جسديهما ليعود كل منهما لجسده مجددًا، تنهدت داليا
بارتياحٍ بينما اتسعت بسمة إسلام و هو يحتضن جسده العزيز عليه، أرفد بعدها:

-في حاجة كمان ... أنا ساعات روعي بتخرج خالص .. إنت كمان بيحصلك كدة ؟

أومأت داليا رأسها إيجاباً:

-أه ... حصلتلي ثلاث (3) مرات

اندفع بحديثه مستنثجاً:

-يبقى أكيد إحنا فينا حاجة، أنا قولت بردو إني مميز بس مكنتش أعرف إني مميز للدرجادي...

أكمل حديثه بتعالٍ و اطراء لذاته حتى أوقفته داليا بتقرير:

-أنا عارفة مين هيساعدنا...

قطب حاجبيه و هو يسألها بحيرة:

-مين؟؟

أجابته بتقرير و هي تعود إلى منزلها:

-هطلع أغير هدومي و بعدها هاجي أقولك....

تستوطن أريكة المنزل بكسلٍ بعد أن أخذت قليلاً على تلك الراحة، كانت تشاهد إحدى الأفلام على حاسوبها و تتناول البوشار باستمتاع نسيت معه هذا الواقع الذي تعيشه، كانت شقيقتها شمس جوارها تقرأ إحدى الكتب و لا تُعطي بالأ لقمرة الجالسة جوارها و كأن كل واحدة منهما في عالمها الخاص الذي قطعه نجمة كالعادة:

-يلا واحدة فيكم تيجي تساعدني في الغدا ... يلا

قالتها بنبرة مرتفعة فأجابتها شمس و هي تُشير على قمر:

-روحي يلا يا قمر، أنا عملت فطار لبابا

انتبهت قمر لحديثها فهاجمتها:

-يا سلام، و أنا عملت فطار لشهاب

-و أنا إللي طبقت الغسيل

-منا إللي نضفت الحمام

-و أنا عملت شاي لبابا

-طب و أنا بقى نضفت الأوضة

-و أنا إللي عملت الغدا إمبراح و بالآمارة كان مكرونة و بانينة

اندفعت قمر بوجهها كي تُكذب حديثها:

-كدابة أنا إللي عملته إمبراح، و هو كل يوم أصلاً مكرونة و بانينة

استمر الجدل بينهما حتى أَلقت نجمة نعلها عليهما و هي تصيح بصوتٍ مرتفعٍ مؤبخ:

-ما تقومي يا بت إنتِ و هي ... هو أنا الشغالة إللي أبوكم جاييهاكم؟؟

زفرت قمر الهواء من فمها بتأفف كتمته بداخلها كي لا تُؤبخها نجمة للمرة المئة،

استجابت كلتاها لنجمة و بدأا بتقسيم العمل بينهما فكانت قمر تقول:

-خلاص أنا هعمل الغدا و إنتِ نضفي

خرجت كلماتها بضيق و هي تتجه صوب المطبخ الذي أضحت تمقته بالأونة الأخيرة
لكثرة بقاءها به، فهي لا تفعل شيئاً به سوى جلي الصحون و إعداد الطعام مما
يُصيبها بالإرهاق الشديد، استمعت إلى صوت الباب يصدح عاليًا فارتدت قمر إزدال
الصلاة قبل أن تذهب إلى الباب و تفتحه...

كانت تقف داليا قبالة الباب و قد بدلت ثيابها إلى أخرى تصلح للخارج، يثب إسلام
جوارها لا يفقه شيئاً عن هذا المكان لكنها كانت تُخبره:

-في واحدة صاحبتني ساكنة هنا، هي بتفهم في كل حاجة ليها علاقة بالطاقة و
ممکن تساعدنا، هي صحيح مكنتش مصدقاني في الأول بس لما تشوفك هتصدق

استمعا إلى ضجيج يُصدر من داخل المنزل عندما كانت والدة قمر تتشاجر معها هي
و شقيقتها و ترتفع أصوات الصياح بالداخل، عقص إسلام حاجبيه و هو يسأل بحيرة:

-هو إيه إلهي بيحصل؟

طمأنته داليا بلا مبالاة:

-لأ عادي، ده بيحصل كل يوم

انفتح الباب لتظهر قمر أمامهما ترمق إسلام بحيرة و ترمق داليا أيضاً بتيه لسبب
مجيئها في هذا الوقت على الرغم من أنها أخبرت أصدقاءها ألا يأتيها منزلها، بادرت
داليا بالحديث لتقطع حيرتها و هي تُشير على إسلام:

-أهو يا قمر إسلام .. الراجل إلهي قولتكم عنه

ابتسم إسلام ابتسامة بلهاء و هو يلوح لها من بعيد و لا تزال إمارات الحيرة بادية
على وجه قمر حتى قالت:

-إنت قصدك إنه ... الراجل إلهي بتقولي إنك بتتحوليله؟؟

صححت داليا حديث قمر:

-مطلعناش بنتحوّل ... أنا و إسلام روحنا بتتبدل مع بعض

أنهت حديثها بانتفاضة تعتلي جسدها أدت إلى تبادلها مرة أخرى، فكانت داليا داخل جسد إسلام تردف بلهفة:

-أهو شوفتي أنا داليا

عرف إسلام نفسه و هو بداخلها:

-و أنا إسلام

تبادلت حدقتا قمر بينهما بتيهٍ قد إزداد أكثر حتى قالت:

-أنا مش فاهمة حاجة

حاولت داليا أن تجذبها للخارج و هي لا تزال بجسد إسلام تقول:

-تعالى نتكلم في مكان هادي و إحنا نشرحك كل حاجة

أوقفتها قمر باعتراض لا تزال غير مصدقة بأن هذه صديقتها داليا:

-إبعد عني أنا مش بمسك إيد رجالة

أردفت داليا بصوتٍ هجوميٍ مُعترض:

-أنا مش راجل، أنا صاحبتيك داليا

أصرت قمر على حديثها:

-و لو .. انا مفيش راجل يمسك ايدي قولت

استغل إسلام كونه بجسد داليا فتقدم نحو قمر يحاول أخذها في عناقٍ قال معه:

-تعالى فى حُضنى يا حبيبتى إحنا ستات زى بعضينا

جذبته داليا من قَلنصوته من الخلف مؤبخة إياه:

-إبعد عنها إنت كمان

وجهت حديثها نحو قمر ترجوها:

-يا قمر خلىنا نتكلم فى مكان هادى و هنفهمك كل حاجة

استجابت قمر لحديثها و هى تدلف داخل المنزل مستأذنة:

-ماشى ... هدخل أغير هدومى و أجيلكم

أنت تلك اللحظة التي انتظرتها للعديد من الأيام، اللحظة التي ستقابل فيها ذاك المجهول صاحب الحديث الحاني و المزاح الذي يرسم البسمة على وجهها، فمذ تحدثت معه لأول مرة و هي تؤد مقابله، لا تعرف حتى سوى اسمه الحركي الذي يُخبرها به طيلة الوقت، كما تعرف أيضاً أنه يعمل بالمحاماة، أي أنه شخص مرموقٍ يناسب عائلتها، تتضارب مشاعرها داخل قلبها، فهناك لهفة تستعمر فؤادها و بعض من الخوف و الاضطراب يجعلانها تتراجع عدة خطواتٍ و تعود إلى منزلها، حاربت هذه المشاعر المضطربة و قررت خوض التجربة التي من الممكن أن تؤثر على حياتها.

وضعت الهاتف على أذنها تستقبل مكالمته كي يُخبرها أين هو، فكانت تسأله:

- هو إنت لابس إيه؟؟ ... لابس تيشرت أحمر؟؟ ... تمام...

أدارت رأسها في جميع الاتجاهات و هي لا تزال تتحدث مع الهاتف كي يُخبرها عن مكانه، فبهذا المقهى حديث التراث لا يوجد سوى الشباب و القليل من الأسر نظراً لأن الوقت باكراً و عادة ما يضحى الجميع بوظائفهم، أما عنها فقد استأذنت بضع دقائق من عملها كي تذهب لمقابلته ارضاءً لفضولها، حتى أنها استقلت سيارة الأجرة بعدما استأذن سائقها و أخبرها أنه سيتأخر قليلاً و هي لم تمنع لأن هذه أول مرة يستأذن فيها سائقها، فربما لديه أمر طاريء.

انقطعت أفكارها ما إن وجدت المجهول يرفع يديه لأعلى كما أخبرها على الهاتف؛ اتسعت بسمتها في لهفة و هي تتقدم بسرعة نحوه حتى إقتربت من طاولته، لكن فجأة

...

تلاشت ابتسامتها و حل محلها عوالم الصدمة و هي تقول:

-مُعْتَز!!-

تشق السيارة الطريق بسرعة معتدلة لعلها تصل إلى وجهتها في سلام، لكن كيف سيحدث هذا و هذا الجنون يحدث بداخلها، فقد كانت تجلس داليا على مقعد القيادة تتولى قيادة السيارة على الرغم من جهلها بتلك المواضيع، فهي بالأساس ليست داليا، هي إسلام و لكنه الآن داخل جسد داليا، أما عن داليا فقد كانت داخل جسد إسلام و تجلس جواره على المقعد تحاول أن تقص على صديقتها قمر التي كانت معها تحاول فهم هذه الترهات التي يقولونها.

-يا بنتي صدقيني ... انا دلوقتي داليا صاحبك بس أنا بدخل فجأة جوة جسم إسلام

تقدمت قمر بجذعها تحاول تصديقها على رغم من صعوبة استيعاب ما تقول:

-ما الكلام ده مش راضي يدخل دماغي_

لم تكمل حديثها بسبب هذه السيارة التي توقفت فجأة لترتد أجسادهم إلى الأمام بغوغائية حتى اصطدمت قمر بالمقعد الذي أمامها، تفاجأت داليا التي وجدت نفسها فجأة قد عادت لجسدها، بينما فركت قمر أنفها من شدة الخبطة و هي تقول بتذمر:

-وقفنوا ليه خلونا نروح مكان هادي نتكلم فيه

استدارت لها داليا كي تخبرها الحقيقة:

-منا رجعت لجسمي و أنا مش بعرف أسوق

وجه إسلام حديثه لها بتقرير:

-إنزلي نبدل و أكمل أنا سواقة

وافقته الرأي لتترجل من مكانها و تجلس مكانه ليعاود إسلام القيادة لكن بجسده الخاص هذه المرة، التفتت داليا لتواجه قمر و تُخبرها:

-بوصي يا ستي أنا و إسلام_

ارتدت أجسادهم مجددًا للأمام مع وقوف السيارة بغوغائية للمرة الثانية لتصطدم قمر مجددًا و تسبهما بقرارة نفسها و هي تتأوه من الألم، استدارت داليا التي كانت داخل جسد إسلام لتحادث قمر بتذمر:

-إحنا اتبدلنا تاني و أنا مش بعرف أسوق

تأفف إسلام بنفاد صبر و أمرها أن يبدلا مقاعدهما للمرة الثانية لأنه يستطيع القيادة، و بالفعل تبادلت مقاعدهما و عاودوا القيادة بضعة أمتار حتى توقفت السيارة مجددًا كلما أرادوا أن يُخبرا قمر أن أجسادهما تتبدل، تكرر الوضع أكثر من مرة و أصبحت السيارة تتقدم بضعة أمتار كي تتوقف بحدة لتصطدم أجسادهم و يبادلوا مقاعدهم ليتكرر الأمر مجددًا حتى فاض الكيل بقمر التي ألمها أنفها من كثرة الاصطدام، رفعت من صوتها و هي تصيح بهما بلكنة أمر:

-وقفو أم العربية دي هنعمل حادثة...-

و بالفعل توقفت السيارة تمامًا هذه المرة و لم تتحرك مجددًا، بقيت قمر تمسك أنفها
المسكين بينما التفتت داليا لتواجهها و تقول:

-أنا و إسلام بنبد-

قطعتها قمر بنفاد صبر:

-خلاص عرفت .. إنت بتقدري تدخلي جسم إسلام و ترجعي جسمك تاني و هو
بيعمل نفس الكلام .. في حاجة جديدة؟..

أومأت داليا إيجابًا قبل أن تُخبرها الحقيقة بلهفة:

-أه في .. أنا و إسلام أرواحنا بتخرج برة جسمنا خالص...-

أومأت قمر رأسها المتضخم من فرط المعلومات الغربية التي يجب عليها تصديقها
لأنها حقيقية، فلما تصديق الحقيقة بهذه الصعوبة؟؟، بعد صمتٍ طويلٍ تشابكت فيه
المعلومات و أمكنتها من التوصل إلى حلٍ لتلك المُعضلة أُرذفت قمر بتقريرٍ و لهفة:

-أنا عرفت مين هيساعدكم؟؟

سأل كلاهما بنفسٍ واحد:

-مين؟؟

-ريتا ... هي إلهي مدرباني على التنويم المغناطيسي-

قطع إسلام حديثها باستفسار:

-إيه التنويم المغناطيسي ده؟

أردفت قمر بنفس لهفتها:

-مش مهم ... المهم إنها أكثر واحدة هتعرف إلي عندكم، ده خبيرة في أي حاجة
ليها علاقة بالطاقة و الروحانيات

سألت داليا بجدية:

-هي ساكنة فين ريتا دي ؟

أجابت قمر بتقرير و هي تترجل من السيارة:

-أنا هبعث اللوكيشن لإسلام و أنا و إنت هنروح مع بعض بالأتوبيس

وافق إسلام على اقتراحهما لعلمه بعدم مقدرته على القيادة بسبب ما يحدث، فهو سيهاتف معتر ليأتي و يقله بنفسه و يعلم أن هاتين الفتاتين لن يقبلا أن يستقلا السيارة مع رجلين غريبين، لذلك اتجهت قمر و داليا نحو موقف الحافلات لينتظرا الحافلة في هدوء رغم العواصف المضطربة داخل فؤاد قمر لعلمها بارتكابها لخطيء فادح لأنها خالفت تعليمات لؤي و تركت منزلها دون علمه، قررت أن تتصل به و تُخبره عن مكانها قبل أن يحدث لها شيئاً ما و تندب حظها فيما بعد.

فهي لم تلاحظ أن هناك رجل يراقبها من بعيد و يراها تستقل الحافلة رفقة صديقتها، رفع هاتفه ليُجري مكالمة ما قال بها:

-أيوة يا باشا ... هي قدامي دلوقتي

أجابه فاتح من داخل منزلٍ صغيرٍ يقبع في منطقة نائية:

-خليك وراها يا فايز ... عايزك تخلص من الموضوع ده إنهاردة

قيظ شديد تغلغل داخل هذه الحافلة الصغيرة التي تجلس بها كلاً من قمر و داليا، حيث تجلس داليا بالمقعد المجاور للنافذة تغط في نوم عميق و جوارها قمر تنتبه إلى الطريق حتى لا تفوتهما البقعة المرادة، وجدت ذراع أحدهم تُمد من وراءها مع كلماتٍ مستأذنة:

-يا أنسة لو سمحتي...

انتبهت قمر لحديثه فالتفتت ورائها لتراه يمد نحوها حفنة من النقود و يقول:

-أربع تذاكر

أمسكت منه النقود بنيه فوجدت سيدة أخرى تُعطيها النقود و تطلب منها أن تدفعها للسائق نظراً لكونها تجلس بالمقعد الذي يقابله السائق مباشرة، رمقت النقود التي معها و التي كانت أكثر من ثمن التذاكر التي من المفترض أن تأخذها من السائق، و نظراً لكونها ضعيفة التذكر، طفقت تحصي النقود التي معها و تردف بقرارة نفسها:

-كدة الراجل إلي ورا إداني خمسين و عايز أربعة و الست ادتي مية و عايزة تذكرتين ... يبقى كدة الباقي بتاع الراجل كام

طفقت تُفكر و هي تعد على أصابعها، و لأنها كانت ضعيفة بالرياضات فكان الوضع أصعب مما تتخيل، حيث كانت تُحرك أصابعها و تقول:

-التذكرة بستة ... يبقى كدة ستة زائد أربعة ب... أخط الأربعة في دماغي و الستة انزلها....

بقيت تحاول تجميع الأرقام داخل ذهنها و قد تعقدت الأمور أكثر و استمرت على هذا الوضع فترة طويلة أدت إلى تدمير الركاب و قولهم:

-ما تديه الأجرة يا أنسة

اضجرت قمر و هي تحادثه:

-حاضر ما إنتو مديني فلوس كثير أعملكم إيه يعني

أعطت النقود للسائق و تركته يقوم بالحسبة وحده ثم يُعطيها ما تبقى لثُفرقهم على الركاب وسط أجواءٍ من الاعتراضات لعدم تذكرها من طلب منها أربعة تذاكر و من طلب اثنتين، و كانت داليا وسط هذا الضجيج تغط في نوم عميق و كأنها بوادٍ آخر غير واديهم، فحتى و إن اندلعت الحرب و اضطربت الأوضاع فلن تستيقظ من سباتها إلا إذا توقفت الحافلة عن الحراك.

بعد فترة من الوقت توقفت الحافلة عند وجهتهما المرادة و كان من المفترض أن يترجلا، هزت قمر داليا بعنفوان لعلها تستيقظ من نومها:

-داليا .. يلا قومي المحطة وصلت

أجابتها داليا بأعين مُغمضة و كلامٍ غير مفهوم مليءٍ بالنعاس:

-دخليها و اعزميها على شاي

احتدت هزات قمر كي تستيقظ من غفلتها:

-يا بت المحطة هي إلي وصلت مش خالتك

استيقظت داليا إثر صوتها المرتفع و كانت لا تزال في حالة من الانتشاء لكن قمر جذبتها قبل أن تتحرك الحافلة لتترجل كلتاها....

سارا بضعة خطواتٍ على الطريق حتى وصلا بقعة تحتوي على بناية أنيقة تحفها حديقة مليئة بالأزهار، كانت قمر طوال الطريق تحاول إيقاظ داليا من نعاسها كي تتصل بإسلام و تسأله عن مكانه، بعد فترة من البحث و الانتظار ظهر إسلام برفقة مُعنز الذي آتاه بعد ساعة من إتصاله، و قد أصر إسلام أن يأتيه معنز بدون سيارته لأنه من سيقوم بقيادة سيارة إسلام و إيصاله للوجهة المرادة ثم يعود بسيارة أجرة كما جاء، و إن سألتهم عن سبب رفض إسلام بالذهاب بسيارة الأجرة، فأعتقد أنكم تعلمون السبب.

كما أنه أصر على المجيء بسيارته العزيزة كي لا يتركها ببقعة لا يعرفها و هي
البقعة التي تقترب من منزل قمر....

ما إن إجتمع أربعتهم قُرب هذه البناية، حتى أشار إسلام على داليا كي يجعلها تتعرف
على صديقه الذي بالطبع كانت تعرفه بعض الشيء لكونه السائق الذي يقلها للعمل
كل يوم بالفترة الأخيرة.

-هي دي يا زيزو البنت إلي بتحوّلها

رمقها معترز لوهلة ثم سأل:

-هي دي البنت إلي قولتلي إن شعرها أخشن من المقشّة

شهقت داليا في صدمة قالت معها بتوبيخ نحوهما:

-أنا شعري زي المقشّة!!

ضربه إسلام على كتفه كي يتوقف عن الحديث معترزًا:

-لا دا بيهزر بيهزر

قطعت قمر جدالهم بتقرير و هي تُشير نحو المبنى:

-دا السنتر بتاع ريتا ... ادخلو و قولولها إن إنتو تبعي .. أنا لازم أمشي عشان
مينفّش أفضل برة البيت أكثر من كدة

أوما كلاهما ثم أردف معترز بتقرير و إستئذان:

-أنا كمان لازم أطير عشان الشغل

ألقى مفتاح السيارة نحو إسلام كي يلتقطه ثم ذهب بعدها ليستقل سيارة الأجرة و
يرحل من تلك البقعة كما رحلت قمر أيضاً.

أما عن إسلام و داليا فدلفا هذا المبني بشجاعة و حماس لتلك الحقائق التي سيعرفانها
و تستطيع ردع فضولهما الذي أوشك على تدمير عقليهما، فيجب أن يحصلوا على
تفسيرات لما يحدث في أسرع ما يُمكن.....

رائحة المسك مُختلطة مع روائح أخرى تبعث في النفس إحساساً بالراحة و الهدوء،
تجتمع هذه الروائح مع العديد من الأحجيات و أضواء خافتة غطتها الشمس التي
اخترق شعاعها كل ركنٍ بالمكان، وسط هذه الأجواء كانت تجلس فتاة تبدو في قبالة
الثلاثين، تتربع على ركبتيها و تغمض عينيها لعلها تتغيب عن ذاك العالم و تسافر
بذهنها إلى عالم وردي يُنسجعه عقلها، لم تدري بإسلام و داليا اللذان تقدما نحوها في
هدوء حتى جلسا قبالتها، حممت داليا حتى تنتبه الفتاة إليهما:

-أستاذة ريتا...-

انتبهت لهما الفتاة المدعوة بريتا ذات الجسد الممشوق و الشعر الأسود المموج مع
أعينٍ داكنة غامضة، فتحت عينيها ببطءٍ و أمأت برأسها بهدوءٍ أخبرتهما أنها تستمع
لهما، بدأت داليا الحديث بصوتٍ رخيمٍ يتناسب مع تلك الأجواء:

-قمر هي إالي دلنا عليكي...-

أشارت على إسلام ثم أكملت:

-أنا و إسلام_

أكملت ريتا حديثها المتردد بثقة:

-بتبدلو أرواحكم مع بعض عارفة-

اتسعت حدقتاهما في صدمة من حديثها حيث كان إسلام يهمس بأذن داليا:

-هي دي ساحرة ولا إيه؟

استمعت ريتا لهمسه فأجابته:

-لأ ... أنا قريرت طاقتكم و إنتو داخلين و قدرت أقرأ إللي بيجرا جواكم

أردفت داليا بذهولٍ و صوتٍ هامسٍ كي لا يسمعها سوى إسلام:

-واو .. دي بتقرأ الأفكار

إقترب إسلام نحو أذنها هامساً:

-تفتكري عارفة كمان إننا بنتحول لأشباح؟؟ دا أنا كنت ناوي أخوفها بالموضوع

ده

قطعت ريتا حديثه بصوتٍ واثق:

-أنا مش بخاف من الأشباح

فتح إسلام فاهه بذهول و هو يقول:

-الله ... دي عرفت كمان إننا ممكن نبقي أشباح، أكيد قريرت أفكاري

أردعته ريتا بقولها الحاد بعض الشيء:

-صوتك كان عالي

محمد إسلام ببعض الحرج ثم اعتدل في جلسته و بقيا لفترة في حالة من الصمت

قطعتها داليا و قد صبغت صوتها بالجدية و هي تقول:

-طب إحنأ عايزين نعرف إحنأ بيحصل معنا كدة ليه-

أخذت ريتا نفساً عميقاً قبل أن تفك ربطة قدميها و تثب من الأرض لتتجه صوب إحدى المكاتب الصغيرة القابعة بأركان هذه الحجرة، جذبت إحدى الكتب التي تبدو وكأنها من مئات السنين، جلست بذاك الكتاب على الأرض لتفتحه أمام نظراتهما الحائرة و هما يستمعان إلى أسئلتها:

-إنتو قولتولي الموضوع ده بيحصل معاكم من إمتي ؟

كادت تُجيبها داليا لكن إسلام قطعها بإجابته:

-من ساعة ما جيت القاهرة ... بس قبلها كنت بحس إن في حاجات غريبة بتحصل معايا ... يعني أحياناً كان بيتهيألي إن روعي بتطلع، و كل ما كنت بقول لحد كان بيتريق، لغاية ما كبرت و بقيت أنا كمان بتريق على إللي كنت بقوله

كانت كلماته صادقة لأنه منذ صغره و هو يشعر بأشياء غريبة، كأن روحه تُفارق جسده و تتجول في الأرجاء، كذلك كانت داليا مثله بالضبط، فالأحلام التي كانت تظنها أحلاماً ما هي إلا ذكريات يحاول عقلها تذكرها بهم، فهي لم تقف من النافذة بصغرها بل كانت روحها هي من تفعل ذلك، و لم تصدمها سيارة و هي بسن المراهقة بل كانت أيضاً روحها هي التي تترك جسدها دون علمها و تجول في الأرجاء لتجعلها بالنهاية تشعر و كأن كل ما يحدث ما هو إلا حلم ليس إلا، طففا يقصان عليها كل ما يحدث و استمرت هي تبحث بالكتاب حتى سألت:

-سمعتو عن الإسقاط النجمي؟؟

حركا رأسيهما نفياً فأجابت على سؤالها:

-الإسقاط النجمي هي عملية ينفصل فيها الجسم الخفي عن الجسم المادي، العملية دي بتحصل لكل البشر و ممكن أي حد يعملها، بس أحياناً بتأدي لوفاة الشخص ده ده غير إن الروح أحياناً بتنفصل عن جسم الإنسان وقت النوم، ده إللي ساعات بيخلينا نحس إن الأحلام دي حقيقية لغاية ما العقل يرسل نداء للروح بإنها ترجع

للجسم تاني قبل ما يموت ... و لو الروح مستجابتش، الشخص يموت فجأة ... أو
الناس بتفتكر إنه ميت

أغلقت الكتاب بعد أن استهلت منه ما تُريده لتتقرب قليلاً من كليهما و تواصل الشرح:

-دا في حالة الإسقاط النجمي على الفرد نفسه، إنما دلوقتي ... في طريقة نقدر
نعمل بيها إسقاط نجمي على الشخص إللي قدامنا عن طريق تكوين هيئة نجمية
جوة الجسم إللي عايزين ننقله من روحه ... الهيئة دي ياما بتتكوّن عن طريق
إعادة تكوين الجسم الفسيولوجي ... ياما عن طريق التواصل مع الأرواح

إزدادت حيرتهما خاصة مع حديثها الثقيل على فهمهما، فحياتهما كانت بسيطة قبل أن
يُدركا أنها بهذا الحجم من التعقيد.

-بردو يعني ... إحنا إزاي إتكونت عندنا الهيئة النجمية دي ؟

سألها إسلام فأجابته بنفس طريقتها العلمية:

-أكيد في حد عمل التجربة و أرواحكم استجابت ... و الأرواح الجديدة بتستجيب
للنداءات لو البوابة مفتوحة

أردفت داليا بعد أن استنتجت القليل من الحقائق من حديثها:

-إنتِ قصدك إن أنا و إسلام إتولدنا في نفس اليوم إللي إتعملت فيه التجربة

أشار إسلام عليها و هو يقول بغير تصديق:

-إيه !! يعني أنا و إنتِ قد بعض في السن بالظبط !! ... إزاي أنا شكلي أكبر بكثير

أطبقت داليا على شفثيها و هي ترميه بنظرة مغذاها التوبيخ لكنها لم تنفوه ببنت شفة
لأن ريتا قطعنها لتواصل حديثها:

-في سببين بيخلوكم تتبدلو ببعض، الأول المسافة، لازم تكون المسافة بينكم أقل من ميت متر، و يكون حصل بينكم تواصل بصري حتى لو إنتو مش واخدين بالكم

فكرا هنيهة في حديثها حتى أردف إسلام باستفسارٍ:

-إحنا فعلاً بيوتنا قريبة شوية من بعض ... بس محصلش بينا تواصل بصري

تدخلت داليا بحديثه بعد أن زارتها ذكرى ما أجابت على أسئلتها:

-لأ حصل ... قبل اليوم إلتبدلنا فيه ... وقتها دماغى اتفتحت و أغمى عليا، ودوني نفس المستشفى إلتى إسلام بيشتغل فيها، أكيد هناك شوفته و أنا مش واخدة بالي

أومأت ريتا بتفهم لتمر فترة أخرى من الصمت قطعها إسلام بسؤاله:

-إزاي نتحكم بالي عندنا؟؟ إزاي نبدل مع بعض بمزاجنا؟

أجابت ريتا بحكمة:

-أول مرة بيحصل فيها التبدل بيكون في طرف من الإيتين مش راضي عن حياته و عايز يهرب منها ... فبيتبدل مع أقرب جسم ممكن يتبدل معاه ... و بعد أربعة و عشرين ساعة الجسم بيرجع تاني لجسمه الأصلي ... و لو حصل التبدل من طرف، الطرف ده هو إلتى بيكون مسئول عن إن كل جسم يرجع لأصله

قطعنها داليا بسؤال:

-طب إحنا نتحكم في التبدل إزاي؟؟

-تركزو على الطاقة ... طاقة إن إنتو عايزين تبدلو روحكم أو تخرجوها من جسمكم ... الطاقة دي جواكم، لازم تحاولو تتواصلو معاه عشان تستجب لكم ... و إلا هتفضل تتحرك على مزاجها طول ما الجسمين اتربطو ببعض أول مرة...

تبادلت حدقاتهما في تيهٍ لكنهما استطاعا أخيراً أن يفهما كل ما يحدث و يعرفا أيضاً كيف يتواصل مع تلك الطاقة قبل أن تُدمر حياتهما، فربما سيحاولان التواصل معها قدر الإمكان.....

تستظل بجسدها أسفل إحدى المباني القريبة من المبنى الذي أتت فيه مع صديقتها، تخشى الحراك خطوة كي لا تلقى حتفها و تسقط صريعة وسط الحشود، اضطربت نبضات قلبها و طفقت تسب نفسها على ذلك القرار الذي اتخذته لتعرض حياتها للخطر، فلم يكن من المفترض أن تترك منزلها في هذه المحنة، استمعت إلى هرولة تقترب منها و ما هي إلى ثوانٍ معدودة حتى وجدت لؤي أمامها يبدو عليه الغضب و القلق:

-إيه إلهي بتعمليه هنا؟؟ أنا مش قولت متخرجيش من البيت من غير علمي

قالها بنبرة حادة و كأنه يحدث طفلة التي يخشى عليها من الهواء الطلق، أنكست قمر رأسها و هي تعتذر له معللة أن سبب مجيئها كان فقط من أجل صديقتها و لم يكن لديها وقت لمهاتفته و إخباره إلا الآن، بعد العديد من الاعتذارات أردف لؤي بصرامته المعتادة:

-يلا إمشي قدامي عشان أروحك البيت

ارضخت قمر لطلبه و طففت تتحرك خطواتٍ قليلة أوقفها هو بفرد ذراعه أمامه و أعينه التي تُحدق في مكانٍ ما و كأنه يشتم رائحة الخطر:

-استني خليك

اتسعت حدقتا قمر و بدى عليها الخوف من لكنته الأمرة، حدقت إلى ما يُحدق به و إذا أنها تلاحظ شخصاً يراقبها من بعيد و يبدو أنه يحمل سلاحاً يُدثره داخل جعبته استعداداً لإطلاق النار.

- هو في إيه؟؟

سألته بقلق فأجابها بحدة:

-الراجل ده مستنيكي تخرجي عشان يضرب نار

أردفت بصوتٍ متقطع كادت الدموع تنهمر معه من الخوف:

-طب هنمشي من هنا إزاي؟

أخرج سلاحه من جعبته و قام بتعميره استعداداً لإطلاق النيران، وجه حديثه نحوها
بلكنة امرأة:

-أول ما أعد لغاية ثلاثة نجري من هنا عطلول ... واحد ..إثنين..

لم يكد يُكمل العد حتى وجدها تنطلق بأقصى ما لديها و ينطلق معها الطلقات النارية
التي جعلتها تصرخ و تُغطي وجهها، سبها لؤي بقرارة نفسه ثم وجه سلاحه نحو
الرجل ليطلق عليه بضع طلقات لم تُصبه بسبب هرولته و هو يُطلق النيران.

استطاع الوصول إليها فبقي كلاهما يُهرولان و وراءهما هذا الرجل لكن تبادل
النيران قد توقف نظراً لاقتحامهم منطقة تعتج بالأشخاص، اقتحمت قمر الحشود و
وراءها لؤي يقوم بحمايتها و يهمس بأذنها بحدة:

-أنا مش قولت لما أعد لغاية ثلاثة تتحركي؟

بررت قمر موقفها بخوف:

-منا كنت خايفة و لقيت نفسي بجري لوحدي

لاحظ لؤي أن هناك المزيد من الرجال يتبعونهما فأمسك برسغ قمر و جذبها وراءه
بحدة كي تُسرع الخطا و تهرول بعيداً عن تلك البقعة، ظلأ يهرولا في الطرقات حتى

إقتربا من إحدى المراكز التجارية، لكنهما قبل أن يدلفا اعترض طريقهما رجلين يوجهان فوهة السلاح ناحيتهما، حيث كان أحدهم يُصوب السلاح من الخلف و الآخر من الأمام يحاصرانهما في دائرة لا يُمكن الفرار منها.

تسمر كلاهما على الأرض يحاولا العثور على خطة للفرار، استجمعت قمر قواها في تلك اللحظة لتوجه نظرتها الثاقبة اتجاه الرجل الذي أمامهما و تبقى على هذا الحال حتى سقط على الأرض مغشياً عليه، في نفس تلك اللحظة التف لؤي بذراعه نحو الرجل الذي وراءه و لكمه لكمة أطاحت بسلاحه و لوت ذراعه، ركله بقدمه لكن الرجل لم يستسلم و حاول الوثوب و الانقضاض على لؤي ليبدأ الشجار بينهما.

كان لؤي هو الطرف الأقوى بهذا الشجار حيث ركله حتى سقط على الأرض ثم ركله ركلة أخرى قريبة من رأسه جعلته يفقد الوعي و ينسل الدماء من فمه، ركضت قمر بعدها أمام لؤي الذي أشار لها بأن تركض أمامه ليُراقب هو الرجل الآخر الذي يلاحقهما.

دلفا إحدى متاجر الملابس و دلف وراءهما الرجل الآخر يبحث عنهما بين الحشود دون أن يلاحظه أحد، اختبأت قمر هي و لؤي خلف حفنة من الملابس المُعلقة تلتفت يمينًا و يسارًا خشية من أن يراهم، همست بأذن لؤي:

-هنعمل إيه دلوقتي؟؟-

التفت لؤي حوله بحثًا عن حل يُنجدهما من هذه الورطة، وقعت عيناه على إحدى الثياب المُعلقة القريبة منهما؛ وجه حديثه لقمر كي يُخبرها الحل:

-عندي فكرة....-

بعد برهة من الوقت خرجت فتاة مُنتقبة من إحدى عُرف تبديل الملابس و جوارها رجل ذا لحية كثيفة و جُلُبابٍ أبيض، يتحركا بهدوءٍ بين الحشود حتى تركا المتجر بأكمله و استقلا السيارة.

أزاحت الفتاة المنتقبة جزءًا من نقابها لتظهر قمر أسفله و جوارها لؤي بعد أن بدلا ثيابهما و تركا المتجر دون أن يلاحظهما أحد، يقوم لؤي بتدوير السيارة و هو يقول بحدة:

-أديكي شايفة إلي حصل لما خرجتي من غير إذني إياكي تخرجي تاني برة البيت

أومأت قمر بإمارات الخوف التي مازالت على وجهها إثر كل ما حدث، تكاد تتيقن أنها لولا مساعدة لؤي لما عادت إلى منزلها سليمة معافى، بقيت إمارات الخوف على وجهها حتى أوصلها لؤي إلى منزلها و طلب منها أن تُطمئنه عليه كما لو أنها طفلة الصغيرة، فيجب عليه حمايتها حتى لو كلفه الأمر حياته....

ما أجمل أن تُرمم جهلك بضروبٍ من المعرفة، خاصة و إن كان هذا الجهل يتعلق بك أنت، كان هذا حالهما بعد أن تركا البناية بعد أن أرضيا فضولهما و غمرت السعادة طياتهما، فقد أدركا أخيرًا ماهية ما يحدث و ينغص عليهما حياتهما على الرغم من جهلها في كيفية استخدام تلك القدرة حتى الآن، طفقا يُفكران فيما حدث من البداية لعلهما يجدا الطريقة التي يتحلمان فيها بما يحدث، حيث تسائل إسلام:

-هو مين فينا إلي بدأ التحويل؟؟ هي قالت إنه كان متضايق من حياته يبقى أكيد مش أنا

حممت داليا بحرج بعدما تذكرت ما حدث قبل الليلة التي تبادلت فيها أجسادهما، فقد كانت تبكي ككل ليلة على ما يحدث في حياتها الروتينية المملة، لكنها بالطبع لم تُخبره بهذا، فمن هو حتى يعرف ما يحدث بحياتها، هو فقط شخص يستطيع اقتحام جسدها متى ما أراد!!

غيّرت ضفة الحديث بجديّة:

-مش مهم مين إللي بدأ ... المهم إننا عايزين نعرف إزاي نتحكم بالطاقة دي قبل ما هي نتحكم بينا

أوما بتفهم لحديثها لتمر برهة من الصمت لاحظ فيها إسلام تلك الحديقة الشاسعة أمام المنزل و التي تُعد أفضل مكانًا للتدرب فيه، أشار على داليا لنتبعه و يجلس كلاهما على الحشائش قبالة بعضهما بعضًا، تربعا على الأرض و طفقا يُحدقان ببعضهما برهة كان يقول فيها إسلام بحكمة متذكرًا حديث ريتا:

-لازم نركز من جوانا إننا عايزين نتبدل

أغمض عينيه كما فعلت هي و بقيا في حالة من الصمت يعتصرا عقليهما و يصبأ كل تركيزهما على ما يريدأ فعله، ثم فجأة..

انتفضت أجسادهما مما يعني أنهما قد تبادلا أخيرًا، لاحت ابتسامة على وجهيهما ما إن نجح الأمر و كادا يُهللان من الفرح، أعادا الكرة مجددًا ليعودا إلى جسديهما مجددًا حتى أدركا للتو كيف يتحكما بتلك القدرة، ينقصهما فقط القليل من التدريبات حتى يعتادا على الأمر، كانت داليا تقول بحماس:

-عملناها أخيرًا....

أوقف إسلام حماستها بجدية:

-لسة ناقص حاجة ... إعملي زيي

دعاها للاستلقاء بظهرها على الحشائش و هناك مسافة مترين بينهما، أغمضا أعينهما مجددًا و أعادا التركيز على الطاقة، هذه المرة كان الوضع أصعب لأنهما يريدأ التحرر من جسديهما تمامًا.

مرّت برهة من الاعتصار الذهني حتى أخيرًا استطاع إسلام الوثوب من الأرض بروحه و لا يزال جسده مستلقيًا مكانه كما استطاعت داليا هي الأخرى و لم تُصدق ما فعلته للتو، هل أصبحت من الأشباح الآن؟؟

لاحت ابتسامة على ثغرها و هي تثب من الأرض بروحها و تقفز في سعادة إستغلت معها أن لا أحد يراها أو حتى يسمعها، إقترب إسلام نحوها بروحه يردف بلهفة و بعض التحذير:

-الموضوع طلع أسهل مما تخيلت ... بس خُدي بالك، إحنا ممكن نفضل أرواح طول عمرنا، مش هنرجع لجسمنا بعد أربعة و عشرين ساعة زي التبديل

أومأت رأسها بتفهم كي تأخذ حذرهما لأنها من الممكن أن تطفو بروحها لمدة إسبوع أو أكثر دون أن تعود إلى جسدها مجدداً، فالطريقة الوحيدة للعودة لجسدها هي الإقتراب بروحها من جسدها المادي، بعد برهة من الوقت عاد كلاهما إلى جسديهما و وثبا من الأرض استعداداً للرحيل لأن الشمس شارفت على المغيب، كان يتحرك إسلام أمام داليا و يُخبرها:

-يلا تعالي أوصلك الدنيا هتليل

اعترضت داليا حديثه باستماتة:

-لأ .. أنا مش هركب عربية راجل غريب، الناس تقول علينا إيه

أجابها بتبرير منطقي:

-الناس ممكن تقول علينا إخوات أو متجوزين عادي يعني، ثانياً أنا و إنتِ واحد، إنتِ نسيتي إننا بنبدل مع بعض

أصرت على قرارها باستماتة ربطت معها ذراعيها:

-مليش في، انا مش هركب مع راجل غريب

تركها إسلام وشأنها بلامبالاة قال معها:

-خلاص إنتِ حرة، خليكي هنا بقى لو لقيتي مواصلات إبقى قابليني

استفزها بحديثه فشعرت هي بالغضب و هو يبتعد عنها و يكاد يستقل سيارته لكن فجأة...

تبادلت أجسادهما و كانت داليا هي السبب، حيث دلفت جسده القريب من السيارة و كانت تقول:

-أنا قولت مش هركب مع راجل غريب، بس مجبتش سيرة ست غريبة

أطبق إسلام على شفتيه في حنقٍ ثم إقترب نحو سيارته ليستقلها بجسد داليا و الغضب يتطاير من عينيه:

-والله ما فاهم الستات دي دماغها فيها إيه

تمتم بهذه الجملة في قرارة نفسه و هو يستقل السيارة جوار داليا التي استحوزت على جسده و تركت له أمر القيادة:

-بتقول حاجة؟؟

قالتها بتملقٍ لكنه لم يُجيبها و طفق يقود السيارة حتى يقلها إلى منزلها ثم يعود هو إلى منزله.

بعد مرور نصف ساعة من القيادة كانت داليا تغط في النوم كالعادة و إسلام يقود السيارة حتى توقف بها عند إحدى الكمائن و كان عليه أن يوقظ داليا التي استحوزت على جسده.

-داليا ... يا داليا إصحي في كمين

انتفضت داليا قبل أن تستيقظ من نومها و تنتبه إلى ذلك الضابط الذي يسأل إسلام:

-الرُخص لو سمحتي

وجه إسلام حديثه نحو داليا بأمر:

-هاتي الرخص من التابلو

استجابت داليا لأمره و أعطته الأوراق المطلوبة ليعطيها للضابط أمام نظراته التي ترمقها بحيرة خاصة بعدما ناداها إسلام بصيغة الأنثى و هي داخل جسده، رمق الضابط الأوراق ثم تبادلته حدقاته بينهما حتى سأل:

-مين إسلام؟؟

رفع إسلام يده ببلاهة و قد نسي تمامًا أنه داخل جسد داليا و هو يقول:

-أيوة أنا إسلام

عقد الضابط حاجبيه بحيرة و هو يسأل:

-إنت إسلام إزاي؟؟

أدرك إسلام ما اقترفه من خطأ فحمم باعتذار ثم أشار على داليا و هو يقول:

-قصدي هي إلمي إسلام مش أنا

دعمت داليا حديثه بتهته:

-أيوة أنا إسلام و هو داليا

إزدادت حيرة الضابط و ظن أنها أحقن لذلك سألها:

-بطايكم طيب

عبث إسلام بثياب داليا بحثًا عن بطاقتها التعريفية التي لم يجدها فسألها:

-بقولك إيه إنت حطيتي البطاقة بتاعتك فين ؟

أجابته داليا ببساطة:

-هتلقيا جوة المحفظة ... إنت إالي بطاقتك فين ؟

كاد يُجيبها إسلام لكن الضابط قطعه بعد أن كاد ينفجر من الحيرة:

-هو في إيه، إنت ليه بتكلميه على إنه واحدة ست ؟ و هو بيكلمك ليه على إنك
راجل ؟

وجه السؤال نحو إسلام و هو داخل جسد داليا فشعر بالارتباك لوهلة و حاول أن يعثر
على حجة يستطيع الضابط تصديقها:

-أصل انا ... أصل أنا نسوية و مش بحب الرجالة فبكلم الناس كلها على إنها ستات

أضافت داليا على حديثه بتبريرٍ أبله:

-أيوة و أنا رجولي _

قطع إسلام حديثها ليُصحح لها بهمس:

-ذكوري اسمها ذكوري

أعادت داليا ما ستقوله نحو الضابط:

-قصدي أنا ذكوري فبكلم كل الناس على إنها رجالة

بقي الضابط يرمقها بريية قطعها إسلام ليوضح صدق حديثه:

-أهو البطايق حضرتك و والله العربية سليمة تقدر حضرتك تتأكدي بنفسك

كان يحدث الضابط بصيغة الأنثى كي يُصدقهما أمام حيرته التي تتضخم أكثر، لكنه أراد أن يتركهما وشأنهما فأعطى إسلام بطاقتهما و إردف:

-طب إتفضل البطايق ... قصدي إتفضلي البطايق

أعطى البطاقات لإسلام و هو بداخل جسد داليا ثم انطلقا بالسيارة و كان الضابط يضرب كفاً بالآخر و هو يقول:

-إيه الأشكال إلي بتتحدف علينا دي ؟

توقفت سيارة إسلام عند منزل داليا فترجلت من السيارة و كادت تتحرك للبناية دون أن تنتبه أنها لا تزال تستحوز على جسده، ترجل إسلام من السيارة كي يستوقفها:

-استني هنا

توقفت داليا عن السير لتنتبه له و تنتبه أيضاً أنها لا تزال بجسده:

-أه معلى نسيت

قالتها ثم أغلقت عينيها لتستطيع التحكم بالطاقة حتى عاد كل منهما إلى جسده مرة أخرى، إقتربت داليا نحو إسلام كي تُخبره قبل أن تدلف البناية:

-من هنا و رايح محدش يدخل جسم الثاني من غير علمه، و هنتدرب أكثر إننا نتحكم باللي عندنا

أوماً إسلام إيجاباً و أخبرها أنه من المستحيل أن يتخلى عن جسده و ينتقل إليها إلا للضرورة القسوة، فهو ليس بحاجة أن يستحوز على جسدها من الأساس و لا هي كذلك، الأمر الوحيد الذي سيفعلانه دون إذن هو التحرر من جسديهما بأكمله، و هذا ما سيحتاجان إلى المزيد من التدريبات حتى يستطيعا التحكم في الأمر بسهولة و يُسر

....

حلّ الليل بديجوره و أصبحت النجوم مُرصعة في السماء لتخلق جواً شاعيرياً يبعث
السكون بالأنفس، و في خضم هذه الليلة كانت قمر تندثر بكنف كوكي داخل منزلها و
جوارها داليا تجلس على الفراش تستمع إلى ما حدث لقمر في تلك الليلة و تلك
المطاردة التي كادت تفقد حياتها بسببها، فكل ما كانت تقوله قمر هو أن حياتها بخطر
ثم تندب حظها و تسب اليوم الذي قررت فيه القبول بإجراء الحوار، فكل ما أرادته
هو حياة هادئة روتينية خالية من المشكلات.

بعد أن أنهت حديثها أردفت كوكي مُغيرة مجرى الحديث:

-أنا قابلت الراجل إلي بكلمه من فترة

انتبهت كلاتهما لحديثها فاعتدلت قمر بجاستها لتصغي لها، سألتها داليا بفضول:

-و كان عامل إزاي ؟

أخفضت كوكي بصرها و هي تقول:
-مش هتقصدكو طلع مين

اندفعت قمر باستنتاج:

-متقوليش ... طلع واحدة ست و بتشتغلِك صح؟؟

نفت كوكي برأسها فاستنتجت داليا:

-طلع راجل قد أبوكي ؟

نفت كوكي مجدداً حتى قالت في النهاية:

-لأ ... طلع معتر السواق

شهقت كلتا هما في ذهول حتى أردفت قمر:

-إيه !! ... هو مش كان بيقول إنه محامي؟

تنهدت كوكي بضيقٍ قبل أن تقص عليهما ما حدث و تعود بذاكرتها للوراء...

-مُعْتَز!!

قالتها ما إن رآته أمامها يرمقها بنفس الحيرة التي تكنيها:

-ناجِئس!!

قالها بدهشة و هو يثب من مقعدة ثم يسأل:

-إنتِ هي كنزي إللي بكلمها؟؟

لاح على وجهها بعض إمارات الغضب و هي تقول:

-أيوة أنا كنزي ... إنتِ إللي إزاي تبقى زيزو؟

برر لها ببساطة و بعض الحدة:

-أنا بيقولولي زيزو ... دا اسم الشهرة بتاعي

ربطت ذراعيها و هي تقول بتملق:

-أومل ليه قولت إنك محامي ... أنا مش مصدقة إنتِ إزاي كداب كدة

دافع عن نفسه ببعض الحدة:

-أنا مش كداب ... أنا كان المفروض أبقى محامي و كل الناس المفروض تعرف إن

أنا محامي

رفع من صوته قليلاً مما أشعرها بالغضب فأنتهت الحديث معه:

-لأ إنت واحد كداب و كويس إنى عرفت حقيقتك...

عادت من ذكرياتها و هي تقول باستياء:

-انا مش عارفة ليه " I was so disappointed " كنت في قمة إستيائي "

حسيت إن أنا جرحته

ربتت قمر على ظهرها بمواساة:

-ولا تزعلي نفسك، إبقى اعتذريه لما تشوفيه بكرة، مش إنتو كدة كدة بتشوفو
بعض كل يوم تقريباً ؟

أومات كوكي رأسها و لا يزال الاستياء و الضيق يغمرانها تظن أنها أهانته بحديثها و نعتته بالكاذب و هي أيضاً لم تكن تُخبره باسمها الحقيقي، أدركت للتو أن تلك الطريقة للتعارف على الآخرين ما هي إلا طريقة وهمية تحجب حقيقة الشخص و تُزينها بحقيقة أخرى تجعلنا نتخبط بالخدلان ما إن نُدرك خطأها، بعد برهة من الصمت و الحديث عن مشكلة كوكي أردفت داليا بلكنة آثارت إنتباههما:

-اسمعو بقى عشان إللي هقولهولكم ده هيبقى أغرب حاجة ممكن تسمعوها

سخرت قمر من حديثها بقولها:

-إيه طلعتي بتتحولي لحيوانات كمان ؟

قذفتها داليا بالسادة و هي تقول:

-لأ يا ظريفة ... طلعت من الأرواح المتقلبة

تبادلت نظرتهما في ريبة حتى سألت كوكي:

-يعني إيه أرواح متنقلة؟؟

آجابتها داليا و هي تعتدل في جلستها:

-إللي اسمها ريتا دي هي إللي قالتلي إن أنا و إسلام كدة ... قالت إن أنا و هو من الناس إللي أرواحها استجابت للنداءات و بقينا نبذل أرواحنا و نتحكم في مكانها ... يعني أخيراً عرفت الحاجات الغريبة إللي بتحصلني سببها إيه

أنهت حديثها بلهفة أمام نظراتهما الحائرة خاصة كوكي لأنها لا تفقه شيئاً عن ذلك الحديث:

-يعني إنت بتقدري تبقي " spirit شبح " ؟

استقامت داليا في جلستها و هي تقول بلهفة:

-أيوة أقدر بس إنتو مش هتعرفو تشوفوني و هتفتكروني ميتة ... أوريكم ؟

أوقفها بصوتٍ مرتفعٍ خشية من حديثها و خشية من رؤية صديقتها جثة هامدة:

-لا متوريناش

جذبتها قمر لتقترب داليا نحوهما و تندثر بينهما لتتوقف لهفتها و تتوقف عن ذلك الجنون الذي كانت على وشك اقترافه، كانت قمر تُصدق جزءاً من حديثها بعدما رأتها أمامها هي و إسلام بينما كوكي لم تكن على علم بما يحدث فاستغلت داليا الفرصة و أخبرتها عن كل ما حدث و هذه المرة كانت الأدلة و البراهين بحوزتها، استطاعت صديقتها أن تُصدق جزءاً من حديثها و الجزء الآخر لن تُصدقه إلا إذا رآته أمام عينيها....

صباح اليوم التالي كان فاتح نظمي داخل مكتبه بذاك المنزل البعيد عن كافة البشر، يضرب بأصابعه على الطاولة في غضبٍ كلما تذكر أنه لن يستطيع الفرار من تلك البلدة قبل أن يتخلص من ذاك الضابط الذي يلاحقه و تلك الفتاة التي تسببت بكل هذا، كان ينتظر مكالمة هاتفية من إحدى رجالة ليُخبره أن الأمر إنتهى و أن تلك الفتاة الشمطاء من وجهة نظره ستدله عن مكان الأدلة بعد أن اعتقد لو هلة أنها تُمارس ضرباً من ضروب السحر، ظن أن رجاله سيُخبروه أن باستطاعته أن يهرب من هذه البلدة لكن ما حدث أنه وجد إحدى رجاله يقتحم خلوته و يردف بصرامة:

-فاتح بيه ... إحنا مقدرناش نتخلص منها ... الضابط إلي معاها ده واقف في طريقنا و ممكن يعرف إحنا فين، خاصة و هو معاه البنت دي إلي بتخلي الناس تعترف بالحقيقة

استدار فاتح ليقابله و يقول بحدة اختلطت مع غضبه و صرامته:

-أنا مش هسمح للاتنين دول يعرفو مكاني ... لازم أوصلهم و أعرف مكان الأدلة إلي ضدي عشان أخرج منها إنت فاهم ... الاتنين دول هما إلي إتسببو في إلي أنا في ... و هما بردو إلي هيقدررو يساعدوني خصوصاً البنت دي و لما أخذ إلي أنا عايزه منهم هخلص عليهم هما الاتنين الضابط و قمر...

تحركت خطواتها داخل بناية كبيرة يبدو أنها إحدى المعامل حديثة التراث لكثرة ما بها من أجهزة و علماء، تتجول بين هذه الأجهزة حتى اقتحمت إحدى المكاتب بعد أن أخذت الإذن و طرقت على الباب عدة طرقات.

ظهر ضرغام و هو يجلس على مكتبه يحتسي فنجان القهوة بهدوءٍ أوقفته هذه الفتاة و هي تقترب منه حتى وضعت كفيها على الطاولة و تردفت بلهفة و ثقة:

-ضرغام ... أنا لقيت اتنين من الأرواح المتنقلة

ظهر وجه هذه الفتاة التي تُحادث ضرغام و إذا أنها ... ريتا... !!

الفصل السابع (إختطاف)

إن كنت عاجزًا عن مواجهة الآخرين فكيف عليك مواجهة صراعاتك؟؟

هذا ما كانت تُفكر به و هي على فراشها بعد أن مرّت ثلاثة أسابيع راكدة لم تتغير بهم الأمور، فظلت حياتها الروتينية الفاترة كما هي، ما تفعله هو الذهاب إلى العمل و مقابلة صديقاتها في المساء، حتى أنها لم تعد تتحدث مع معتر كما السابق، فقد حاولت الاعتذار عما بدر منها لكنه لاقاها بتبليد و جمود كأنه لا يعنيه اعتذارها أو هو حرج منها، هي لا تعلم بالضبط، لكنها افتقدت الحديث معه، افتقدت ذلك الاسم الذي لا يناديها به أحد سواه، افتقدت حتى تلك المشاجرات السخيفة التي تدور بينهما و دندنته بتلك الأغاني التي لا تعجبها.

لا تعلم لما تفتقدها تلك الأمور على الرغم من أنها تمقتها و تضجر منها، لاحت ابتسامة هادئة على ثغرها كلما تذكرت بعض من المواقف بينهما و كم أنها تريد إعادتها كما لو كانت ترغب بإعادة رحلة إلى إحدى الدول الكبرى.

بقيت على هذا الوضع عدة ساعاتٍ حتى تذكرت أنها يجب أن تهرع من المنزل و تذهب إلى العمل؛ وثبت من الأريكة تتجه إلى حجرتها لترتدي حذاءها قبل أن تهرع من المنزل، لكن فجأة...

شهقة مدوية خرجت من فمها ما إن رأت هذا المنظر أمامها، هرولت بسرعة اتجاه خزانها تنتشل حذاءها بهيظ الثمن من كلبتها التي مزقته و كأنه لعبة من ألعابها.

-إيه إلهي عملتيه ده يا جيجي؟

قالتها بعتابٍ و هي تتفحص حذاءها المسكين بعد أن تمزق كليًا من الأمام، كادت الدموع تفر من عينيها لأن ذلك الحذاء كان عزيزًا عليها و دائمًا ما ترتديه في ذلك اليوم بالأخص، فهي تُقسم ثيابها و أحذيتها على مدار الإسبوع لكن كلبتها قد دمرت مخططاتها عندما التهمت أغراضها، ألقت بالحذاء على الأرض في غضب ثم ارتدت غيره لتهرع من المنزل و تقابل معتر الذي كان بانتظارها ليقلها إلى العمل....

أرعى ظهره على أريكة وثيرة داخل مكتب يبدو عليه الأناقة، كان هذا إسلام لكنه لم يكن داخل مكتبه الخاص، بل كان داخل المكتب الخاص بمدير المشفى يجلس عليه بأريحية كما لو كان مكتبه بالضبط، فالحقيقة أن هذا ليس إسلام، بل كانت روحه التي انتهزت الفرصة و طفقت تتجول بأركان المشفى تراقب الأطباء و الممرضون ليسخر منهم و يكتشف أسرارهم خاصة هذا المدير الذي ظن أنه يتاجر بالأعضاء كما يشاهد بالتلفاز.

دلف المدير مكتبه و جلس على المقعد أمام إسلام الذي يراقبه بإمعان، تقدم إسلام بجذعه و طفق يقول بقرارة نفسه و الحماس يغمر كلماته:

-أبوة ... ورينا بقى يا رياض بيه حكايتك ... أنا شاكك فيك من الأول و هكشفت حقيقتك قريب

التفت رياض حوله ليتأكد أنه وحيد بالمكتب بخلاف إسلام الذي لا يراه بتاتاً، وثب إسلام من المقعد ليراقبه عن كثب و يرى ما يخفيه ذاك المدير، حيث وجده يقول بصوتٍ مسموع:

-الحمد لله مفيش حد...

لاحت ابتسامة خبيثة على ثغر إسلام ما إن استمع إلى تلك الجملة و رأى رياض يلتفت نحو خزانة تقبع أسفل مكتبه و ينتشل المفتاح المخبأ داخل إحدى الأدراج ليفتحها و يُخرج ما بها من مقتنيات كما ظن إسلام.

فرك إسلام يديه في حماس ما إن رأى الخزانة يتم فتحها و سيضحى هو أول من يرى ما يُخبئه هذا الطبيب الخبيث، فربما يوجد داخلها العديد من النقود أو تلك الصفقات المشبوهة التي تُبرهن مدى حقارته، لكن حماسه قد تلاشى ما إن وجد....

دمية !! نعم ... أخرج رياض دمية من داخل الخزانة و كانت فتاة ذات صفائر وردية و رداء أحمر، عقد إسلام حاجبيه بغرابة خاصة و هو يرى المدير يضع الدمية أمامه و يتحدث معها بحنو و كأنها حية:

-إزيك يا فتحية؟؟ معلى إتاخرت عليكي بس والله كان عندي شغل

هنا و لم يعد يتحمل إسلام فانفجر في الضحك و هو يرى المدير الذي يهابه جميع الأطباء يتحدث مع دمية و يداعبها و كأنه طفلة صغيرة.

-فتحية !! يا بن الإيه يا رياض

قالها بخُبت بين ضحكاته ثم جلس على الأريكة و هو يقول:

-دا إنت حالتك صعبة

استمع إلى طرقات على باب المكتب فرأى رياض يضع الدمية مكانها في دعر و يسمح للطارق بأن يدلف، وجد أمامه رجل يبدو عليه الوقار يرتدي بزة فاخرة و يحمل معه حفنة من الأوراق، جلس هذا الرجل أمام رياض لتمر بينهما حفنة من الترحيبات قطعها الرجل بقوله:

-أنا عايز أتكلم مع دكتور هنا اسمه إسلام ... يا ترى هو موجود ولا لا؟

اتسعت حدقتا إسلام ما إن استمع إلى اسمه فقال بذهول:

-أنا !! هما عايزيني أنا!!

وجد رياض يُخبر الرجل بثقة:

-أه موجود طبعاً ... أنا هقول لحضرتك على مكان عيادته...

وثب إسلام بسرعة من مقعده و هرع من المكتب كي يعود إلى جسده مجدداً و يرى ما الذي يُريده منه هذا الرجل.....

أصوات العصافير غمرت المكان لتجعل هذه الأجواء مليئة بالحوية و النشاط، كانت قمر في هذا الوقت الباكر من اليوم تهرع من إحدى المتاجر و معها كوبيين من المثلجات التي تُرطب عليهما من حرارة الطقس، واحد منهما بنكهة الفراولة و الآخر بالفانيليا، مدت إحدى الأكواب اتجاه لؤي الواثق جوار السيارة يراقبها عن كثب بعد أن طلبت منه ألا يدلّف معها المتجر كي لا يرى ما تشتريه من متعلقات تخص النساء فقط.

اعتدل لؤي في وقفته و هو يأخذ منها المثلجات و يتشكرها بؤد على الرغم من انه لم يطلب منها حتى أن تشتري له المثلجات، فهي فعلت هذا كنوع من الامتنان على وقوفه جوارها و حمايته لها طيلة الوقت كما لو كان ملاكها الحارس، استندت جواره على السيارة ببسمة هادئة تعتلي ثغرها و هي تتناول من مثلجاتها و تقول:

-كان نفسي في الأيس كريم فجببتك معايا

تشكرها ببسمة هادئة ثم استندت جوارها على السيارة يتفحص المكان حوله ليرى إن كان الوضع آمناً، مرّت برهة من الصمت قطعها قمر بقولها:

-خلينا نتعرف على بعض شوية ... إحنا مش بنتكلم غير عن إلهي ما يتسمى فاتح

أوما رأسه بموافقة فإزدادت لهفتها و هي تقول بتعريفٍ لذاتها:

-ماشى ... انا قمر و بشتغل صحفية .. أو كنت بشتغل لسة مش عارفة

اتسعت بسمتها و هي توجه الحديث له:

-و إنت بقى بشتغل إيه ؟

رمقها بحيرة من بلاهة السؤال ثم قال:

-أنا.... !!

أشاح بوجهه و هو يُخبرها بسخرية:

-أنا بشتغل مروّض أسود

شهقت بحماس ثم أردفت ببسمة تعتلي ثغرها:

-الله أنا كان نفسي أوي أتعرف على واحد بيلعب مع الأسود

حافظ لؤي على هدوئه قدر الإمكان و هو يهتف بوجهها:

-دا على أساس إننا إتعرفنا على بعض في السيرك !! يا قمر أنا ظابط و إنتي
المفروض عارفة

تلاشى حماس قمر و هي تقول باعتذار:

-أه صحيح معلى نسيت

تنهد لؤي بخيبة أمل ثم تناول من مثلجاته لتمر بينهما فترة وجيزة من الصمت قطعها
هي بسؤالٍ آخر:

-طب أنا عندي أخت و أخ اسمهم شمس و شهاب....

كادت تواصل حديثها لكنها تذكرت أن لؤي يعرف هذه المعلومات فتراجعت عما
ستقول بقولها:

-لا ... إنت عارف برود المعلومات دي ... طب إيه رأيك تعرفني إنت عن نفسك،
كلمني عن أسرتك و حياتك ... يلا

أوما لؤي بهدوء بعد أن شجعتة حتى وافق على الإجابة فأردف:

-ماشي، أنا عايش مع ماما و بابا ... ماما مش بتشتغل و بابا لوا في الداخلية ... و
مش عندي إخوان

فتح باب السيارة و هو يقول بتقرير و نبرة جامدة:

-يلا نمشي من هنا قبل ما يحصل حاجة

استجابت لأمره و إستقلت السيارة جواره و هي لا تزال تحمل كوب المتلجات كما
يحملها هو الآخر...

لم يلاحظ تلك السيارة الكبيرة التي تحركت فوراً وراء سيارتهما و كأنها تتبعهما....

استقلت السيارة بوجه عابس و حاجبان معقوصتان أبرزتا مدى ضيقها و غضبها، كان
مُعتر يتولى القيادة كالعادة لكنه استشعر غضبها و لم يُعقب بسبب حائل الجمود الذي
بُني بينهما بعد ما تقابلا بإحدى المقاهي، تفحصها لوهلة بنظراتٍ سريعة ثم تحرك
بالسيارة و هو لا يزال يُفكر فيما حدث معها و يعتقد أنه قد أدرك لما هي غاضبة.

لم يتحدثا طوال الطريق حتى توقفت السيارة قُرب إحدى المقاهي دون أن تنبس
كوكي ببنت شفة، حيث وجدها تردف بتساؤل:

-إحنا وقفنا ليه ؟

أخبرها مُعتر قبل أن يترجل من السيارة:

-هجيب حاجة و هاجي علطول ... مش هتاخر

أومأت كوكي بلامبالاة و بقيت على حالتها حتى جاء مُعتر بعد وقتٍ قصير و معه حقيبة ورقية تحتوي على شيءٍ ما و كوبيين من القهوة الباردة التي تُفضلها كوكي، أعطاهما الحقيبة و كوب القهوة بؤدٍ أمام نظراتها الحائرة التي أردفت معها:

-إيه ده؟

فتحت الحقيبة لتجد بداخلها حذاءً أنيقاً يُشبه حذاءها الذي تمزق لكنه ليس أصلياً بالطبع، لاحت ابتسامة على وجهها و هي تتفحص الحذاء و تستمع إلى حديث معتر:

-أنا عارف إنه مش زي القديم، بس ده إالي قدرت أجيبه

سألته بحيرة و هي تمسك بالحذاء:

-إنت عرفت منين؟

أجابها بكل بساطة:

-سمعتك و إنت بتزعقي مع الكلبة عشان بوظت الجذمة ... كان صوتك عالي ... و أنا عارف إنك كل يوم خميس بتلبسي الجذمة دي عشان مش عندك حصص كتير

شقت ابتسامة ثغرها ما إن أنهى حديثه، لا تعرف كيف يهتم بتفاصيلها بهذه الطريقة، و كيف يلاحظ ثيابها و أدق تفاصيلها كما لو كان يدري بما يدور داخل ذهنها، وضعت الحذاء داخل الحقيبة و هي تتشكره بامتنان:

-شكراً..

مرّت بينهما برهة من الصمت كانت تحتسي فيها القهوة كما يفعل هو بالضبط حيث أحب هذه القهوة المتلجة التي لم يكن يعرفها قبل أن تقتحم حياته، قطع مُعتر هذا الصمت بنبرة مستاءة بررت ما فعله من قبل:

-أنا كان المفروض أكون محامي من و أنا صغير طول الوقت كنت بقول إني هبقى محامي ... و فضلت أذاكر و أعمل كل إللي أقدر عليه عشان أدخل كلية الحقوق ... لغاية ما فعلاً دخلتها ... بس..

توقف عن الحديث و هو ينكس رأسه لأسفل بعد أن زارته زكريات أليمة كان يؤد لو أمaha من حياته، لكنها للأسف دمرت أحلامه كلياً.

-إتعرفت على واحدة ... و حبينا بعض .. و كنت خلاص هخطبها بس كل حاجة إتدمرت في يوم البنت دي إختفت و مبقتش تيجي الجامعة و مبقتش حتى تتكلم معايا ... وقتها قلقت عليها فروحت بيتها أسأل عنها .. مامتها قالتلي مجيش تاني و أنساها للأبد أنا معرفش هي قالت كدة ليه بس أنا مكنتش عايز أتخلي عنها خصوصاً و أنا معرفش إللي حصل...

استدار برأسه نحو كوكي ليواصل حديثه بنبرة مكلومة:

-فضلت وراها لغاية ما عرفت أوصلها ... أهلها كانوا حبسينها في البيت و هي كانت منهارة قدرت أكلمها من شباك الأوضة و عرفت إنها كانت حامل حامل من عميد الجامعة و إللي عرفته إنه مكانش بإرادتها

أخذ نفساً عميقاً يجاهد به نفسه كي يواصل الحديث دون أن يُذرف الدموع:

-مقدرتش أكلمها تاني عشان هي إنتحرت لأن أهلها إتخلو عنها ... و الحيوان ده رفض يتجوزها وقتها مكنتش شايف قدامي و روحت اتخانقت مع العميد و كسرلته المكتب و اتهجمت عليه قدام كل الطلبة راح هو ردفني من الجامعة و أنا مكنش معايا فلوس وقتها عشان أدخل جامعة ثانية خصوصاً إني كنت خلاص في سنة تالته فاضطريت إني مكلش و اشتغل عشان مرجعش المنيا عند أبوية و اضطريت أقول لكل الناس إني محامي عشان محدش يقول إني فاشل

أنهى حديثه بتنهيذة عميقة كاد يُذرف الدموع إثرها، كانت تنصت له كوكي في صمت و حُزنٍ بادٍ على ملامحها، لم تكن تعرف ما الذي تقوله لوهلة و كأن لسانها قد تسمر مكانه ليمنعها عن الحديث، جاهدت نفسها كي تردف بعد فترة وجيزة من الصمت:

-بس إنت مش فاشل ... و مش كداب كمان....

تقدمت بجذعها نحوه كي تواصل حديثها الذي بثه بعض الثقة:

-مامي الله يرحمها كانت بتقول إن الإنسان الفاشل هو إلی مش بيقدر يواجه ... و طالما إنت لسة بتواجه و بتشتغل يبقى **you are perfect**

ابتسم إثر حديثها الرخيم الذي تغلغل داخل فؤاده المجروح، فابتسامة منها كانت كفيلة بترميم حصنه الذي هدمته الأيام، عادت كوكي مكانها تواصل احتساء قهوتها حتى أدار هو السيارة و إنطلق إلى الوجهة المرادة بعد أن كُسر هذا الحاجز الذي بينهما و بقيا يتحدثان في ودٍ حتى أوصلها إلى عملها...

عاد إلى جسده تزامناً مع دلوف ذاك الرجل الغريب حجرة مكتبه بعد أن نال الإذن من سمير مساعده الخاص، جلس الرجل برونقه أمام إسلام الذي ظن لو هلة أنه أتى ليتم علاجه كباقي المرضى، لكن بالاطلاع على هيئته و صحته الجيدة أدرك أن سبب مجيئه إلى مكتبه يحمل أمراً هاماً يخصه وحده فقط.

-معاك الدكتور شرف رفاعي من قسم البحوثات في معامل ألفريد للأبحاث العلمية

أوماً إسلام رأسه بتيهٍ لأنه لا يعرف سبب مجيء عالمٍ مثله إلى مكتبه.

-أهلاً وسهلاً بحضرتك ... أوامرني

تنحنح شرف ليُجلي حنجرته قبل أن يُخرج حفنة من الأوراق من جعبته و يمدّها نحو إسلام:

-إحنا بنعمل بحث علمي عن الطاقة و الأرواح البحث ده ممكن يبقى ليه إفادة كبيرة في مجال البحث العلمي و ممكن ناخذ عليه جوايز كمان

إزدادت حيرة إسلام و هو يقول:

-ماشي ... و أنا إيه علاقتي بالموضوع ده ؟

اعتدل شرف في جلسته ليواصل حديثه بأهمية

-حضرتك هتكون جزء مهم جداً من البحث ده ... إنت و الأنسة داليا رُستم

تبلم وجه إسلام و أبدى إشارات من التيه و الحيرة ألجمت لسانه و جعلته صامتاً
مكانه ينتظر هذا الرجل ليواصل الحديث:

-أستاذ إسلام إحنا عارفين إلی إنت و الأنسة داليا تقدر و تعملوه

سُحبت الألوان من وجه إسلام و غمرته هالة من الدهشة و الحيرة خاصة بعد معرفة
هذا الرجل بما يحدث معهما، لكنه مع ذلك ادعى الجهل بقوله:

-مش فاهم بردو ... حضرتك تقصد إيه ؟

فسر شرف حديثه بعلمية:

-أقصد إني عارف إنكم من الأرواح المتنقلة ... عشان كدة جيت لكم مخصوص ...
عشان تشاركونا في البحث بتاعنا كعينات للتجارب

إحتدت نبرة إسلام ما إن لمح الاستغلال بحديثه و الذي جعله يعترض بشدة:

-و إحنا مش هنقبل بالموضوع ده، إحنا مش فران تجارب

حاول شرف اقناعه بقوله:

-محدث قال إنكم هتبقو فران للتجارب، إنتو هتكونو عينات بحثية، و ممكن
تتكرموا و تبغو مشهورين

أصر إسلام على قراره خشية من تضخم الأمر و تبدل قدرتهما العظيمة إلى نقمة
ثُعيق حياتهما لذلك أردف باستماتة:

-و إحنا مش موافقين، فاتفضل حضرتك و متتعيش نفسك معنا

استخدم الرجل آخر بطاقاته قبل أن يرحل من المكتب:

-يا خسارة ... دا كل واحد فيكم كان هياخد مليون دولار لو وافقتم على عرضي ...
بس خلاص زي ما إنت عايز

اتسعت حدقتنا إسلام في لهفة ما إن استمع إلى ذاك الرقم الم هول من النقود يُلقى على
مسامعه، مليون دولار !! يقسم أنه لم يمسه بحياته أكثر من عشرون ألف جنيه حتى
يرى مثل ذاك المبلغ أمامه، كاد شرف يهرع من المكتب لكن إسلام استوقفه ضاربًا
بكرامته عرض الحائط عندما قال بغير تصديق:

-إنت قولت كام؟؟

ابتسم شرف ابتسامة هادئة عاد معها إلى مقعده كي يقول:

-مليون دولار ... كل واحد فيكم هياخد مليون دولار لو وافقتو تشاركونا البحث ...
و أنا زي ما قولتلك قبل كدة ... البحث ده هدفه إننا نضيف إكتشافات جديدة للعلم

مرّت برهة من الصمت يُفكر فيها إسلام بحديثه و يفكر بتلك الأموال الطائلة بين يديه
و كم سيحقق بها أحلامه و يبتاع منزلًا فخمًا و العديد من البزات ليتمتع بالوقار و
الرونق بين الجميع كما يتخيل نفسه دائمًا، وجد نفسه يبتسم تلقائيًا وسط أفكاره مما
أعطى إشارة لشرف بموافقة لذلك وضع بطاقته على الطاولة و قال قبل أن يهرع من
المكتب:

-دا الكارت بتاعي ... عشان لو غيرت رأيك

قالها ثم ودع إسلام و ترك عيادته، ما إن إبتعد عن إسلام حتى أخرج هاتفه ليُجري
مكالمة مهمة قال بها:

-ألو يا ضُرغام بيه ... أنا تقريبًا أقنعتَه بالعرض ... لا متقلقش .. مقولتس إحنا
هنعمل إيه، قولتله إنه مجرد بحث علمي ... تمام تحت أمرك...

أما داخل العيادة فكان إسلام لا يزال غارقًا في أفكاره و كم ستتغير حياته ما إن يمتلك
هذا المبلغ من المال دون أن يُكلفه جهدًا، أرخى ظهره للوراء و قد كان على وشك
مهاتفة شرف و إخباره بأمر موافقته، ما أوقفه عن فعل هذا هو أنه تذكر داليا و أنها
يجب أن تضحى معه بهذا البحث، ربما من أجل أن يروا أنهما يتبادلا الأدوار، تقدم
بجذعه للأمام و هو يقول بتقرير:

-أنا لازم أقول لداليا...

انتشرت الأغنية الصخبة في الأجواء داخل ذاك المطبخ الصغير الذي تقف فيه داليا
وحدها تُقطع الجزر كي تستخدمه في إعداد الغداء، فوالدها بالبقالة لذلك هي وحدها
بالمنزل تتدبر الشئون و تطهو الطعام في تلك الأجواء المرححة التي تقوم بها، كانت
تُندن مع الأغنية بصوت عالٍ ناشزٍ يُشبه صرير الباب العتيق، لم تكتفي بالغناء
فحسب لتكسر حدة الملل بل حتى بدأ جسدها يتمايل مع الأغنية بجنون استغلت معه
فرصة مكوثها وحدها بالمنزل و لا أحد يراها.

وقفت عند موقد الغاز تُقلب شيئًا ما فوق شُعلة النار و لا تزال شفتاها تُغنيان مع
الأغنية إلى إن فقدت تعقلها و اندمجت مع الأغنية المُبهجة فرفعت المغرفة لأعلى و
طفقت تهزها بحركاتٍ عشوائية تتوافق مع جسدها، لكن فجأة...

تصنم جسدها على وضعية كانت بها المغرفة فوق رأسها و جسدها يقف متمايلًا،
لكنها لم تعد بجسدها، فإسلام هو من تولى زمام الأمور و تعجب من تلك الوضعية
التي وجدها بها، أخفض المغرفة و اعتدل في وقفته متفؤها:

هي كانت بتعمل إيه الهبة دي؟؟

وضع المغرفة على الطاولة ليتلفت بكل مكان حتى وقعت عيناه على قلمٍ جافٍ أمام التلفاز بحجرة المعيشة القريبة من المطبخ، أمسك القلم و شمر عن ساعديه ليدون شيئاً ما ثم يضع القلم على الطاولة و يترك هذا الجسد بعد أن أدى مهمته.

عادت داليا إلى جسدها تتلفت حولها و تسب إسلام في قرارة نفسها لأنه خالف وعده و انتقل إلى جسدها دون علمها، أحست بساعدها المدون عليه بعض الكلمات فقرأتها بصوتٍ مسموع:

-هقابك بعد نص ساعة في الكافيه إالي جنب البيت بتاعك ضروري

غطت ساعدها مجدداً و هي ترمق الكلمات في حيرة سرعان ما تحولت إلى التذمر و هي تهتف بصوتٍ حانق:

-هو إسلام ده من عصر الجاهلية ... ما كان يتصل يقولي الكلام ده على التليفون بدل ما يكتب على دراعي بالمنظر ده

أنهت حديثها بغضب ثم واصلت الطهي لفترة وجيزة على أمل أن تقابله في أسرع وقت و تعلم سبب رغبته الشديدة بمقابلتها و كأن الأمر بالغ الأهمية...

اصطفت سيارة أجرة قُرب مقهى من المقاهي الحديثة بعض الشيء و القريبة من منزل داليا التي تسكن بإحدى الأحياء البسيطة، قابلها إسلام ما إن ترجلت من سيارة الأجرة و طفق يتجول معها حتى يصلا المقهى و يستقلا إحدى المقاعد، دارت الأحاديث بينهما في ودٍ لرغبة كل واحد منهما في معرفة الآخر، حيث كانت داليا تقول مُعرفة نفسها:

-أنا يا سيدي عايشة مع ماما ... بس بابا و ماما مطلقين و بابا عايش مع مراته و مخلف، تقريباً مش بشوفه....

قطع إسلام حديثها باستفسار:

-و صحابك ... إتعرفتي عليهم إزاي ؟

تنهدت داليا قبل أن تقص عليه:

-كنا ساكنين مع بعض في العمارة، و كوكي بقى كانت جدتها الله يرحمها ساكنة معانا، و هي لما كانت بتنزل مصر كانت بتقابلنا هناك لغاية ما بقينا صحاب ... أنا و هي و قمر ... حتى بعد ما جدت كوكي ماتت و كلنا سيبنا العمارة...

أوما إسلام بتفهم لتواصل داليا حديثها عن عائلتها و طفولتها لبرهة من الوقت قطعتها باستفسار و رغبة في المعرفة:

-و إنت بقى ... إيه إللي جابك مصر ؟

كانت تعلم أنه ليس من هذه البلدة منذ أن أخبر ريتا بهذا الأمر و هي كانت جواره لكنها لم تتطرق إلى المزيد من الاستفسارات وقتها لعدم وجود ما يكفي من الوقت، أما الآن فهي تنتهز الفرصة لتتعرف عليه أكثر لأن الرابط الذي بينهما يُرغمها على معرفته جيداً.

-أنا جيت من المنيا، ماما و بابا لسة عايشين هناك بس أختي و جوزها عايشين هنا، و أنا بقى جاي عشان التكليف

-طب و معتر ... اتعرفت عليه إزاي ؟

باغته بذاك السؤال فأجابها بتعال:

-معتر !! ... دا واحد غلبان كدة و أنا بعطف عليه

توقفت داليا عن السير لتهاجمه بحديثها:

-بتعطف عليه !! ... يا إسلام إنت قاعد في بيته و بتاكل و تشرب على حسابه ...
هو مين إللي بيعطف على مين بالظبط؟

حاول اقناعها بتبرير أبرز مدى تعاليه:

-منا يعطف عليه من الوحدة ... بؤنسه يعني

أومات داليا بعدم تصديق لكنها تداركت الأمر و بقيت صامته حتى وجدته يمد يده
نحوها و يردف بتلقائية:

-تعالى نقعد هناك .. يلا

جذبت يدها بعيداً عنها لتوبخه:

-إنت مجنون ... إنت إزاي تمسك إيدي و إحنا مفيش بينا حاجة

توقف عن السير ليرمقها بحيرة قال معها:

-إنت عبيطة يا داليا ... يا حبيبتى أنا و إنت واحد

ربطت داليا ذراعيها لتردف بتملق و إصرار:

-لا معش ... أنا عندي مبدأ

رمقها إسلام بنظرة مغتاظة و لم يلبث حتى انتقل إلى جسدها دون أن يُعلمها برغبته
في هدم مبادئها، فمن هي حتى توجهه و تنهره بتلك الطريقة؟؟ ... شهقة غاضبة
خرجت من فم داليا ما إن وجدت نفسها داخل جسد إسلام و أمام جسدها بعد أن
استحوذ عليه إسلام و ركض به إلى إحدى المقاعد ليجلس عليها.

ركضت و راءه لتجلس جواره بأعين غاضبة لأنه كان يمسك كفيها و هو داخل
جسدها و يتحدث معها بنبرة أثارت حنقها:

-أنا ماسك إيدك..

أخرج لسانه كي يُثير حنقها أكثر و كادت هي تنفجر من الغضب وقتها و تصيح به:

-يا إسلام رجعلي جسم و بطل شغل الأطفال ده

أصر إسلام على حديثه بنبرة مُتملقة:

-مش إنتِ إللي قولتي إننا مش واحد

رفعت داليا من نبرة صوتها و هي تهتف به:

-يا إسلام أقسم بالله لو ما رجعتلي جسمي لاروح أعمك تاتو قلوب على رقبتك

عاندها إسلام بقوله المُهدد:

-لو عملتي كدة هروح أحلق شعرك زيرو

أطبقت داليا على شفتيها بحنق و لم تدري بنفسها و هي تنتشل قائمة الطعام و تضربه بها ضربات متتالية و هي بداخل جسده

-قولتك رجعلي جسمي يا مستفز

لم يكذب ينطق إسلام لأنه وجد صوت سيدة يخترق جلستهما و قد بدا عليها الحنق الشديد.

-إنت بتعمل إيه يا أستاذ ... إزاي تضرب مراتك بالشكل ده

ما هي إلا لحظات حتى إنقلب المقهى ضدها لأن ما تفعله داليا الآن هو عنف ضد المرأة، وجدت جميعهم يلتفون حولها في غضب تقسم أنهم على وشك أن يُلقنوها

درسًا، تحوّلت نظراتها إلى الرعب و الخوف بينما كان إسلام يتابعها بشماتة كاد
يضحك على إثرها، ضربته على كتفه ضربة بسيطة أردفت معها بتؤسل:

-إتصرف يا إسلام دول شكلهم هيضربوني و جسمك هو إلي هيتضر

عاندها إسلام بصوتٍ منخفض:

-حد قالك تمدي إيدك عليا .. أديكي جبتلنا بتوع حقوق المرأة

تؤسلت إليه داليا مجددًا:

-يا إسلام خلاص أنا أسفة

زفرت الهواء من فمها بضيق بينما أحس إسلام بالشفقة اتجاهها فأخبر الرجال
الملتفون حولهم أن ما حدث منذ قليل كانت مجرد مزحة ليس إلا؛ انفض المكان من
حولهما و تنهدت داليا بأريحية لتتؤسل لإسلام مجددًا كي يُعيد لها جسدها، هذه المرة
استجاب لها و عاد كل منهما إلى موضعه بعد أن لقنها الدرس و جعلها في أوج
غضبها.

-أنا بجد مشوفتش واحد مستفز زيك ... أنا مش فاهمة معتز ده مستحملك إزاي ؟

أرعى إسلام ظهره للوراء و هو يُجيبها بتعال:

-يا ستي لو إنتِ مش عَجَبِكِ طبعي روعي إطبعي في مكتبة تانية

أنهى حديثه بمزاح و ضحكة سمجة من وجهة نظرها جعلتها ترمقه باشمئزاز و تُتمتم
بقرارة نفسها:

-دمك سم

أتى النادل ليقطع حديثهما أو جدالهما بمعنى أصح، سألهما عما يريدانه من المشروبات فأردف إسلام بثقة:

-أنا هجيب مانجا بالبرتقان ... و إنتِ؟؟

كان يوجه سؤاله لداليا التي أردفت فوراً:

-أنا عايزة عصير طماطم

وجه إسلام حديثها للنادل بسخرية:

-هاتلها علبة صلصة

رمقهما النادل بحيرة لفترة وجيزة رحل بعدها و بداخله يسأل : من هذان الأبلهان؟؟

بالعودة إليهما كانت داليا تستند على راسها أعلى الطاولة و تسأل بفضول:

-إنتِ عايز مني إيه ؟ ... أكيد مجبتيش هنا عشان نتخايق

حمم إسلام قبل أن يبدأ الحديث و يُخبرها عن العرض الذي أتاه اليوم و المبلغ الذي سيتقاده ما إن يوافقا، كانت نبرته متحيزة حيث كان يُقنعها بوجهة نظره و رغبته بالموافقة حتى تنساق إليه، كما أن هذا المبلغ جعل حدقتها تتوسعا في ذهول لا تُصدق أنها من الممكن أن تمتلك هذا الكم من النقود، لم يخلو ذهنها من بعض الشكوك التي ساورتها و أعتت الفساد في قراراتها فسألت:

-هو مش الموضوع ده ممكن يبقى خطير ؟

أقنعها إسلام بمبرراتٍ لا يعلم من أين أتى بها:

-و إيه إلهي هيجليه خطير ؟ ... عمرك شوفتي واحد بيموت و هما بيعملو بحث علمي ؟

فكرت داليا هنيهة ثم أردفت بصدق:

-لأ أنا عمري ما شوفت واحد في بحث علمي أساسًا

آجابها إسلام بأريحية و هو يرخي ظهره:

-خلاص .. يبقى إطمني ... دا معمل كبير أوي، أكيد مش هيكون خطر على حياتنا،
بعدين هما مش هيجربو فينا حاجة، هما هيعملولنا شوية تحاليل بسيطة زي إللي
بنعملها في المستشفى

كان حديثه مقنع على الرغم من أنها لا تعلم من أين أتى بهذه الثقة، ربما هذا المبلغ
الطائل أعمى بصيرته و جعله يقنع عقله أن ما سيفعلاه هو الصواب كي يجني هذا
المبلغ الطائل، مرّت برهة من الصمت كانت داليا تُفكر في حديثه و تتخيل نفسها
تسافر إلى إحدى الدول الكبرى بعد أن تحصل على هذا المال، فهذه لطالما كانت
أمنية حياتها التي لا تستطيع تحقيقها بسبب العوائق المتمثلة في التكاليف.

بعد فترة من الصمت أدلت قرارها ببعض التشكك:

-أنا موافقة بس أنا مش عايزة اسمي يتكتب في البحث ... مش عايزة أحس
إني فارة تجارب، خلينا نعمل كدة عشان الفلوس و خلاص

فكر إسلام في حديثها لوهلة ثم أدلى بالحل الذي عنده:

-خلاص ... إحنا ممكن نغير أسامينا ... نقولهم إن إحنا جينا عشان البحث و نقولهم
اسماء تانية غير اسماءنا .. إيه رأيك ؟

فكرت هنيهة في حديثه و ما هي إلا بضع لحظاتٍ حتى وجدت ابتسامة متلهفة تلوح
على ثغرها و هي تقول:

-ماشى ... موافقة...

تشق تلك السيارة وسط الطرقات و بداخلها تقبع قمر بإحدى المقاعد و جوارها لؤي بعد أن قضت العديد من المشاوير الهامة و كان لؤي بصحبتها حرصًا على سلامتها و التي هي من مسؤوليته، شارفت الشمس على المغيب و كانا على وشك العودة إلى المنزل، حيث أُرِدَف لؤي بتساؤل:

-كدة خلاص مفيش حاجة تاني؟

نفت قمر برأسها و هي تقول :

-لأ مفيش ... كل حاجة خلصت

ما هي إلا لحظاتٍ حتى وجدا سيارة كبيرة الحجم تقطع طريقهما و تجعل سيارتهما تتوقف تلقائيًا، اتسعت حدقتا قمر في رهبة كادت تجعل قلبها ينخلج إثرها، أشار لها لؤي بالأ تتحرك حالما يرى أمر أولئك الرجال الذين اعترضوا طريقهما، أخرج سلاحه من جعبته و قام بتعميره قبل أن يترجل بهدوء من السيارة بعد أن أحكم غلقها جيدًا.

-إبعدو عن طريقنا

قالها لؤي بصرامة و هو يتوقف أمام إحدى الرجال، لكن الرجل أجابه بإخراج سلاحه و إشهاره أمام لؤي الذي أخرج سلاحها هو الآخر ليقابله، ما هي إلا لحظاتٍ حتى التف لؤي بجسده ليواجه الرجل الماكث وراءه و يركله بقدمه ركلة أطاحت به على الأرض، أطلق الرجل الآخر رصاصة عابرة بسلاحه لم تُصب لؤي لعدم ثباته و انشغاله بالعراك مع الرجل الآخر.

تكاثر الرجال على لؤي و طفقوا يلكمونه حتى هوى على الأرض تنسل الدماء من فمه، وقتها لم تتحمل قمر و كان العرق يتصبب من جبينها و أنفاسها تتلاحق في رهبة، لم تتحمل المكوث أكثر من هذا و متابعة الشجار من بعيد دون أن تتدخل، فسرعان ما فتحت باب السيارة و قررت أن تستخدم قدرتها لتخليص لؤي مما يحدث.

هرولت بسرعة خارج السيارة لكن فجأة...

أوقفها أحد الرجال بفوهة سلاحه التي ارتكزت على رأسها، أما عن لؤي فكان متغيبًا عن العالم لكثرة جروحه و الرجال يكتنفونه ليوجه واحد منهم فوهة سلاحه أعلى رأسه.

-لؤي

صرخت بتلك الجملة بأعلى صوتها مما حفز جسد لؤي و أعاده إلى الحياة و المقاومة، حرك جسده بعنفوانٍ لكنه لم يستطع التحرر من قبضتهم، كادت تستخدم قمر قدرتها و تنيمهم جميعًا لكن حديث الرجل الذي وراها ألجمها مكانها، حيث كان يقول بنبرة خبيثة:

-لو حد أغمى عليه بسببك، تقولي على الظابط يا رحمن يا رحيم..!!

الفصل الثامن (وُجد مقتولاً)

يسعى الإنسان حتى يصل إلى تلك النجمة المتلألئة في السماء، و عندما يصل إليها يجد لهيبها غمر طياته و أحالته إلى كتلة من الرماد، فربما عجزنا عن الوصول إليها لا يكمن في غرقنا في بحورٍ من الفشل، بل يكمن في حمايتنا...

أشرقت شمس يومٍ جديد و كانت السماء صافية تلمحها حرارة من الشمس جعلت الظلال تُرسم على الطريق و كأن فنائنا استخدم ألوانه السوداء ليرسمها، تجلس كوكي بإحدى المقاهي حديثة التراث تحتسي قهوتها كالعادة و تتناول فطورها المكون من إحدى الشطائر الفرنسية الطازجة، يجلس أمامها مُعتر بعد أن أصرت عليه ليشاركها تناول الفطور على الرغم من أنه لا يتناول تلك الأشياء التي لا يعتبرها صنفاً من أصناف الفطور، بل يعتبرها فقط من المقبلات.

تحدثا في العديد من الأمور الخاصة بحياتهما و كانت أحاديثهما مليئة بالمرح و المزاح و بعض الجدية التي اقتحمت أحاديثهما و تغاضا عنها لرغبتهما بالاستمتاع بأوقاتٍ هادئة، تحدثت كوكي بصوتٍ هاديء يتكلمه بعض الحُزن و الاشتياق:

-لولا إن مامي اتوفت ... مكنتش هاجي هنا ... عشان مامي أصلاً من أمريكا، و بابي كمان نصه أمريكياني ... و كان بيحب مامي أوي، عشان كدة مقدرناش نفضل في نفس المكان إللي ماتت فيه

أنهت حديثها بحزنٍ أنكست معه رأسها لأسفل، لم يستطيع معتر منع فاهه الذي سأل بفضول:

-هي ماتت إزاي ؟

رفعت رأسها و هي تُجيبه بسرعة:

-كانسر ... كان عندها كانسر و ماتت

-الله يرحمها

قالها بهدوء فأمات رأسها تباغًا و لم تتفوه بالمزيد من الأحرف خشية من أن تخونها
دموعها و تفر هاربة، بعد برهة من الصمت جففت كوكي لمحات الحزن من عينيها
لتسأل بنبرة تحفها اللهفة و الفضول:

-و إنت بقى ... فين مامتك و باباك؟؟

زاغ ببصره في عدة أماكن لا يعرف كيف يُخبرها الحقيقة، لكنه بالنهاية أرف بنبرة
حاول جعلها عادية رغم حزنه الدفين:

-ماما ماتت بسكتة قلبية و بابا...

لم يستطع التفوه بالمزيد خشية من فتح دفاتر الماضي التي يجاهد حتى يغلقها تمامًا،
استجمع قواه و هو يقول جزءًا من الحقيقة:

-معرفش هو فين ... و مش عايز أتكلم في الموضوع ده

تفهمت كوكي رغبته و أوامت رأسها لتستكمل فطورها في هدوء، حاول معتز تدارك
الأمر باقتراحه المرح:

-مش لسة قدامك شوية على الشغل؟

أوامت كوكي رأسها إيجابًا فوجدت معتز يهرع من مقعده و يردف بحماس:

-طب تعالي عايز أوريكي حاجة

انتشل الشطيرة التي أمامه و التي لم يتناول منها شيئًا، ثم ترك المقهى و تبعته هي في
لهفة ترغب في معرفة ما سيربها، وجدته يقف عند مجموعة من الطيور و طفق
يركض بينهم لتُحلق الطيور فوق رأسه و تُخلق لوحة فنية تم تلوينها بضروبٍ من
السعادة، شاركته كوكي الركض حتى وثب كلاهما بين الطيور ليلقيا عليهم فتات من
الخبز و يمرحاً لبعض الوقت غافلين عن متاعب الحياة التي قد تقذف بهما نحو
الهاوية....

حركت يديها عدة مراتٍ لعلها تتخلص من تلك القيود التي تُعيق حركتها، فهي على هذا الوضع منذ البارحة بعد أن استسلمت لهم و جعلتهم يُقيدونها هي و لؤي و يضعونهما داخل حجرة شبه مُعتمة ليقضيا فيها الليلة على أن يتم قتلها أو إجبارها على إحضار الأدلة الخاصة بفتح كما أخبرهما، كانت الأفكار تدور حول رأسها و القلق ينهش فؤادها مما سيحدث، كل ما كانت تُفكر به هم عائلتها الذين لا يكثرثون لها البتة، بل من الممكن أن يُقيموا إحتفالاً بعد إختفاءها حتى، أما عن صديقاتها فربما لا يعرفن من الأساس بأمر إختفاءها، فلم تمر سوى بضع ساعات على تركها لمنزلها و بقاءها في تلك الحجرة مع ذاك الضابط المدعو بلؤي.

كان لؤي مُقيد جوارها على المقعد بعد أن غُطي وجهه بالجروح و الكدمات، مع ذلك لا يزال يحافظ على صرامته و اعتصار ذهنه بحثاً عن طريقة يستطيعها الفرار من خلالها.

-هنعمل إيه دلوقتي ؟

قالتها قمر بصوتٍ مُتذمر و هي تحاول فك قيدها، حيث كادت الدموع تفر على وجنتيها رهبة من ذاك الموقف و كلما تذكرت ما يُمكن أن يحدث لهما و الذي بالطبع لن يضحى هيناً، لم يُجبها لؤي في البداية لأنه غارق في أفكاره و لا يُريد لأحد أن يقطعه، فهي لم تتوقف عن التثرثرة و إلقاء اللوم عليه:

-إنت السبب على فكرة ... أنا لو كنت لوحدى مكنش حد قدر يلمس شعرة مني

قالتها بتعالٍ جعله يخرج من قوقعة أفكاره و يتوَّسل لها كي تتوقف:

-بالله عليك يا قمر إسكتي ... خليني أشوف هنخرج من هنا إزاي

مرّت برهة من الصمت لم تتوقف فيها قمر عن الندب و السب على حظها التعيس الذي سيجعلها تفقد حياتها، و بطبيعتها المتشائمة أضحت متيقنة أنها ستلقى حتفها لا

محالة، حيث مرّت حوالي ساعتين على تلك الحالة قطعتها هي و كأنها لحظاتها
الأخيرة:

-طب أنا عايزة أقولك على حاجة

انتبه لؤي لحديثها فأكملت اعترافها:

-أنا صحيح إسمي قمر ... بس أنا عاملة زيه بالظبط، تحس إن أنا مهمة و بنور و
شكلي حلو من بعيد ... بس لما تقرب مني هتلاقيني فاضية و مليش لازمة والله ...
مش حمل ده كله

أردعها لؤي بحديثه الأشبه بالسكاكين الحادة:

-قمر أنا عارف إنك فاضية و ملكيش لازمة فياريت تسكتي عشان أعرف أفكر

قالها بصوتٍ مرتفع كي تتوقف عن التثرثرة، لكنها ما إن استمعت لحديثه الوقح حتى
أطبقت على شفيتها بحنقٍ قالت معه:

-أنا فاضية !! ... ماشي يا لؤي .. إبقى شوف بقى مين إللي هيخرجك من هنا

استجمع لؤي أنفاسه ليحادثها بهدوء:

-هو مش إنتي إللي قولتي على نفسك كدة !! ... و بعدين هتساعديني إزاي يعني
إنتي مش هتقدري تعملي حاجة

هنا و قد اشتعلت برائن قمر حتى أقسمت على هدم معتقداته و إثبات العكس:

-بقى كدة !! ... أنا بقى هوريك

أنهت حديثها المُحمل بالإصرار بتصفيرة عالية نادت معها على فردٍ من أفراد هذه
العصابة:

-يا عالم ... يا جماعة ياللي هنا

صرخت بأعلى صوتٍ لها مما جعل إحدى الحراس يفتحم الحجرة و معه سلاحه و
نبرة غاضبة ارتسمت على وجهه:

-في إيه يا أنسة؟؟

إقترب قليلاً نحو قمر التي رمقته بنظرة مُستعطفة متؤسلة:

-بالله عليك عايزة أروح الحمام ضروري ... أبوس إيدك فكني و أنا والله مش
هتأخر...

بقيت تتؤسل له على الرغم من رفضه التام إلى أنها أخبرته أنها فتاة لا حول لها ولا
قوة و لن تُحدث أي من المشكلات ما أن يتم فك قيودها، كذلك ساومته على لؤي و
أخبرته إذا حاولت الفرار فمن حقهم أن يقتلوه و هذا ما جعل لؤي يرمقها ببعض
الغضب الذي كبته بداخله ليرى ما ستفعل.

ارضخ الحارس لطلبها بالنهاية على أن يبقى معها و يحرص على عدم فرارها، لكنه
ما إن فك قيودها حتى استغلت قمر الفرصة و ألقته نحوه نظرتها الثاقبة التي جعلته
يهوي على الأرض بعد بضع دقائق؛ رسمت ابتسامة مأكرة مُنتصرة على ثغرها ما
إن استطاعت فك قيودها بتلك السهولة، استدارت بعدها نحو لؤي لتُخبره عن نجاحها
بتعال:

-شوفت ... قدرت ولا مقدرتش؟؟

ربطت ذراعيها بتملقٍ انتظرت منه اطراءً لها أو شكرها حتى، لكنه واجهها بلامبالاة
و هو يقول:

-برافو ... يلا بقى فُكيني

اغتاظت قمر من لكنته اللامبالية لذلك تملقت عليه أكثر و هي تقول:

-أقك !! لا .. أنا مش هفكك غير لما تعتذر عن إلي قولته

جفت أظفارها و كأن الطلاء عليهما على الرغم من أنه لا يوجد شيء، فهي تفعل تلك الحركة من أجل التباهي ليس إلا، تنهد لؤي ليستجمع قواه قبل أن يسايرها و كأنها طفلة رضية:

-ماشي ... أنا آسف .. إتفضلي بقى فُكيني

تعالت عليه أكثر و أصرّت على حديثها:

-لأ ... الإعتذار ده مش من قلبك أنا عايزة إعتذار تاني

منع لؤي سبة كاد يطلقها و اكتفى بالتمتمة بنفاد صبر:

-يا الله يا ولي الصابرين

رفع من نبرة صوته ليصبغها بالهدوء الزائف المُغطى بضروبٍ من الغضب:

-أنا آسف يا قمر ... ممكن بقى تفُكيني قبل ما ياخدو بالهم

-قولي أنا آسف يا أنسة قمر ياللي ساعدتينا نُخرج من هنا

قالتها بتعالٍ أكثر ليتذمر إثر حديثها و يرفع قليلاً من صوته الذي تشبه قليلاً بالتوبيخ:

-قمر إحنا بالمنظر ده هنفضل هنا...

كذبت حديثه بثقة:

-و مين قالك الكلام ده ... أنا ممكن بسهولة أمشي هنا ... و إنت إلي هتفضل

محبوس

كانت بالفعل تباعد عنه و تتركه مُكبلاً بالأغلال بسببها، أغلق عينيه و فتحهما بتروٍ حتى يحافظ على هدوءه كي لا ينفجر بتلك المتعجرفة و هو يقول باستسلام:

-تمام ... أنا آسف يا أنسة قمر ياللي ساعدتينا نخرج من هنا ... إتفضلي بقى فُكيني

استدارت قمر نحوه لتوافق أخيراً على طلبه و تبدأ بإحلال قيوده، وثب لؤي من المقعد ثم انتشل السلاح الذي كان مع الحارس المغشي عليه معهما، رفع الحارس بمساعدة من قمر ليُكبلوه قبل أن يفيق من غفوته و يُعيق تحركهما.

تحركا بخطواتٍ مُتمهلة خارج الحُجرة و كان لؤي يُشهر السلاح أمامه و قمر تختبئ خلفه و كأنه السور المنيع الذي تتحامي به، ما إن خطت قدماهما خارج الحجرة حتى إرتدت أجسادهما فجأة بسبب أصوات الطلقات النارية التي بدأت تدوي في كل مكان، أخفضت قمر جذعها مع صرخة خرجت منها ما إن لمحت طلقة نارية تكاد تقترب منها، اما عن لؤي فأخذ وضعية الاستعداد و بدأ يُطلق النيران دفاعاً عنهما في ذاك الجو المشحون بالمخاطر...

و على جهة أخرى إنزوي أحد الحراس بُثكنة ما ليتحدث على الهاتف و يردف بفرع:

-فاتح بيه ... المعلم ميخا هجم علينا...

وطأت أقدامهما بنائية ضخمة يحفها الحُراس من كل جانب، كانت أعينهما تتفحص المكان بعناية و كأنها أول مرة يرون بها شيئاً بهذه الفخامة، أو هي بالفعل أول مرة، فهما لم يتوقعا أن يدلّفا معملاً كهذا مليء بالأجهزة و المُعدات الحديثة و كذلك العلماء الذين انشغل كُل منهم في إختراع أو تجربة يقومون بها، فتحت داليا فاهها بذهول لم تكن تعلم أن مثل هذه الأماكن لها وجود في تلك البلدة و كذلك كانت حالة إسلام الذي التهم الفضول أركان جسده رغبة في استكشاف كل بقعة هنا و معرفة ما يفعله العلماء.

قطع ذهولهما أحد الحراس الذي منع تقدمهما بصرامة:

-ممنوع الدخول...-

توقفا عن السير حتى أخرج إسلام البطاقة التي أخذها من شرف ليعرضها أمام الحارس كي يتأكد أنهما من طرفه:

-إحنا تبع الأستاذ شرف-

انتشل الحارس البطاقة من يده ليتأكد أنها أصلية، حافظ على صرامته و هو يسألهما:

-اسمكو إيه؟-

تبادلت نظرات داليا و إسلام لأنهما لم يُخططا للاسم الذي اختاراه بعد، أردف إسلام أولاً بأول اسم قد خطر على باله:

-إيه ... فرغلي ..إسمي فرغلي-

أنهى حديثه بابتسامة هادئة أخفت كذبه و جعلت داليا تتجراً و تردف أيضاً بأول اسم بدر إلى ذهنها:

-و أنا راشيل سمحون-

عقد إسلام حاجبيه بغرابة من ذاك الاسم الذي يبدو و كأنه مثيراً للشكوك نحوهما، أوما الحارس رأسه بلامبالاة ثم أدخلهما إلى المعمل على أن ينتظرا المدير بإحدى المكاتب الفاخرة.

يسير الحارس أمامهما كي يوجههما بينما كان إسلام يهمس بأذن داليا مؤبخاً:

-سمحون !! .. بتختاري اسم يهودي ... إنتِ عايزة تجبلنا الكلام-

بررت داليا لنفسها:

-منا كنت بتفرج على رأفت الهجان فالاسم علق في دماغي ... و بعدين إيه فرغلي
ده شايف نفسك بتاع عصير

سخرت منه مع آخر كلماتها فبرر لنفسه:

-بتاع عصير أحسن من الاسم الغريب بتاعك ده

توقفا عن التثرثرة ما إن توقف الحارس عند إحدى المكاتب الفاخرة و طلب منهما أن
يدلفاها و ينتظرا المدير ليتحدث معهما بشأن البحث كما اتفقا، كانت الحجرة فسيحة
يغمرها اللون الأسود الذي أعطاها أنيقة ساحرة، جلست داليا على أريكة سوداء
مريحة و أرخت ظهرها للوراء كما لو أنها على وشك أن تغط في النوم بسبب
نعومتها، أما عن إسلام فبقي يتجول بالحجرة و يعبت بتلك الكتب الغربية ذات اللغة
الأجنبية.

دلف صبي المكتب ليضع أمامهما كوبين من القهوة ترحيبًا بهما، إرتمى إسلام جوار
داليا يرمق هذه القهوة الفاخرة التي غطتها طبقة من الذهب جعلت أعينهما تتسع
بذهولٍ، هل يتناولون الذهب في هذا المكان؟؟ هل لهذه الدرجة هم أثرياء؟؟،
أخرجت داليا هاتفها لتلتقط العديد من الصور لتلك القهوة و هذا المكان كما لو أنها
داخل إحدى المتاحف، أما عن إسلام فطفق يعبت بالقهوة ليُخرج منها الذهب و يضعه
بجيبه، فمن هو حتى يرى الذهب أمامه و يتناوله!!!

آثارت حركاته اشمئزاز داليا فأخذت تقول :

-إيه إلهي بتعمله ده؟؟ الذهب ده بيتاكل

أردعها إسلام و هو لا يزال يحاول إزالة طبقة الذهب هذه:

-أنا هبقى حمار لو أكلت الذهب ده .. إنتِ عارفة الجرام بقى بكام؟

تنهدت داليا بخيبة أمل و قررت تجاهل حركاته التي تُثير حفيظتها، حيث اعتبرت
نفسها لا تعرفه بالمرّة، ما هي إلى برهة حتى اقتحم الحجرة ضرغام ببزته السوداء و

أناقته الطاغية، اعتدل كل من إسلام و داليا في جلستهما ليُحيياه بابتسامة هادئة و كلماتٍ ودودة، جلس ضرغام قبالتهما ليردف برزانة:

-إنّو أكيد عارفين سبب وجودكم هنا...

أوماً رؤوسهما إيجابًا فأكمل:

-البحث هتكون مدته حوالي إسبوع أو يمكن أقل ... و من هنا لغاية ما الإسبوع يخلص، إنّو هتيجو ثلاث ساعات في اليوم، و لو البحث أخذ وقت أطول، فإنّو ممكن تشرفونا في الأوض و هيتوفرلكم جميع سُبُل الراحة

قطعه إسلام باستفسار ليُرضي فضوله:

-طب و الفلوس ؟

أجابه ضرغام بهدوءٍ و ثقة:

-المبلغ إلي اتفقنا عليه هتاخدوه ... بس لما نخلص البحث

أنهى حديثه تزامناً مع فتح باب الحجرة مجدداً ليُدلف منها شابٌ يبدو أنه بأواسط العشرين لكن جسده يجعلك تعتقد أنه بالسادسة عشر من العمر، كان وجهه أملس كالفتيات و جسده نحيل به بعض المنحنيات مع شعرٍ طويلٍ أملس و أعينٍ رمادية بارزة زينتها وجنتان ورديتان و شفاه حمراء متناسقة، كان تكوينه أشبه بفتاة اختلط جسدها بجسد رجل، أو هو بالفعل هكذا، أشار عليه ضرغام ليُعرفه على إسلام و داليا:

-دا أخوية مخيمر...

قابلهما مخيمر بلامح غامضة أبرزت مدى ضيقه من وجودهما لسببٍ مجهول، ظنت داليا أنه فتاة و ليس رجل لذلك سألت بتشكك:

-إنت قصدك أختك مش كدة ؟

نفي ضرغام حديثها بنبرة واثقة:

-لأ أخوية ... و هيكون معانا ساعة إجراء البحث

إقتربت داليا من أذن إسلام لتهمس بأذنه بشك:

-هو أخوه ش**ذ**؟

نفي إسلام حديثها باستنتاج تأكد منه لكونه قد درس الطب و ما يخص البشر:

-لأ .. ده تلاقية transgender يعني ولد بس عنده جينات بنات

أومأت داليا بتفهم ثم وثب ضرغام ليُشير إليهما كي يتبعانه:

-إفضلو معايا على الجناح إلی هترتحو فيه شوية قبل ما البحث يبدأ

وثبا من مقعديهما يتبعانه إلى إحدى الغرف ليتجهزا قبل أن تبدأ البحوث التي ستضحى نقطة تحوّل بحياتهما أكملها....

تبادلت طلقات النار في جو مشحون بالمخاطر، حيث كان لؤي يُطلق النيران من خلف إحدى الجدران و قمر خلفه تُغطي وجهها و أذنيها كي لا تصمها هذه الأصوات، أشار لها لؤي بأن تتبع خطاه فطفق كلاهما يسيران جوار الجدار و يُطلق لؤي الطلقات من سلاحه دفاعًا عنهما، كادت إحدى الطلقات تُصيب لؤي لكنه تفادها و أخفض جذعه مما جعل الرصاصة تُصب الجدار و تُحدث به خرقًا، هتفت قمر بأعلى صوتها و قد كانت خفقات قلبها تكاد تُسمع من شدة ارتفاعها:

-كلم البوليس يا لؤي ... كلم البوليس

آجابهأ لؤي ببعض الحدة التي خرجت منه عنوة:

-يا قمر أنا البوليس .. ثانيًا إحنا مش معانا موبيلات

أردفت قمر بخوفٍ و صوتٍ مرتجفٍ:

-خلاص تعالى نجيب موبايل

وثب لؤي من الأرض ليتحرك فورًا بسرعة قُرب الحائط حتى وصلا إلى الدرج لينسلاه حتى يرحلا من ذاك المكان، كانت الأمور هادئة خالية من العوائق حتى ظهر أمامهما حفنة من الرجال يُشهبون أسلحتهم على رؤوسهم لكن فجأة...

سقط واحد منهم مغشيًا عليه بسبب قمر بالطبع، انتهز لؤي الفرصة و أخفض رأسه ليتفادى الطلقة التي وجهت نحوه و التي بدورها اخترقت جسد أحد الحراس، ركل لؤي الرجل الذي أمامه ركلة قوية جعلته يهوي على الأرض و يواصل ركله حتى يسقط مغشيًا عليه، أما عن قمر فقد استخدمت قدرتها لتجعل باقي الرجال يسقطون واحدًا تلو الآخر حتى انقض عليها إحدى الرجال من الخلف ليُعيق حركتها.

-لؤي ... لؤي

كانت تصرخ بأعلى صوتها مستنجدة به، فسمعها لؤي و ترك الرجل الذي يتعارك معها لينقض على من كبل حركتها حتى أطاح به أرضًا، توجه بعدها صوب قمر و أمرها بالتحرك بسرعة وراءه بعد أن انتشل سلاحًا آخرًا و كذلك الهاتف ليُجري مكالمة يطلب بها المساعدة فورًا.

بقيت الطلقات النارية تتبادل لكن لؤي و قمر استطاعا الفرار من المكان بأقصى سرعة لديهما حتى لا تطالهما تلك الرصاصات، لكن للأسف، تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فسرعان ما أصابت إحدى الطلقات قدم لؤي و جعلته يسقط على الأرض تزامنًا مع قدوم سيارات الشرطة.

تأوه لؤي من الألم و ركعت قمر جواره لتطمئن عليه، فكان هو يقول وسط تألمه
بنبرة أمرة:

-إمشي يا قمر و روحهم ... ملكيش دعوة بيا أنا هبقى كويس...

كاد يواصل حديثه ظاناً من أنها ستفرض تركه و ستظل جواره لعلها تفديه بروحها
كما يرى بالأفلام، لكن الحقيقة أنه وجدها بالفعل قد رحلت منذ فترة لتهرع نحو
سيارات الشرطة التي قد أتت، جزُّ على أسنانه و هو يُتمتم بقرارة نفسه:

-يا بنت ال...-

انتهت هذه الضجة أخيراً و ألقى القبض على أفراد العصابة و التحفظ على جميع
الأسلحة التي بالمكان، ربط لؤي جرحه بعد أن أتت سيارة الإسعاف و أنجدهت بسرعة
لكنه مع ذلك سيتم نقله إلى المشفى قبل أن يتفاهم جرحه، كانت قمر جواره تعتذر عما
بدر منها بسبب خوفها و يتدارك لؤي الأمر بكل بساطة لكنه يُخبرها بنبرة رخيمة
تنافي ما يشعر به من الألم:

-إنت لازم تيجي عشان التحقيق ... و عشان كمان تطمني أهلك و صحابك

أومأت رأسها بهدوء لأنها تعلم أنها ستأتي للتحقيق مع أولئك المجرمين ليعرف أين
هو ذاك المدعو بفتح نظمي و تنتهي من هذا الكابوس نهائياً قبل أن تنتهي هي، أما
بالنسبة لأهلها، فهي متيقنة أنهم الآن يعتقدون أنها تبیت عند إحدى رفيقاتها و
سينهالون عليها بالكلمات الموبخة لأنها ذهبت و لم تُخبرهم، فمن سيُصدق أنها مرّت
بكل هذا؟؟...

غرفة فسيحة فاخرة تحفها الديكورات العصرية و أريكة عريضة تتوسط البهو، تلك
الحجرة كانت أكبر من المنزل الذي يقطنه و أكثر فخامة، وطأت أقدامهما تلك
الحجرة في زهولٍ و أعين تتفحص كل ركنٍ بها، أشار لهم الحارس على إحدى البقاع

حيث توجد طاولة عريضة وُضع عليها شتى أصناف الطعام الفاخر الذي تم تزيينه بعناية كما لو أنه تحفة أثرية.

جلست داليا على إحدى المقاعد و جوارها إسلام على بُعد أمتارٍ يستعد كلاهما لتناول الفطور قبل إجراء أول البحوثات، اتسعت بسمة إسلام في حماسٍ لأنه يتضور جوعاً و لم يكن يتوقع أنه ستناول الفطور مجاناً في مكانٍ فاخرٍ كهذا، فرك يديه في حماسٍ قبل أن ينقض على الطعام و يُعد شطيرته المفضلة التي دائماً ما يتناولها على الفطور.

-ده فيه حلاوة و مربى .. إيه الحلاوة دي!!

قالها و هو يُعد الشطيرة بينما انتشلت داليا شريحة من الخبز المُقرمش تتناولها في هدوء، ما هي إلا لحظاتٍ حتى وجدت إسلام يبصق الطعام بتقرزٍ قال معه:

-إيه المربى الماسخة دي!!

حدقت داليا بالصنف الذي اعتقد أنه مُربى ثم أردفت باستنتاج:

-إسلام أنا معتقدش إن دي مربى ... أعتقد إن ده كافيار... يعني بيض السمك

إزداد إسلام تقرزاً بينما واصلت داليا حديثها بعاطفية ورتتها عن والدتها و هي تنتشل صحن الكافيار و تقول:

-يااه ... تخيل السمكة تحب و تتجوز و في الآخر إحنا ناكل عيالها ... بجد صعبانة عليا أوي

وبخها إسلام بحديثه:

-هو ده إللي فارق معاكي ؟ ... أنا لسة واكل بيض السمك بالحلاوة

ألقت داليا عليه اللوم بحديثها:

-أحسن ... عشان أنا قولتك مليون مرة الساندوتش الغريب بتاعك ده ممكن
يجيبك غيبوبة سكر

عارض حديثها بتعالٍ:

-و أنا قولتك بردو إن مفيش سكر بيجيله السكر

عقدت داليا حاجبيها باستفسارٍ:

-و مين السكر ده إن شاء الله ؟

أشار إسلام على نفسه و هو يقول ببساطة:

-أنا

أغلقت داليا عينيها مع تنهيدة أطلقتها لتجاهل هذا المتعجرف الذي أمامها و تتناول
فطورها و كأنها لا تعرفه، مرّت برهة من الصمت قطعتها يد إسلام و هي تُشير على
شيء أثناء قوله الموجه نحو داليا:

-بقولك إيه هاتي طبق البسطرمة البرتقاني إلي عندك ده

عقدت داليا حاجبيها و هي تبحث عما يقول على المائدة و الذي لا شك أنه لا توجد
أكلة بهذا الاسم، وجدت أخيراً ما يُشير عليه لكنها صحت حديثه بتوبيخ و هي
تُعطيه طلبه:

-ده سيمون فيمي " سلمون مُدخن " يا جاهل

و هكذا بقي كلاهما يتناولوا الفطور في خضم العديد من الشجارات و الأحاديث
الساذجة إلى أن قطعهما أحد الرجال ليُخبرهما ببده أول تجربة و أن عليهما التوجه
إلى المعمل فوراً...

بمكانٍ خافت الإضاءة ضيق المساحة، كانت تثب قمر و جوارها لؤي بعد أن وصلا إلى مركز الشرطة و بدأ التحقيق مع أفراد العصابة، حيث كان الجزء الأكبر من التحقيقات على عاتق قمر التي تستطيع بدورها معرفة الحقيقة دون أي عناء، يجلس أمامها على المقعد رجل من أفراد العصابة و كان هذا خامس رجل تُجري التحقيقات معه و تسأله عن الثكنة التي يختبئ بها فاتح.

-فين فاتح نظمي؟؟

خرج هذا السؤال منها للمرة الخامسة لأنها كلما تهم بسؤال أحدهم هذا السؤال تتفاجأ بجهله، فيبدو أن فاتح كان حريصًا على عدم معرفة أحدهم بمكان اختبائه، أو ربما أعلم القليل من رجاله و هذا ما سيكتشفوه فيما بعد.

-المعلم فاتح في قصر بطرس إلي في ****

اتسعت حدقتها ما إن وجدته يُخبرهم عن مكانه، تقدمت بجذعها للأمام لتتصت جيدًا كما كان لؤي يُسجل كل كلمة يقولها بعناية ليستعدوا بعدها للقبض على ذاك المدعو بفاتح نظمي و الانتهاء من هذه المحنة...

تحركت أقدامهم في جوف ممر واسع و الهدوء يغمر المكان من حولهم حتى أنك تستطيع أن تستمع إلى طرق أقدامهم على الطريق، توقفوا عند حجرة ما و كان يتقدمهم ضرغام و هو من بادر بفتح تلك الحجرة ليدلف وراءه كل من إسلام و داليا و ذاك الحارس الذي أتى معهم، داخل الحجرة الفسيحة ذات الديكورات الهادئة و نافذة عريضة تطل على المدينة بأكملها، كان يوجد فراش عريض ترقد عليه فتاة تبدو بمُقتبل الثلاثين و يُغطيها غطاء أبيض و رائحة عطرة تنبعث من تلك الحجرة مع برودة تسري بأوردتهم نتيجة المكيف.

توقف كل من إسلام و داليا أمام فراش تلك السيدة كي يُعرفهما ضرغام عليها، حيث أشار عليهم و هو يقول بصوتٍ هاديء:

-دول إسلام و داليا ... إلي كلمتك عنهم

اتسعت حدقتنا داليا في ذهول ثم إقتربت قليلاً من إسلام لتهمس بأذنه:

-إيه ده هو عارف اسمائنا إزاي ؟

كانت عوالم الجهل طاغية على إسلام حتى قطعهما ضرغام بعد أن استمع عنوة إلى سؤال داليا:

-إحنا طالبنكم بالاسم .. ولا إيه يا دكتور إسلام ؟

ضرب إسلام جبهته مع فتحه لفاهه بعد أن أدرك حماقته:

-أيوة صح ... أنا إزاي سقط الحوار ده

قطع ضرغام ذهوله و هو يُشير على الفتاة الراقدة على الفراش و الذي تأكد إسلام وقتها أنها تعجز عن الحراك، فما الذي سيُبقِيها بهذا الوضع و هي تستقبل ضيوفها غير عجزها، ترك ضرغام الحجرة و تبعه كل من إسلام و داليا بعد أن رحبا بزوجته التي لم يعرفها اسمها و لم يعرفا أيضاً السبب وراء تعرفهما عليها، حيث كان ضرغام يسير جوارهما و يقول باستياء:

-إلي جوة دي بطة مراتي ... هي عندها إعاقة و مش بتقدر تمشي

توقفت أقدامه أمام الحجرة التي من المفترض أن يُجرى بها البحث، أنهى حديثه باستياءٍ و ضيق:

-أنا حاولت كتير أخلي بطة تمشي تاني بس معرفتش، ولا الدكاترة عرفو

قطع إسلام حديثه بمزاج:

-طب جربتو تخلوها تعوم؟؟

كادت داليا تنفجر بالضحك كما إسلام، لكن ضرغام كان يُطالعهما بنظراتٍ نارية جعلتهما يتوقفا عن الضحك و يعتذرا في خوف من نظراته المُرعبة، توجلا الحجرة بعدها ليجدا ثلاثة من العلماء ينتظرانها و مقعدين محفوفين بالأجهزة من المفترض أن يجلسا عليهما.

استجاب إسلام لتعليماتهم و جلس على المقعد و جواره داليا و تم تقيدهما بالعديد من الأجهزة و جهاز عريض يعرض ما يدور داخل أجسادهما عندما يتبادلا الأدوار، بقيت البحوثات لمدة ساعة أجهدت بها قدرتهما و زارتهما كتلة من الصداغ نتيجة تلك الأجهزة.

لاحظ العلماء إجهادهما فقرر ا إنهاء البحوثات لليوم على أن يستكملأ غدًا و يحاولوا الانتهاء في أسرع وقتٍ ممكن.

و كان ضرغام بين هذا كله في أوج سعادته لأنه سيحقق مراده أخيرًا....

يجلس على مكتبه بوجومٍ أحنى معه رأسه لأسفل لعل قلقه ينزلق و يفارقه، يضرب بقدميه على الأرض في قلقٍ جامح ينتظر خبر التخلص من تلك الفتاة هي و الضابط و خلاصه من هذه المُعضلة، لكن ما حدث أنه وجد الباب يفتح و يهرول منه رجل من رجاله يبدو عليه الخوف و الاضطراب أثناء قوله:

-فاتح بيه ... فايز اتقبض عليه ... و البوليس شكله عرف مكاننا

هب فاتح من مقعده بعد هذه الكلمات و كانت ضربات قلبه تتسارع في هلع لا يُصدق أن أمره قد كُشف، طفق يُلملم ما يُقابله من أوراقٍ هامة لا يجب أن تحصل عليها الشرطة و إلا ستضحى نهايته، ترك الحجرة فورًا و هو يقول:

-جهاز العربية بسرعة ... لازم أمشي من هنا

قالها و هو يفتح باب المنزل الذي ما إن فتحه حتى تجهمت معالمه و سقطت حقيبته على الأرض، شعر لو هلة بثقل أنفاسه و أنه سيهوي أرضاً، حيث كان لؤي أمامه و وراءه العديد من رجال الشرطة يستعدون للقبض عليه، استمع لؤي إلى آخر جملة قالها فاتح لذلك أردف بنبرة تتم عن السخرية و الخُبث:

-تروح فين بس يا فاتح بيه ... ما إحنا كنا هنعمل معاك الواجب...

أظلمت السماء ليأتي القمر بنوره الجذاب و بريقه الطاغي على بريق النجوم ليُزين السماء الكاحلة، و بعد أن إنتهى هذا اليوم العصيب جلست داليا على الأريكة بمنزلها و أمامها كوكي و كان من المفترض أن تشاركهما قمر هذه الأوقات لكنها هاتفتها و أخبرتهما عما تمر به و أنها يجب أن تبقى بمركز الشرطي حتى تنتهي الإجراءات، بعد الانتهاء من مكالمتها التي انتهت بسرعة بسبب انشغالها، تحدثت داليا عما حدث معها في المعمل بكل تفاصيله و كل الأشخاص الذين تعرفت عليهم خاصة هذا الذي يُدعى مخيمر و الذي ظنت أنه يكني بعض الحقد اتجاهها هي و إسلام.

-إلي اسمه مخيمر ده حاسه إنه مش طايقنا مش عارفة ليه، دا عمره ما ابتسم في وشنا حتى و لا كاتنا أعداءه

غيّرت من نبرة صوتها إلى اللهفة و الحماس أثناء قولها:

-بس مش مهم، المهم إن اليوم عدا على خير و إن شاء الله هنكسب فلوس ياما من الموضوع ده ... أنا بجد متحمسة أوي

لم تُبدي كوكي أي من العوالم و كأن الأمر لا يعنيه، أو أن ذهنها شارذ في عالم آخر يتعارك فيه مع أفكارها و قراراتها، اكتفت بالهمهمة بلامبالاة مما أرسل إلى داليا إشارة تعني أن هناك ما ينغص عليها حياتها:

-إيه يا كوكي مالك ... مش على بعضك ليه؟؟

سألته داليا بقلق و لم تجد كوكي بدأ من الفرار لذلك تنهدت و بقيت لفترة في حالة من الصمت و التخبط حتى أردفت:

I don t know how بس ... **to tell** لا أعلم ماذا أقول "

زادت هذه الكلمات من قلق داليا فاعتدلت في جلستها و هي تقول:

-إيه يا بنتي قلقتيني

سرقت كوكي نفساً عميقاً قبل أن تبدأ حديثها بتحذير:

-بُصي ... أنا هقولك على حاجة بس إو عديني إنك متقوليش لإسلام ... أنا أصلاً خائفة أقولك و تطلعي في الآخر إسلام نفسه

لاحت ابتسامة على ثغر داليا و هي تقول بثقة:

-لا إسلام إيه ... أنا و إسلام خلاص بقينا نعرف نتحكم باللي عندنا

شجعتها هذه الكلمات على الحديث عما يجيش بصدرها و ينغص حياتها، فارتأت إلى تحرير هذه الأفكار لعل صديقتها قد تعثر لها على حلٍ ما، أخذت نفساً عميقاً قبل أن تتشجع و تقول:

-بصراحة بقي **I think** إن أنا بحب مُعتر السواق....

بقيت تسترسل بحديثها عن مشاعرها المضطربة و كيف وقعت في بحر عشقه دون أن تعلم، أما عن داليا فقد انتفض جسدها انتفاضة بسيطة قبل أن تجد نفسها داخل منزل إسلام فجأة، بل و في جسده أيضاً!!

لطمت على وجنتها و هي تقول بهلع:

-كوكي ... ياللهوي أنا لازم أرجع

ما هي إلا برهة حتى عادت إلى جسدها مجدداً لتجد كوكي تقول:

-قوليلي بقي أعمل إيه؟ ... أنا مش عارفة دا مجرد كراش ولا حُب بجد ... أنا متلغطة أوي

سألته داليا بقلق:

-إنت قولتي إنك ... بتحبي مُعتر؟

أكدت كوكي على حديثها باضطرابٍ جامح و بعض التحذير:

-أيوة أنا عمالة أحكيلك من بدري بس إوعي تقولي لإسلام ... أنا عارفة إن هما الاتنين صُحاب و أنا مش عايزة أقوله دلوقتي

تسمرت داليا مكانها و بداخلها تعلم أنها في ورطة كبيرة، لكنها انتبهت لسؤال كوكي فأخبرتها بثقة زائفة غطت ارتباكها:

-لأ ... متقلقيش .. أكيد مش هقوله يعني

كان العرق يتصبب من جبينها لأنها تكاد تتيقن أن إسلام استمع إلى كل ما حدث بالفعل ما إن انتقل إلى جسدها، وثبت كوكي من مقعدها تؤدع داليا بحبور:

-باي بقي عشان بابي مستيني تحت

بادلت داليا وداعها بجمودٍ حتى رحلت كوكي من المنزل، و بقيت داليا وحدها بحجرة المعيشة تقضم أظافرها في قلقٍ و تردف برجاء:

-أكيد إسلام مش هيقول حاجة ... دا لو قاله هتبقى مصيبة ... لأ .. أكيد مش
هيقوله دي مش حاجة تتقال...

-يا زيزو ... إنت يلا ... البت الخواجاية طلعت بتحبك

هتف إسلام بتلك الكلمات بصوت عالٍ كي يسمعه معتر الذي كان بالحجرة، فما إن عاد إسلام إلى جسده بعد أن استمع إلى اعتراف كوكي بأذنيه حتى أدلى فورًا بكل ما أنصت إليه لعدم تصديقه لما يحدث، فأخر ما كان يتوقعه أن تقع فتاة بجمالها و ثراءها في برائن صديقه شديد البساطة و الفقر من وجهة نظره، الأمر أشبه بالربط ما بين السيارة و الشجرة حيث لا وجود لصفاتٍ مشتركة بينهما.

هرع معتر نحوه بعد أن استمع لهتافه و قال بغير تصديق:

-د ... نعم !! .. إنت بتقول إيه ؟

آعاد إسلام حديثه بلهفة:

-بقولك البت الخواجاية إللي بتشتغل عندها طلعت بتحبك

إرتمى معتر على المقعد المجاور له يحاول أن يتأكد مما يسمع:

-إنت عرفت منين الكلام ده ؟

كاد إسلام يُخبره الحقيقة لكنه تراجع بآخر لحظة لرغبته باغتنام الفرصة و التظاهر بالتعالٍ كما يفعل دائمًا:

-عيب عليك أنا مش أي حد ... لما قابلتها مع داليا قريرت في عنيا إنها بتحبك
فاستدرجتها لغاية ما اعترفتلي بلسانها

سأله مُعترز بشك:

-مقولتليش من بدري ليه ؟

تردد إسلام قليلاً قبل أن يردف بثقة زائفة:

-عشان ... عشان مينفعش تعرف بسرعة ... لازم تعرف بليل عشان تقدر تفكر في الموضوع ... أصل فيه نظرية بتقول إن الإنسان قدرته على التفكير بتزيد لثمانين في المية بليل، فبيبقى قادر يصدق الحاجات الغريبة، و انا لو كنت قولتلك الصُبح مكنتش هتصدق طبعاً

كانت أحاديثه بالطبع كاذبة لكن معترز بدا مُقتنعاً بحديثه إلى حدٍ ما حيث قال:

-أنا أصلاً دلوقتي مش مصدق...

اعتدل بعدها في جلسته ليتحدث بجدية:

-طب أنا أعترفلها إزاي إن أنا بحبها أنا كمان؟؟

آحاطه إسلام بذراعه و هو يقول بثقة:

-بُص يا سيدي ... الأول لازم تهتم بالحاجات إلي هي بتحبها عشان تكبر في نظرها أكثر و تتعلق بيك أكثر و كل ما هتتعلق بيك كل ما ما هييان في عنياها نظرة الحب و ده هيشجعك إنك تعترفلها بالحقيقة

سأله مُعترز باستفسار:

-طب أنا أعرف منين الحاجات إلي بتحبها؟؟

فكر إسلام هنيهة حتى أتته فكرة ما فقال:

-ولا تقلق ... أنا ممكن أساعدك ... إنت نسيت إني ممكن أبقي شبح ولا إيه ؟

عقص معتز حاجبيه بحيرة و هو يسأل:

-قصدك إيه؟؟

فسر إسلام مقصده بطريقة علمية ماكرة:

-قصدي إني ممكن اراقبها من غير ما تاخد بالها و أعرف هي بتحب إيه...

طاولة عريضة إجتمع حولها شياطين الإنس من شتى البقاع، كان يترأسها ضرغام كالعادة لكنه لا يجلس على المقعد و بقي واثبًا أمامهم تنطلق النيران من أذنيه و كأنه تحوّل إلى كتلة مُشتعلة من الغضب، لم يكن الغضب من نصيبه وحده هذه المرة، بل كان يتغلغل بين الأعضاء لدرجة تجعلك تعتقد أن الغرفة ستحترق من نيرانهم، كان يهتف إيزاك ذو الجنسية الإسرائيلية بنبرة متجهمّة غاضبة نعتت هذا المدعو بفاتح:

-هذا الأحمق سيفشي سرنا

أضاف ستيفن ذا الجنسية الروسية على حديثه:

-أنت على حق ... يجب أن ننال منه

أوقف جيفري جدالهم بحديثه المُتلج كعادته الخبيثة و الباردة:

-ما خطبكم أيها الحثالة، لن يفشي سرنا بالطبع، هذا الأبله لن يستطيع أن يفعل ذلك

كان ضرغام وقتها قد أطفأ نيرانه برمال الثقة بعد أن علم ما سيفعلونه في تلك المعضلة، فإفشاء سرهم يعني هلاكهم لا محالة، خاصة بعدما قُبض على فرد من منظماتهم، لا يُهمهم حتى مصيره و ما الذي سيحدث له، كل ما يُهمهم فقط هو مجلسهم

و مكانتهم حتى لو اضطروا الخلاص منه نهائياً، خرج ضرغام من دوامة صمته ليُزيح إحدى المقاعد و يجلس قبالتهم متفوّهاً بنبرة واثقة تحمل المُكر في طياتها:

-لن يستطيع التحدث عن منظمتنا ... لأنه ببساطة لن يجد الوقت لذلك

بعد انتهاء العديد من الإجراءات و بعد أن تأكدت قمر أنها قد نالت أخيراً من ذاك المدعو بفتح قبل أن يهدم حياته، كانت وقتها تجلس بالمكتب الخاص بلؤي تستكمل معه باقي التحقيقات و يتحدث معها بدوره عما ستساعدهم به حتى ينتهوا من تلك المُعضلة نهائياً، عبث ببعض الأوراق التي أمامه حتى وضع حفنة منهم أمامه ليقرأ تلك المعلومات التي افتقدها عقله.

-التسجيل إلي معانا إتكم فيه فاتح عن المنظمة ... المنظمة المسئولة عن الفساد إلي بيحصل، إلي بتمشي الدولة بمزاجها عشان مصالحها ... قال إن المنظمة دي متكونة من حداشر عضو من كذا دولة مختلفة، و تقريباً هو كان واحد من أعضاءها...

إقترب بجذعه نحو قمر ليُخبرها بجدية:

-إحنا لازم نعرف باقي الأعضاء و المقر بتاعهم فين ... المنظمة دي لو قبضنا على أعضاءها نُص مشاكل البلد هتتحل إن مكاش كلها

أومأت قمر رأسها بتفهم ثم قالت بثقة:

-ماشي ... أنا ممكن أساعدكم ... الموضوع مش هياخد مني وقت ... المهم الموضوع ينتهي تماماً

أوما لؤي بفخر من شجاعته و تلهفها لمساعدتهم دون أن تحصل على مقابل رغم أنها تُعرض حياتها للخطر، وثب من مقعده ليترك المكتب و تتحرك هي وراءه عازمة على الذهاب إلى حجرة ذاك المدعو بفتح للتحقيق معه بما يخص القضية،

تتسارع ضربات قلبها كلما تقدمت أكثر نحو الغرفة و كأن الحجرة مليئة بالفئران التي ستفتك بها، مع ذلك تحدث خوفها و تحامت بلؤي الذي يسير أمامها يُطمئننها بأن ما ستفعله هو من أجل الوطن و أنهم سيقومون بتكريمها على تلك الخدمة.

أخذت نفساً عميقاً قبل أن يفتح باب الحجرة ليتسمر لؤي مكانه بعوالم متجهمة منعبته عن الحراك، أرادت قمر أن تفهم سبب تسمره فوقفت جواره أمام الحجرة المفتوحة على مصراعيها.

شهقت بصوتٍ عالٍ وضعت معه يدها على ثغرها تُغطي تلك الفتحة التي كاد فؤادها ينبثق منها، أبعدها لؤي بسرعة عن ذاك المنظر كي لا تلوث بصرها و تهوي على الأرض من شدة التقرز و الهلع.

فقد كانت الدماء في كل مكانٍ تُلطخ الجدران و الأرضية و حتى ذاك الفراش الصغير، أما عن فاتح فكان لا يزال داخل الحجرة، لكن جسده كان ملقياً على الأرض و لكنها بدون رأسه و كأنها قد فُجرت، اضطربت الأوضاع بمركز الشرطة و أصبح الضباط يركضون في كل مكانٍ يبحثون عن تسبب بقتله بهذه الطريقة !!

....

الفصل التاسع (خداع)

مهما استخدمت المرطبات و العقاقير لمداواة جروحك، ستظل الطريقة الأفضل لشفاءها هي بالأ تقرب منها أبداً...

دقت ساعة الصفر مُعلنة عن سماء سوداء كاحلة و أجواء من الرهبة تسرق أنفاسهم لتحول حياتهم إلى هالة من التخبط و التساؤل، فلا يعلم أحد كيف حدث هذا و من له يد في ما حدث، انتشر الضباط في كل مكانٍ منهم بعض الخبراء الجنائيين و العديد من الكاميرات التي تلتقط صوراً للأدلة و الدماء المنتثرة على الأرض، يستند لؤي على الجدار يراقب ما يحدث من بعيد لعله يعثر على سبب لما حدث، لكن عقله لا يساعده على إيجاد من تسبب في هذا و كيف تسبب به من الأساس، يمسك باليد الأخرى العكاز الذي يتكئ عليه لكنه يتركه ليضع كلتا يديه على رأسه يتحسس هذا الصداع الذي يكاد يقضي عليه.

قطع شروده إقتراب أحد الأطباء و معه حفنة من الأوراق بعد أن طالت مدة بحثهم لساعات، كان يتحدث بنبرة علمية يُخرج معها كيساً بلاستيكيًا يحمل شظايا شيئاً ما يبدو معدنياً، اعتدل لؤي بوقفته ليحمل عكازه و يلتقط باليد الأخرى هذا الكيس أثناء حديث الخبير الجنائي:

-إحنا اكتشفنا وجود جسم صلب مزروع جوة دماغ الضحية ... و لما بحثنا عن الجسم ده اكتشفنا إنه شظايا لإحدى المتفجرات

عقص لؤي حاجبيه بحيرة و هو يسأل بتشكك:

-قصدك إن كان في قنبلة جوة دماغه!!

أكد الخبير على حديثه بعلمية:

-بالظبط يا حضرة الظابط و القنبلة دي تم تفجيرها لما دخل الحجز...

على جهة أخرى كانت تقف قمر تتابع ما يحدث من بعيد في صمتٍ تام أخفت معه رهبتها من ذلك المشهد الذي جعلها تكاد تتقيأ، لكنها تماسكت قدر الإمكان تُمني نفسها أن هذه هي النهاية و لن تتعرض حياتها للخطر مجددًا، فمن كان يُمثل لها تهديدًا إنتقل إلى ربه أخيرًا، تضع الهاتف على أذنها لتتحدث مع والدتها التي بقيت تؤبّخها على تأخرها طيلة هذه المدة دون أن تفهم حقيقة الأمر الذي أخفته قمر جيدًا، فرغم أنها تشعر أن والدتها لا تهتم بشأنها إلا أنها استشفت لمحة القلق بحديث والدتها مما جعلها تُدرك أن بداخلها شيئًا لم يتخلى عن أمومتها رغم تعنتها و أوامرها التي لا تنتهي.

-خلاص يا ماما ... انا والله كويسة و هاجي عطلول، في مشكلة بس في الجريدة و إن شاء الله هتتحل ... لا متقلقيش مش هبات برة تاني...

بقيت تتحدث على الهاتف إلى أن قطعها مجيء لؤي متكئًا على عكازه؛ أنهت الحديث مع والدتها لتتنبه لحديثه الذي حمل مزيجًا من الامتنان و الأسف على ما مرّت به بسببهم، أو بسبب وظيفتهم الصعبة.

-أنا هبعت عربية تروّحك البيت، مش هينفع تفضلي أكثر من كدة

كانت نبرته صارمة رغم امتنانه الذي لم يستطع ابرازه، كاد يرحل من أمامها بجمود لكنها استوقفته بفضول:

-يا لؤي بيه...

استدار لها فسألت:

-هو إيه إيلي حصل؟؟ أظن إن من حقي أعرف..

برز بعض التؤسل في حديثها مما جعله يتنهد باستسلام و يُخبرها تفاصيل ما حدث لأنها جزء منه، بل حتى أنها أصبحت جزءًا من حياته دون أن يلحظ، فهو لا يريد لتلك المهمة أن تنتهي كي يراها مجددًا، عاد من شروده و هو يقول باستنتاج:

-أعضاء المنظمة هما السبب في قتله أكيد خايفين إنه يكشفهم

سألته مجددًا رغبة في المزيد من التفسيرات:

-طب و العمل؟؟

أجابها بثقة و صرامة:

-لازم نعرف مقر المنظمة و نقبض عليهم ... لأن المنظمة دي فيها إلي أسوأ من فاتح

خرج حديثها متقطعًا يحمل كمًا من التردد:

-أنا ممكن اساعدكم ... ممكن أحاول أعرف معاكم الحقيقة ... أنا بعرف _

قطع حديثها بصرامة رغم التناقض الذي بداخله:

-لأ ... خليكي بعيد ... أنا مش عايزك تتأذي ... إحنا هنعرف نجيبهم لوحدنا

عارضت حديثه رغم شعورها بالانتشاء ما إن علمت أن أحدهم يهتم لسلامتها، فضابط غيره كان ليستغل قدرتها من أجل مصالحهم دون مراعاة لحياتها و سلامتها، طفقت تتوَّسل إليه لرغبتها بالعمل معهم و الابتعاد عن عالمها الساذج، أحببت الشعور بأن لها أهمية كبيرة بتلك البلدة و أن بإمكانها إنقاذ العالم و إثبات أنها ليست فتاة سطحية تنعم بحياة روتينية خالية من الأحداث.

-متقلقش ... مش هيجرالي حاجة لو سمحت ... أنا عايزة أخدم البلد و أعمل حاجة مهمة...

أوهمته أنها ستفعل هذا من أجل بلدها لكن الحقيقة أنها تريد فقط حياةً مليئةً بالإثارة و التشويق ليس إلا، ظلَّت تتوَّسل إليه بصبيانية جعلت لؤي يتنهد بنفاد صبرٍ قال معه باستسلامٍ لإلحاحها:

-ماشي يا قمر ... نمرتي معاكي ... و لو عوزنا حاجة أنا هكلمك ... و إنتِ كمان،
لو في أي حاجة كلميني علطول

أومأت رأسها بحماس إجتمع مع ابتسامه هادئة ودعته بها قبل أن تترك مركز الشرطة و يتابع هو إثرها في صمتٍ يسأل نفسه متى سيقابلها مجدداً، لاحت ابتسامه طفيفة على ثغره كلما تذكر مواقفهما سوياً و المرات التي كادت تُصيبه فيهم بالشلل الجثماني، بل حتى تذكر تلك القتالات التي خاضها معها و كم كانت تحتمي بظهره و كأنه سدها المنيع، خرج من شروده على صوت أحد الضباط يناديه ليستكمل إجراءات القضية و يخرج من أحلامه الوردية التي كان ينسجها بخياله....

يتحرك بخطواتٍ متأنية داخل حجرة أنيقة طُليت بألوانٍ هادئة تبعث الراحة في النفس، لم يكن يُصدر أي من الأصوات لأن صوته بالفعل لن يضحى مسموعاً حتى و إن صاح بأعلى ما لديه، لذلك لا يوجد داعٍ لحديثه من الأساس، بحث بعينه بجميع أنحاء الحجرة و كأنه لص أتى للسرقة، لكن الفرق أنه يسرق معلوماتٍ و ليست أدواتٍ مادية، استمع إلى نباح يُصدر من خارج الحجرة و سرعان ما وجد النباح يقترب منه ليظهر أمامه كلب كبير نسبياً يحمل فراءً كثيفاً باللون الذهبي، لم يتوقف الكلب عن النباح و الزمجرة بفمه مما جعل إسلام يرتعد خوفاً و يحاول أن يُبعده باستخدام يديه التي طفقت تلوح في الهواء.

-ششش ... إمشي من هنا

قالها بصوتٍ غاضبٍ لعل الكلب يتحرك من مكانه، لكن الكلب يعانده و يرفع من صوت نباحه و زمجرته، سب إسلام الكلب في قرارة نفسه و قرر تجاهله و مواصلة البحث داخل الحجرة، استمع إلى خطواتٍ أخرى تقترب من الباب يليها مجيء كوكي بصوتها الذي نادته به كلبها.

-جيجي ... في إيه؟؟ بتهوهوي على مين؟؟

هرولت الكلبة نحوها لتداعبها كوكي بيديها بحنوٍ بالغٍ قطعته الكلبة لتتجه بعينيهما صوبَ إسلام و تستمر بالنباح عليه أمام عوالم كوكي الحائرة من نباحها و كأن لصًا بالمنزل، اعتقدت كوكي أنها تنبح من أجل الطعام فأحضرت بعض من طعامها المجفف لثعطيه لها لكن الكلبة تأبى تناول الطعام و تستمر بالنباح، حتى أنها ترفض ترك الحجرة و تقترب من إحدى البقاع التي بدت فارغة بالنسبة لكوكي.

-يووه يا جيبي "what is wrong with you" .. ماذا بكِ؟؟"

قالتها كوكي بنفاد صبرٍ و قد كان إسلام يستمع لحديثها و يحاول العثور على معلوماتٍ عنها كي يُخبرها لصديقه، بعد برهة قصيرة من الوقت اخترق أذناه صوتًا يعرفه جيدًا يُصدر من خارج الحجرة.

-كوكي ... إنتِ فين؟؟

اتسعت حدقتا إسلام ما إن أدرك أن هذا الصوت يخص داليا، هذا يعني أنها ستراه بالطبع لأنها الوحيدة التي تستطيع ذلك؛ تسارعت نبضات قلبه و لم يجد أمامه سوى خزانة الملابس كي يختبئ داخلها حتى لا تراه داليا، اختبأ فورًا داخل الخزانة ما إن رأى داليا تدلف الحجرة و جوارها كوكي و يجلسا سويًا على الفراش.

-إيه يا بنتي ... ساعة بدور عليكي في قلب الشقة

قالتها داليا و هي تصافح كوكي بثرحاب، ابتسمت لها كوكي و هي تتحدث معها عن أحوالها و ما كادت تتحدث عما تمر به هذه الأيام حتى لا حظت داليا وثوب الكلبة أمام الخزانة و نباحها الذي لم يتوقف منذ مجيئها، عقصت داليا حاجبيها في حيرة و هي تُشير على الكلبة و تقول:

-هو جيبي بتهو هو ليه؟؟ ... هي مش المفروض عرفاني؟

أجابتها كوكي بخيبة أمل:

" she has been barking since morning -إنها تنبح منذ الصباح " ...
بجد مش عارفة مالها

لاحظت داليا أنها تنبح أمام الخزانة فاستنتجت:

-ما يمكن في فار ولا حاجة جوة الدولاب ... أكيد مش هتهو هو من فراغ

بدت كلماتها مُقنعة بالنسبة لكوكي مما جعل نبضاتها تزداد سرعة و ترفض التقدم نحو الخزانة كي لا ترى ذلك الجرذ الذي هو إسلام في الحقيقة، تشجعت داليا و هرعت نحو الخزانة تفتحها بهدوء و ترى ما بداخلها، كانت أنفاسها تتلاحق في رُعب خشية من أن ينقض عليها جرذ و يُصيبها بأمراضه، أما داخل الخزانة فكان إسلام يسب هذه الكلبة و يدعو بقرارة نفسه أن تبتعد داليا عن الخزانة حتى لا تراه، لكن الرياح تأتي بما لا تشتهيهِ السُفن فسرعان ما فتحت داليا الخزانة و شهقت بصوتٍ عالٍ ما إن رآته أمامها.

-في إيه يا داليا ... هو في فار؟؟

سألته كوكي بهلع وثبت معه من الفراش استعدادًا للفرار، أما عن داليا فسرعان ما اصطبغت ملامحها بالغضب و هي تُشير على إسلام و تردف بتهكم:

-أيوة في ... بس فار كبير شوية

عصت كوكي حاجبها بحيرة من حديث داليا الذي بدا ساخرًا بخلاف ثباتها أمام الخزانة و كأن الفأر لن ينقض عليها، تقدمت كوكي نحوها لترى ما بداخل الخزانة التي وجدتها فارغة تمامًا.

-مفيش حاجة أهو ... أو مل في إيه؟

لم تنتبه داليا لحديثها و وجهت صوتها الحانق نحو إسلام و هي تقول:

-إنت بتعمل إيه هنا يا قليل الأدب ... جاي تتفرج على صاحبتى و هي بتغير
هدومها!!

أنهت حديثها بدرامية نفاها إسلام بتؤسل:

-اتفرج إيه يا داليا ... أنا جيت لقيتها لابسة أساساً... أنا جاي لحاجة تانية صدقيني

رفعت داليا من صوتها و هي تهتف به بدرامية:

-أصدقك !! ... عايزنى أصدقك و أنا شايفاك في الأوضة مع صاحبتى!!

صححت كوكي حديثها:

-يا داليا مفيش حد في الأوضة " why are you shouting ... لماذا ترفعين
من صوتك؟"

انقضت داليا على إسلام تمسكه من تلايبه و تواصل توبيخه:

-سيبيني اتخانق مع العفريت بتاعه و أعلمه الأدب

أبعدها إسلام عنه ليدافع عن نفسه:

-إبعدي عني، قولتلك إنت فهماني غلط...

تخصرت داليا و هي تقول:

-طب فهمني الصح يا خويا ... مستخبي في الدولاب ليه ؟

شهقت كوكي في صدمة و هي تسأل:

-هو مين إالى مستخبي في الدولاب؟؟

آجابتها داليا بصوتٍ غاضب:

-إسلام ... إسلام إلي كلمتك عنه

شهقت كوكي مجدداً بغير تصديق قالت معه:

-إسلام هنا !! .. فين؟؟

تلقتت برأسها حول الغرفة لعلها تعثر عليه لكن داليا أخبرتها و هي تُشير أمامها:

-أهو يا بنتي واقف قدامي .. بس إنت مش هتعرفي تشوفيه

وجهت نظرها نحو إسلام لتواصل حديثها المتهم:

-لولا إن جيبي شافته كان زمانه عمل إلي في دماغه

تؤسل لها إسلام مجدداً:

-يا داليا إفهمي ... أنا كان غرضي شريف صدقيني

أوقفت داليا تؤسلاته بنبرة صارمة مُهددة:

-إسمعي إنت ... لو شوفتك هنا تاني والله لا ألغي الإتفاق إلي بينا و مش هكمل

البحث، يعني مش هناخد الفلوس..

أوقف إسلام ما تبقى من تهديدها ليردف باستسلام:

-خلاص ماشي ... أنا مكنتش هاجي تاني أصلاً ... سلام

قالها ثم رحل من الحجرة يجر أذيال خيخته بعدما فشل في ما أتى من أجله، عادت داليا إلى الفراش لتجلس عليه قبالة كوكي و يبدأا التحدث حتى انتبها إلى توقف نباح الكلبة مما يعني أن الأمور قد عادت إلى هدوئها مجدداً...

صوت الضجيج يخترق أذنها و هي مُستلقية برأسها على الفراش تنعم ببعض الراحة التي لم تنعم بها لأيام، لكن هذا الضجيج لم يتوقف حتى جعلها تفتح عينيها بثقلٍ و بوادر الغضب بادية على وجهها، رفعت الغطاء عنها بضجرٍ لتجلس على الفراش و تلاحظ والدتها التي تُصدر هذا الضجيج و هي تُنظف الحجرة بالمكنسة الكهربائية؛ زفرت قمر الهواء من فمها و هي تقول بغضب:

-يعني هو لازم يعني تنظفي الأوضة و أنا نائمة!!

هتفت نجمة بوجهها بتوبيخ:

-دا بدل ما تقومي تساعديني ... إحنا بقينا في عز الضهر يا هانم و إنت لسة نائمة

و ثبت قمر من الفراش تهتف بتذمر:

-يووه ... أنا منمتش من إمبراح حرام عليكم

تجاهلت نجمة تذمرها و واصلت تنظيف الحجرة و إصدار الضوضاء حتى تركت قمر الحجرة بضجر و اتجهت إلى المرحاض كي تغسل وجهها، فتحت صنوبر المياه لتغسل يديها و أسنانها لكن فجأة، استمعت إلى هسيسٍ يُصدر من خلف ستار حوض الاستحمام، عقصت حاجبيها في حيرة من تلك الهمسات فقررت الإقتراب من حوض الاستحمام لترى ما يحدث وراءه، تحركت بأنامل هادئة اتجاهه، و كادت تزيح الستار لكن فجأة.....

انتفض جسدها للوراء مع صرخة أطلقتها ما إن ظهر شهاب أمامها يرتدي ثياباً سوداء و قناعٍ مُخيفٍ أوقد انقباضة في قلبها، سرعان ما تحوّل هلعها إلى غضب

جثيم جعلها تخلع نعلها و تصوبه اتجاه شهاب الذي فرّ بسرعة من الحجرة بضحكاته
الشريرة.

-والله العظيم يا شهاب لو عملت كدة تاني لا أكون مورياك وش إنت عُمرِك ما
شوفته

صاحت بهذه الجملة بعوالم غاضبة ثم تركت المرحاض و هي تسب هذه العائلة
المزعجة بقرارة نفسها، انتبهت إلى صوت هاتفها الذي صدح عاليًا فانتشلتها لتُجيب
فورًا على تلك المكالمة رغبة في الهروب من ذلك العالم خاصة بعد ان أدركت أن
المُتصل هو لؤي.

-ألو ... إزيك يا قمر إنتِ كويسة؟؟ _

قالها لؤي بصوتٍ هاديء رغبة في الاطمئنان عليها لسبب لا يعلمه، فهو قد اعتاد
حمايتها حتى لو لم يكن مُكلفًا بذلك، قطعت قمر حديثه برجاء:

-أبوس إيدك أنا عايزة أخرج من هنا

شعر لؤي بالقلق من حديثها فسأل:

-هو في حاجة ... إنتِ كويسة؟؟

طمأنته قمر بحديثها:

-أنا كويسة بس عايزة أخرج من البيت، الأجازة بتاعتي فاضلها يومين و لو فضلت
هنا ممكن أتقل على مصحة أمراض عقلية

لاحت ابتسامة ساخرة على وجهه لكنه أخفاها أمام إلحاحاتها و محاولاته لتلبية
رغباتها:

-ماشى يا قمر ... إنهاردة هروح أحقق مع مرات فاتح _

قطعتة قمر بسرعة و لهفة:

-أنا هاجي معاك ... أنا أكثر واحدة هعرف أحقق معاها ... لو سمحت خُذني معاك و
مش هتخسر حاجة...

بقيت تتوَّسل له حتى تنهد بنفاد صبرٍ قال معه:

-طيب يا قمر ... هعدي عليكِ و نروح سوا

أغلقت بعدها المكالمة و الحماس يتكالها و يجعلها تهتف بانتصار، هرعت بعدها إلى
حجرتها لتُبدل ثيابها و تهرب فوراً من ذلك المنزل قبل أن تتلقى أوامر والدتها التي لا
تنتهي....

بقي الحديث بينهما داخل الحجرة الخاصة بكوكي بعدما تركها إسلام و بقيت داليا
تتألف بعينها في كل مكانٍ لعله خالف تعليماتها و اختبأ في مكانٍ ما، لا تعلم حقاً إذا
لم تكن موجودة ما الذي سيفعله هذا الحقير بغيابها، لا تُصدق أن حقاوته جعلته
يستخدم قدراته في تلك الأمور الشنيعة، أقسمت في تلك اللحظة أنها ستقطع علاقتها
بذاك الأرعن ما إن ينتهي البحث و يحصل كل منهما على نقوده، فهو مختل عقلياً ذا
نرجسية طاغية و شخصية تختلف عن شخصيتها تماماً.

نفضت تلك الأفكار من عقلها كي تنتبه إلى حديث كوكي التي كانت تتحدث بتذمر
عما حدث معها اليوم بالعمل:

-فضل يقولي اعلمي كذا و اعلمي كذا كأنني مش بعرف أعمل حاجة ... بجد أنا بكره
الراجل ده، عامل فيها أذكى واحد فينا

ربتت داليا على كتفها كي تواسيها:

-فُكِّك منه...

عارضتها كوكي بضيق:

-إزاي يعني " he is the super visor ... إنه رئيس القسم "

حادثتها داليا ببساطة و كأن الأمر بهذه السهولة:

-يبقى خلاص ... اعصري على نفسك لمونة و استحملكه

لم تفهم كوكي مقصدها فعصت حاجبها بتقزّر قالت معه:

-إيه no way !! إني أعمل كدة ... الـ acids إيلي في اللمون أصلاً بتبوظ البشرية
مينفعلش أحطها على جسمي

صححت داليا ما فهمته صديقتها:

-كوكي دا مجرد مثل، أكيد مش هتعصري على نفسك لمون بجد!!

زفرت كوكي الهواء من فمها بخيبة أملٍ ثم صمتت برهة قبل أن تنهي الحديث بتذمر:

-أنا بجد بكره الناس الأذكيا ... طول الوقت بيبقو شايفين نفسهم علينا...

-أهم حاجة إن إنت تكون ذكي لأن كوكي مش بتحب غير الرجالة الذكية

قالها إسلام بثقة و هو يجلس جوار معتز داخل المنزل بعد أن عاد من منزل كوكي دون أن يحصل على معلومة واحدة عنها، لكن طبيعته المتعالية الكاذبة جعلته ينسج أحداثاً و معلوماتاً غير حقيقية حتى يُبرز أمام صديقه أن خطته قد أنبتت ثمارها و أنه يفقه كل ما يحدث حوله، بدا مُعترِ مصدقاً لحديثه فكان يسأل بتشكك:

-يعني لو بقيت ذكي هي هتحبني أكثر و هعرف اعترف لها؟؟

آحاطه إسلام بذراعه ليؤكد على حديثه بثقة:

-أيوة طبعاً أنا عمري قولتلك حاجة و طلعت غلط؟؟

نفي معتز برأسه فوراً و هو يقول:

-لأ عمرك

حفزت هذه الكلمات إسلام على مواصلة كذبه دون أن يتوتر لحظة:

-يبقى اسمع كلامي و صدقتي ... انا عرفت هي بتحب إيه بالظبط و شوفت كل حاجة بعنيا ... بعدين هو في ستات مش بتحب الرجالة الذكية؟؟

اقتنع معتز أكثر بحديثه فأوماً رأسه بلهفة وثب بعدها من مقعده ليتجه إلى الحجرة و يُبدل ثيابه استعداداً لملاقاتها مجدداً، هذه المرة سيتبع تعليمات إسلام التي من شأنها أن تقذفه نحو الهاوية....

يضع أنامله على يدها الرقيقة لعلها تستشعر لمستته الحنونة و تعلم أنه لا يزال جوارها، لكن الحقيقة أن لمساته كانت لا شيء بالنسبة لها، فكأنه طيف أمامها ليس له وجود فلن تستطيع أن تتلمسه أو محاولة الإقتراب منه، فكيف لها أن تقترب منه و هي بتلك الحالة العاجزة؟؟ .. رفعت رأسها إنشأت قليلة لتستطيع رؤية تعابيرها التي تبثها الأمان و تُشجعها على المثابرة و مواجهة هذه الحياة الصعبة، رسم بسمة هادئة على ثغره و هو يقول ببحّة تتغلغل إلى فؤادها من نعومتها:

-خلاص هانت ... كلها أيام و هترجي تمشي تاني...

تحسس وجنتها بحنانٍ قال معه:

-هيوحشني شكلك أوي

بأدائه بابتسامة أخرى ودت معها لو تشبثت بيديه لتبقى على وجنتها و تُصيبتها
بالقشعريرة التي تُحبها، أُرذفت بنبرة هادئة تحمل الراحة بداخلها:

-مش مهم الشكل ... المهم الروح

اتسعت بسمته و هو يؤكد على حديثها:

-صح ... المهم الروح

مرّت بينهما برهة من الصمت يُحدق فيها بلامحها التي سيشتاقها ما إن يجري هذه
التجربة و تنتقل روحها من هذا الجسد الهزيل، لاحت أمام عينيه ذكريات تجمعهما
سويًا مليئة بالحُب و العشق و أوقات من المرح و السعادة، حقًا سيشتاق ملامحها و لا
يعلم كيف سيعتاد على ملامحها الجديدة.

-ضرغام....

نادته بهذا الصوت لتقطع شروده، انتبه إلى حديثها الذي كان:

-إنت بتعمل معايا كدة ليه؟؟ ... ليه مستعد تعمل حاجة خطيرة عشاني؟

مسد على خصلات شعرها برقة و هو يقول بصوتٍ يكني ضرورًا من العشق و
الهيام:

**-إنتِ الحاجة الوحيدة إلي ردت فيا الروح ... أنا عايش عشانك، و مش هقدر
أشوفك عاجزة قدامي**

-يعني إنت عايز الأبحاث دي عشاني أنا بس؟؟

سألته بتشككٍ و لم يكن يعرف بما يُجيبها فبقي يُداعب خصلات شعرها متداركًا
سؤالها لعدم رغبته في إفشاء الحقيقة الآن، أخفى الحقيقة بقوله الحاني:

-أنا بعمل أي حاجة عشانك....

أبعد يداي عنها و هو يقول منهيًا الحديث:

-يلا كُلي ... إنتِ مأكلتيش من الصُبح

أمسك صحنًا يحتوي على إحدى الشطائر التي أخذها ليُقرّبها من فمها كي تتناول الطعام لعجزها عن فعل ذلك، انتهى الحديث بينهما في تلك اللحظة حيث انشغل هو بإطعامها كما يفعل دائمًا دون كللٍ أو ملل، أما بداخله فكان يتوق شوقًا لاستكمال هذه التجربة ليس فقط من أجل زوجته العزيزة، لكن من أجل أمورٍ أخرى أخفاها بداخله حتى تأتي اللحظة المناسبة....

إنفتح باب ذلك المنزل الذي يبدو عليه الثراء لتظهر سيدة تقف على أعتابه ترمق هذين الغريبيين بلامح حائرة، لوحت لها قمر في هدوء بينما بادر لؤي بتعريف نفسه بصرامة جعلتها ترتبك لسبب لا يعرفه، دلفا المنزل ليلحظا ذاك الهدوء الطاغي و لمحة الحُزن تُلطخ الجدران و الأثاث، حيث كانت السيدة أيضًا ترتدي ثيابًا سوداء و لا تضع أي من مستحضرات التجميل مما أبرز عينيها المُجهدتان بسبب الحُزن و قلة النوم.

جلست على إحدى الأرائك و جلسا قبالتها في صمت حتى تطلب من الخادمة إعداد القهوة لهما، ما إن رحلت الخادمة حتى أردف لؤي برزانة:

-البقاء لله يا أنسة فاطمة

أومأت رأسها بهدوءٍ و هي ترد عليه ليواصل بعدها:

-إحنا هنعمل إلكي نقدر عليه عشان نعرف إلكي قتل الأستاذ فاتح بس طالبين من حضرتك تساعدينا

آجابته بوجومٍ أشاحت معه رأسها كي لا يُدرك ارتباكها:

-أنا معرفش حاجة_

قطعتها قمر بان دفاع و تشكك:

-يعني مسمعتيش الأستاذ فاتح بيقول أي حاجة ليها علاقة بشغله و حياته؟؟

إزداد ارتباك السيدة و هي تقول بأحرفٍ مرتجفة:

-لأ مسمعتش ... فاتح الله يرحمه كان يفصل بين الشغل و البيت

تدخل لؤي بلكنة ماكرة حاولت استنارتها نحو الحقيقة:

-بس فاتح الله يرحمه مكنش بيخبي حاجة عن مراته...

صمتت برهة و قد بدأ العرق يتصبب من جبينها حتى أصرت على النفي بقولها:

-لأ ... مكنش بيتكلم في الشغل خالص ... أنا مش هقدر أفيدكم في أي حاجة أنا
أسفة

تبادلت النظرات ما بين قمر و لؤي ما إن لمحا الخوف في صوتها، كانت تُشير قمر بعينيها نحو السيدة تُخبره بنظراتها أن لا يوجد حل سوى هذا، أو ما لؤي رأسه بهدوءٍ لم تلاحظه السيدة أو لم تنتبه له من الأساس، اعتدلت قمر في جلستها لتصب كامل تركيزها على تلك السيدة و جعلها تُحدق بنظراتها الثاقبة التي جعلتها مُغيبية عن العالم بعد برهة و كأن لسانها قد انعقد و لم يستطيع الحديث.

-فاتح جاب سيرة شُغله؟؟

سألته قمر بصرامة و صوتٍ هاديءٍ اخترق لب عقل السيدة التي آجابت فورًا بصوتٍ مُغيبٍ لا يحمل أي من المعاني:

-كان بيتكلم عن ... الحياة الأبدية...

كانت الشمس ساطعة و الأزهار تطلق رحيقها في كل مكان لتجعل من تلك الأجواء أجواءً شاعيرية، تجلس كوكي بإحدى المقاهي التي اعتادت الجلوس بها و احتساء القهوة كما اعتاد معتز أيضاً أن يشاركها تلك الأمور بالفترة الأخيرة، كانا في حالة من الصمت في البداية يحاول مُعتز ترتيب كلماته و الظهور أمامها بمظهر العبقرى المتحضر كما أخبره إسلام، فهو لا يعلم أنها تُحبه كما هو دون أن يُغير من نفسه قيد أنملة، صحيح أن إسلام أخبره بأنها تكنى بعض المشاعر له لكنه يجب أن يجذبها أكثر حتى تتعلق به أكثر و يستطيع أن يعترف لها بثقة.

تتحنح ليجلي حنجرته قبل أن يقول بعلمية:

-تعرفى يا ناجتس إن الصين من أكبر الدول إالى بتنتج رُز ؟

رمقته كوكي ببلاهة لا تدري ما سبب قوله لتلك المعلومة:

-لأمش عارفة

قالتها بحيرة جعلته يزداد سعادة فأرعى ظهره للوراء ليوصل حديثه بثقة و وقار:

-طب تعرفى إن كوكب المريخ لونه أحمر ؟

لازالت الغرابة تلوح على وجه كوكي و هي تقول:

-أه عارفة

-طب عارفة ليه؟؟

سألها بثقة فحركت رأسها نفيًا مما جعله ينتهز الفرصة و يردف بثقة:

-عشان...-

توقفت لسانه عن الحديث و قد خانته الذاكرة في تلك اللحظة و لم يتذكر تلك المعلومات التي بقي يحفظها طوال الطريق، أخرج الهاتف الخاص به ليعبث بالصور و يقرأ تلك المعلومة التي غفل عنها، ما إن قرأها بسرعة حتى نظر إلى كوكي و قال:

-عشان فيه حديد مصدي

عقست كوكي حاجبها بحيرة من حديثه الذي لا تفهمه البتة:

-في إيه؟؟-

آشار مُعتر على الهاتف دون أن ينتبه و هو يقول:

-في حديد مصدي ... والله مكتوب كدة

خرجت قهقهة من فم كوكي على حديثه الذي ظنت معه أنه يمزح، كان على وشك أن يقول معلومة أخرى لكنها أوقفته بتقرير

-زيزو يلا نمشي عشان متأخرش على المدرسة

و ثبت من مقعدها لترحل من المقهى لكنها إقتربت منه قليلاً لتخبره بنفس لكنته العلمية التي سخرت منها:

-تعرف يا زيزو إن أنا مش بحب الرجالة إللي بتتذاكي؟

قالتها ثم رحلت من أمامه و تركت معالم الحيرة على وجهه، فبالطبع أدركت أنه يفعل هذا من أجلها أو أنها تظنه يحاول الظهور أمامها بمظهر العبقري الذي يليق بها و بمكانتها التي حظتها بعد أن حصلت على العديد من الشهادات و التقديرات العليا.

ما إن اختفت من أمامه و ذهبت إلى السيارة حتى تمت باستنتاج:

-يعني إيه ؟ ... إسلام كان بيضحك عليا ؟؟ ... لا أكيد إسلام ميعملهاش

لؤح بيده نحو كوكي ليخبرها بصوتٍ مُرتفعٍ قليلاً و هو يدلف السيارة:

-استني يا ناجتس ... تعرفي إن الهوا لونه شفاف؟...

مزّت بضعة أيام لم تتغير بهم الأحداث، حياة روتينية على جميع الأبطال الذين يواجهون صراعاتهم و يفشلون بالعثور على حلٍ لها، في ذلك اليوم و بعد أن حلّ المساء، كانت داليا تترك المعمل بصُحبة إسلام و قد كان هذا اليوم هو آخر يومٍ لهما في البحوثات، أي أنهم الآن يمتلكا هذا الكم الهائل من النقود التي لا يعرفان ما الذي سيفعلانه بهم، تتضارب نبضاتهما في سعادة مهولة و هما يتحركان قُرب المعمل و يحملان هذه الورقة الصغيرة التي ستمكنهما من الحصول على الأموال.

شقت الابتسامة ثغر داليا و هو تُحدق بتلك الورقة و تقول بسعادة:

-أخيراً هسافر برة مصر ... أنا مش مصدقة نفسي

كانت أولى أحلامها أنها تسافر إلى مكانٍ آخر و تستجم برحلة تُصفي بها ذهنها، أما عن إسلام فكان يتمنى أن يفتح العيادة الخاصة به و أن يشتري منزلاً كبيراً و سيارة جديدة، كل تلك الأحلام كانا يتناقشانها في سعادة و لهفة حتى سألت داليا:

-أنا مش عارفة لسة هسافر فين ... إيه رأيك أسافر فرنسا ؟

اعترضها بثقة و جمود:

-لا سافري إيطاليا

عقدت حاجبيها بحيرة و هي تسأله:

-اشمعا إيطاليا .. عشان أنا رومانسية و كدة ؟؟

لاحت ابتسامة على ثغرها مع آخر كلماتها لكنه أردعها بقوله:

-لأ ... أصل أنا قرئت قبل كدة إن إيطاليا بيدورو على أنثى الدب عشان هتقرض

أطبقت على شفتيها بحنقٍ و دت معه لو تلكمه على وجهه كي يتوقف عن إثارة حنقها
كما يفعل طوال الوقت، هتفت بوجهه بسُخط:

-والله العظيم أنا غلطانة إني باخد رأي واحد زيك

ربطت ذراعها بحنقٍ لكنه كان يتابعها بابتسامة تعالي ثغره و كأنه يتلذذ بروئيتها
غاضبة، بعد فترة من الصمت تفحصت داليا نفسها حتى اكتشفت أنها تركت حقيبتها
بالأعلى:

-نسيت الشنطة...-

وجهت حديثها نحو إسلام لتؤكد عليه:

-خليك هنا .. هطلع أجيبها و هاجي ... متمشيش

أكد لها أنه لن يتحرك من مكانه حالما تعود مجدداً إلى المعمل و تجلب حقيبتها...

داخل المعمل، كانت تجلس بطة على إحدى المقاعد بمساعدة من ضرغام الذي
أجلسها، العديد من العلماء كانوا حولهم يستعدون لإجراء تلك التجربة التي لم ينم
طوال أيام حتى ينهياها، ركع أمام بطة بابتسامة تعالي ثغره و يداه تداعب وجنتيها و
وجهها الذي سيفتقده، بادلته بابتسامة أخرى طمأنته بها أن كل شيء سيسير على ما
يرام و أنه سيعتاد جسدها الجديد كما اعتاد ذلك الجسد الذي أصبح فانيًا، فيكفي أنه
سيحتفظ بروحها التي تُمثل له أهمية كبرى، بعد فترة من الحديث بينهما وضع

ضُرغام قُبلة على رأسها قبل أن يثب من الأرض و يُشير إلى رجاله كي يحضروا
الفتاة المطلوبة.

دلف أحد الرجال الحجرة و كان يحمل معه فتاةً تبدو بالعشرين من عمرها ذات جسدٍ
ممشوق و شعر أملس ينسدل على كتفيها، كانت مغشية عليها مُكبلة أطرافها حتى
يستطيعوا احضارها إلى المعمل، فالحقيقة أن تلك الفتاة تم اختطافها من بين أهلها بعد
أن أعجب ضرغام بشكلها و رأى أنها مناسبة لتضحى زوجته، لم يكن اختطافها أيضاً
بهذه السهولة، حيث قام ضرغام بدفع مبالغ طائلة لأهلها الذين خدعهم و أخبرهم أنه
سيتزوج تلك الفتاة و سيجعلها ملكة تعتلي عرش قصره، و لأن الفتاة لم تُصدق أنها
ستتزوج بشابٍ غني و جذاب مثله وافقت على الفور، فبعد أن تم عقد قرانٍ مُزيف
بينهما طلب من أحد رجاله أن يأتي بها إلى المعمل ليُنفذ خطته الماكرة بتلك الفتاة
المسكينة.

تم وضع الفتاة على إحدى المقاعد ليتم توصيل جسدها بالعديد من الأسلاك و الأجهزة
كما يحدث مع زوجته بالضبط، ظل العلماء يُجرون العديد من البحوثات كي
يستطيعوا خلق هيئة نجمية داخل جسد الفتاتين حتى يستطيعا إبدال روجيهما، و بعد
أن أجريت العديد من الاختبارات أصبح الجسدان مستعدان للتبديل.

أفاقت الفتاة من غفوتها لترى ما يحدث حولها باضطراب جعل دموعها تتقاطر على
وجنتيها مع نظرة الخذلان الموجهة نحو ضرغام الذي ظنت لو هلة أنه يُحبها بالفعل و
أنها ستحيا ما تبقى من عمرها في نعيمٍ تُحقق فيه أمانيتها، لكن يبدو أن أحلامها ستهدم
بعد تلك اللحظة و على يد من وثقت به في يومٍ من الأيام.

غطى أحد الرجال فم الفتاة كي لا تصرخ و تفضح أمرهما، حيث كانت تُهمهم
بإستجداد و دموعها تُذرف بغزارة كلما استشعرت الخطر من حولها رغم أنها لا
تعرف ماذا يحدث، ركع ضُرغام قبالة بطة يُخبرها بهدوء أن تُركز على الطاقة التي
بداخلها كي تتحرر من ذلك الجسد أخيراً، حاولت الاستجابة لتعليماته فأغلقت عينيها
لتسرق أنفاساً عميقة و تصب تركيزها على تلك الطاقة حتى...
انتفضت أجسادهما فجأة مما أرسل إشارة إلى العلماء أنهما قد تبادلا الأدوار!!

بادر ضرغام بإزالة الغطاء عن الفتاة بعد أن لمح سكونها، فما إن أزال الغطاء حتى وجد ابتسامة واسعة تزين ثغرها و هي تثب من موضعها و تتفحص يديها و قدميها اللذان افتقدت تحركيهما كثيرًا، كانت تلهث بعدم تصديق حتى انقضت فورًا على ضرغام تعانقه بدموع السعادة التي أغرقت وجهها و هي تقول:

-كنت متأكدة إنك هتعملها ... أنا بحبك أوي

تأكد ضرغام بالفعل أنها زوجته ما إن رأى الهيام في عينيها، بادلها العناق في عشق داعب معه خصلات شعرها الجديدة و أرفد بصوت هاديء:

-قولتك إن أنا هساعدك ... و أنا مش بخلف بو عدي

بقيت تبتسم له في حبور و تعض على شفثها السفلية بخرج من نظراته العاشقة، أما الفتاة الأخرى فكانت داخل جسد بطة ترمقهما بأنفاس متهدجة لا تُصدق ما تراه بعينيها و لا تُصدق أنها داخل ذاك الجسد الغريب و لا تستطيع تحريك أطرافها، اكتفت بالصراخ بأعلى صوتها مع لهيئها الذي إزدادت وطأته و هي تنعت ضرغام بالخائن الحقير، ترك العمال الحجرة و بقي ضرغام مع بطة و تلك الفتاة وحدهم.

لاحظت بطة هستيرية الفتاة و شعرت ببعض القلق و هي تقول بصوت خافت لا يسمعه سوى ضرغام:

-هي مش ممكن ترجع لجسمها تاني؟؟

أجابها ضرغام بقسوة و ثقة:

-مممكن ... بس مش هتعرف

سرعان ما أخرج سلاحه من جعبته و وجهه نحو الفتاة التي لم تتوقف عن النحيب إلى أن أطلق رصاصة من سلاحه إخرقت رأس الفتاة و أودت حياتها تمامًا، تابعت بطة ما يحدث بعوالم جامدة و كأنها اعتادت تلك الأمور كما زوجها، من الممكن أنها تكني

بعض الحزن لأنها تخلصت من جسدها تمامًا، لكن هذا الحُزن سيتبدد ما إن تعتاد هذه الجسد الجديد الخالي من الأمراض.

لم يُلاحظ أي منهما تلك الشهقة المكتومة التي خرجت من فم داليا بعد أن رأت ضُرغام يقتل تلك الفتاة المسكينة بعينيها، كادت الدموع تتقاطر من عينيها و ضربات قلبها تتصاعد تباغًا، حتى أنها غطت فاهها الذي انفتح على مصراعيه ما إن رأت هذا المنظر و أدركت أن تلك الأبحاث ما كانت سوى خدعة تحمل أهدافًا شيطانية... !!

الفصل العاشر (في المشفى !!)

ليست قرارات العقل جميعها صائبة، فربما قرارتٍ تحتاج إلى تدخل من الضمير حتى لا يصل الإنسان إلى الهلاك بقدميه....

دقات الساعة تُشير إلى الحادية عشر مساءً، من المفترض أن يضحى هذا الوقت ساكنًا تخلد فيه إلى النوم من شدة الهدوء من حولك، لكن كيف النوم و هذا الضجيج يُفتك برأسها و يجعل الأرق يزورها، تستمع إلى أنفاس شقيقتها النائمة جوارها لكنها تعتدل في جلستها لعدم مقدرتها على النوم، أخرجت هاتفها تُجري اتصالاً بمن ظنت أنه سيشاركها هذا الضجيج و تطلق العنان لأفكارها كي تتركها وشأنها.

-ألو يا لؤي ... فاضي نتكلم شوية ؟

كان لؤي في منزله على وشك الخلود إلى النوم لكنه أجابها:

-أه .. إنتِ كويسة ؟

أومأت قمر و هي تقول:

-آه ... بس عايزة أتكلم معاك بخصوص إللي حصل ... يعني إيه حياة أبدية أنا مش فاهمة ؟

قالتها باندفاع بسيطة تنم عن تلك التضاربات داخل عقلها، فمنذ ما حدث مع تلك السيدة و هي لا تنفك تُفكر في ذاك الموضوع كمحاولة للعثور على أية تفسيرات:

-معرفة يا قمر ... الموضوع شكله كبير، بس إن شاء الله كل حاجة هنعرفها

-تفكر المنظمة دي بتدور على طريقة يعيشو بيها مدى الحياة؟؟

أوما لؤي إيجابًا مُقتنعًا باستنتاجها:

-وارد ... إحنالسة هنعمل تحرياتنا و هنعرف الموضوع ده

-طب أنا عايزة آجي معاكم التحقيقات

عارض حديثها للمرة المئة:

-يا قمر الموضوع خطير ... و إنتِ خلاص هترجعي شُغلك

توُسلت له بنبرة ارتفعت قليلاً عما كانت عليه:

-لو سمحت بقى..

استيقظت شمس من نومها إثر صوتها المرتفع، حيث كانت تهتف بتذمر:

-إخرسي بقى يا قمر عايزة أتخمد ... ما تشوفيلك مكان تاني تتكلمي فيه

زفرت قمر الهواء من فمها بعد أن انتبهت لحديث شمس الذي جعلها تضجر، فلطالما
تمنت أن تحظى بحجرة وحدها حتى يتسنى لها فعل ما تُريد.

-طيب ماشي..

قالتها بتذمر ثم عادت إلى المكالمة لنتهيتها قبل أن تتجادل مع شقيقتها مجدداً:

-أنا لازم أقفل دلوقتي ... بس إوعدني إني هاجي معاكم التحقيقات

تنهد لؤي بنفاد صبرٍ أنهى معه المكالمة:

-حاضر يا قمر ... هاخذك معانا

اتسعت بسمتها في سعادة لا تعلم أهي بسبب أنها نالت مرادها أم أنها ستراه مجدداً،
حقاً لم تعد تستطيع قراءة ما يحدث بفؤادها و كأنه يجعلها تفتعل أموراً لم تتوقع أنها
ستفعلها في يومٍ من الأيام...

تلهث بحدة و هي تهول بعيداً عن ذلك المكان بنبضات تتسارع في سباق و كأنها
تحاول الهرب من ذئب يلاحقها، توقفت قدماها فُرب إسلام و قد كادت تصطمم به من
كثرة خوفها و شحوب وجهها، فهي لا تستطيع أن تمحي ما رآته من أمام ناظريها،
تصيب العرق من جبينها و كادت دموعها تفر على وجنتيها من شدة هلعها مما أوقد
ناراً من القلق بداخل إسلام رغم أنه متبلد المشاعر، لكن هينتها تنم عن حدوث مشكلة
كبيرة قد تمس حياتهما.

-في إيه مالك؟؟

سألها بذعرٍ فجاهدت لئخبره بين لهيئها:

-إسلام ... الناس دي مش تمام

إزدادت معاني القلق على وجهه و هو يقول:

-يعني إيه مش تمام؟؟

أشارت على المعمل و هي تتحدث بصوتٍ خافت كي لا يسمعها أحد:

-شوفت إللي اسمه ضرغام ده بيستخدم البحث عشان ينقل روح مراته لجسم ثاني
و بعدين...

بترت عبارتها بأنفاس تتلاحق و دموع قد فرت على أهدابها، فلا شيء أصعب مما
رآته و ما تعتقد أنها السبب به بسبب تلك القدرة اللعينة التي لديها.

-بعدين ايه؟؟

سألها إسلام باندفاعٍ لتُجيبه هي بين شهقاتها:

-شوفتهم بيقتلو بنت بريئة...

تقاطرت دموعها على وجنتيها ما إن أنهت حديثها الذي تذكرت معه هول الموقف،
تقسم أنها لن تقابل النوم بعد هذه الليلة.

-ب ... بيقتلوها إزاي؟؟

سألها إسلام بغير تصديق و لم يلقى منها سوى الصمت و البكاء بشعورٍ من الذنب
يكاد يقتلها، مرّت برهة من الصمت بينهما كان فيها إسلام غارقاً في أفكاره التي
جعلته يصل إلى استنتاج:

-عشان كدة خلانا نتعرف عليها كان عايز يقولها إن إحنا إللي هنساعدنا

ضرب جبهته بيده ليسب حماقته و يسبهم أيضاً على خداعهم، أما عن داليا فكانت
تحاول تجفيف دموعها لتقول بإصرار:

-إحنا لازم ناخذ البحث بتاعنا ... الناس دي ممكن تستخدمه في حاجات تانية ... في
ناس بريئة ممكن تسبب جسمها و تقتل تاني...

بقيت تصرّ عليه داليا لكن إسلام لم يُعرها أي انتباهٍ و بقي يُفكر في جميع التفاصيل
التي من الممكن أن تساعد على معرفة ما الذي ينوي ضرغام فعله:

-مخير...

لم تفهم داليا ما يرمي إليه بتفوّهه بذاك الاسم فسألته بحيرة:

-ماله؟

أجابها إسلام بسرعة و ثقة:

-ممكن يستخدم البحث عليه ... إنت مشوفتيش كان بيبصله إزاي؟؟ ... ضرغام
هيسخدم البحث عشان ينقل روح أخوه و يخليه في جسم راجل تاني عشان
مبيقاش مشوّه

ارتبكت داليا أكثر و آرادت في تلك اللحظة أن تنقض على ضرغام و تلكمه حتى
تأخذ الأبحاث خاصتهم و يتوقف عما سيفعله و الذي بالطبع لن يضحى هيناً، للأسف
ليس كل ما يبتغيه المرء يُدركه، فهي إن حاولت فعل ذلك فأما ستلقى حتفها أو سيتم
زجها بالسجن، بقيت تقرض على أظافرها حتى سألت في النهاية:

-إحنا هنعمل إيه ... مش هينفع نسيب الأبحاث بتاعتنا عندهم .. لازم ناخدها بأي
طريقة

كانت كلماتها مُفعمة بالإصرار لكن إسلام واجهها بهدوءٍ و صوتٍ مُطمئن:

-مش هينفع دلوقتي ... بكرة الصبح بدري هنجي و أنا هقولك نعمل إيه...

فتح باب منزله لعله يستريح قليلاً و يستطيع العثور على حل لتلك المُعضلة، كان
الضيق يكتنف طياته كلما أمعن التفكير بما قالتة داليا و أنه السبب في قتل روح
بريئة، في الحقيقة هو لا يكثرث لتلك الفتاة بتاتاً، فهو حتى لم يرها، كل ما يشغل باله
هو أنهم خدعوه و استغلوا ما يستطيع فعله من أجل حفنة من النقود، ظن أنه سيخدم
البشرية بمشاركته في ذاك البحث لكن اتضح أنه يخدم حفنة من الأوغاد كي يُلبوا
رغباتهم، كلما أدرك هذه الحقيقة كلما شعر و كأنه سيفقد صوابه و أن الغضب سيلتهم
عقله.

إرتمى بجسده على الأريكة بإنهاك واضح رفق معه السماء في تيه، كان معتز لا
يزال مستيقظاً ينتظر صديقه كي يأتي من الخارج و يطمئن عليه كما لو أنه والده
بالضبط.

-في إيه يا سطا؟؟

ساله معتز بعد أن لاحظ الحُزن على ملامحه، بقي إسلام ينظر للفراغ و يقول بنبرة
حكيمه:

-عارف يا زيزو لما تكون ماشي في طريق ضلّمة و فجأة تلاقي نور بعيد فتمشي
وراه على إنه هيساعدك ... بس في الآخر تكتشف إن النور ده هي نار كبيرة
هتمسك في جتتك عشان تحرقك

عقد معتز حاجبيه بحيرة جعلته يقول بتلقائية ردًا على صديقه الحكيم:

-لأمش عارف

أخرجت هذه الجملة إسلام من الحكمة التي كان غارقًا فيها، حيث التفت برأسه نحو
معتز لينهره :

-تصدق يلا إنك فصيل ... قطعتي من لحظة العمق إالي كنت فيها

تنهد إسلام بخيبة أمل و بقي في حالة من الصمت حتى قطعه معتز بتساؤل:

-ما تقول يا عم في إيه؟

آجابه إسلام بمباشرة لأنه يعرف أن صديقه لن يفهم أحاديثه العميقة:

-الدنيا مخبطة معايا ... و حاسس إن كل حاجة نزلت فوق دماغى مرة واحدة

لم يفهم معتز ما يرمي إليه لكنه استنتج أن إسلام يمر بضائقة و يستشيريه كي يُساعده،
نصب قامته بحكمة قام بعدها بوضع يده على كتف إسلام ليُربت عليه كي يحاول
نُصحته:

-بُص يا صاحبي ... الدنيا دي...

كان يريد أن يُلقى على صديقه أحاديثاً عميقة كما يرى بالأفلام السينمائية، لكن يبدو أن العمق لا يتماشى معه بتاتاً، فلسانه انعقد عند هذه الكلمة و لم يعد يُدرك ما يقوله بعدها.

-الدنيا دي ... الدنيا دي...-

بقي يُكرر تلك الجملة لعله سيجد المزيد من الكلمات لكن لا حياة لمن تنادي، سئم إسلام من تكراره لنفس الجملة فأردف بنفاد صبر و بعض السخرية:

-مالها الدنيا يا أبو عمي ... إنت علقت ؟

محم معتز بحرج و هو يُجيبه:

-منا كنت عايز أقول كلام عميق بس مش لاقى حاجة أقولها

ربت إسلام على كتفه ليدفعه بعدها بترو كي يتركه وشأنه و لا يزيد الطين بلة:

-إمشي طيب يا معتز .. مش نقصاك

كاد يرحل مُعتز لكنه تذكر شيئاً هاماً فعاود الجلوس كي يقول:

-طب أنا عايزك في حوار..

انتبه إسلام لحديثه فأكمل مُعتز:

-أنا عايز أتقدم لكوكي ... بس مش عارف إزاي

ربت إسلام على كتفه ليُخبره الحل بثقة:

-بُص يا زميلي .. إتقدملها بطريقة كرييتف ... البنات كلها بتحب الحاجات دي ...
الطريقة الكرييتف هي إللي بتجيب و اسمع مني

انتسعت بسمه معتر و هو يتشكره على تلك النصيحة و لكن بطريقتهما المعتادة:

-أصلي يا صاحبي

وثب إسلام من مقعده على الأريكة و هو يُجيب معتر كما اعتادا:

-مسا يا زميلي ... هروح أنا بقى أذاكر شوية قبل ما أنام .. تصبح على خير

هكذا انتهى الحوار بينهما ليتوغل إسلام الحجرة يستذكر بعضاً من دروسه التي أهملها بعد كل ما حدث، فهو و إن كان قد انتهى من الجامعة عليه أن يواصل المذاكرة بسبب تلك الكلية الصعبة التي تخرج منها، فهي تُرغمه على المذاكرة دائماً رغم أنه يمقتها، كانت أفكاره تتضارب أيضاً لعله يعثر على حلٍ لتلك المُعضلة التي حُلّت على رأسه لتتغص عليه حياته...

بنفس تلك الليلة و نفس ذاك التوقيت كانت داليا بمنزلها تتحدث مع صديقاتها عبر مكالمة جماعية لرغبتها بالتنفيس عما يجول بخاطرها دون أن تُخبرهما حقيقة الأمر لأنهما إذا أدركا حقيقة الأمر فربما يُلقيا اللوم عليها و يجعلها تغرق أكثر داخل شعورها بالذنب، كانوا يتسامرن عما حدث معهن بيومهن و لم تكن داليا تشاركهما الحديث و اكتفت فقط بالأصغاء لهما و إبداء رأيها لعلها بتلك الطريقة تُشنت عقلها الذي لا يتوقف عن التفكير.

كانت المكالمة بالصوت و الصورة و كانت قمر تتحدث عما فعلته ببداية اليوم مما جعلها تفصح عنوة عما تكنيه من مشاعر إتجاه ذاك الذي إقتحم حياتها دون سابق إنذار، شاكستها كوكي بالحديث عندما قالت:

-و إنتِ بقى عايزة تشتغلي معاهم عشان تخدمي البلد ولا حاجة تانية؟؟

سألتها بنبرة خبيثة جعلت قمر تتلعثم قليلاً قبل أن تقول بارتباكٍ طغى على كلماتها:

-أكيد عشان أخدم البلد يعني أومل عشان إيه؟

آشاحت ببصرها عنهما كي لا يستطلعا كذبها، تبادلتا نظراتهما الخبيثة التي اضجرت منها قمر فقالت بتذمر:

-بتبصولي كدة ... أنا قولتلكم عشان أخدم البلد فيها حاجة يعني

آجابتها داليا بنبرة لعوب:

-أصل إحنا عارفين إن قمر بتاعتنا مكنتش عايزة تبقى صحفية عشان ملهاش في أحوال البلد و عايزة تعيش في حالها و إنك دخلتي إعلام عشان مامتك ... عشان كدة استغربنا

ارتبكت قمر أكثر و حاولت التبرير لهما بأحرفٍ مرتجفة:

-عادي يعني ... ما الواحد لازم يتغير بردو

أوماً رأسيهما بعدم تصديقٍ لكنهما تدراكا الموضوع فوراً لتمر بينهن فترة من الصمت ظهر فيها العبوس و الضيق على وجه داليا، حتى أنها كادت تنفجر بالبكاء أمامهما لكنها تماسكت قدر الإمكان، لاحظت كوكي لمحات الحزن على وجه داليا فسألته بقلق:

-داليا " what is wrong ماذا بك؟ "

أحنت داليا رأسها لأسفل لعدم مقدرتها على الحديث بسبب صعوبة الأمر، كيف تُخبرهما أنها اليوم تسببت بمقتل فتاة بريئة بسبب ذاك البحث الذي وافقت عليه من أجل المال !! آشاحت بنظراتها عنهما بخرج من ذاتها و مما فعلته لكن صديقاتها ترجما الأمر بطريقة أخرى تختلف بتأتًا عن الحقيقة.

-إيه يا دودو ... مين إللي شاغل عقلك؟؟

آجابتها كوكي باستنتاجِ بدا واثقًا للغاية:

-أكيد إسلام هيكون مين غيره

هنا و قد انتبهت داليا لحديثها الذي جعل النيران تتضخم بداخلها:

-إسلام مين ده إلي أبصله ... أنا قولتكم مليون مرة إني مش بفكر في الحاجات دي و عمري ما هتجوز .. بطلو بقى تقولو حاجات من دماغكم

بدا صوت داليا غاضبًا مما حفز قمر على مشاكستها لعلها تخفي حقيقة مشاعرها خلف ستار غضبها:

-ما البت كوكي كانت بتقول كدة لغاية ما وقعت على بوذها ... يلا دودو قولي الحقيقة إحنا مش هنقفل غير لما تقولي لحقتي تحبيه إمتي؟؟

اضجرت داليا أكثر حتى هتفت بوجهيهما:

-يا بنتي إسلام لولا إن روعي فيه مكنتش عبرته

اتسعت بسمة كوكي بعد أن فهمت حديثها بطريقة خاطئة كليًا:

-روحك فيه ... للدرجادي بتحبو بعض

نهرتها داليا و هي تُكذب حديثها:

-حُب إيه إنتِ كمان !! ... أنا روعي فيه بحق و حقيقي ... أنا و هو أرواحنا بتتبدل فطبيعي تكون ساعات جوة جسمه ثانيًا بقى لو إسلام ده كان آخر راجل في الدنيا أنا مستحيل أبصله ... دا بني آدم مستفز و بارد و دمه ثقيل ... و فوق ده كله بيكذب طول الوقت و أنا مش بحب الرجالة الكدابة...

أنهت المكالمة دون أن تستمع إلى المزيد من أحاديثهما التي أصابتها بالغضب بعد أن كانت تشعر بالضيق و الندم:

-خلاص بقى أنا هقفل عشان أدخل أنام ... تصبحو على خير

قالتها قبل أن تغلق المكالمة و تخلد للنوم و هي على يقين بأنها لن تغفو و ستظل تُفكر فيما حدث طوال الليل....

أشرفت شمس يومٍ جديد تُعلن عن بداية رحلة جديدة مليئة بالأشواق الحادة، استوطن لؤي المقعد الخاص بمكتبه شارد الذهن يحتل أفكاره العديد من المعلومات التي قد تُفيدهم في تلك القضية الكبيرة، كان جواره التسجيل الخاص بفتح يستمع إليه مئات المرات لعله يجد به ثغرة ما قد تدله على الحقيقة، مع كل مرة يستمع بها إلى ذاك التسجيل يزداد معها إحباطه و استيائه بسبب صعوبة الأمر.

فالتسجيل لا يُعطيه سوى معلومة واحدة ألا و هي أن أعضاء المجلس إحدى عشر عضواً كان منهم فاتح، فقط هذه هي المعلومة التي بحوزته و التي لن تساعده بتاتاً لافتقارها للعديد من التفاصيل.

ألقى الجهاز على الطاولة بيأسٍ ليُغطي بعدها وجهه بإرهاق شديد نم عن عدم نومه لأيام، مسح جبهته بكلتا يديه ثم أرخى ظهره للوراء ليرمق السقف بأعينٍ مُتعبة جعلت الأفكار تتضارب برأسه و تجعله يُفكر بها بدلاً من القضية.

لاحت ابتسامة على ثغره كلما مرّت أمامه ذكرى تجمعها سوياً حتى و لو كانت تلك الذكريات مليئة بالأحداث الخطيرة، تلك الفتاة تُصيبه بالحيرة أكثر من تلك القضية حتى، فهي تجمع ما بين الذكاء و الغباء و ما بين الجرأة و الجبن ... حقاً أمرها عجيب تلك الفتاة، فبخلاف قدرتها المهولة يجدها فتاة بسيطة ساذجة تحيا حياة روتينية رغم قدراتها العقلية و اهتماماتها الغريبة.

أنهت يده تلك الأفكار عندما جذبت الهاتف الخاص به ليعبث به قليلاً حتى أظهر رقمها أمامه، من دون أن يلحظ وجد يده تضغط على الرقم لتتصل بها رغم أنه لا يريد لها بأية خدمة، فقط أراد رؤيتها و الإنصات إلى أحاديثها الساذجة:

-أ ... ألو يا قمر

قالها بترددٍ فأجابته هي من داخل حجرتها تنعم بآخر يومٍ لها بالإجازة قبل أن تعود إلى العمل باليوم التالي:

-ألو يا لوي ... إنتو عايزني في حاجة ؟

نفي برأسه و هو يقول ببعض التردد:

-لأ...

بقي لبرهة في حالة من الصمت جعلتها تتعجب أكثر و تسأله عن سبب تلك المكالمة، ظلّ يتهته بالحديث حتى أرفف بنهاية الأمر:

-قمر إنت فاضية إنهاردة؟؟

أومأت قمر رأسها و هي تُخبره بأنها متفرغة اليوم، وجد نفسه يقترح عليها بتلقائية تتنافى مع ميوله الصارمة:

-مممكن أعزمك على الغدا؟؟

لا تدري من أين أتت تلك البسمة ما إن وجدته يقترح عليها هذا الاقتراح، بقيت في حالة من الصمت لوهلة كادت تجعله يتراجع عن ذلك القرار الغبي الذي اتخذه و يُغلق المكالمة، لكنه تفاجأ بها تقول:

-موافقة ... بس غدا بس مش كدة؟؟

سألته بتشككٍ فوجدته يقول بسرعة و داخله فراشات تتراقص من السعادة:

-أه .. غدا بس

انتهت بالموافقة على حديثه أخيراً لكنها اشترطت عليه أن تأخذ الإذن من والدها أولاً الذي بالطبع يعرف لؤي جيداً، انتهت المكالمة بينهما و كانت الابتسامة تُزين ثغر لؤي لأنه سيحاول جاهداً أن يُحقق مراده بتلك العزيمة، لكنه أيضاً يجب أن يتشجع من أجل هذه الخطوة...

أحكمت ربطة الحبال عليه و هو جالس على مقعدٍ خشبيٍ يختبئ خلف إحدى الجدران، كان هذا إسلام يجلس على ذاك المقعد و يطلب من داليا أن تربطه جيداً من أجل تنفيذ خطة ما تُتجهما من ذاك المأزق.

-إنت متأكد من الموضوع ده ؟

سألته داليا بشكٍ لأن إسلام هو صاحب الخطة التي أتى بها ما إن أدرك أن بإمكانهما الانتقال إلى جسد تلك المدعوة ببطة بعد أن أصبحت من الأرواح المتنقلة، وجدته يُجيبها بثقة كالعادة:

-أه متأكد ... أنا هدخل جسمها و هاخذ البحث بتاعنا، عشان كدة لازم أكون مربوط لأنها هتنتقل مكاني

أومأت داليا برضوخ رغم الشكوك التي مازالت تساورها حيال هذه الخطة، ما هي إلا لحظاتٍ حتى وجدت جسد إسلام ينتفض مما يعني أنه استطاع الانتقال إليها و سيتم تنفيذ الخطة كما خطط لها...

وجد إسلام نفسه داخل إحدى العُرف بذاك المعمل كما أراد بالضبط، لاحت ابتسامة مُنتصرة على ثغره وأدها بسرعة كي يتحرك بأرجاء المعمل بحثاً عن تلك البحوث المهمة، طفق يتجول بجسد تلك الفتاة بين العلماء متجنباً ترحيباتهم و أسألتهم التي

تستفسر عن سبب تجولها بالمعمل، تخطى إسلام كل هذا لیتجه صوب الحجرة المرادة التي من المفترض أنها تحتوي على الأوراق المهمة، ارتسمت بسمة على ثغره ما إن عثر على مراده و كان على وشك اقتحام الحجرة و تنفيذ ما تبقى من الخطة، لكن فجأة...

فتحت بطة عينيها من الجهة الأخرى لتجد نفسها مُقيدة على إحدى المقاعد و جوارها داليا تحمل عصا بين يديها و تراقب تحركاتها بحدة و صرامة، أطبقت بطة على شفتيها و طففت تتحرك لتُخلص نفسها من تلك القيود لكن داليا منعتها و ثبتت المقعد مكانه، زمجرت بطة بغضبٍ قالت معه :

-إنتو أكيد إتجنتو....-

لم تُعيرها داليا أي انتباهٍ و استمرت على وضعيتها الصارمة التي أردفت معها باندفاع:

-مستحيل نسيبكو تقتلو ناس بريئة تاني-

إزداد غضب بطة و إزدادت هزاتها أيضاً، لكن هذا قد توقف فجأة ما إن خطر على بالها كيفية خلاصها من أولئك المعاتيه من وجهة نظرها؛ رسمت ابتسامة خبيثة على ثغرها ثم وجهت بصرها نحو داليا لتُخبرها بتهديد:

-لا عاش ولا كان إللي يلعب معايا ... إنتو متعرفوش أنا مين-

أغمضت عينيها لتأخذ نفساً عميقاً بعد أن استكانت حركتها و أحست داليا ببعض الارتباك من تغير نبرتها فجأة، فما هي إلا لحظاتٍ حتى انتفض جسد داليا و كذلك بطة التي انتقلت بدورها إلى جسد داليا الحُر لعدم قدرتها على العودة إلى جسدها مُجدداً، فهما لم يخطر على بالهما أنها تستطيع الانتقال إلى جسد داليا أيضاً.

ما إن أضحت بطة داخل جسد داليا حتى انحنت بجذعها نحو داليا المقيدة مكان إسلام و قامت بفك قيدها لأنها تريد الاستحواز على جسد إسلام الأكثر صلابة، ما إن

تحررت داليا حتى انقضت على بطة تحاول أن تمنعها عن الحراك لكن بطة باغتتها
بلكمة على وجهها جعلت داليا تسقط أرضاً و هي لا تزال داخل جسد إسلام.

قبل أن تعاود الانقضا على بطة التي احتلت جسدها وجدت بطة تعود مجدداً إلى
جسد إسلام و تدفع داليا دفعة قوية أدت إلى ارتطامها بالأرض على رأسها التي
شعرت أنها ألمتها، هرولت بطة بعيداً و هي بداخل جسد إسلام لتذهب مباشرة إلى
المعمل و توقف هذا الهراء...

دلفت المعمل بخطواتٍ حادة أقنعت معها العمال بأنها مسموح لها بالدلوف، بقيت
تتحرك داخل المعمل بسرعة و كأنها تعرف وجهتها جيداً، فما إن وجدت إسلام
يستوطن جسدها يقف أمام غرفة البحوثات حتى انقضت عليه من الورا لتعيق
حركته و تسترد جسدها، أحاطت ذراعها بعنقه لتهمس بأذنه بخُبت.

**-مش شوية هبل زيكم يعرفو يستغفوني ... لولا إنا محتاجينكم كان زماي مخلصه
عليكم من بدري**

ضغط إسلام على شفثيه بغضبٍ حاول معه أن يُبعدها عنه لكن الجسد الذي يستوطنه
ضعيفٌ للغاية، لهذا السبب عاد إلى جسده مجدداً ليضحى هو الشخص الذي يُحيط
ذراعها بعنقها و يستغل قوته ليدفعها بعيداً عنه حتى ارتمت على الأرض، واصل
سيره اتجاه الحجرة لكن بطة انتقلت إلى جسده مجدداً لتمنعه عن الحراك و تُصبح
الأقوة بتلك المعركة، فهو لن يستطيع استعادة جسده.

وثب إسلام من الأرض ينقض عليها ليركلها بقدمه لكنها فاجأته بتلافيها لضربته
بمهارة و تسديد لكمة على وجهه كانت بسيطة لأنها لا تُريد تدمير جسدها الحبيب،
في تلك اللحظة وجدا داليا تُهرول نحوها بسرعة بعد أن اتبعت بطة و بقيت تركض
بأرجاء المعمل بحثاً عنهما، انقضت داليا على إسلام الذي استحوذ على جسد بطة و
كانت تظن أنه بطة بالفعل، حيث كانت تُحيط ذراعها برقبته و تهتف بوجهه:

-قولتك مش هسيبك

حاول إسلام إبعادها عنه و هو ينهرها:

-يا غيبة أنا إسلام

حممت داليا بحرج ثم ابتعدت عنه و كانت بطة في تلك اللحظة تتابعهما بابتسامة
ماكرة مُستخفة، كانا ببقعة تتأني عن العلماء لذلك لم يرى أي واحد منهم هذا الجدل
الناشب و إلا الأمر كان تضخم و أصبح كارثة كُبرى.

-أنا أسفة

قالتها داليا باعتذار و كاد الإثنان ينقضا على بطة إلا أن داليا لمحت بطرف عينها ذلك
الخنجر البارز داخل حوزة بطة، أشارت بعينها لإسلام كي يرى هذا الخنجر الذي
بالفعل لمح به بسرعة فأخرجه من حوزته لينقض به فوراً على بطة دون أن يلحظ أنه
يأذي جسده، حيث عادت بطة إلى جسدها مجدداً تزامناً مع محاولة إسلام تهديدها
بالخنجر كي تبتعد عن ناظريهما.

ما حدث أن الخنجر أضحى الآن بيد بطة بعد أن عادت إلى جسدها و قررت استكمال
ما كان يفعله إسلام، لكنها طوّرت الأمر و مررت الخنجر أسفل معدة إسلام جعلته
يصرخ بصوتٍ مُرتفعٍ من الألم و هو يرى الدماء تتدفق من معدته، شهقت داليا
بصدمة و هي ترى ذلك المنظر أمامها و لا تدري ماذا تفعل، اكتفت فقط بالصراخ
بأعلى صوتها و هي تقول:

-إسلام... !!!

مائدة مستديرة احتوت على شتى أنواع المأكولات البحرية داخل مطعمٍ بسيطٍ لكنه
أنيق بنفس الوقت، حيث نُقش على جدرانه عدة رسوماتٍ للأسماك و الكائنات
البحرية و التي أضفت على المكان أجواء من البهجة، تلك الطاولة كانت تجلس بها
قمر تتناول الأرز الخاص بالسّمك و تتحدث في الوقت ذاته عما يخص حياتها، كان
لؤي أمامها يطالعها بصمتٍ أثناء تناوله لطعامه ببطءٍ شديد، فباله ليس مشغول
بالطعام، ولا حتى بتلك الأحاديث التي لم تتوقف عن الترترة بها، لا يُفكر إلا في

القرار الذي لا يعرف كيف سيتخذه و هو لا ينفك يتأمل بسمتها و وجهها المستنير مما
قد أصابها ببعض الحرج.

-قولي بقى ... إنت برج إيه ؟

قالتها و هي تتقدم بجذعها للأمام كي ينتبه لسؤالها، خرج من شروده على سؤالها
الذي أجابه بصدق و حيرة:

-أنا !! ... برج الاسد

اتسعت بسمة قمر و هي تقول بثقة:

-كنت متأكدة ... أصل الناس إلي في برج الأسد بيحبو السيطرة و صعب مواجعتهم
... بس في نفس الوقت بيبقو مُخلصين و بيساعدو إلي حوالهم تعرف كمان
برج الاسد بيحب إيه ؟؟

واصلت الحديث عن مواصفات هذا البرج نظرًا لخبرتها بتلك الأمور، كان لؤي
ينصت لها باهتمامٍ في البداية لكنه ما إن انتبه إلى سؤالها حتى أرفد بتلقائية لا
يعرف من أين أتته:

-بيحب القمر..

أحست قمر ببعض الحرج لا تعلم لما ظنت أنه يوجه الحديث لها، أو ربما نظراته
الهائمة أوحى لها ذلك، حممت بحرج ثم أعادت رأسها إلى الوراء و هي تُكذب
حديثه بهدوء:

-لا .. كنت هقول بيحب الابتكار....

تداركت الأمر حتى لا يظهر عليها الحرج و هي تسأل:

-مش هنطلب شاي ولا إيه ؟

لاحت ابتسامة لعوبة على ثغر لؤي و هو يقول بثقة ظناً من أنها ستفهم ما يقصده:

-لأ... أنا عايز أشرب الشاي عندكم في البيت

بقيت الابتسامة على ثغره لكنها لم تفهم مقصده فأردفت ببلاهة:

-ليه إن شاء الله؟؟...

أرخت ظهرها للوراء و هي تقول باعتراض:

-لا بقولك إيه .. أنا هربانة من البيت عشان مغسلش مواعين، فخلينا نشرب الشاي
هنا أحسن

تلاشت ابتسامة لؤي و أحس و كأنه يريد أن يتركها وشأنها هذه الغبية، لكنه تدارك
الأمر منهيًا الحديث:

-خلاص مش عايز شاي ... خلينا نروح مكان تاني

قالها ثم وثب من مكانه ليضع حفنة من النقود على الطاولة ثم يرحل من المطعم
لنتبعه قمر بمعاني التيه على وجهها بسبب تصرفاته الغريبة...

تندفق الدماء من معدته و شعور من الألم يكاد يقتله، كانت داليا راكعة على الأرض
جواره بدموع على وجنتيها من هول الموقف، فقد هربت بطة من أمامهما ما إن
فعلت فعلتها، ربما ذهبت لإحضار أشخاص يُلقون القبض عليهما و الانتهاء منهما
كليًا.

صاح صوت إسلام بتألم و هو يحاول المكوث من الأرض للهرب من ذلك المكان،
في تلك اللحظة ظهر مخيم من العدم و هرع نحو إسلام ينتشله من الأرض.

-لازم تمشو من هنا بسرعة .. كلهم بيدورو عليكم

قالها مخيمر و هو يحمل إسلام و يجعله يتكيء عليه حتى يتسنى لهم الهرب، سارا لبضع خطواتٍ ثم توقفوا ما إن وجدوا الحراس أمامهم، استدار بعدها مخيمر و إسلام و داليا تتبعهما، و طفقوا يهرولون بما لديهم من سرعة حتى وصلوا إلى ممرٍ مُعتم يبدو أنه إحدى الحجرات السرية، تحركوا بسرعة بهذا الممر حتى توقفوا عند حجرة متوسطة الحجم تحتوي على أريكة قديمة أمامها منضدة و مكتبة صغيرة بها العديد من الأوراق التي تبدو في غاية الأهمية.

تقدم مخيمر نحو الأريكة ليضع إسلام عليها ثم يلتفت إلى داليا ليُخبرها بذعر:

-مينفمش تخرجو دلوقتي ... هيبقى خطر عليكم...

آشار على إسلام ليوصل حديثه:

-لازم يتعالج الأول عشان تعرفو تخرجو أنا هطلع أحاول أشتتهم

انتشل حقيبة كانت أسفل الأريكة تحتوي على بعض الأدوات الطبية التي مدها نحو داليا متفؤهاً:

-حاولي تخيطيله الجرح عشان يقدر يهرب

أمسكت داليا بالحقيبة و التيه يغمرها لأنها لا تعرف كيف ستفعل هذا، فهي تخشى لون الدماء حتى، لكنها ستعتمد على إسلام كي يُخبرها ما ستفعله نظرًا لأنه طبيب و هذه وظيفته.

كاد يهرع مخيمر لكن داليا أوقفته مستفسرة:

-استنى ... هو إنت ليه بتساعدنا؟؟

لم يجد مخيمر ما يكفي من الوقت ليُخبرها الحقيقة لذلك أرفد باختصار:

-هتعرفو كل حاجة ... بس مش دلوقتي

اختفى بعدها من أمامهما و بقيت داليا وحدها مع إسلام الجريح الراقد على الفراش
يمسك إصابته بتألم، وضعت داليا الحقيبة على المنضدة لتتحرك بأقدامٍ مرتجفة نحو
إسلام كي تسأله بقلة حيلة:

-أنا أعمل إيه دلوقتي ... أخيط الجرح إزاي ؟

كان العرق يغرق وجه إسلام من شدة تحمله للألم مما جعل صوته يخرج بثقل:

-طهري الجرح الأول و حُطي مُخدر

أخرجت داليا محتويات الحقيبة التي حوَّت العديد من عُلب الدواء، أمسكت علبتين من
الدواء ثم رفعتهما باتجاه إسلام كي تسأله:

-أني واحد المُخدر ؟

لم يستطع إسلام إجابتها و اكتفى بالإشارة على إحدى العلبتين بإصبعه، وضعت داليا
العلبة الأخرى داخل الحقيبة لتأخذ تلك العلبة التي أشار عليها إسلام، وضعت القليل
من السائل على قطعة من القماش المُعقم لتُمررها على جرح إسلام بمعاني وجه
مُشمززة تكاد تجعلها تتقيأ لكنها تماسكت قدر الإمكان.

أغلق إسلام عينيه بألمٍ حاول معه كتم صياحه بضغطة على الفراش، فعلى الرغم من
أنه يضع المُخدر إلى أن الألم لا يزال قائماً يُحرقه، انتهت داليا من تطهير الجرح ثم
ألقت بقطعة القماش على الطاولة لتسأل:

-أعمل إيه بعد كدة ؟؟

أجابها إسلام بصوتٍ خافتٍ مُجهد:

-هاتي الخيط الطبي و خيطي الجرح

أومأت داليا بتفهمٍ ثم أخرجت الإبرة الطبية و الخيط لتسأل مجدداً:

-أدخل الإبرة في الخيط زي ما بعمل و أنا بخيط الهدوم ؟

أوماً إسلام إيجاباً على الرغم من أن خياطة الجرح لا تُشبه حياكة الملابس، هو فقط لا يريد أن يتجادل معها لصعوبة تفوّهه بالأحاديث، أمسكت داليا خيطاً ربيعاً ثم لعقت طرف الخيط قبل أن تُدخله داخل الفتحة، إضجر إسلام مما فعلت فهتف بوجهها:

-إنتِ بتعملي إيه؟؟

تعجبت داليا من هتافه الحاد و كأنها لم تفتعل كارثة:

-إيه ؟ ... أنا بلحس الخيط عشان يدخل جوة الإبرة، أنا بعمل كدة دائماً

ضرب إسلام جبهته و هو يهتف بها بتألم:

-إنتِ بتخيطي بلوزة !! .. إقطعي الخيط و إستخدمي غيره و إياكي تخُطيه جوة بوقك... ياما والله لادخل جسمك و أخليكي تحسي باللي بحس بيه

ارتعدت فرائس داليا إثر نبرته التهديدية، فهي إن أضحت بجسده فلن تستطيع تحمل هذا الألم الذي يعانيه، لذلك استجابت لحديثه و غيّرت الخيط لتستخدم غيره و تبدأ بخياطة الجرح وفق تعليمات إسلام.

كانت تلهث بخوفٍ و أناملها ترتعش كلما إقتربت بذاك الخيط نحو هذا الجرح، قاومت جميع مخاوفها و حاولت قدر الإمكان تخييط الجرح بارتداءها لتلك القفازات الطبية كي لا يتلوث من يديها، بعد فترة عصيبة انتهت أخيراً من تخييط الجرح لترتمي بعدها على الأرض قبالة الأريكة تنتهد براحة و تمسح هذا العرق المُتصبب من جبينها، وضعت الأدوات الطبية مكانها و كانت تعلم ما هي الخطوة التالية، فما تبقى الآن هو تغطية الجرح حتى لا يتلوث بفعل الهواء، لم تحتج إلى تعليمات لتلك الخطوة السهلة التي أدتها بسرعة و فخرٍ من ذاتها.

-خلصت أخيرًا ... شوفت بقى إن أنا هقدر أعمل كدة ???

وجهت سؤالها نحو إسلام الذي لم تلقى منه سوى الصمت، أعادت داليا سؤالها مجددًا ما إن انتبهت إلى كَوْن إسلام ساكن مُغمض العينين.

-يا إسلام ... إسلام...

ظنت لو هلة أنه استسلم إلى النوم كي لا يشعر بالألم، لذلك كانت تهزه هزاتٍ عنيفة كي يستيقظ و تتأكد أنه بخير، للأسف باتت محاولاتها بالفشل مما جعل عوالمها تنتقل إلى القلق الذي جعلها ترفع من نبرة صوتها قليلًا:

-إسلام .. يا إسلام إصحي

ما هي إلا بضعة ثوانٍ حتى أدركت أنه غاب عن الوعي تمامًا و أن أنفاسه كانت تخرج من جوفه ببطءٍ شديد؛ تسارعت دقات قلبها في هلع و طففت تلطم على وجنتيها و هي تقول:

-ياللهوي...!!!

أشرفت الشمس على المغيب و كانت الأجواء بنفسجية تختلط بالعديد من الألوان التي تجعلها أشبه بلوحة فنية فائقة الجمال، و على غير العادة كان مُعترز داخل إحدى المطاعم البسيطة التي تُقدم المأكولات الشعبية رغبة في التسامر مع كوكي و الإفصاح لها عن مشاعره و لكن بطريقة أخرى كما أخبره إسلام، فيجب أن يضحى مُبدعًا في تلك الأمور.

بقيا لفترة في حالة من الصمت، تتفحص كوكي قائمة الطعام على الرغم من انها قد طلبا ما سياتكلاه عى الغداء، وضعت قائمة الطعام جانبًا لتُخبر معترز بلهفة:

-أنا حبيت المكان ده أوي ... تحس إنه local بس في نفس الوقت modern

لم يكن معتز منتبهًا لحديثها و كل ما يشغل باله هو ما سيقبل عليه و ما خطط له، تسامر معها قليلاً بأحاديث هادئة فاترة جعلتها ترتاب قليلاً و تشعر و كأنه يخفي شيئاً ما، كل هذا قد تغير فجأة ما إن وُضعت أصناف الطعام أمامهما ليعلو وجهه إبتسامة واسعة.

فركت كوكي يديها في حماس ثم أخذت الشوكة و السكين كما اعتادت لتتناول بها الطعام، أوقفها معتز منبهًا:

-هتاكلي الحمام بالشوكة و السكينة !! ... الحمام بيتاكل كدة

أمسك الحمامة بيده و قام بإلتهامها بطريقة شعبية لكنها لم تُصعبها بالتمرز، بل بالعكس تمامًا، أرادت أن تُقلد طريقته و تتناول الطعام بطريقة شعبية عكس تلك الطريقة الراقية التي اعتادتها، كان يراقبها معتز عن كُثب و كأنه يتأمل صورتها و عفويتها التي لأول مرة يراها، لكن الحقيقة أنه يتأمل الطعام الذي تتناوله لغرض ما احتفظ به داخل ذهنه إلى الآن.

أمسكت كوكي طاجنٍ يحتوي على سائلٍ أخضر لإحدى الأكلات الشعبية المعروفة، كان يتوقع أنها ستتناول تلك الأكلة بالملعقة لكنها فاجأته بتقريب الطاجن من فمها كي تحتسي ذاك السائل الأخضر كما لو أنه مياهاً.

اتسعت حدقتاه بصدمة من فعلتها و أراد أن يوقفها بقوله:

-لأ .. ناجتس ... إستني بس

للأسف قد فات الأوان و لم تستجب كوكي لتعليماته، فقد انتهت من تناول تلك الأكلة ثم وضعت الطاجن على الطاولة، شعرت بأن أنفاسها تختنق مرة واحدة و بأن شيءٍ صلب يتوقف بحلقها؛ بدأت بالسعال بقوة أمسكت معها صدرها و كأنها تجاهد كي تتنفس.

اضطربت معاني وجه معتز و طفق يسألها بقلق:

-إنتِ كويسة؟؟-

لم تستطع كوكي إجابته و بقيت تسعل بحدة حتى تحوّل وجهها إلى اللون الأحمر، حاولت التنفس بكل ما أوتيت من قوة لكن محاولاتها بائت بالفشل فوثبت من مقعدها و كادت تذهب إلى المرحاض لكن قدمها أوقعتها أرضاً فجلست على ركبتيها تلتقط أنفاسها بصعوبة، هرع معتز نحوها ليركع جوارها على الأرض يحاول الاطمئنان عليها، اضطرب الوضع داخل المطعم و بدأ الجميع يتجمع حولها يحاولون أن يفهموا ما حدث لها و الذي بالطبع لم يكن هيناً....

الارتباك هو سيد الموقف الآن، فهو أشبه بشبح يظهر فجأة دون أن يلاحظه أحد، فقط يشعرون بوجوده، كانت قدمها تدوران حول الحجرة تلتفت في كل ثانية نحو إسلام لعله يستفيق من غفوته و يُخبرها أنه في حالة جيدة، لكن للأسف ليس كل ما يشتهيهِ المرء يُدركه، فقلقها يتضخم كلما مرّ الوقت عليهما، و الأسوأ من ذلك أنهما مسجونان داخل بقعة لا يستطيعان فيها مهاتفة أحد لأن لا أحد يستطيع انقاذهما، أي حظ هذا الذي يرمي بها بكل تلك الأهوال!!

بعد مرور عدة ساعات أحست بأن باب الحجرة يُفتح بتروٍ و يدلف منه شخص ما؛ اختبأت داليا بسرعة خلف الأريكة التي يرقد عليها إسلام و ركعت على قدميها كي لا يراها أحد، لكنها اطمأنت بعض الشيء ما إن رأت مخيمراً أمامها يدخل الحجرة و يحمل معه حقيبة ربما تحتوي على بعض الشطائر و ربما تحتوي على شيء آخر.

ما إن وجدته داليا حتى هرولت نحوه تستنجد به:

-إسلام مش عايز يصحى ... أبوس إيدك خرجنا من هنا

هدأ مخيمر من روعها و هو يضع الحقيبة على الطاولة و يتقدم نحو إسلام يتحسس نبضاته ثم يقول:

-متقلقيش هو كويس ... و شوية و هيفوق

ابتعد مخيمر عن جسد إسلام ليأتي بمقعدين خشبيين كانا خلف الخزانة و يضعهما أمام الأريكة ثم يُشير على المقعد كي تجلس داليا عليه و تُهديء من روعها، استجابت داليا لحديثه فوراً و جلست على المقعد بتساؤلٍ:

-هو إحنا مش هنخرج من هنا؟؟

طمأنها مخيمر بحديثه:

-لأ هتخرجو ... لما إسلام يفوق هتعرفو تخرجو من هنا

سألته داليا بفضولٍ عن تلك الأسئلة التي لم تتوقف عن الدوران داخل عقلها:

-طب إنت ليه بتساعدنا؟؟

أجابها مخيمر بنبرة محتدة قليلاً:

-أنا عايز أتخلص من البحث ... و شوفتكم و إنتو بتحاولو تعملو كدة عشان كدة ساعدتكم

-و إنت عايز تتخلص من البحث ليه؟؟

تنهد مخيمر قبل الإجابة التي أرخى معها ظهره:

-عشان ضرغام عايز ينقلني من جسمي و أنا مش عايز، بس هو هددني إني لو فضلت في الجسم ده هيتبرا مني و هياخد مني كل حاجة

أحست داليا ببعض الضيق لأجله خاصة و هو داخل جسد لا تستطيع أن تعرف إن كان ذكراً أو أنثى:

-و إنت ليه مش عايز تتنقل من جسمك؟؟

سألته بفضول اجتاحتها لعدم مقدرتها على فهم السبب الحقيقي الذي يجعل مخيمر
يتمسك بجسده رغم أن به بعض الشذوذ:

-عشان أنا مش عايز أبقى راجل ... أنا مش حاسس إني راجل و ضرغام مش
مصدق الكلام ده

انصدمت داليا من إجابته التي أصابتها بالتيه أكثر و بدأت بعض الشكوك تساورها:

-يعني إيه مش حاسس إنك راجل؟؟ ... إنت عايز تتحوّل؟

لم يُعْطِها أية إجابة و هذا ما أكد شكوكها و جعلها تشعر ببعض الغضب حياله، فقد
ظنته شخصاً جيداً في بداية الأمر، بقيت في حالة من الصمت لوهلة حتى وجدته يقول
مؤكدًا شكوكها أكثر:

-أنا مش عايز روحي تتنقل ... بس مش عايز أفضل راجل ... عشان كدة هعملـ

قطعتة داليا بسرعة بعد أن فاض الكيل بها:

-متعملش حاجة...

تنهدت لتهديء من روعها و هي تشرح له:

-أنا قرئت في علم النفس كتير ... و إيلي عندك ده اسمه اضطراب الهوية الجنسية،
و ده مرض نفسي بيخلي الفرد يحس إنه بينتمي لجنس تاني ... و عشان كدة عايز
تبين للناس إنك بنت، مع إن ربنا خلقك راجل ... أنا معرفش الموضوع دع غلط في
الدين بتاعكم ولا لأ، بس في ديانتنا لازم نكون مسؤولين عن جسمنا قدام ربنا، و
بنتجازي على أي تغيير هنعمله في نفسنا، لأن طالما ربنا خلقنا في الجسم ده يبقى
أكيد في حكمة إنت لو فضلت تمشي ورا اضطرابك ممكن الموضوع يبقى أسوأ
... و بطل ما تبقى بنت تبقى مشوّه أكثر إنت يمكن يكون عندك شوية جينات
بنات، بس طالما جينات الذكور أكثر، يبقى ربنا خلقك راجل

أحنى مخيم رأسه لأسفل و هو يقول بضيقٍ تذكر معه ماضيه المؤلم:

-أنا كل الناس كانت بتتنمر عليا ... و طفولتي معيشتش فيها يوم واحد حلو بسبب الموضوع ده ... أنا حتى مش عارف ربنا خلقتي كدة ليه ... ولا عارف أنا المفروض أعيش إزاي و أنا كدة

تنهد ليواصل حديثه بألم:

-كل إلي أعرفه إني مستحيل أنقل روحي ... مستحيل أكرر إلي حصل لجاييس

عقست داليا حاجبيها و هي تسأله باستفسار:

-جاييس مين؟؟

لم يكد يُجيبها مخيم حتى وجدا إسلام يفتح عينيه بثقل جعلهما ينتفضان من موضعهما و يطمئنان عليه، كانت الرؤية مشوشة أمامه فلم يكن يعرف من هذا الذي تتحدث معه داليا، أشار على مخيم بإصبعه و هو يسأل بثقل:

-إنت مين؟؟

أجابت داليا بدلاً عنه:

-يا إسلام ده مخيم أخو ضرغام ... و هو إلي ساعدنا و جابنا هنا

حاول إسلام الاعتدال في جلسته بمساعدة من مخيم، فلا يزال يشعر ببضع الألم لكنه أفضل بكثيرٍ مما سبق.

-إنت بتعمل إيه هنا؟

سأله إسلام بنبرة خافتة فتنهد مخيم قبل أن يقص عليهما الحقيقة:

-أنا فهمكم كل حاجة...-

اعتدل مخيمر في جلسته قبل أن يقول:

-بابا كان بيشتغل عند واحد اسمه أدريان أدريان ده ابنه كان عنده مرض خطير
و أطرافه اتقطعت بسبب المرض ده...-

قص عليهما ما حدث بتلك الليلة و كيف أضحيا من الأرواح المتنقلة، ما إن انتهى من
حديثه حتى سأل إسلام:

-و إيه إلهي حصل لجايمس؟؟-

واصل مخيمر حديثه:

-بعد ما روح جايمس انتقلت لجسم تاني، كمل حياته عادي لغاية ما بقى عنده
عشرين سنة، فجأة جاله سرطان ... و كانت حالته عماله تسوء يوم عن إلهي قبله
... وقتها أدريان كان عايز ينقل روحه مرة ثانية ... بس بابا مكنش موافق، و كان
مُصر إن إلهي حصل لجايمس ده عقاب بسبب التجربة إلهي عملها و كان مقتنع
إن لما جسم جايمس يتنقل تاني هيحصل نفس الموضوع عشان إحنا بنخالف
القواعد الإلهية...-

التقط نفسه بعد هذه الجملة ليوصل بنبرة مختلفة تحمل الصدق و الإصرار:

-أدريان كان عامل بحوثات عن إلهي حصل لجايمس ... و كان بيستخدم البحوثات
دي في حاجات مش كويسة، و ابنه جايمس كان زيه، كان بيستخدم إلهي عنده
عشان يتجسس على الناس، و ساعات أبوه كان بيساعده عشان يخليه يتنقل لروح
حد كبير في البلد و يعرف يسرق كل حاجة معاه بابا بقى مكنش موافق على
إلهي بيحصل، عشان كدة استغل مرض جايمس و حرق كل البحوثات، بعدها أخذني
أنا و ضرغام و سافرنا على مصر عشان أدريان لو عرف مكنش هيسيبه عايش

أرخی ظهره للوراء لئنيهي قص ما حدث:

-عرفنا بعدها إن جايمس مات ... و أدريان انتحر بعد ما عرف إن البحوثات بتاعته
اتحرقت، بابا بعدها رجع إنجلترا و أخذ كل معداته و فلوسه عشان يرجع لمصر
تاني و يفتح المعمل ده ... معمل ألفريد

أشار بيديه على البقعة التي هم بها ليُخبرهما كيف أنشيء ذلك المعمل و ما قابله من
معاناة، سألت داليا رغبة في الحصول على مزيد من الاستفسارات:

-و عمو ألفريد راح فين؟؟ و ضرغام إيه إلهي خلاه يقرر يعمل البحوثات دي
تاني؟؟

أجابها مخيمر بصدق:

-بابا إتقتل و مش عارفين مين إلهي قتله، و ضرغام مكنش موافق أصلاً على إلهي
بابا عمله، و علطول كان بيتخايق معاه بسبب الموضوع ده، و لما بطة عملت
الحادثة إتجنن و مكنش عايز غير إنه يساعدها ... بس أنا متأكد إنه هيكمل إلهي
كان بيعمله أدريان و جايمس ... و هيسخدم تنقل الأرواح في حاجات أخطر بكثير

فكر إسلام هنيهة قبل أن يردف باستنتاج:

-مممكن يستخدمه عشان ينقل روحه كل ما يقرب على الموت ... و يفضل عايش
للأبد

أوما مخيمر إيجاباً لتمر بينهم فترة من الصمت و الصدمة لكثرة هذه المعلومات التي
تخترق رأسيهما و يصعب استيعابها، فالأمر يزداد صعوبة الآن خاصة بعدما أدركا
الحقيقة، لذلك يجب أن يحصلوا على تلك البحوث قبل فوات الأوان!!

أنهى مخيمر الحديث بتقرير أدلى معه الحل:

-أنا هساعدكم تاخذو البحوثات ... بس الأول لازم نخلي بطة من الأرواح الثابتة ..
مينفعش تكون من المتنقلين

سألته داليا باستفسار:

-و إنا هنعمل كدة إزاي؟

لم يُجبها مخيمر و أخرج ورقة مطوية كانت داخل الحقيبة التي أتى بها، مدّ هذه الورقة نحوهما فالتقطها إسلام بتساؤل:

-إيه الورقة دي؟

آجاب مخيمر بعملية:

-إنا عملنا جهاز مُثبت ... بيثيل الهيئة النجمية إلي بتخلي الأورح تقدر تتبدل الجهاز ده لسة معمول من قريب و لسة محدش استخدمه قبل كدة ... بس أنا هحاول أعمل شوية تعديلات عليه لغاية ما يبقى جاهز

تقدم بجذعه كي ينتبها لحديثه جيداً:

-لازم بطة تتحط على الجهاز ده لأن الهيئة النجمية لو اتشالت من جسمها مستحيل تتحط تاني إلا بطريقة معينة لسة مش عارفينها المهم إعملو إلي بقولكم عليه، أنا مينفعلش أبقى في الصورة عشان كدة إنتو إلي لازم تعملو كدة ... و الورقة دي هتساعدكم تشغلو جهاز التثبيت

تبادلا النظرات في صمت يُفكرا بهذا الحديث جيداً و لا يعرفا حقاً كيف سيفعلا هذا، لكن الأمر يستحق المجازفة و إلا تدمر العالم بُرمته بسببهما، و هما لن يسمحا بذلك أبداً...

قطع لحظة الصمت هذه مكالمة هاتفية وُردت لإسلام، أخرج هاتفه ليرى المُتصل و يتعجب من رؤية اسم مُعترز يُزين الشاشة، لكن ألمه لا يزال قائماً و قد يمنعه من التحدث بصورة طبيعية؛ أعطى الهاتف إلی داليا لثُجب عليه بدلاً منه فوافقت هي بصدريّ رحب ثم وضعت الهاتف على أذنها لتقول:

-أيوه يا مُعترز ... لأ أنا داليا، إسلام مش فاضي دلوقتي ... إيه...!!

جحظت عيناها فجأة لنتب من مقعدها بفاهٍ مفتوح و وجهٍ شاحب، أنهت بعدها المكالمه لتردف فوراً:

-إحنا لازم نطلع من هنا بسرعة ... كوكي في المستشفى!!

الفصل الحادي عشر (باعها !!)

أتى الليل بديجوره و كان النيل يلمع و كأنه محفوف بالألبياء التي اخترق بريقها حدقاتهما، يجلس كلاهما على حافة الجسر بقدمان تتأرجحان فوق النهر و كأنها تتشوق لتتلمس مياهه الباردة كي تُرطب من تلك الأجواء الحارة، أمامهما القمر بازغًا و قد غطى ضوءه على تلك النجوم التي اختفى بريقها بسبب زيادة الأضواء الصناعية التي غطت جمال الطبيعة.

يبدو الجو شاعريًا لدرجة تجعل من ينظر لكليهما قد يظن أنهما زوجان أو حتى حبيبان على الرغم من تلك الأمتار القليلة التي تفصل بينهما، شرد كلاهما بذاك النيل الجذاب و تلك النسومات التي تُداعب وجنتيهما لتجعلهما غير قادرين على الحديث، فكان الصمت هو سيد الموقف، الآن لا يعلمان إن كانت تلك النسومات سبب الصمت أم أن التخبطات بداخلهما هي السبب، فكل منهما يؤد أن يبدأ الحديث و لا يعلم كيف ذلك، يحملان بين أيديهما كوبان صغيران من الورق يحويان قهوة غنية حلوة المذاق تناسب تلك الأجواء الحالمية.

تنهد لؤي تنهيدة عميقة حاول معها استجماع قواه و التحدث قبل أن يتأخر الوقت و يضطر لإعادة هذا كله حتى يصل إلى مراده، وجه نظرة عابرة نحوها ليجدها تُهذب وشاح رأسها الذي تطاير بفعل الهواء؛ أشاح بنظره عنها ليعاود النظر نحو السماء مع قوله:

-هي إيه أكثر حاجة بتحبيها؟؟-

بدأ بذاك السؤال حتى يستدرجها دون أن تعلم؛ التفتت له بوجهها تتعجب من سؤاله للوهلة الأولى لكنها مع ذلك همهمت بتفكير كي تُجيبه بعفويتها التي اعتادها:

-حجب الأبراج و كل حاجة ليها علاقة بالطاقة الإيجابية ... و كمان بحب الكلاب أوي...

اعتدلت في جلستها كي تواجهه و تواصل حديثها بلهفة و كأنها تنتهز الفرصة كي تتحدث:

-تعرف ... انا كان نفسي أوي أربي كلب ... بس للأسف معرفتش

عقد حاجبيه و هو يسألها بفضول:

-معرفتيش ليه ؟

أحنت رأسها لأسفل كي تُجيبه بيأس:

-ماما مكنتش موافقة ... كل ما بقولها يا ماما عايزة أربي كلب بتقولي مش لما
تتربو إنتو الأول

رسم ابتسامة خافتة على وجهه استخدمها كي يكبت ضحكته التي كادت تفر من
فوهه، وجدها تُبدل يأسها باللهفة و الأمل و هي تقول:

-إن شاء الله لو اتجوزت و عيشت بعيد عن أهلي هخلي جوزي يجبلي كلب صُغير
أو حتى قطة ... بس يارب يوافق الأول

اتسعت بسمته و هو يُجيبها بتلقائية لا يعلم من أين أتته:

-لأ هيوافق متقلقيش

رمقته بحيرة من حديثه الذي أردفت بعده:

-إنت عرفت منين ؟

أدرك للتو ما فلت من فمه فحاول تدارك الأمر و الحممة بخرج بات واضحًا على
جنباته، اعتدل في جلسته و هو يُغير الحديث بقوله:

-لأ عادي ... تخمين ما تيجي نتكلم في حاجة تانية ؟

شقت الابتسامة العريضة ثغرها و هي تقول بلهفة:

-ماشي ... تعالى أقرالك الفنجان، أنا لسة متعلمة قراية الفنجان من قريب ...
هاتلي بس الكوباية بتاعتك

مدت يدها لتلتقط منه كوب القهوة الخاص به لكنه عارضها كي ينتهز الفرصة بقوله:

-ما تيجي أنا إللي أقرالك الفنجان

شككت في قدراته فسألت:

-هو إنت بتعرف؟

لم يكن يعلم لؤي أن فناجين القهوة يتم قراتها من الأساس لكنه مع ذلك قال بثقة:

-أه بعرف ... هاتي الفنجان بتاعك و أنا هوريكي

مد يده لينتشل كوبها فأعطته إياه بعوالم التيه المرتسمة على وجهها تريد أن ترى ما ينوي فعله بفارغ الصبر، ما إن أمسك لؤي بكوب القهوة حتى بدأ يُحذق به و كأنه خبير بتلك الأمور، أشار بإصبعه داخل الكوب و هو يشرح بحكمة زائفة:

-قدامك طريق طويل و مليان مطبات بس في نهاية الطريق ده في حد
مستنيكي هيكسرلك المطبات عشان مفيش حاجة توقفك ... و هيخليكي تركبي
معاه على الحصان عشان ينفذلك طلباتك...

كانت الحيرة طاغية على وجهها و هي تسأل:

-مين الشخص ده؟؟

توقف عن الإشارة على الكوب ليوجه لها نظرة هائمة تحمل سيلاً من الحُب:

-شخص علطول حواليكى ... كل همه إنك تبقي كويسة و محدش يأذيكي ... شخص
شايف إنك واحدة موهوبة و ذكية و تعرف تواجه أي حاجة ... و في نفس الوقت

جواها طفل بريء بيخلي إلي حواليه يضحك رغم الهموم إلي عنده شخص
بيتمنى يفضل معاك عطل طول ... عشان يقولك إنه بيحبك

تسمرت قمر مكانها إثر كلماته و شعرت بدقات قلبها تتسارع و العرق يتصبب من
جبينها، كما أن أطرافها بدأت ترتجف و هي تحاول أن تدفع قدميها لتتهرب من ذلك
الموقف، لكن يبدو أن قدميها تأبى الحراك و كأنها تتلذذ بما يُتلى على مسامعها:

-هاا !!! ... إنت قولت إيه ... م مين الشخص ده أنا مش فاهمة

كان صوتها مرتجفاً يعلم عن يتحدث لؤي لكن هناك هالة بداخلها تستنكر تلك
الحقيقة، فمن هي حتى يُعجب بها، هي مجرد فتاة ساذجة ذات جمال عادي و من
أسرة بسيطة لا هي غنية ولا فقيرة، فقط فتاة عادية تحمل قدراتٍ غريبة تجعلها تقع
بالعديد من المشكلات، لكن هذا لا يعني أن بإمكانها أن تأسر أحدهم و تجعله يقع
بشباك حُبها، فلطالما كانت الفتاة الغربية بجامعة التي لا يُرغب أي شخص بالتقرب
منها بخلاف داليا و كوكي اللتان ترعرعت بينهما.

بقي الشroud على ملامحها و علامات عدم التصديق تُغرق وجهها إلى أن قطع لؤي
هذا كله بنبرة صادقة مليئة بالإصرار الذي امتزج بحبه و مشاعره التي ظهرت من
فترة وجيزة لكنه متيقن أنها مشاعر صادقة و لا يُمكن أن يتغافل عنها:

-أنا بحبك يا قمر ... و عايز أعيش معاك العمر كله ... و بكرة هجيب أهلي و
أطلب إيديك من عمي

بقيت عيناها متسمرتان لا تُصدق ما تسمعه و كأنها بحلم و ستفوق منه عما قريب،
كادت دموع الفرحة تفر من عينيها و هي تقول:

-إد .. إنت بتتكلم جد !! .. أ .. أنا..

كان مُتلهفاً لسماع إجابتها لكنها استمرت بالتهتهة و التقوّه بأحاديث ليست مفهومة،
قطع تهتهتها صوت الهاتف الخاص بها الذي طفق يصدح عاليًا برقم صديقتها داليا،

انتهزت الفرصة لتُجيب على تلك المكالمة كي تتهرب من ذاك الموقف الذي لا تعلم كيف تتصرف به.

-أ .. ألو يا داليا...

جحظت عيناها بصدمة و هي تثب من الأرض و تقول:

-بتقولي إيه !! ... كوكي !! .. طيب طيب أنا جاية

أغلقت المكالمة لتجد لؤي قد وثب هو أيضاً من الأرض يسألها بقلقٍ عن سبب صدمتها فأجابته ببعض القلق:

-كوكي دخلت المستشفى ... أنا لازم أروح هناك بسرعة

كادت تُهرول بعيداً لكن لؤي أوقفها باقتراح:

-طب استني أوصلك

عارضت اقتراحه بإصرار:

-لأ مش هينفع، هطلب أوبر .. باي

لُوحت بيدها بتؤديع لكنه أوقفها أيضاً رغبة في معرفة قرارها بخصوص عرضه:

-طب إنتِ موافقة؟؟

ظهر الرجاء على صوته و ملامحه مما جعلها تخضع و تُطلق مشاعرها التي غطتها بستار الخجل، رسمت بسمة هادئة على ثغرها و هي توميء برأسها دلالة على الموافقة ثم تهرب بسرعة من أمامه قبل أن تجد فؤادها يترك موضعه من شدة خفقانه، أما عنه فكان يتابع أثرها بابتسامة عريضة تعتلي ثغره و فراشات ملونة

تتراقص بداخله يتوق شوقاً للغد عندما يأتي مع عائلته و يطلب يدها بصورة رسمية

....

-إحنا لازم نهرب من هنا

قالتها داليا و هي تدور بقلق داخل أركان الحجرة، فهي لم تتوقف عن التفكير بصديقتها و كيفية الذهاب إليها كي تطمئن على حالتها، فلا يجب أن يبقيا بذاك المكان على أية حال، كان مخيم يُراقب تحركها و قلقها الذي أوقفه بقوله:

-أنا جيبت معايا حاجة هتساعدكم تخرجكو من هنا

ألقى هذه الجملة ليعبث بعدها داخل الحقيبة التي أتى بها، أخرج منها سترتين باللون الأبيض تشبه تلك الملابس التي يرتديها العلماء، كما أحضر أيضاً قبعتين يُغطيا بهما خصلات شعرهما حتى لا يعرفهما أحد، أعطاه تلك الملابس لداليا و إسلام ليرتدياها ثم أخرج بطاقتين تعرفيتين خاصة بإحدى العلماء.

-إبسو الحاجة دي و عدو من البوابة ... هما هيفتكرو إنكم بتشتغلو هنا فمش هيقولو حاجة

إرتدت داليا السترة بينما ساعد مخيم إسلام على الوثوب من مكانه و ارتداء تلك السترة البيضاء، تحامل إسلام على نفسه حتى يستطيع الهرب من هنا، فقد كان يحاول قدر الإمكان التحرك برواق المشفى متجاهلاً العلماء و متجاهلاً النظرات المصوّبة نحوهما، كانت تتبعه داليا بخطوات هادئة حافظت معها على صرامتها على الرغم من أنها ترتجف من الخوف بداخلها.

بقيا على هذا الحال حتى استطاعا المرور من بوابة المعمل دون أن ينتبها إلى تلك الحجرة التي برزت بطة بداخلها و هي تتحدث مع ضرغام بمعاني وجهٍ يبدو عليها الغضب، فربما أخبرته عما فعلاه و ربما تُخبره بأنهما يجب عليهما أن يتخلصا منهما...

هرولت أقدام داليا برواق المشفى بحثاً عن الحجرة التي تقطن بها صديقتها، وجدت قمر تتقدم نحوها لتقطع طريقها بسؤالٍ تعجبت معه من تلك السترة البيضاء التي أتت بها داليا و تعجبت أيضاً من تأخرها على الرغم من أن داليا هي من أخبرتها بذلك الخبر.

-تأخرتي ليه؟؟ ... و إيه إيلي إنت لابساه ده؟؟

تداركت داليا أسئلتها لتكبح جماح قلقها:

-هقولك بعدين ... المهم كوكي عاملة إيه؟

أجابت قمر بنبرة هادئة مطمئنة:

-هي كويسة، بيقولو في حاجة كانت واقفة في زورها و عملتها مشاكل في التنفس بس هي دلوقتي كويسة و باباها معاها جوة ... تعالي ندخلها

جذبت داليا من ذراعها لتتوغل كلاهما داخل الحجرة...

أما بالجهة الأخرى فكان مُعترِ يستند بظهره على الجدار الملاصق للحجرة التي بها كوكي، يُحرك أصابعه حركاتٍ عشوائية تتم عن قلبه المتزايد الذي لاحظته إسلام فور أن إقترب منه:

-إيه يا سطا !! ... إيه إيلي حصل؟

كان إسلام يضع يده على معدته من شدة الألم الذي كبته قدر الإمكان، تنهد معترِ بضيقٍ ثم أجاب بخيبة أمل أشاح معها نظره للأمام:

-أنا عملت زي ما قولتلي ... مش عارف إيه إيلي حصل

عقد إسلام حاجبيه بحيرة من حديثه ثم سأل بشك:

- عملت إيه ؟

وجه مُعتر بصره نحو إسلام ليُخبره حقيقة ما حدث بنبرة متضايقة:

-كنت عايز أطلب إيدها بطريقة كريبتف زي ما قولتلي، روحت أخذتها مطعم و
حطيت الدبلة وسط الأكل زي ما شوفت في فيلم قبل كدة ... بس...

أحنى رأسه ليواصل الحديث بضيق:

-للأسف بلعتها و جالها ضيق تنفس فجبنها على هنا ... بس الحمد لله عملنا
إسعافات أولية خليناها تتف إلي بلعته

سقط فك إسلام و هو ينصت إلى ذاك الحديث حتى خرج صوته مؤبخاً و متسألأ
كذلك:

-إنت حطيتها الدبلة في السندوتش!!

نفي مُعتر حديثه بفخر من ذاته:

-لا ياعم ... سندوتش دي قديمة، أنا كنت عايز أعمل حاجة كريبتف فحطتها الدبلة
في الملوخية

تجاهل إسلام وجعه و أمسك مُعتر من تلايبه بغير تصديق لما فعله هذا الأحمق:

-ملوخية !! ... بتحط الدبلة في الملوخية ... هو دا إلي قولتلك عليه؟؟

حاول مُعتر إبعاده ليبرر لذاته:

-و الله العظيم فاكرها هتاكل الملوخية بالمعلقة مكنتش أعرف إنها زينا

دفعه إسلام بعيداً عنه بغضب تنهد معه بنفاد صبر، طفق بعدها يُتمتم بقرارة نفسه:

-الحمد لله إنها جات سليمة ... مش فاهم بتحبك على إيه البنت دي، الله يكون في عونها

رسم مُعتز عوالم العبوس على وجهه و هو يسأل بقلة حيلة:

-طب أنا هعمل إيه ؟ عايز أروح أتقدم لها...

أحاطه إسلام بذراعه و طفق يتحرك معه برواق المشفى و هو يقول بؤد:

-اسمع إلي هقولك عليه كويس...

أما داخل الحجرة فكانت قمر تتحدث بلهفة عما حدث معها و عن عرض الزواج الذي أتاه فجأة، كان الخجل بادٍ على وجهها و هي تتحدث على الرغم من العفوية التي دائماً ما تتحدث بها مع أصدقاءها، يبدو أن الحديث بتلك الأمور يجعل وجنتاها تتوردتان كما لو أنها زهرة وردية بين البساتين، كما كانت القلوب تشع من عينيها نُعرب عن سقوطها في بئر الحُب الذي لم تعتقد أنها ستسقط به يوماً.

بعد برهة من التهنئات و الكلمات المُشجعة غيرت داليا مجرى الحديث إلى الجدية و هي تقول بوجهٍ عابس:

-أنا واقعة في مشكلة كبيرة...

قالتها بعبوس و هي تجلس بجوار كوكي الجالسة على فراش المشفى و قمر تجلس جوارها ترمقها بحيرة و قلق سألت معه:

-مشكلة إيه؟؟

لم يكن هذا الوقت جيداً لعرض مشكلتها خاصة و صديقتها لاتزال مُرهقة إثر ما حدث، لذلك أردفت باختصار حمل معه الأهمية:

-مش هينفع أقولكم هنا بس المشكلة كبيرة أوي، و محتاجة مساعدتكم

أردفت كوكي بصوتٍ خافتٍ متحشرج حمل معه الإستفسار:

-هي حاجة " dangerous خطيرة ؟"

أومأت داليا رأسها بأعين عابسة أخبرتهما كم أن الأمر بهذه الصعوبة، علقت قمر بلهفة و كأنها انتهزت الفرصة:

-إحنا ممكن نقول للوي يساعدنا .. إنتِ مش بتقولي إن الموضوع خطير، هو كدة كدة ظابط و أكيد هيعرف يساعدنا

استحسننت داليا فكرتها فقالت:

-ياريت ... عشان الموضوع كبير أوي...

استمر الحديث بينهما لبرهة قصيرة قطعتهما طرقات متتالية على الباب كانوا يظنونها تخص والدها في البداية، لكن الحقيقة أنها كانت تخص مُعترز الذي أتى بصُحبة والدها كي يطمئن عليها، استأذنت صديقاتها ليتركاهم وشأنهم بعد أن استشعرا رغبة مُعترز بالحديث معها على إنفراد لكنه لن يستطيع ذلك دون أن يبقى معه شخص بالحجرة حتى لا يبقى معها وحده.

جلس بهدوءٍ على المقعد المجاور لها و جلس والدها على أريكة قريبة من فراشها يراقب حديثهما باهتمام، رسم مُعترز ابتسامة هادئة على ثغره و هو يسأل بلين:

-عاملة إيه؟؟

بادلته كوكي بابتسامة أخرى هادئة أمأت معها رأسها و هي تُخبره بأنها بصحة جيدة و لا يوجد داع للقلق عليها، مرّت بعدها برهة من الصمت كان يُحاول فيها مُعترز استجماع أفكاره و البحث عن الكلمات المناسبة كي يبدأ الحديث، وجه بصره لأسفل لبرهة قطعها برفع رأسه مجدداً مع تهيدة عميقة سرقها قبل أن يقول:

-عُمري ما تخيلت إني هقابل واحدة زيك ... حقيقي أنا كل ما بشوفك بحس إن الدنيا رجعت تضحكي تاني ... مع إني_

قطع حديثه صوت الهاتف الخاص بمُصطفى والد كوكي الذي صدح عاليًا فأجاب عليه مُصطفى ليقف قُرب النافذة و يُجري تلك المكالمة المهمة، أعاد معتز بصره نحو كوكي ليواصل ما قد بدأه رغم التوتر الذي ظهر على كلماته:

-بُصي ... أنا مش هلف و أدور تاني ... أنا بحبك يا ناجتس ... و لو عرفت إن فاضل في عُمري دقيقة واحدة بس هختار إني أقضيها معاكى....

حدق بمنتصف عينيها بعشق قال معه:

-تقبلي تتجوزيني ؟

كان قلبها يتراقص من الفرحة إثر كلماته التي انتظرتها منذ فترة طويلة، فهي تعلم أنه يكني لها بعض المشاعر مثلها بالضبط، لكنها انتظرت أن يفصح هو أولاً عن مشاعره و يُخبرها بتلك الكلمات المعسولة، كانت تتوقع أن يعرض عليها ذلك العرض في مكانٍ أكثر رومانسية من ذلك، لكن هذا لا يُهم، يكفي أنه أخبرها فقط.

بقيت تبتسم له لفترة وجيزة حتى تلاشت ابتسامتها فجأة لتردف بنبرة جدية:

-أنا موافقة ... بس_

بتر معتز حديثها باستنتاجٍ كان يظن أنه طبيعي بالنسبة لهذا الواقع:

-أه ... أكيد باباكي مش هيوافق بيا و هيقول إني مش زيكم و يعايرني قدام الشغالين بتوعكو، أنا عارف الكلام ده كويس_

عقدت كوكي حاجبيها بغضبٍ من استنتاجه و هي تقول:

-لأ طبعًا ... بابي open minded و الحاجات دي مش بتفرق معاه

تلاشى غضبها و هي تُكمل الحديث:

-أنا كان قصدي لازم أهلك بييجو يطلبو إيدي من بابي ... و إنت بتقولي إن أهلك
متعرفش عنهم حاجة

شعر معتز بالعبوس لو هلة لصدق حديثها، فهو قد قطع علاقته مع أقاربه منذ وفاة
والدته العزيزة، و مع ذلك سيتزوجها حتى لو اضطر أن يجعل إسلام نائبًا عن أهله
رغم عدم صلاحيته لذلك.

-متقلقيش ... هجيب أي حد من أهلي ... المهم عمو يوافق و ميقولش إنني مش قد
المقام

كادت تُجيبه كوكي لكنها وجدت والدها يُجيب بدلًا عنها و هو يُحيط ذراعه بكوكي
الجالسة على الفراش تُمدد قدميها أمامها:

-و أنا موافق يا بني، كوكي حكيتلي على إللي بتعمله معاها، و أنا شايف إنك تقدر
تحميها و تحافظ عليها

كاد معتز يطير من الفرحة إثر كلماته، حتى أنه وجد لسانه يردف بغير تصديق:

-إيه السهولة دي !! ... أنا مش مصدق نفسي...

بقيت الأجواء بينهما في فرحة عارمة تبادلوا فيها الأحاديث عن مستقبلهما الذي
سيُكملاه سويًا...

أما خارج الحجرة، فكان إسلام يجلس على إحدى المقاعد يمسك معدته بألم شديد قد
تضاعف إثر ما حدث، فلا يزال جرحه طازجًا لا يجب أن يتحرك معه كل هذا،
لاحظت داليا تألمه فجلست جواره لتطمئن عليه لأنها الوحيدة التي تعرف ما يُعانيه:

-لازم تروح تكشف..

نفي إسلام برأسه و هو يقول:

-لأ مش لازم

ابتسمت داليا ابتسامة بسيطة أرخت معها ظهرها للوراء لتردف بفخرٍ من ذاتها:

-أيوة طبعًا، ما أنا إللي مخطالك الجرح، أكيد مش هتحتاج

عارض إسلام حديثها باستخفاف:

-إنت بتقولي إيه إنت كمان !! دا إنت من ساعة ما حطيتي إيديك في الجرح و أنا حاسس إن الجرح بيوجعني أكثر

اضجرت داليا من فظاظته رغم أنها ساعدته بكل ما أوتيت من قوة:

-الله !! دا بدل ما تشكرني، دا أنا إتحديت خوفي من الدم و خيظلك الجرح و إنت أصلًا كنت السبب في كل إللي حصل .. فضلت تقولي ثقي فيا ثقي فيا و أنا إللي هجيب البحث و في الآخر أخذت تسع عُرس

كانت السخرية طاغية على حديثها لكنه لم يهتم لسخريتها و وجه تركيزه على الشق الأخير من حديثها الذي أصابه بالصدمة:

-إيه !! تسع عُرس !! ... إنت عملتلي تسع عُرس !!

شعرت داليا ببعض الارتباك و هي تُجيبه:

-مش فاكرة ... تسعة أو عشرة باين

رفع إسلام سترته ليرى موضع الجرح و يحصي عدد هذه العُرس الذي تعجب من كونها كثيرة، فجرحه ليس بهذا الكبر حتى يحتاج هذا الكم من العُرس.

-اتناشر !! .. عملتلي اتناشر غرسة في الفتحة الصغيرة دي.. !!

بررت داليا فعلتها ببساطة:

-أيوه .. ما هي ماما قالتلي كل ما تزودي الغرس كل ما الخياطة تبقى أحسن و الهدوم مش هتقطع تاني

-هدوم!!

قالها بصوت مرتفع أراد معه أن يوبخها على عبثها بأمور لا تعنيها و معاملة جرحه و كأنه قطعة من الملابس تم تمزيقها، أشاح ببصره عنها كي لا ترى فمه الذي يُتمتم بالدعاء عليها و ما فعلته به، بعد برهة من الصمت أردفت داليا مُغيرة لمجرى الحديث:

-صحيح هو إنت كنت عايز تبقى دكتور ؟ ... أصل بصراحة شكك مش دكتور خالص

رفع رأسه بشموخ و هو يُجيبها:

-ليه يعني؟؟ ... مش باين عليا الكاريزما ولا إيه ؟

استخفت بحديثه و هي تقول:

-كاريزما إيه بلا نيلة ... أنا مش عارفة الناس بتتعالج عندك إزاي و إنت طول الوقت بتفتي و بتقول حاجات مش حقيقية

كانت تقول هذا بناءً على تلك المعلومات الخاطئة التي يقولها لحالاتها و التي تعرفها هي فيما بعد، فدائمًا ما يخلق نظريات و حقائق ليست حقيقية لكنه يقنع بها الآخرين مما لا يتوافق مع كونه طبيبًا أبدًا بخلاف طريقته و تعامله اللفظ مع الآخرين.

أجابها بعد فترة بصدق اتخذ منه وشاحًا:

-أنا فعلاً مكنتش عايز أبقى دكتور ... بس جيبت مجموع عالي في ثانوية عامة
فالناس كلها قالتلي أدخل طب و أخدم البشرية، أصلهم مش قادرين يستغنوا عن
ذكائي

رمقته باستحار بسبب التعالي البادي على نبرة صوته و التي تمقتها أيضاً، لكنها
تداركت تكبره و سألت بفضول:

-طب إنت كنت عايز تطلع إيه ؟

أرخی ظهره للوراء متناسياً جرحه ليضع قدمًا فوق الأخرى و يُجيبها بعد تفكير:

-والله كان نفسي أبقى حاجة مختلفة كان نفسي أبقى جزار ... كنت عايز
أشوف الجاموسة و هي بتقطع و الدم بيسيح منها...

واصل حديثه عن تقطيع الماشية و كأنه مصاص دماءٍ يُحب رؤية الدماء و يتلذذ بها،
أنهى حديثه ببساطة عبرت عن طبيعته الدموية رغم الاشمئزاز الذي غمر وجهه داليا.

-و لما دخلت طب بقي كنت هدخل تشريح، بس إيه الفائدة يعني إني أقطع جثة
ميتة، عشان كدة دخلت جراحة

عقبت داليا على حديثه بشكٍ حمل بعض القشعريرة:

-إنت متأكد إنك مكنتش عايز تطلع سفاح ؟

نفي إسلام حديثها بإصرار:

-لا، سفاح إيه، أنا لا يُمكن أقتل روح بريئة ... بس لو السفاح دا بيقتل ناس مش
كويسة أنا معنديش مانع..

بقيت ترمقه باشمئزاز و لا تجد من الكلمات ما تقولها، بعد برهة من الصمت سألتها
هو بدوره:

-و إنتِ بقى، شكك مكنتيش عايزة تبقي خبيرة علاقات زوجية، أصل مفيش حد
بيشتغل الشغلانة دي و أهله متطلقين

لاح العبوس على وجهها و هي تُجيب بنظراتٍ مصوّبة على الأرض:

-أنا بقيت خبيرة علاقات زوجية عشان مش عايزة الأطفال تمر باللي مرّيت بيه
بسبب إن أهلي متطلقين..

-هو إنتِ محاولتيش ترجعيهم لبعض ؟

سألها بفضول فأجابته بخيبة أمل:

-لأ ... ماما و بابا مينفعوش خالص لبعض، هما أصلاً إتجوزو صالونات، و
مكنوش عارفين إنهم مش مناسبين غير بعد ما أنا جيت ... و أصلاً بابا إتجوز و
خلف و عايش بعيد عننا

بقيت على عبوسها و هي تتذكر كم المعاناة التي عانتها بسبب انفصال أهلها، فهي لا
تتذكر أنها أحست بتلك الأجواء الأسرية التي تحسد أصدقائها عليها بسبب أسرتها
المُفككة.

لاحظ إسلام ضيقها فبادر بسؤالها ليُلفظ الأجواء:

-طب كان نفسك تطلعي إيه ؟

انتبهت إلى سؤاله فرسمت بسمة هادئة على ثغرها و هي تقول:

-كان نفسي أطلع بتاعت مساج

لم يفهم مقصدها لذلك عقد حاجبيه بحيرة و هو يسأل:

-بتاعت إيه!!

آعادت داليا حديثها متكئة على حروفها:

-بتاعت مساج .. إالي بيبقو في السبا دول و بيفضلو يدلكو ضهر أي حد، أصل
ماما دايمًا تقولي إن صوابي طويلة و إني بعرف أعمل مساج حلو، دا غير إنها
شغلانة سهلة و بتخليك تحس بهدوء كدة...

بقيت علامات البلاهة مُرتسمة على وجهه حيث ظن لو هلة أن أمنيتها أن تُصبح أما
مُهندسة أو مُصممة أزياء حتى، انتهت داليا من حديثها عن تلك الوظيفة التي كانت
تتمناها رغم أن وظيفتها أفضل بكثير، هذا ما دفع إسلام ليرد بسخرية عليهما و
على أحلامهما الغريبة:

-كويس إننا محققناش أحلامنا

أومأت رأسها إيجابًا على حديثه و ما هي إلا برهة حتى انفجر كلاهما بالضحك على
نفسيهما ليستمر بعدها الحديث بينهما في جوٍ من المرح و الضحك رغم المأزق الذي
هُم به و تلك الورقة المُهمة التي يحوزها إسلام و يحتفظ بها في جيبه حتى اللحظة
المناسبة.

إنتهى هذا اليوم بمتاعبه و مشاقه و أتى ذلك الوقت الذي ينتظره المرء كي يخلد فيه
إلى النوم و يلقي هموم الحياة جانبًا ليمتع ببحر أحلامه الوردية التي ينسجها عقله
المُرهب، خطأ إسلام بقدميه داخل المنزل و معه تلك الورقة التي من المفترض أن
يحفظها في مكانٍ جيدٍ لأنها ذات أهمية كُبرى، فهي التي ستساعدهم على تنفيذ خطتهم
دون أن يتأذى أحد، كان يقص على معتز ما حدث معه بتفاصيله و يدها تتحرك نحو
إحدى المزهريات حتى يدثر هذه الورقة بداخلها:

-و بس كدة ... عشان كدة لازم نجيب الأبحاث إالي اتعملت علينا ياما في حد ثاني
هي موت

خرج صوت معتز ما إن انتهى إسلام من قص ما حدث:

-ده الحوار طلع كبير أوي ... طب إنتو هتحلوها إزاي ؟

آحاطه إسلام بذراعه ليخبره بنبرة مُطمئنة رغم ضيق الموقف:

-أكيد هنلاقي حل ... قولّي إنت الأول عملت إيه ؟

تردد معترز قليلاً و هو يقول:

-قولتلها ... عرضت عليها الجواز

كان يحمل صوته شذرات من الضيق استرّفدها إسلام و تعجب لأنه من المفترض أن يضحى صديقه في قمة سعادته، فهو سيحصل على مراده عما قريب:

-طب ده حلو ... إنت متضايق ليه ... هي رفضتك؟؟ أبوها رفضك؟؟

نفى معترز برأسه ليرسل إليه أنهما موافقان و بصدري رحبٍ أيضاً.

-أومل مالك؟؟

سأله إسلام مجدداً ببعض القلق فأجابه معترز بما يجيش به صدره:

-هروح أطلبها إزاي ؟ ... و هقول إيه لأبوها لو سأنتي عن أهلي ؟

أدرك إسلام سبب عبوسه لأنه يعلم كم الخلافات التي بين معترز و والده و التي لا يستطيع أن يفصح عنها لأي شخص، فكر إسلام في بعض الحلول التي من شأنها مساعدة صديقه حتى وصل إلى الحل الأنسب الذي أدلاه بلهفة:

-لقيتها ... أنا هقول لأبويها يخطبها لك، أنا و إنت متربيين مع بعض، و أكيد أبوية هيفرح لما أطلب منه كدة...

عارضه معترز بقوله:

-أيوة بس أبوك مش عايش هنا

أقنعه إسلام ببساطة:

-يا عم هتصل بيه و أقوله ينزل مصر هو و ماما، المهم لم هدومك و كل حاجة
عشان نمشي من هنا

قالها إسلام و هو يترك معتز و يتجه صوب حجرتة، قطب معتز حاجبيه بحيرة و هو
يسأل:

-هنروح فين ؟

أنهى إسلام الحديث بقوله:

-هنروح العمارة بتاعت أبوية ... يلا تصبح على خير

أتى صباح يومٍ جديدٍ مُحملٍ بالنشاط و الحيوية، حيث كان جميع من بالمنزل يسرون
على قدمٍ و ساق، فهذه نجمة و الدة قمر تُلقي الأوامر على شمس كي تُنظف معها
المنزل و تُلقي الأوامر على قمر كذلك كي تتوقف عن توترها المبالغ به من وجهة
نظرها و تساعدها هي و شقيقتها بتنظيف المنزل، من المفترض أن اليوم سيتقدم لؤي
لطلب يدها بصُحبة والديه، أي أنه من الأيام الحافلة المليئة بالتغيرات، لا تعرف قمر
كيف تحدث كل هذه الأحداث بتلك السرعة، فلا زالت تُفكر في تلك اللحظة التي
أخبرت بها والديها بأن لؤي سيأتي لخطبتها و كم كانت والدتها سعيدة لأجلها و والدها
أيضًا الذي لم يبدو عليه السعادة لكنها استطاعت قراءة فرحته التي اخترقت تعابيره
الهادئة.

أما شمس فهي أكثر من تأثر بهذا القرار لأنها لا تريد لشقيقتها أن تفارق المنزل و
تتركها، فقد اعتادت على مشاركة شقيقتها الحجرة و التحدث معها عما تمر به

بالجامعة، لكنها رغم ذلك أظهرت السعادة من أجل شقيقتها لأنها تتمنى لها حياة سعيدة مع زوجها.

كانت كل الأمور تسير على ما يرام حتى أتت داليا و كوكي ليضحيا رفقة قمر بهذا اليوم و يساعداها بالتجهز، حيث كانت ترتدي ثياباً بسيطة مكوّنة من قميص أزرق قامت بفتح أزراره ليظهر أسفله تلك السترة البيضاء الأنيقة مع تنورة واسعة سوداء تتناسق مع ثيابها و حجابها ذا اللون القرمزي الذي اجتمع مع مستحضرات تجميل بسيطة ساعدتها داليا بوضعهم.

كانت الفتيات يختبئن خلف الجدار يراقبن لؤي من بعيد هو و والديه بعد أن جاء المنزل و جلسا على الأريكة ليتحدثوا سوياً، بادر عبد الصبور بالحديث مُعرفاً نفسه:

-أنا اللوا عبد الصبور إسماعيل ... و يشرفني إني أطلب إيد الأنسة قمر لإبني الوحيد لؤي على سنة الله و رسوله

كانت قمر ترقص من السعادة بعد هذه الجملة التي تبعها العديد من الأحاديث التي تخص الزواج و بعض المعلومات العائلية:

-أنا عندي شقة مفروشة في الحدايق وـ

كاد لؤي يواصل الحديث لكن نجمة قطعتة بصرامة:

-حدايق !! لا ... أنا بنتي مش هتسكن في المكان ده، ده بعيد عننا

حاول لؤي إرضائها ببعض الارتباك:

-خلاص .. أنا ممكن أبيع شقة الحدايق و أأجر شقة في المعادي قريب منكم

اعترضته نجمة مجدداً:

-تأجر !! ... لا أنا بنتي متقدش في شقق إيجار

لم تتحمل ثناء والدة لؤي تحكيمات تلك السيدة لذلك تدخلت بحدة:

-و مالها يعني الشُّقُّ الإيجار ... ما إنتِ إلي مش عايزة شقة الحدايق مع إنها
شرحة و برحة

وثبت نجمة من موضعها كي تصر على حديثها:

-و أنا قولت بنتي متقدش في شُّقُّ إيجار ... و ده إلي عندي ياما مفيش جواز
كانت ضربات قلب قمر تدق بسرعة و هي تتابع هذا الجدل الذي نشب بصحبة
أصدقاءها، علقت شمس بقلق:

-ماما هتبوظ الجواز

أضافت داليا على حديثها و كأنها تتحدث بإحدى لجان حقوق الإنسان:

-قمر لازم تدخل، أكيد الجواز مش هتبوظ عشان خاطر شقة يعني

علقت كوكي هي الأخرى باستماتة:

-أيوة ... **this is to much** مش هينفع تسكتي على إلي بيحصل، لازم تؤريهم
إنك مسئولة عن قرارك

حفزت هذه الكلمات قمر و جعلتها تطبق على شفيتها في استماتة، ما هي إلا برهة
حتى وجدت قدمها تقتحمان هذا الجدل لتوقفه بصوت مرتفع:

-باس كفاية ... محدش يتدخل في حياتي...

إقتربت داليا و كوكي و كذلك شمس ليقفا بجوارها و يستمعا إلى حديثها المحمل
بالإصرار و نفاد الصبر من تلك الحياة:

-أنا تعبت من الأوامر ... مش كل شوية أعمل إيه و معملش إيه، أنا بقيت كبيرة و مسئولة عن نفسي مش محتاجة حد يقولي أعمل إيه ولا محتاجة حد يقولي أنا لازم أبقى إيه أنا بعرف أعمل كل حاجة، بعرف أشغل و أجيب فلوس ... و بعرف أتعامل مع إالي حواليا...

رفعت من نبرة صوتها أكثر لئخرج كل الكلمات التي كبتتها بداخلها و قد ظنت أن حبال التماسك قد انقطعت و الحدود التي رسمتها مع الآخرين خاصة والداها قد ذهبت مع الرياح:

-و مش محتاجة أعيش في البيت بتاعكم، ولا محتاجة إن حد يصرف عليا و أقولكو كمان، مش محتاجة الشغلانة بتاعتي إالي أنا مش طابقها دي..

أوقفت داليا حديثها و هي تهمس بأذنها بتحذير:

-لا بقولك إيه خفي تهوّر إنت كدة هتشحتي على الناصية

أدركت قمر ما قالته فمحممت قبل أن تتراجع عن آخر قراراتها بقولها:

-لأ ... قصدي محتاجة أعيش معاكم و محتاجة الشغل ... بس أنا بحب لؤي، و من حقي إني أعيش مع الشخص إالي هختاره، حتى لو عيشت معاه في عشة فراخ

اتسعت بسمه لؤي و هو ينصت لحديثها و قد وُد في تلك اللحظة أن يأخذها في عناق دافيه ينتشرها من خلاله على تلك الكلمات التي أسعدته و أبرزت مدى حُبها و تعلقها به، تسمر الجميع أماكنهم و بقيوا في حالة من التيه لا يعرفوا القرار الصائب الذي سيأخذوه، أوقف هلال هذا الصمت بقوله الهاديء:

-و أنا موافق إنكم تتجاوزو

تهللت أسارير قمر و وجدت نفسها تتقدم نحو والدها و تحتضنه بحُب و سعادة، هدأت الأوضاع بعدها و طفقوا يقرؤون الفاتحة على أن يتم الاتفاق على بقية الأمور فيما بعد، يكفي فقط أن تتم خطبتهما تلبية لرغبات قمر الجامحة، و لأنهما رأيا أن لؤي

خير زوج لها خاصة و هو الوحيد الذي يستطيع حمايتها، و لأنه أيضاً من عائلة مرموقة بخلاف جاذبيته و جسده الرياضي و شجاعته التي يستخدمها لحماية بلاده، أي أن لديه انتماءً لوطنه أيضاً، هذا يعني أنهم لن يجدوا أفضل منه ليضحى زوجاً لابنتهما البكرية.

على جهة أخرى بذاك المنزل كان شهاب يفتح الهاتف الخاص به و يوجه عدسة الكاميرا نحو وجهه و كأنه يلتقط إحدى المقاطع، أما عن اليد الأخرى فكانت تحمل صندوقاً خشبياً صغيراً يحتوي على شيء ما، كان يُقلد إحدى البرامج المشهورة و هو يقول:

-أعزائي المشاهدين من كل بيت أعزائي المشاهدين من كل مكان السلام عليكم و رحمة الله و بركاته معاكم حلقة جديدة من برنامجكم " شهاب عُمره ما تاب... "

بقي يتحدث بحماسٍ أمام الهاتف حتى أُردف بالنهاية:

-المقلب إنهاردة هيكون أقوة من المقلب إللي فات ... يعني إنهاردة الحلقة هتبقى دمار

أدلى هذه الجملة و هو يفتح الصندوق الصغير لينطلق منه جرد أسود اللون يهرول بسرعة صوّب البهو حيث يجلس جميعهم!!

صرخة مدوية أطلقتها كوكي و هي تثب من المقعد و هي تُشير على إحدى الأركان بقولها:

-فار!!!

سرعان ما انتفضوا من أماكنهم و طفقوا يهرولون في كل مكان و يصرخون بأصواتٍ عالية فيما عدا هلال الذي وثب مكانه في هدوءٍ تام تلفت معه حول أركان المنزل بحثاً عن ذلك الجرد الذي يتحدثون عنه، أما عن عبد الصبور فكان يهرول بسرعة بأركان المنزل بحثاً عن ذلك الجرد بمساعدة كل من لؤي و هلال، و والدة

لؤي و باقي الفتيات كانوا يقفن على الأرائك و ينتقلن من مكانٍ إلى آخر هرباً من ذاك
الجرذ الذي يُهرول في كل مكان على الرغم من صرخاتهن العالية.

إنقط شهاب كل ما حدث بكاميرته و الابتسامة الشيطانية على ثغره و التي تبعها
بقوله:

-أنا بحب صحابي ... أنا بحب صحابي...-

تبع حديثه بقهقهاتٍ شيطانية تتم عن تلك الكارثة التي افتعلها و التي أفسدت اليوم
بُرمته...

يتقاطر العرق من جبينه و هو بداخل تلك الحجرة المليئة بالأجهزة و العديد من
المعدات، كانت يدها تعبثان بتلك الأجهزة و ضربات قلبه تنبض بسرعة و كأنها على
شفاة الانبثاق من جسده، يتلفت برأسه في كل مكانٍ حوله ليتأكد أن لا أحد يراه، فما إن
تأكد من ذلك حتى أخرج المقص من جعبته و قرّبه من تلك الأسلاك كي يمزقها حتى
تتعطل تلك الأجهزة، فهذه الأجهزة هي التي يتم استخدامها في تجارب نقل الأرواح

...

انتهى مما يفعله و هرع بسرعة من الحجرة يُخرج الهاتف الخاص به و يُجري
مكالمة ذات أهمية بالغة:

-أيوة يا إسلام ... أنا عطّلت الأجهزة، لازم تتحركو بسرعة قبل ما تتصلح تاني...-

أشرقت شمس يومٍ جديد و كان مُعتز في تلك الأثناء داخل المنزل يتولى نقل الأمتعة
الخاصة بهم إلى منزلٍ آخر بناءً على رغبة إسلام، فالحقيقة أن عائلة إسلام قد ورثت
بناية ذات خمسة طوابق في تلك البلدة و قام جده الأكبر بغلقها بعد أن انتقلوا إلى
محافظة أخرى، و بما أن والده سيأتي إلى القاهرة، فعليه أن ينتقل إلى بنايتهم برفقة

إسلام و يترك هذا المنزل الذي قام بتأجيريه، كان من المفترض أن يسكن إسلام بتلك
البناية منذ أتى لكنه لا يُحب المكوث وحده لذلك يبيت مع صديقه على أمل أن ينتقل
إلى تلك البناية برفقة زوجته..

كان العمال يتوغلون المنزل و يحملون الصناديق المُحملة بأمتعتهم كي يضعونها
داخل الشاحنة، ساعدهم معتر ببعض الأمور و كان يراقب حركتهم حتى لا تنهشم
الأمّعة بين أيديهم.

أمسك أحد الرجال إحدى المزهريات الأنيقة المُرتكئة بإحدى الأماكن، كان من
المفترض أن يضعها داخل الصندوق و يحملها مع بقية الأمّعة، لكنه كان يُحدق بها
بإعجابٍ واضحٍ لاحظته معتر فسأل:

- هو في حاجة ؟

انتبه الرجل لسؤاله فقال:

-مفيش يا رياسة ... بس..

رفع المزهريّة بالقرب من معتر ثم سأل ببعض الحرج:

**- هو حضرتك عايز الفازا دي في حاجة ؟ ... أصل في واحد أعرفه بيحب الحاجات
دي أوي و هيخدمك في السعر**

رمق معتر المزهريّة لبرهة ثم أردف:

-هيديني كام يعني ؟

آجابه الرجل بثقة:

-هيديك إلی إنت عايزه

فكر معتز هنيهة في عرضه الذي استحسنه لأن تلك المزهرية لا يحتاجها بتاتاً، فهي قديمة و أثرية أيضاً و قد أخذها هدية من إحدى أصدقاء والده، لذلك فهي لا تعني له شيئاً نظراً لكونه يمقت ذاك الرجل الذي هداها له، وجه نظره مجدداً للرجل و هو يُدلي قراره :

-و أنا موافق....-

كان صباحها مُفعماً بالنشاط و الحيوية، حيث استيقظت من الصباح الباكر لأنها لم تنم ليلة البارحة، كانت تقف أمام المرأة تضع القليل من مستحضرات التجميل و تصفف خصلات شعرها المموجة استعداداً للعمل، التفتت بجسدها إتجاه الفراش لتأخذ حقيبتها الموضوعه عليه، لكن...

انقبضت أساريرها مع شهقة خرجت من فورها بسبب هذه الصدمة، فما إن التفتت حتى وجدت إسلام يقف وراءها داخل حجرتها!!

-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم حد يظهر كدة فجأة يا بني آدم إنت ... و بعدين إنت دخلت الأوضة إزاي و قولت إيه لماما ؟

كانت توبخه بحديثها لكنه أجابها ببساطة حملت الحقيقة:

-لأ ما هو أنا مش موجود عشان مامتك تقول حاجة

إقتربت منه بضع خطوات و الحيرة تُرتسم على وجهها و هي تقول:

-مش موجود إزاي؟؟ ... هو أنا بتخيلك ولا إيه؟؟

أجابها بتفسير:

-لأ إنت مش بتخيلي، انا موجود فعلاً، بس محدش يقدر يشوفني غيرك

أومات داليا بعد أن فهمت مقصده و لا تعلم حقًا لما فعل هذا لذلك سألت:

-أاه، و إنت بقى جاي تتفرج على الأوضة ولا عشان تطلعني مجنونة قدام ماما بعد
ما تشوفني بكلم نفسي؟؟

إرتمى إسلام بجسده على الفراش و هو يُجيبها ببعض الصرامة:

-أنا جاي أقولك إننا لازم نتحرك و نجيب البحث بتاعنا قبل ما تحصل مصيبة

جلست داليا جواره على الفراش و هي تسأل:

-أنا كنت لسة هقولك كدة، أنا اتصلت بقمر و كوكي و قولتلهم إننا هنتجمع بليل
عند كوكي في الجنية، و إنت كمان قول لمعتز

أوما إسلام و هو يثب مجددًا من الفراش و يستعد للرحيل:

-قشطة، انا هرجع بقى لجسمي و نتقابل بليل

كاد يهم بالرحيل لكن داليا أوقفته بقولها:

-إسلام استنى...

استدار لها إسلام فأكملت:

-هو إنت معندكش موبايل زينا؟؟

تعجب إسلام من سؤالها لكنه آجاب على أي حال:

-لا عندي أكيد

ما إن أدلى إجابته حتى اندفعت بوجهه:

-أومل جاي لحد هنا ليه طالما ممكن تقولي الكلام ده على التليفون عادي

إقترب منها إسلام و هو يُبرر لها بيديه:

-عشان إحنا ممكن نبقي متراقبين، التكنولوجيا مبقتش آمان دلوقتي

أدلى بتلك الجملة قبل أن يقفز من النافذة و يرحل من الحجرة، بقيت هي وحدها
تحادث نفسها بحيرة:

-متراقبين !! ... هو الواد ده طالع من فيلم أجنبي؟؟

باتت عيناه حمراء من شدة الغضب الذي جعل النيران تتدفق من أذنيه، فقد كان داخل
الحجرة المليئة بالأجهزة أمامه العديد من العلماء يُلقى عليهم شطراً من غضبه الجامح
بسبب ما حدث، فمن هذا الذي تسبب في إتلاف تلك الأجهزة شديدة الأهمية؟

-يعني إيه متعرفوش مين إلي عمل كدة ... الأجهزة دي المفروض تبقى تحت
مسئوليتكم

هتف ضرغام بتلك الجملة بصوتٍ جهوريٍ غاضبٍ كادت النيران تنبثق معه، أما عن
العلماء فكانت أقدامهم ترتجف من الخوف و القلق مما سيفعله ضرغام بهم.

-يا أستاذ ضرغام إحنا كنا بنعمل التحاليل و الأوضة كانت فاضية_

قطعه ضرغام بنبرة أعلى:

-إنت هتقولي قصة حياتك !! ... الأجهزة دي لازم تتصلح تاني و في أسرع وقت

أتاه صوت أحد العلماء و هو يقول:

-يا ضرغام بيه، التصليح هياخد شهرين بالكثير أوي

تقدم نحوه ضرغام و هو يُشهر سبابته أمام عينه بأعين متسعة تتم عن التهديد الذي اردف معه:

-هو شهر واحد و الأجهزة دي تتصلح ياما كلكم هتترفدو

أدلى هذه الجملة ثم هرع من الحجرة تاركًا العلماء يرتعدون من الخوف و مخيمر يراقب ما يحدث من بعيد، و يعلم أنه السبب فيما حدث حتى يجني بعضًا من الوقت حتى يستطيع إسلام و داليا اقتحام المعمل و سرقة أبحاثهم، فيجب أن يبقى على دُور الجاسوس و نقل جميع المستحدثات دون أن يتدخل أكثر من هذا حتى لا يتم طرده نهائياً....

كان القمر ساطعًا في تلك الليلة التي تجمعوا بها بالحديقة الفسيحة الخاصة بمنزل كوكي، حيث كان يجلس معتز على أريكة و قبالته كوكي على بُعد بضعة أمتار، كانا يتحدثان في هيامٍ و مرح و هما يتخيلان حياتهما سوياً في منزلٍ واحد مع أبنائهما في المستقبل، خرجت قهقهة حرجة من فم كوكي و هي تنصت إلى أحاديثه التي تُصيبها بالحرج، و كان لهذه البسمة سحر خاص اخترق أسارير معتز و جعلته يقول بتلقائية:

-طب و الله ضحكك دي المفروض تشتغل مع الإرهابيين

رسمت بسمة على ثغرها و هي تسأله بحيرة:

-إשמعنا

آجابها بهيامٍ جعلها تبتسم أكثر:

-أصلها بتخطف قلبي من جوة

قطع إسلام لحظة الهيام هذه بعد أن شعر و كأنه سيتقياً:

-يخرب بيت سماجة أهلك ... هي ناقصة مُحن إنت و هي

تلاشت تلك اللحظة الرومانسية و حلّ محلها عوالم الاستنكار من ذاك الذي أوقفهم، أما عن داليا فقد أحببت ما يحدث بينهما و اضجرت من إسلام لأنه يتدخل في أمور لا تعنيه.

-ما تسببهم يا إسلام براحتهم .. ده شكلهم كيوت أوي

رمقها إسلام بأشمزاز و ما كاد يتحدث حتى وجدا قمر تتقدم نحوهم بصحبة لؤي الذي طلبت منه أن يأتي و يتعرف على رفاقها كي يساعدهم، وثبوا من أماكنهم يصافحونه بؤد و يبدأو التعريف بأنفسهم أولاً، ما إن انتهت فقرة التعريفات حتى إرتكن لؤي على إحدى المقاعد ليبدأ الحديث بجدية:

-إيه بقى مشكلتكم؟ ... قمر قالتلي إنكم محتاجيني

تبادلت النظرات بينهم في محاولة لبدأ الحديث دون أن ينعتهم لؤي بالجنون، لم يجد إسلام من الكلمات ما يقولها لذلك بدأت قمر الحديث بقولها:

-هو الموضوع غريب شوية بس...

أشارت على إسلام و داليا و هي تواصل:

-إسلام و داليا يقدرو يدخلو في جسم بعض وقت ما هما عايزين ... و مش بس كدة، دول ممكن يمشو بروحهم في أي مكان

كان حديثها ثقبلاً على عقل لؤي الذي أقنعه أن ما يقال له هو محض هراء ليس إلا، بادل نظراته ما بين إسلام و داليا و عوالم البلاهة تُرسم على وجهه أثناء سؤاله:

-يعني إيه الكلام ده ؟

بادرت داليا بالتفسير أكثر متعمدة الدخول في صُلب الموضوع:

-في تجربة اتعملت زمان خليتنا كدة، بس مش ده المهم ... المهم إن في واحد
خدعنا و عمل علينا أبحاث عشان يقدر يخلي حد مُتنقل زينا...

أكمل إسلام حديثها بنبرة جادة:

-كنا فاكرين إننا بنقدم حاجة للبلد ... بس للأسف الناس دي طلعت عايزة تتنقل
بروحها عشان تعمل حاجات مش كويسة و تقدر تعيش للأبد

ما إن أدلى هذه الكلمة حتى اتسعت حدقتا لؤي في صدمة من ذاك الحديث، فهو مُتيقن
أنه استمع إلى تلك الكلمة من قبل، تبادلت نظراته مع قمر التي تعتقد أيضاً أن هذه
الكلمة ليست غريبة على مسامعها:

-أنا سمعت الكلمة دي فين قبل كدة ؟

قالتها قمر بحيرة فوجدت لؤي يردف بعدها باستنتاجٍ واثق:

-المنظمة !! ... المنظمة كانت عايزة كدة بردو

وجه حديثه نحو إسلام ليسأله بسرعة:

-هو مين بالظبط إلي ورا كل ده ؟؟

أجابت داليا على سؤاله بصدق:

-واحد اسمه ضُرغام ... كان في الأول عايز ينقل روح مراته، بس أخوه مخيمر
قال إن ده مش هدفه الوحيد

أردف لؤي بسرعة و استنتاج مُتيقن:

-يبقى أكيد ضرغام ده من أعضاء المنظمة إحنا لازم نوقف إلی بیعمله

كان حديثه مُفعماً بالصراحة التي تتبعها إسلام بقول:

-مخيمر قال إننا لازم نثبت روح مراته الأول ... عشان طول ما هي مُتنقلة هتبقى
خطر علينا، خصوصاً إنها تقدر تدخل جسمي أنا و داليا

أضافت داليا على حديثه بلهفة:

-و إدانا كمان ورقة مكتوب فيها طريقة تشغيل جهاز التثبيت

استدارت بوجهها نحو إسلام لتسأله:

-هي فين الورقة يا إسلام؟؟

أجابها إسلام بصدق:

-أنا حطيتها جوة فازا كدة في البيت، بس مش عارف الفازا راحت فين

وجه حديثه نحو مُعتر الذي كان يُثرثر مع كوكي و لا ينتبه لأي من أحاديثهم:

-بقولك إيه يا زيزو ... هي الفازا إلی كانت جنب الباب راحت فين؟؟

عقد معتر حاجبيه بحيرة و هو يسأل:

-الفازا !! ... هو إنت عايزها؟

أجابه إسلام فوراً:

-أه عايزها هي فين بقي؟؟

بقيت الأعين تراقبه في تحفز جعل الارتباك يكتنفه و الحروف تتلعثم بداخله و هو
يقول:

-لأ ما هو أناا بيعتها... !!

الفصل الثاني عشر (عُثْر عليها)

تلك الشجاعة التي تدفعك لخوض طريق وعِرٍ مليءٍ بالمعوقات، تختفي ما إن تُصبح
بمنتصف الطريق...

-بعثها!!!-

خرجت هذه الجملة من أفواههم بصوتٍ واحدٍ و بنبرة مرتفعة تجعلك تعتقد أنها ستهدم
الجدران، أما عن مُعتر فإن يرمقهم بتيهٍ لا يفهم سبب حاجتهم لتلك المزهرية، لكنه
استقبل نظراتهم اللائمة ببعض الارتباك الذي جعله يتيقن أنه افتعل جُرماً جثيماً...

-يعني إيه بعثها؟؟ ... و بعثها ليه من غير ما تقولي؟؟-

كان هذا سؤال إسلام المصوّب نحو معتر الذي أجابه بتبرير:

-و الله ما أعرف إنكم عايزين الفازا...-

بقي يُبرر لنفسه و كم أن هذه المزهرية ستجعله يجني المزيد من الأموال التي هو
بأشد الحاجة إليها:

-طب إنت بعثها لمين؟؟-

سأله لؤي بصرامة فأجاب مُعتر بعد تفكيره لبرهة قصيرة:

-بعثها لواحد من إللي بينقلو العفش، هو قالي هيتصرف فيها-

هدأ لؤي من تلك الأوضاع المُرتبكة بإدلاءه للحل النهائي:

-خلاص ... إحنا هندوّر على الفازا الأول و بعدها أنا هقولكم هنعمل إيه بالضبط-

واقفوه الرأي على أن يتم العثور على تلك المزهرية و تلك الورقة المهمة المُتدثرة بداخلها، فبدون تلك الورقة لن يستطيعوا اختراق المعمل و أداء مهمتهم و تلك الحية بطة تقف أمامهم...

أما عن داليا فكان الغضب يمتلكها خاصة بعد أن ائتمنت إسلام على تلك الأوراق و هو قد أضاعها، فهي ترى أنه تعمد وضع الورقة في مكانٍ أحمقٍ حتى يفقدها و يستطيع أن يهرب بتلك النقود التي جناها من تلك التجربة، و لا يضطر التخلي عن تلك الأموال بعد أن يُدمروا أبحاثهم، لذلك كان الغضب طاغ على صوتها و هي تُخبره:

-في الأول سمعت كلامك و عملت الأبحاث إليّ ممكن تبقى خطر على البشرية، و دلوقتي مش قادر تحافظ على حته ورقة هنستخدمها!!

اضجر إسلام من لكنتها المُعاتبة فحاول التبرير لنفسه ببعض الحدة:

-أنا مليش دعوة باللي حصل_

قطعت حديثه بغضبٍ أكثر:

-لأ ... إنت السبب في كل ده ... و الورقة إنت إليّ مسئول عنها و إنت إليّ مسئول ترجعها ... انا خلاص تعبت

أدلت بهذه الجملة ثم رحلت من أمامه تاركة إياه يرمقها بعوالم الضجر من تصرفها، ففي النهاية يجب أن يضحيا بمركبٍ واحدة و إلا تدمر هذا العالم بسببهما...

مرّت بضعة أيامٍ لم تتغير فيهم الأحوال، لازالوا يبحثون عن تلك المزهرية و لازالوا يتحدثون عما سيفعلونه مع ضُرغام و كيف سيقفون أمام خطئه المُدمرة، كذلك إنتقل إسلام و مُعترز إلى البناية الخاصة به بعد أن أتى والداه من السفر لينتقل إسلام للمبيت

معهما و يترك معتز ليبيت في منزلٍ آخر بنفس البناية بعد أن أخذ مفاتيحها من والداه...

بهذا اليوم، كان سيد والد إسلام داخل المنزل يُشاهد التلفاز و والدته تُقلم أظافرها بحُجرتها و كأن كلاهما بعالمين مختلفين، طرق معتز الباب عدة طرقات كانت كفيلة بقطع خلوة سيد و جعله يثب من موضعه ليفتح لذاك الزائر نظرًا لكون إسلام بالوظيفة الخاصة به...

-إزيك يا زيزو عامل إيه؟؟

قالها سيد ما إن فتح الباب و ظهر أمامه معتز بيتسم ابتسامة مُشرقة و يدلّف إلى المنزل بعد أن تلقى الدعوة من سيد، جلس كلاهما على أريكة البهو فأخض سيد من صوت التلفاز لينصت إلى مُعترز الذي بدا في قمة إرتبائه...

-ها ... مالك ؟ شكك متوتر

قالها سيد بمرحٍ ليُخفف من تلك الأوضاع، سرق مُعترز نفسًا عميقًا قبل أن يقول:

-عمي أناا أنا بحب واحدة و عايز أتجوزها_

كاد يواصل الحديث لكن سيد قطعه و كأنه يعلم ما سيقوله جيدًا:

-عارف ... إسلام حكالي على كل حاجة ... و كنت مستنيك تقولي من بدري

أحنى مُعترز رأسه بحرجٍ و هو يقول:

-منا كُنت_

قطعه سيد مرة أخرى و هو يضع يده على كف مُعترز لبيته بعض الطمأنينة:

-إنت زي إبني يا مُعتر ... متكسفش من حاجة، و أنا يا سيدي من بكرة هروح
أخطبهالك

اتسعت بسمة مُعتر من ذاك الحديث بعد أن اختصر عليه سيد العديد من الكلمات التي
كانت ثقيلة على لسانه و لا يعرف كيف كان سيقولها، أنهى مُعتر الحديث بامتنان
امتزج مع ابتسامته الهادئة:
-شكرًا يا عمي

رد عليه سيد بطريقته المرححة و المعتادة أيضًا:

-بتشكرني على إيه يا واد..

وثب سيد من مكانه ليعرض عليه:

-إنت هتتعدا معانا إنهاردة ... أنا عامل بشاميل بالسُجق يستاهل بوقك

وثب مُعتر من مقعده يتشكر سيد بؤد و يستأذن كي لا يتأخر عن عمله:

-لا شكرًا ... أنا لازم أمشي...

و هكذا انتهى الحديث بينهما و استقل معتر سيارته بصدري رحبٍ لا يُصدق معه أن
الأمر مرٌّ بهذه البساطة و اليسر و كأن العالم بدأ يبتسم له مُجددًا....

نثرت الشمس أشعتها الخلابة على وجهها و هي تجلس بين الحشائش الخضراء
مُتربعة على قدميها تستغل ساعات الراحة القليلة في ممارسة شيءٍ تهواه، كان أمامها
لؤي يجلس هو الآخر مُتربعا على قدميه بعد أن تمت خُطبتهما و أضحى يستغل
الساعات القليلة التي يتفرغ فيها كي يراها و يتحدث معها، فالحديث معها يُجدد بداخله
خلايا السعادة التي من شأنها التخفيف قليلاً من حدته المعتادة...

بعد برهة من الجلوس في حالة من الصمت و الغوص في أعماق أفكارهما، فتح لؤي عينيه ليجدها تفتح عينيها هي الأخرى و تسأله بابتسامة هادئة:

-بقيت أحسن؟؟

اكتفى بإيماءة بسيطة برأسه أرسلت لها أن تمارين التأمل خاصتها قد أنت ثمارها و جعلته يشعر بالهدوء و السكينة كما لم يشعر من قبل.

-أنا كنت متأكدة

قالتها بفخرٍ من ذاتها لتمر بعدها برهة من الصمت قطعها لؤي باستفسار:

-هو إنتِ إزاي إتعلمتي التنويم المغناطيسي ... و عرفتِي إزاي إنه موجود ؟

فردت قمر ركبتيها كي لا تشعر بالتنميل في قدميها، أجابته بعدها بصدق:

-الحكاية كلها إني كنت عايزة أهرب من الواقع ... ففضلت أروح عند ناس مُتخصصة في الروحانيات و المهارات الذهنية لغاية ما اتعلمت التنويم المغناطيسي

...

غيرت من نبرة صوتها لتضحى أكثر علمية و هي تقول:

-التنويم المغناطيسي صعب نعمله لحد تحت تأثير التخدير، و للأطفال تحت الست سنين، و إللي بياخدو أدوية نوم كمان ... و عشان تعمل تنويم مغناطيسي لازم تدخل الشخص إللي قدامك في حالة من الهدوء التام ... بتخليه يركز على نقطة مُعينة لغاية ما يغمض عينه تلقائي ... بيبقى الإنسان في عالم ثاني، بس في نفس الوقت بيبقى قادر يسمع إللي حواليه، و ده ساعات بيخليه يجاوب على أي سؤال من غير ما يحس إنه بيجاوب عليه

همهم لؤي بتفهم و لازال يُفكر في حديثها الذي يبدو هامًا، أنهت معه الحديث بقولها:

-في كتاب اسمه 450 مهارة ذهنية ... الكتاب ده بيعرفك إن الإنسان بيستخدم 20 في المية بس من قوة عقله ... و لو قدر يستخدم قوة عقله كلها هيقدر يعمل حاجات كثير ... هيقدر يقرأ الأفكار و يعمل تنويم مغناطيسي و حاجات ثانية

أبدى لؤي ذهوله من حديثها و معلوماتها التي لم يكن يعرفها من قبل، بقي لفترة في حالة من التفكير و الذهول قطعتها هي بإخراجها لبعض البطاقات من جعبتها و تقريبيهم نحوه لتضعهم على الحشائش و هي تقول:

-تيجي أقرالك التاروت؟؟

عقد لؤي حاجبيه بحيرة و هو يسأل:

-إيه؟؟

تداركت قمر رغبته في معرفة عما تتحدث و طلبت منه:

-إسحب ثلاث ورقات من دول و أنا هشرحك معناهم

استجاب لؤي لحديثها بتيه ثم وضع يده على البطاقات لينتشل واحدة منهم بطريقة عشوائية، فكانت البطاقة الأولى تحمل زوجين من الخيول، أحدهما أبيض اللون و الآخر أسود اللون و هناك فارس يقودهما باستخدام عربية قديمة، أما البطاقة الثانية فكانت لسيدة تعتلي عرشها برداء أبيض و جدار يحمل اللونين الأبيض و الأسود مع هلال أسفل قدميها، و البطاقة الثالثة كانت لرجل و فتاة يبدو أن هناك قصة تربط بينهما، لكن هناك أيضاً رجل بأجنحة حمراء يبدو و كأنه عاقبة بينهما، أشارت قمر على البطاقة الأولى كي تُفسرها:

-دا كارت العربة، بتقول إنك لازم تكمل طريقك و تتغلب على كل التحديات، و بترمز للنجاح و الطموح ... و دي ورقة الماضي

أشارت على البطاقة الثانية لتواصل:

-و دي ورقة الحاضر ... الكاهنة العظمية، بتقول إنك لازم تثق في إحساسك، و إن في حاجة إنت هتحس بيها في الأول و هتطلع حقيقة

أشارت على البطاقة الثالثة كي تُنهي الحديث:

-أما دي ورقة المستقبل، بطاقة العشاق، معناها إن في قرار لازم تاخده، و في حاجتين هتضطر تختار ما بينهم

مرّت برهة من الصمت قامت هي فيهم بجمع الأوراق مُجددًا بينما هو كان يُفكر في حديثها حتى سأل:

-هو الكلام ده حقيقي؟؟

نفت برأسها و هي تُجيبه:

-لأ مش حقيقي، محدش يقدر يعرف القدر بس ساعات الناس بتحب تصدق الوهم عشان تهرب من الواقع...

أتدري ذاك الشعور الذي تفقد فيه القدرة على التحكم بأعضائك ؟ .. هكذا كانت حالته و هو يجد قدماه تخطان قُرب العيادة الخاصة بها، لم يكن من أولئك الرجال الذين يتعلقون بأحدهم بهذه السهولة، فلطالما نعته أصدقاؤه بالمتكبر الذي لا يكثرث لأي أحد حتى صدق أنه هكذا بالفعل، أما الآن، فهو يشعر بأن فؤاده قد بدأ ينجذب إلى تلك الفتاة التي لا يعرف لما إجتمع بها دونًا عن غيرها، و كأنه مُقدر عليه أن يواصل حياته معها....

كانت طيلة هذه الأيام تتجنب الحديث معه و تتجنب كذلك رؤيته، لا يعلم هي تفعل هذا لأنه لا يوجد ما يجمعهما سويًا، أما أنها لازالت غاضبة من آخر جدالٍ حدث بينهما خاصة و هم لا يزالون يبحثون عن تلك المزهرية حتى تبدأ خطتهم الكبيرة....

-إسلام!!-

قالتها داليا بحيرة و هي ترى إسلام يتقدم نحوها حتى جلس قبالتها على المكتب
بملامح جامدة يبدو عليها الغضب الطفيف، قابلت ملامحه الجامدة بلامبالاة و هي
تتقدم بجذعها و تسأل:

-في إيه؟؟ ... مش المفروض تكون في المستشفى؟

وضع رُكبته فوق الأخرى ليسترخي بظهره على المقعد أثناء إجابته:

-والله المفروض أكون فين دي حاجة تخصني....

همهمت داليا بلامبالاة ثم سألت مجددًا:

-طب إنت هنا ليه؟؟ ... عايز حاجة؟

اعتدل إسلام في جلسته ليقترب منها يحاول أن يستفسر ما حدث معها بالأونة
الأخيرة:

-عايز أفهم في إيه؟؟ ... اختفيتي فجأة من ساعة إللي حصل

آجابته بعوالم باردة:

-أعتقد إن دي حاجة متخصصكش ... بعدين أنا مختفيتش، أنا بس مستنية لغاية ما
نعرف مكان الفازا إللي فيها الورق إللي كان المفروض يبقى معاك

ألقت اللوم عليه بحديثها و هذا ما جعله يضجر قليلًا:

-أنا مكنتش أعرف إن معتر هيعمل كدة ... و بعدين إحنا المفروض نكون واحد،
يعني المفروض ندور عليها سوا

احتدت داليا و هي تُجيبه:

-لأ إحنا مش واحد، ولا يُمكن نبقي كدة، إحنا مفيش حاجة تربط بينا غير الأبحاث
إلي عايزين نتخلص منها، غير كدة أنا مش مُجبرة إني أتكلم معاك

لم يكن هذا الحديث نابغًا من فؤادها، فهي تحاول أن تتجنبه كي لا تتعلق به أكثر من هذا و ينتهي بها المطاف مثل والدتها، لذلك فهي تحاول بكل جهدٍ ألا تتحدث معه مُجددًا، لم يفتنع إسلام بحديثها و كان غاضبًا أيضًا لأنها تضع اللوم عليه في كل ما حدث، صحيح أنه كان السبب بإجراء تلك الأبحاث اللعينة، لكن هذا لا يعني أن تتركه يخوض المعركة وحده، فهما مُرتبطان ببعضهما مهما أنكرت هذا، كل هذا الأفكار دارت حول رأسه و جعلته غاضبًا من عدم اكترائها...

وثب من مكانه ليضرب على الطاولة بحدة أعربت عن حنقه من تصرفاتها غير المفهومة...

-لأ إحنا واحد، و أنا هشتبك

بصق كلماته بإصرار ثم رحل من مكتبها عازمًا على إثبات عدم مقدرتها على العيش بدونه و الاعتراف بأنهما كيان واحد أيضًا...

يرمق ساعته في كل وهلة و هو يقف بمُنْتَصَف هذه الحديقة الشاسعة التي من المُفترض أن يلقي بها كوكي، فتلك البُقعة قريبة من منزلها و هي قد أخبرته أنها لن تحتاج إلى وسيلة مواصلة كي تذهب إليها، فربما تريد أن تسير على قدميها قليلًا....

بعد برهة من الوقت، وجد طيفها يتقدم نحوه و يبدو و كأنها تمسك بحبلٍ ما مؤصل بعُنق كلب كبير كثيف الفراء ذا اللون الذهبي، كانت كوكي ترتدي ثيابًا رياضية و تربط شعرها البرتقالي لأعلى مما جعل مظهرها جذابًا بالنسبة إلى الجميع، فنراها طاغ على ثيابها و هيئتها الساحرة، رمته بابتسامة بشوشة و هي تلوح له ثم تتحني بجذعها نحو كلبتها اللطيفة كي تجعلها تُصافح مُعتر و كأنها تفهمها...

-بُص جيبي

رماها معتز بابتسامة لطيفة ثم وضع يده بهدوء على ظهر الكلبة ليُمسد عليها بحنان

...

-هي اسمها جيبي؟؟

نفت كوكي سؤاله بقولها:

-لأ ... اسمها جيهان، بس أنا بقولها يا جيبي

تلاشت بسمة مُعتر ما إن استمع إلى اسم الكلبة الذي بدا مألوفًا بالنسبة له، ما هي إلا برهة حتى أردف بصدمة:

-جيهان !! ... إنتِ مسمية الكلبة على إسم أمي!!

اتسعت بسمة كوكي و هي تردف بلهفة و دهشة:

-واو .. إنتِ مامتِك اسمها جيهان ؟؟؟ " what a coincidence يا لهذه الصدفة" !!

بقيت عوالم مُعتر جامدة لا يعلم سبب سعادتها بهذه الصدفة الحمقاء، لكنه تدارك الأمر فورًا و طفق يتجول بالحديقة مع كوكي و جروتها ليبدأ الحديث بينهما بجدية:

-عرفت الراجل إليّ إشتري الفازا؟؟

نفى مُعتر برأسه دلالة على الجهل و هو يقول:

-لسة ... مش عارف أوصله

توقفت كوكي عن السير بعد أن لمعت فكرة بذهنها قد تساعدهم:

-طب أنا جاتلي فكرة-

توقف معترز هو الآخر لينتبه إلى حديثها بأذانٍ صاغية:

-إحنا ممكن نجيب رقم شركة الشحن و نعرف بيانات الناس إلي بتشتغل فيها
عشان نقدر نطلع الراجل إلي أخذ الفازا ... أكيد عارف شركة الشحن .. صح؟؟

استحسن معترز هذه الفكرة خاصة و أن كوكي ماهرة في كل ما يخص الحاسوب، أو ما برأسه دلالة على معرفته لهذه الشركة التي نقلت أمتعته إلى المنزل و هذا ما شجع كوكي على مواصلة الإدلاء بفكرتها بكل لهفة:

-كويس ... يبقى تعالى معايا نجيب اللاب توب و ندور عليه...

انتهى وقت الدوام أخيرًا و حان الوقت للعودة إلى المنزل و التمتع ببعض الوقت الهاديء، استقلت سيارة الأجرة لعلها ستقلها إلى منزلها، و هي على هذا الوضع منذ فترة وجيزة بعد أن رفضت أن تقلها كوكي إلى منزلها رغبة في الاستقلال و الاعتماد على ذاتها، أرخت ظهرها إلى الوراء و كانت على وشك النوم لكن فجأة...

انتفض جسدها لتجد نفسها داخل حجرة صغيرة يبدو و كأنها مخزن للأدوية و المعدات الطبية، اشتعلت برائن الغضب بداخلها لأنها متيقنة أن إسلام قد خالف قوانينها و اخترق جسدها دون أن يُخبرها، سبته بقرارة نفسها ثم هرعت نحو الباب كي تفتحه لتنتقم منه، بقيت تُحرك مقبض الباب بعنف لكنه لا يفتح، فهذا الإسلام قد أوصد الباب و أخفى المفتاح في مكانٍ ما حتى يسجنها داخل هذا المكان.

ركلت الباب بقدمها بكل ما أوتيت من قوة ثم طفت تبحث في كل مكانٍ عن المفتاح كي تهرع من هنا و تُلقنه درسا...

أما إسلام فكان داخل جسدها يُخبر السائق أن يتوقف في مكان ناءٍ خالٍ من السكان و الإضاءة، فما إن توقف السائق عند البقعة المرادة حتى ترجل إسلام و بقي يسير في الطرقات حتى رحلت السيارة و يعود هو مجدداً إلى جسده العزيز.

عادت داليا إلى جسدها لتجد نفسها ببقعة نائية شديدة الظلام أشعرتها بالرهبة، طفقت تتلفت حولها في تيهٍ تحاول العثور على أية وسيلة مساعدة لكن محاولاتها بائت بالفشل، فهي لا تفقه أي شيءٍ عن الأماكن و دائماً ما تضل الطريق.

ضربت على الأرض بغضب بعد أن سارت لعدة أمتارٍ و اتصلت بصديقتها لتساعدها لكن كوكي لا تُجيب على مكالماتها و قمر لن تستطيع مساعدتها بالطبع لعدم امتلاكها لسيارة و لعدم موافقة والدتها على الخروج من المنزل في مثل هذا الوقت، هذا يعني أنها لا تمتلك أية وسيلة مساعدة سوى واحدة فقط تحاول تجنبها لكن يبدو أنها ستضطر لاستخدامها.

أخرجت الهاتف الخاص بها لتُجري مكالمة ما قالت فيها بنيران تشتعل من أذنيها:

-ممكن أفهم إيه شغل الأطفال إلي بتعمله ده؟؟ ... مش إتفقنا إن محدش يدخل
التاني من غير إذن؟؟

أجابها إسلام ببرود أرخى معه ظهره للوراء و هو يجلس على مكتبه بعد أن خرج من تلك الحجرة:

-الكلام ده أيام ما كنا واحد ... لكن دلوقتي القوانين اتغيرت

هتفت داليا بنبرة تزداد غضباً:

-يعني إيه القوانين اتغيرت ... إنت ملكش حق تتحكم فيا

واجهها إسلام بحديثٍ حاد:

-ولا إنت ليكي حق إنك تمشي بالسهولة دي ... إحنا زي ما بدأنا لازم نكمل ... و
إنتِ هتساعديني نرجع الفازا و نتخلص من الأبحاث

أنهت داليا الحديث بنفاد صبرٍ و غضب:

-طيب خلاص ... هساعدك نتخلص منهم مع إن إنت السبب في كل ده أصلاً ... و
بعدها مش هتشوف وشي تاني

بقيت تزفر الهواء في غضب استشعره إسلام و قرر الوثوب من مكانه كي يساعدها
على أن تنفذ هذا الوعد...

فتحت الخادمة باب المنزل الفسيح لتقتحمه داليا بشعرٍ مُشعثٍ و وجهٍ يبدو عليه
الإرهاق و الغضب، أبعدت هذه الخادمة عن طريقها و بقيت تسير بأركان المنزل
حتى توقفت عند حجرة كوكي التي ما إن رأتها حتى أغلقت حاسوبها بعوالم الحيرة
بسبب حالتها الرثة:

-داليا " what is wrong ... ماذا بكِ ؟"

إرتمت داليا على الفراش و هي تقول بغضب:

-كله من الزفت إللي اسمه إسلام

جلست كوكي جوارها على الفراش لتفهم منها أكثر:

-هو عمل حاجة؟؟

إنفجرت داليا بوجهها و هي تُجيب:

-حاجة واحدة !! ... ده عمل كل حاجة ... أقنعني أعمل أبحاث لناس معندهاش
ضمير ... و ضيِّع ورقة مهمة كان ممكن تساعدنا ... و فوق ده كله عايز يتحكم فيا

هدأت كوكي من روعها و هي تُفسر لها:

-بس إنتي عملتي الأبحاث دي بمزاجك ... و إسلام مكنش قاصد يضيع الورقة، و
أكيد كان متعصب من إلي بتعمليه طول الفترة إلي فاتت هو معملش حاجة
عشان " to be mad at him كي تغضبي منه"

هاجمتها داليا بحديثها:

-إنتِ كمان بتدافعي عنه!!

احتدت كوكي قليلاً و هي تدافع عن إسلام:

-أيوة بدافع عنه، عشان هو مش غلطان ... إنتِ إلي فاكرة إن كل الرجالة شبه
باباكي، و لما موضوع الفازا ده بقى موجود التروما رجعتك و فضلت تقولك إنه
هيكون السبب في كل حاجة زي ما باباكي كان

ارتبكت داليا قليلاً من حديثها الصادق لكنها غطت هذا الارتباك بوشاح من الإصرار
و هي تقول:

-لأ ... الكلام ده مش حقيقي، هو أصلاً السبب في كل حاجة و أنا متأكدة، بعدين أنا
مش بقارن حد ببابايا

حاولت كوكي إستدراجها بالحديث بقولها:

-داليا " admit it اعترفي بذلك " .. إلي عمله إسلام كان غصبِ عنه، و مش
من أول غلطة يعملها تفتكري باباكي، ... that is wrong إحنا بنى آدمين و كلنا
بنغلط، و مش معنى إن إسلام معترفش بغلطه يبقى هو زي your dad فلازم
تبعدي عنه

إقتربت منها أكثر لتُفسر حديثها:

-أنا عارفة إن مش صحيح إننا نتكلم مع ولاد و ناخذ و ندي معاهم، بس إنتو
الإثنين محتاجين بعض، و مينفعش تتخلي عنه عشان التروما إلي عندك

أنكرت داليا حديثها بقولها الصارم:

-أنا معنديش تروما ... إلي بعمله ده هو الصح

أصرت كوكي على حديثها بحدة:

-لأ عندك تروما يا داليا ... إنت مش بتتقي في الرجالة، خصوصاً إلي بيقربو منك،
و بتخافي كمان من الارتباط و الجواز ... و كلنا عارفين ليه حتى إنت

تفاقم الغضب داخل داليا مما جعلها تثب من موضعها و تتهى الحديث بصرامة أكثر:

-أنا مش عندي تروما " عُقدة نفسية "، و محدش ليه دعوة بحياتي...

هرعت بعدها من الحجرة تاركة كوكي ترمقها بعوالم خيبة الأمل من صديقتها التي لا
تريد الاعتراف بعُقدتها النفسية، لكن من يعلم، ربما هذا الذي ظهر بحياتها عنوة
يستطيع أن يجعلها تتخطى هذه العُقد...

اخترقت أشعة الشمس الذهبية أركان هذه الحجرة مما أفقدها القدرة على النوم، فتحت
عينيها بوهنٍ تستقبل هذا الشعاع بأعينٍ ناعسة تجاهد كي تفتحها حتى تستيقظ و تباشر
أعمالها، لكنها ما إن فتحت عينيها حتى انتفض جسدها فجأة و هي تراه أمامها يجلس
بهدوء على إحدى مقاعد الحجرة و كأنه لم يخترق حجرتها للتو...

-إسلام!!

قالتها و هي تعتدل في جلستها لتثب من الفراش و تواجه هذا الدخيل بنظرات
غاضبة:

-إنت بتعمل إيه هنا ؟؟ ... و إزاي تدخل علي الأوضة و أنا نايمة

تفحص إسلام شعرها المُشعث و منامتها الواسعة و هيئتها الشبيهة بالغول الذي
استيقظ للتو من مضجعه، سخر من حديثها و هو يقول:

-دا على أساس إنك ملكة جمال و إنتي نايمة ... بعدين متقلقيش أنا لسة داخل

اضجرت داليا أكثر من فظاظته و حاولت لملمة خصلات شعرها المتناثرة قدر
الإمكان قبل أن تقول:

-بردو إيه إلی دخلك أوضتي و أنا نايمة ... مش معنى إن محدش يقدر يشوفك
يبقى تعمل إلی إنت عايزه ... البيت ده ليه حُرمتة

ربطت ذراعيها مع آخر كلماتها مما جعله يثب من موضعه و يحادثها بصرامة و
أعين جامدة:

-و أنا جاي هنا عشان أساعدك

حادثته داليا بتملق:

-أنا مش محتاجة مساعدة

أصر إسلام على حديثه و هو يقول:

-لأ محتاجة .. و أنا أكثر واحد عارف أنا و إنتِ واحد حتى لو أنكرتي، و أنا من
حقي أفهم إنتِ بتمري بإيه

رفعت داليا من نبرة صوتها و هي تحادثه:

-لأ مش من حَقك، و مش من حق أي حد يعرف أنا مريت بإيه، ولا حاسة بإيه

أُتاه صوت والدتها من بعيد بعد أن شعرت بالقلق على ابنتها التي أحست و كأنها تتحدث مع أحدهم داخل حجرتها و بصوتٍ غاضبٍ أيضاً:

-إيه يا داليا في إيه ؟

حاولت داليا التهذئة من روعها و هي تقول بسرعة قبل أن تقتحم والدتها الحجره:

-مفيش حاجة يا ماما

تنهدت بعدها بعُمق ثم تمددت على الفراش لتستطيع التحرر من جسدها و الصياح بذاك الأرعن دون أن يسمعها أحد، ما إن استطاعت التجول بروحها حتى إقتربت مجدداً بالقرب من إسلام كي تُخبره بحدة:

-كدة هنعرف نتكلم ممكن أفهم بقى إنت عايز مني إيه ؟ منا قولتلك خلاص إني
هساعدك

قطعها إسلام بنبرة مندفعة:

-مش كفاية ... إنت متغيرة معايا الفترة الأخيرة و أنا عايز أعرف ليه داليا أنا
مش غبي، أنا عارف كويس إنك عايزاني أبعد عنك ... فاكرة إني ضيعت الورقة
بالقصد عشان آخذ الفلوس و أهرب خايفة إني أبقى زي _

قطعته داليا بأعين مغرورة بالدموع تذكرت معها كل ما عانتها و نبرة مرتفعة أشادت
بما يجيش به فؤادها:

-أيوة خايفة ... مش عايزة أعرف حد زي بابا تاني ... مش عايزة أتعامل مع حد
كل همه مصلحته و بس و عمره ما سمع لأي حد...

إرتمت على الفراش تُجفف دموعها المنسابة لتواصل بعدها الحديث بانكسار:

-أنا قضيت طفولتي بين المحاكم و البيوت عُمري ما حسيت بالأمان، علطول بروح من بيت لبيت و من مدرسة لمدرسة لدرجة إني مبقتش عارفة أكُون صحاب غير كوكي و قمر ... عُمري ما اتفسحت و سافرت مع أهلي زي صحابي، عُمري ما حسيت إن عندي عيلة لأنهم مفكروش فيا و هما بيطلقو ... كل واحد فيهم كان بي فكر في مصلحته و بس

انخرطت بالبكاء أكثر مما جعله ينفطر لأجلها على الرغم من الثلوج المُحيطة بقلبه،
جلس جوارها على الفراش يحاول التهدئة من روعها و هو يقول:

-و ليه مفكر تيش تتكلمي معاهم ... ليه بتكبتي كل ده جواكي ؟

أجابته بانكسار و سخرية من وضعها:

-إنت متعرفش بابا عشان تتكلم، هو أصلاً السبب في كل حاجة

حاول إسلام الحصول على مزيدٍ من التفسيرات بسؤاله:

-هو كان بيضربك ؟

نفت داليا برأسها و هي تقول:

-لأ

-إتخلى عنكم ؟

-لأ

-كان خمورجي و بيشر ب مخدرات

-لأ

حادثها بنفاد صبرٍ و هو يسأل:

-أومل إيه ؟

تنهدت داليا و هي تحاول أن تُنهي الحديث:

-لو قولتلك إنه أكثر من كدة مش هتصدقني، مع إنه لا كان بيضرب ولا إتخلى عننا
ولا بيشر ب سجاير حتى ... كان بيعمل الأسوأ من ده كله

أحس إسلام بالفضول يلتهم أحشاءه لذلك وثب من مقعده و هم بقول:

-إنتِ عارفة أبوكي ساكن فين؟؟

عقدت داليا حاجبيها و هي تسأل:

-أه بس ليه؟؟

آجابها إسلام بتقرير:

-هنروحله

وثبت داليا هي الأخرى لعلها تفهم مقصده:

-هنروحله ليه؟؟

سألها إسلام بحكمة:

-تعرفي إزاي كانوا بيعالجو عُقدهم زمان؟؟

نفت داليا برأسها دلالة على الجهل فأكمل إسلام بلكنته الحكيمة و إصبعه المصوّب
ناحيتها:

-بيروحووا عند عُقدتهم ... و يتصاحبو عليها...

أدلى بهذه الجملة ثم قفز من النافذة على أمل أن ينتظرها مساء اليوم كي يقابل والدها الذي يؤد أن يفهم سبب مُقتها له لتلك الدرجة، لا يعلم حتى لما يسعى لمساعدتها و يحرص على سعادتها و هو من كان طيلة الوقت لا يكثرث لأي شخصٍ سوى نفسه، هل لأنه يحاول اختراق فؤادها أو أنها هي التي اخترقته بالفعل...

تتحرك أصابعها على هاتفها لتتابع أخبار التواصل الإجتماعي كما تفعل دائماً بأوقات الفراغ، فعلى الرغم من معرفتها أن هذه عادة سيئة إلى أنها تتعمد فعلها حتى تُضيع ذاك الوقت و تخذل إلى النوم، هذه المرة استمعت إلى صوت شقيقها شمس و هي تقول:

-فين الشنطة الرمادي بتاعتي؟؟

آجابت قمر دون أن تنتبه لها:

-معرفش

احتدت شمس و هي تجادلها:

-يعني إيه معرفش، كانت معاكي آخر مرة

رفعت قمر من نبرة صوتها و هي تقول بإصرار:

-قولتك معرفش، مش كل ما حاجتك تضيع يبقى أنا السبب

هاجمتها شمس بنفس نبرتها المرتفعة ليبقى الجدل بينهما لفترة كادت فيها قمر تهم بلکم شقيقها حتى تتوقف عن الحديث، فهي لا تستطيع أن تُمارس التنويم المغناطيسي

على شقيقتها و إلا سيُفتضح أمرها بذاك المنزل، و ربما تعتقد أسرتها أنها تُمارس
السحر...

أوقف هذا الجدل صوت الهاتف الخاص بقمر الذي صدح عاليًا؛ انتهزت قمر
الفرصة و أجابت على كوكي التي كانت تتصل بها:

-نعم يا كوكي...-

كانت نبرتها مُحتدة بعض الشيء بسبب غضبها من شقيقتها، بعد فترة تحوَّلت
ملامحها إلى السعادة و هي تقول:

-بجد !! ... طيب أنا جاية

أغلقت المكالمة كي توجه حديثها نحو شمس قبل أن ترحل:

-إياكي تمدي إيدك في دولابي .. أنا رايحة مشوار و جاية

كانت تحاول التقاط أنفاسها لأنها تعلم أن ما ستقبل عليه لن يضحى هيئًا، خاصة و
إسلام جوارها، لا تعلم حتى لما وافقت على جعله يرى والدها الذي تمقت الحديث
معه حتى، فهي لا تذهب لزيارته إلا إذا ألحت عليها والدتها و في كل زيارة تخوضها
ينتهي بها الأمر أما باكية أم مشتعلة من شدة الغضب، و لهذا السبب قد انقطعت عن
زيارة والدها لفترة طويلة و اكتفت فقط بمهاتفته على الهاتف كلما أراد والدها ذلك...

قبل أن تضع يدها على الجرس لتدقه التفتت إلى إسلام كي تُحذره...

**-أنا قولتله إنك زميلي في الشغل و إنك عايز تستأذن بابا إني آخذ شيفت مسائي في
العيادة ... تمام**

وافق إسلام على اقتراحها كي لا يتسبب لها بإحراج أمام والدها، فوالدها لن يتفهم أبدًا ذلك الرابط الذي يربط بينهما خاصة و هو يعتقد أن العلاقة بينه و بين ابنته متوترة لسبب لا يفقهه...

دقت داليا جرس المنزل و ما هي إلا برهة حتى فتح لهما رجل يبدو بالعقد الخمسين بدين الجسد قليلاً و خصلات شعره بنية اللون تحفها بعض الخصلات البيضاء، رسم ابتسامة هادئة على وجهه و هو يُرحب بهما بؤد و يبادر بعناق داليا رغم رفضها لذلك، انتبه أيضًا لوجود إسلام فصافحه بؤد قبل أن يُدخلهما إلى المنزل لئلبي لهما واجب الضيافة....

كان يتعامل معهما بلطف لدرجة جعلت إسلام يشعر بالحيرة من محاولة داليا لتجنبيه، فهو يبدو كأبي إشتاق رؤية ابنته....

-إيه يا بت الغيبة دي كلها ولا بتتصلي ولا بتزوريني حتى هي أمك النكدية محرضاكي عليا ولا إيه؟

كبتت داليا الغضب بداخلها و هي تُجيب بجمود:

-لا ... أنا إللي كنت مشغولة

أوما والدها محمود بتفهم ثم ربت على فخذ إسلام و هو يسأل:

-اسم الكريم إيه؟

ابتسم إسلام و هو يُجيبه بشموخ:

-إسلام أبو_

قطعت داليا حديثه بسرعة لتردف بدلًا عنه:

-إسلام سيد يا بابا ... مديري في الشغل

تعجب إسلام من تدخلها بإجابته لذلك همس بأذنها:

-إنتِ ليه مختلتيش أقوله إسم العيلة؟؟

آجابته داليا بهمس أيضاً حتى لا يسمعها والدها:

-كفاية اسم أبوك ... إنت لو قولتله أبو قرقاص ... هيهريك قرقاص لب لغاية ما
نرّوح، أبوية و أنا عارفاه

أوماً إسلام بتفهم رغم التيه الذي بدأ يغمره، انتبه كلاهما إلى حديث محمود الموجه
نحو إسلام:

-قولي بقى يا أبو طويلة ... عايز تستأذني في إيه؟؟

حمم إسلام ببعض الحرج قبل أن يقول بنبرة حاول جعلها مهذبة:

-الحقيقة أنا جاي استأذن حضرتك_

قطعه محمود و هي يلتفت بظهره إلى الورااء بعد أن لاحظ ابنه و شقيق داليا ذا العشر
سنوات يتجول بالمنزل:

-إنت يا عبده يا بواب ... تعالى سلم على الضيوف

همس إسلام بأذن داليا بتساؤل:

-هو أخوكي بيشتغل بواب؟؟

نفت داليا برأسها و هي تُجيب:

-لا، بس بابا مسجله في شهادة الميلاد عبده البواب

اتسعت حدقتنا إسلام و هو يردف بذهول:

-مخلف ولد عشان يتتمر عليه!!

أكدت داليا على حديثه بقولها:

-و حياتك كان عايز يسميني شجرة بس ماما اتدخلت لغاية ما بقيت داليا

وجه إسلام بصره نحو شقيقها ليسألها بتحذير:

-و هو أخوكي إيه نظامه حاسس إنه جاي يضربنا

استأذن محمود ليذهب إلى المرحاض و بقي عبده وحده أمامهما يتفحصهما بأعين حادة و و يتقدم نحوهما رويداً، طمأنت داليا إسلام بحديثها:

-لا متقلقش، دا عيّل صغير ... دا أنا بشفق عليه من البيت ده ... والله ده مُحترم جداً زي كدة بالظبط

ما إن أنهت جملتها حتى وجدت شقيقها يقف أمامها يُشير على إسلام بسبابته ليسأل بفضاظة:

-مين الهفأ إللي إنت جيباه ده ؟

اتسعت حدقتنا داليا بصدمة من حديثه الذي فضحها أمام إسلام، فقد كانت تتعلق بآخر شعرة لتجعل إسلام يُصدق أنها من عائلة وقورة و مُحترمة:

-عيب كدة يا عبده ... مينفعش تقول كدة

كانت تحاول نُصح شقيقها لكن يبدو أن حديثها زاد الطين بلة و أضحى يتحدث بفضاظة أكثر:

-وطني صوتك يا ولية بدل ما أعملها معاكى...-

أبعده إسلام عن داليا ليووقفه عند حده:

-خلاص يا رئيس إحنا أسفين

ما إن أبعده حتى همس بأذن داليا مرة أخرى:

-دا شكلة عبده موتة مش عبده البواب

كادت تتحدث داليا لكن عبده أوقفها بنبرة حادة أمره:

-يلا يا حلوة إنتِ و هو قبو باللي معاكم

أُصيب إسلام بالذهول من حديثه لذلك سأل بشكٍ:

-إنتِ عايز تقلبنا ولا إيه؟

أكد عبده على حديثه بقوله:

-أه عايز أقلبكم ... إنتو فاكرين دخول الحمام زي خروجه؟

رفع إسلام سبابته ليصر أكثر على حديثه:

-لاا... مش أنا إللي أتقلب إنتِ فاهم ... مش عيّل صُغير إللي هيقلبني على آخر الزمن

أخرج عبده سلاحًا أبيضًا كان بجعبته و أشهره أمام إسلام مما جعل الصدمة تُغرق وجهيهما خاصة مع إقتراب نصل السكين بالأقرب من وجه إسلام مصحوبًا بكلمات عبده الفظة:

-هتطلع إلی فی جیبک ولا أعمک خريطة علی وشک؟؟

إزردد إسلام ريقه و هو یردف بصوتِ هامس:

-هو هیقتلنا ولا إیه؟؟

حاولت دالیا طمانته رغم إرتجافة جسدها:

-لا أكید مش هیعمل حاجة ده عیِّل صُغیر ... أكید المطوة إلی معاه دي مش حقیقیة

ما إن أنهت حديثها حتی وجدت نصل السکین ینغرس بقوة بینهما علی الأریکه مما أدى إلی تمزقها و إثبات لهما أن السلاح الأبيض حقیقی، فهو قد تعمد فعل هذا بعد أن أنصت لهمساتهما، رفع عبده سکینه من الأریکه لیردف بتهدید:

-المره الجایة هدبها فی واحد فیکم لو مطلعوش إلی فی جیوبکم

استجابت إلیه دالیا أولاً و أخرجت من جعبتها جمیع الأموال التي معها لینتشلهم عبده فوراً و یضعهم بجیبیه، أما عن إسلام فكان مُتردداً مما سیفعل و حاول الاستنجاد بدالیا لآخر مره:

-هو عمو محمود هیسکت علی الكلام ده؟؟

أحبطته دالیا بحديثها:

-بابا لو شاف إبنه بیعمل کده مش بعید یروح یشجعه، الأحسن تديه إلی هو عایزه

-هو إنتِ إتقلبتی منه قبل کده؟

-کل ما باجی لازم أتقلب، و لو مش معایا فلوس هیأخذ الموبیل

ابتلع إسلام غصته و لم يجد مفراً من هذا الصغير الوقح سوى أن يُعطيه ما يُريده من المال كي يتركهما وشأنهما، انتشل عبده النقود من إسلام ليضعها بجيبه ثم يجلس بهدوءٍ على الأريكة يضع قدمه على ركبته و يحصي تلك النقود التي اغتتمها منهما...

في تلك اللحظة أتى محمود من الداخل ليُخبر عبده بأمر:

-وادي يا بواب ... روح إنده أمك الطارشة تسلم على الضيوف

كان الغضب يتغلغل بداخل داليا بينما أراد إسلام الحصول على تفسيرات فسأل بهمس:

-هي مرات أبوكي طرشة؟

نهرته داليا بغضبٍ لأنه يُقلد اللفظ الذي قاله والده و الذي لا يجب أن يقوله:

-متقولش عليها كدة ... اسمها طنط ذرة، و هي أه من الصم، بس الناس دي لازم نحترمها و نندها باسمها

هدأت من روعها و هي تردف:

-بس بيني و بينك ... الحمد لله إنها مش بتسمع، و إلا كانوا إتطلقو من بدري

أنت سيدة من الداخل يبدو على وجهها البشاشة، فهي تُشبه الملاك الذي تم إلقاءه في جحرٍ مليءٍ بالأوغاد، كانت تبتسم لهما ابتسامة هادئة قابلتها داليا بابتسامة أخرى ودودة و هي تصافحها بلطفة رغم أنها زوجة والدها، ففي قصص الأساطير دائماً ما تضحي زوجة الأب هي مصدر الشر، أما بقصتها، فهي متأكدة أن والدها هو مصدر الشر و ليس العكس....

كانت السيدة تُحرك يدها ببعض الإشارات لعلها تُريد أن تُخبرهما بشيءٍ، لم تتعلم داليا لغة الإشارة لذلك لم تفهم مقصدها، لكن عبده كان الوحيد الذي يستطيع ترجمة هذه اللغة بعد أن علمته والدته كي يستطيع التحدث معها....

-بتقولكم عايزين شاي ولا عصير؟؟

آجابتها داليا بؤد:

-لا مفيش لزوم .. إحنا خلاص هنمشي

ترجم لها عبده فحركت السيدة يدها مُجددًا ببعض الحركات فترجمها عبده كذلك و لكن بفضاظة رغم أن والدته كانت تُريد التحدث بؤد:

-بتقول هتعملكم بردو

رحلت السيدة فورًا و من بعدها استأذن عبده كي يقضي حاجيته مع أصدقاءه، بقي محمود وحده يجلس بالبهو بأريحية و يقول:

-إلا قولي يا أبو طويلة ... البت داليا كويسة في الشغل ولا نكدية زي أمها؟

احتدت داليا من حديث والدها عن والدتها بتلك الطريقة فدافعت عنها بقولها:

-ماما مش نكدية ... و بعدين مينفعش تقول عليها كدة قدام حد لسة أول مرة تشوفه

تجاهل والدها محالوتها لنصحته و أشار عليها أثناء قوله:

-أهو النكد بدأ أهو ... مش قولتلك البت دي نكدية زي أمها

أطبقت داليا على شفيتها و لم تعد تتحمل أكثر من هذا؛ وثبتت من مكانها لتردف بغضبٍ و إصرار:

-يلا يا إسلام نمشي من هنا...

لم تستمع إلى رده و هرعت فوراً من المنزل على أمل أن يتبعها إسلام و تهرب من هذا المكان قبل أن تنفجر بوالدها...

و ثب إسلام هو كذلك و رسم ابتسامة هادئة على ثغره و هو يُصافح محمود و يستأذن منه كي يرحل من المنزل و يلحق بداليا، كان يُريد أن يُخبره ان ما يقوله بحق داليا و الدتها قد أصاب داليا بالحرج لكنه مُتيقن أن ذاك الرجل لن ينصت إليه أبداً، فبخلاف فظاظته، لا يمتلك أبداً ملكة الاستماع إلى نصيحة الآخرين، و لهذا السبب تمقته داليا و تتجنب الحديث معه...

كانت تهرول على الطريق بخطواتٍ سريعة رغبة في الابتعاد عن تلك البقعة بشتى الطرق، استمعت إلى خطوات إسلام التي كانت تتبعها حتى استوقفها بقوله:

-داليا استني...-

توقفت داليا عن السير لتلتفت له و يرى تلك الدموع المتلألأة على وجنتيها و المجتمعة مع عينيها الدامية، جففت داليا دموعها حتى تردف بصوتٍ مُنكسر:

-أنا أسفة على إيلي بابا قاله...-

أخفضت رأسها بحرجٍ لتواصل:

-هو دائماً بيحرجني قدام الناس ... فإكر إنه عادي لما نقلل من إيلي قدامنا و نعيب عليهم ... و كل ما أحاول أنصحه يزود الموضوع أكثر و كأن مش المفروض إننا ننصح أهالينا و إنهم عارفين الصح أكثر منا...-

إنخرطت بالبكاء بعد حديثها فحثها إسلام على الجلوس على إحدى الأرصفة حتى تهدأ قليلاً، فما إن جلست حتى أردفت بين شهقاتها بألم:

-كنت فاكرة إن بابا هيحميني و هيقف جنبي زي صحابي، بس طلع هو السبب في كل حاجة ... أنا حتى صحابي بيتخلو عني واحد ورا التاني و متبقاش غير كوكي و قمر عشان كلهم كانوا عاملين أنفسهم صحابي ... أنا بجد تعبت

واصلت وصلة بكاءها التي قطعها إسلام بنبرة هادئة:

-كفاية إن مامتك موجودة، و كفاية إننا موجودين و مش هنخلي حد يضايقك

زاغ ببصره للأمام ليردف بنبرة حكيمة:

-هي الدنيا كدة ... إللي تحسبه ذوق ... يطلع خازوق

قهقهت عنوة من حديثه رغم إحساسها بالضيق، فهي لا تعلم لما حكمته الواقعية و حديثه الهاديء يجعلها تبتسم رغم أنه عادي تمام، فربما إن أخبرها شخص آخر بتلك الكلمات لن تشعر بهذا الهدوء الذي بداخلها الآن....

-يعني إنت هتطلع خازوق؟؟

سألته بشكٍ فوجدته يُجيب بفخر:

-إنت عمرك قولتي عليا ذوق؟؟

نفت برأسها دلالة على الإنكار فوجدته يردف بثقة:

-يبقى خلاص إطمني

مرّت برهة قصيرة من الصمت كانت قد هدأت فيهم داليا و عادت إلى طبيعتها، وجدت إسلام يُخبرها ببعض المزاح و الأمر:

-يلا قومي من هنا ... الناس هتفتكرك شحاتة

استنكرت داليا حديثه بحدة:

-و إشمعنا أنا ... ما إنت كمان قاعد على الرصيف

عدّل إسلام ياقة ملابسه و هو يردف بتعال:

-و هو في شحات برنس في نفسه كدة

أطبقت داليا على شفيتها بحنقٍ من تعاليه الذي اعتادته بالأونة الأخيرة، ما كادت ترد عليه حتى وجدت هاتفها يصدح برقم كوكي؛ أجابت على المكالمة التي يبدو أنها جعلتها في حالة من السعادة، فما إن أغلقت المكالمة حتى أردفت بلهفة:

-إسلام ... كوكي و معتز عرفو مين إالي أخذ الفازا... !!

الفصل الثالث عشر (من سيتحدث معه ؟)

كلما أوهمتكم الحياة بأن النجاة قريبة تجد أن الطريق يشتد صعوبة حالما تمسك بطرف الخيط و تكتشف أنك إذا أردت النجاة يجب عليك أن تسير في متاهة لا نهاية لها، فالراحة الأبدية ما هي إلا وهم ليس إلا....

اجتمعوا بالمنزل الخاص بكوكي و لم يكن معهم لؤي لأنه بإحدى مأمورياته، تتحرك أصابع كوكي على حاسوبها أثناء بحثها عن ذاك الرجل الذي يقصده مُعتر، فهي تبحث عنه لأيام بمساعدة من مُعتر الذي يوجهها و يُخبرها صفاته حتى استطاعا العثور عليه أخيراً، بقي فقط أن يذهب إليه و يستعيدا المزهريّة مُجدداً، فبعد أن أخذوا العنوان من كوكي ذهب كل من إسلام و مُعتر إلى منزل ذاك المدعو بمُرتضى الذي يقطن ببنائة عتيقة بعض الشيء لكنها مع ذلك لا تزال تحتفظ باتزانها.

طرق إسلام على الباب و ما هي إلا برهة حتى إنفتح و ظهر أمامهما شابٍ بأواسط العشرين يرتدي منامة منزلية و نظراته مصوّبة نحوهما بغراية خاصة على مُعتر الذي اعتقد أنه رآه فيما سبق لكن لا يدري أين و متى، حمحم معتر قبل أن يردف بتهذيب:

-أنا متأسف إننا بنزعك في الوقت ده ... بس بصراحة إحنا عايزين الفازا إللي أنا بعتهالك ... و بالنسبة للفلوس فأنا هرجعهم تاني

تعجب مُرتضى من سؤاله على المزهريّة بعد أن باعها بمحض إرادته لكنه آجاب بصدق:

-بس الفازا مش معايا

كانت الحدة تنطلي على وجه إسلام و هو يقول:

-يعني إيه مش معاك؟؟

فسر مُرتضى حديثه:

-مش معايا ... أنا بعتهأ لواحد معرفة و هو إللي دفع الفلوس مش أنا

سأله مُعترز باندفاع:

-بعتهأ لمين ؟ ... معاك عنوانه ؟؟

أوما مُرتضى إيجابًا و هو يقول:

-معايا ... إديني محمولك أكتبهولك ... بس مينفعش ترُحوله دلوقتي عشان هو
مسافر و هيرجع بكرة

أعطاه إسلام هاتفه بدلًا من مُعترز كي يحتفظ هو بالعنوان، دُون مُرتضى بضع كلمات
على هاتف إسلام ثم أعطاه له ليُغلق بعدها باب المنزل و ينتهي الحديث بينهم هنا،
دون أن يستعيدوا المزهرية و كأن الأمر يزداد تعقيدًا...

توُّغلا المنزل بأكتاف متهدلة يجران معها أذيال الخيبة، أول ما وطأت أقدامهما
المنزل سألت داليا بلهفة:

-جيبتيو الفازا ؟؟

نفي إسلام برأسه ليُرسِل إليهم أن زيارتهما لم توتي ثمارها، بقيا في حالة من الصمت
جعلت كوكي تستنتج و هي تقول:

-هو مرضيش يديهالكم ؟؟

نفي مُعترز هذه المرة ليردِف بعدها بتفسير:

-لأ الفازا مش معاه ... هو باعها لواحد تاني

علت الصدمة وجوههم و امتزجت بنفحاتٍ من خيبات الأمل و هما لا يعرفا لما الأمر
بهذه الصعوبة، أردفت بعدها قمر لتدلي الحل ببساطة:

-خلاص ... رُحوله

اعترضها معتر بصدق:

-مسافر ... و هيرجع بكرة

أردفت كوكي لتدلي قرارها:

-خلاص نروحله بكرة و إن شاء الله هيدينا الفازا

و هكذا انتهى الحديث بينهم عازمين على الإتيان بتلك المزهريّة اللعينة و إعادة تلك
الورقة المهمة بداخلها، فهما حتى لن يستطيعا الحصول على غيرها من مخيمر كي
لا يُخبراه أنهما أضاعا الورقة بهذه الحماقّة، فربما نظرته اتجاههما ستتغير إن أدرك
أنهما لا يستطيعا تحمل مسؤولية ورقة كهذه، مما يعني أنهما لن يستطيعا تحمل
مسؤولية اتلاف الأبحاث المُهمّة...

صباح اليوم التالي، كانت داليا تقف أمام خزانتها تضع أوعيتها بطريقة مُنظمة بعد أن
استغلت إجازة اليوم بالتنظيف و ترتيب الأوعية بخزانتها، تُدندن بإحدى الأغنيات
بصوتٍ خافتٍ لعلها بتلك الطريقة تكسر حدة الملل و لا تشعر بعناء التنظيف،
وضعت قطعة الملابس داخل الخزانة ثم استدارت لتجلب قطعة أخرى لكن فجأة...

انتفض جسدها ما إن رآته وراءها مباشرة يرسم ابتسامة بشوشة على ثغره بدت لها
ابتسامة مرعبة خاصة مع ظهوره المفاجيء، خرج صوتها متذمراً و هي تقول:

- هو كل شوية تنظلي و أنا في الأوضة، دي مش أخلاق على فكرة، إفرض كنت
بغير هدومي

آجاب إسلام ببساطة ولامبالاة:

-فین المشكلة ؟ ... ما أكید و أنا جوا جسمك كنت بغير هدومي

أحست داليا بالخرج يتسرب داخلها من وقاحتها؛ أطبقت على شفتيها و هي تقذفه بقطعة من ملابسها على الرغم من معرفتها بأنه لن يتأثر بتلك الرمية، بل لن يشعر بقطعة الملابس و هي تُقذف عليه من الأساس...

-بطل قلة أدب و قول إنت جاي ليه قبل ما ماما تسمعنا و تفكر إن في حد في الأوضة

اخترقت الملابس جسد إسلام، أو بمعنى أصح روحه، لم يشعر إسلام بما ألقى عليه بالطبع، و كذلك لم يُبالِ بغضب داليا و هو يرتمي على فراشها بأريحية و يقول:

-أصل إنهاردة أجازة و أنا مش لاقى حاجة أعملها فقولت أغس عليكي شوية

كبتت داليا الغضب داخلها لتغلق عينيها و تفتحهما بترو، بعدها تجلس على المقعد قبالة إسلام و تذهب في ثبات عميق..

كان إسلام وقتها يتحدث عن سبب مجيئه حتى شعر بدفعة قوية كادت تُسقطه أرضاً، و الغريب أنه يشعر بتلك الدفعة التي وجهتها داليا، أو بالمعنى الأصح، روح داليا...

-روح غس على حد غيري

اعتدل إسلام في جلسته كي يحادثها بأريحية و كأنها صديقه:

-يا بت بهزر معاكي ... ثانياً أنا جاي أفسحك بدل ما إنت قاعدة لوحك

عقدت داليا حاجبيها بحيرة و هي تسأله:

-تفسحني فين ؟

آجابهها إسلام بثقة:

-هخليكي تشوفي أختي ... و تتعرفي على ناس جديدة

كان يرغب بجعلها تنخرط بعائلته حتى تشعر بدفء العائلة الذي لم تشعر به أبدًا، لهذا يتعمد جعلها تقابل شقيقته لعلها تضحى صديققتها و تزداد دائرة معارفها، بقيت عوالم التيه مُرتسمة على وجه داليا و هي تسأل بشك:

-و هي أختك هترضى تدخل حد غريب شقتها؟؟

طمأنها إسلام بحديثه المُقرر:

-أنا كلمتها عنك ... يلا إجهزي عشان نروحها ... هستاكي تحت في العربية..

أدلى بتلك الجملة ثم قفز من النافذة حتى يصل إلى سيارته بسرعة، بقيت داليا ترمقه بحيرة، لكنها في النهاية ارضخت لطلبه و قررت أن تأتي معه تلك الزيارة لتكسر حدة الملل و تتعرف على أشخاصٍ جُدد، فربما شقيقته ألطف من ذاك الفظ الذي معها

...

يلوُّك الطعام بفمه و هو يجلس أمام طاولة مستديرة جواره والده من ناحية و والدته من ناحية أخرى، فهو مُعتاد على تناول الفطور معهما قبل أن يذهب إلى العمل، على الرغم من كون اليوم إجازة رسمية، إلى أن هذا لا ينطبق على وظيفته التي تفرض عليه العمل بإستمرار كلما استدعى الموقف لذلك، او كلما تعقدت القضايا...

كان يتحدث معهما عن القضية التي تسلمها و التي تخص إحدى جرائم القتل التي حدثت مؤخرًا لفتاةٍ عذباء تقطن وحدها بإحدى المنازل الفاخرة...

-لازم إنهاردة أسافر راس شيطان ... المتهم الأول في القضية هناك...

وجه حديثه إلى والدته كي يسألها:

-هو إنتِ روحتي راس شيطان قبل كدة؟؟

ابتسمت والدته ثناء و هي تُجيبه باستذكار:

-يااه ... أه روحتها أنا و أبوك في شهر العسل سنة سبعة و تسعين

عقد لؤي حاجبيه بحيرة من ذكرها لذاك التاريخ، فهذا يعني أنه كان مولودًا و كان يبلغ من العمر عامًا كاملًا، فكيف لشهر العسل أن يضحى بعد عامٍ من مولده؟؟

-إيه ده ... إنتو عملتو شهر العسل بعد ما إتولدت؟؟

تبادلت نظرات والديه لفترة بتعبيراتٍ قلقة لم يفهم لؤي سببها، لكن والده تدخل بابتسامة هادئة على ثغره قال معها:

-أيوة يا لؤي ... أصل بعد الفرح كان عندي شغل كثير، و على بال ما أخذت الأجازة
كُنت إنتِ شرفت

ربت على كتفه مع آخر كلمة فابتسم بعدها لؤي ثم استأذن ليذهب إلى عمله تاركًا إياهما يتبادلا النظرات بأريحية بعد أن فلتا من الأمر...

كان الحال سيان بالنسبة لقمر، حيث أنها داخل مكتب التحرير الآن تباشر وظيفتها بعد إنقطاع دام لفترة ليست قصيرة، فلا يجب ألا تعمل الجريدة في ظل هذه القضايا التي يجب عليهم تغطيتها، و على الرغم من أن قمر لا تدوّن سوى الأخبار السانجة الخاصة بالحظ و الطاقة، إلى أنها يجب أن تُشارك في كتابة عدد اليوم قبل أن يتم نشره و طباعته....

كانت تبحث بعينها داخل البراد عن مشروبها الذي وضعت له لتتجرعه في أوقات الراحة لعله يُرطب من حرارة الطقس، لكنها لا تستطيع إيجاد مشروبها و هذا ما جعلها تُطلق النيران من أذنيها نتيجة الغضب، فهي متيقنة أن إحدى زميلاتهما بالعمل قد أخذت مشروبها من البراد دون أن تُخبرها، كذلك تعرف من أخذته جيداً....

تحركت بأركان المكتب بحثاً عن تلك السارقة كي تُلقنها درساً و تُجبرها على إعادة مشروبها، فما إن وقفت قبالتها حتى أُرذفت بصوتٍ غاضب:

-فين الميكس شوكلاتة بتاعي إلهي كان في التلاجة؟؟

عقدت الفتاة حاجبها بحيرة و هي تقول بجهلٍ زائفٍ:

-معرفةش، إشمعنا أنا إلهي بتسأليني؟؟

إزداد غضب قمر و هي تردف بتيقن:

-أنا متأكدة إنك أخذتني زي ما بتعملي كل مرة

دفعتها الفتاة بعيداً عنها كي تواصل سيرها باستخفافٍ من حديث قمر:

-إيه شغل الأطفال ده؟؟ إبعدي عني عشان ورايا شغل

احتدت قمر أكثر و كانت في أوج غضبها خاصة عندما نعتتها تلك السيدة بالطفلة ذات المشاكل السانجة، و هي هكذا بالفعل، لكنها لن تقبل أن ينعنها أحدهم بذلك؛ طفقت تُتمتم بقرارة نفسها بتحدٍ:

-بقي كدة .. ماشي

هرعت مجدداً نحو الفتاة لتتوقف قبالتها و تُطلق نظراتها الثاقبة التي من شأنها أن تجعلها تتغيب عن العالم كلياً، سألتها قمر بهدوءٍ ما إن أدركت أنها استطاعت تنويمها مغناطيسياً:

-فين الميكس شوكلاته بتاعي؟

أجابتها الفتاة بتغيب:

-في التلاجة إالي عند المكتب بتاعي

ابتسمت قمر بخُبثٍ و انتصار ما إن وصلت إلى مبتغاها و ابتعدت عن الفتاة كي تحضر مشروبها، لكنها ما إن خطت خطوة حتى وجدت رئيس التحرير يقف خلفها مباشرة يُحدجها بنظراتٍ مذهولة أصابتها بالارتباك ما إن تيقنت أنه رأى ما فعلت!!

إنعكس الوضع هذه المرة و أضحت هي من تقف أمام الباب تنتظر أن تفتح لهما تلك الفتاة شقيقة إسلام و التي بقي طوال الطريق يحكي عنها، لا تعرف لما تشعر بالراحة على الرغم من أنها كانت ترفض هذه الزيارة خوفاً من الطريقة التي سيُعرفها بها إسلام، حيث وجدته يُحذرها قبل أن يدلها إالي الداخل بقوله:

-أنا قولتلك إني هتبقى خطيبتي و إنا قرينا الفاتحة فمثلي قدامها إنا بنحب بعض و كدة

عقدت داليا حاجبيها بحيرة من توريطها بتلك الطريقة:

-و إنت ليه مقولتلك إنا زمايل في الشغل؟

برر لها إسلام ببساطة:

-و زميلتي في الشغل هجيبها بيت أختي ليه؟ ... اسمعي بس إالي بقولك عليه، هي ما هتصدق أساساً تلاقي واحدة تعبرني

لم تُكثرت داليا لحديثه و شعرت أنه يضعها في ورطة أكبر منها، لكنها مع ذلك تداركت الأمر و وافقت على تمثيل تلك المسرحية السخيفة حتى تمر تلك الزيارة على خير....

إنفتح باب المنزل لتظهر فتاة بأواخر العشرين ترندي إسدال الصلاة لكنها تنزعه ما إن أدركت أن شقيقها هو الزائر، أدخلتهما المنزل هو و داليا التي كانت تشعر بالتيه لوهلة لكن قلقها يتلاشى كلما انغمست أكثر معهما....

كانت تلك الفتاة لطيفة في استقبالها و محاولاتها لكسر حدة التوتر التي لاحظتها على ملامح داليا حتى تتعامل معها بأريحية كما لو أنها تعرفها منذ قديم الأزل، جلست داليا على الأريكة و جوارها إسلام على بُعد أمتارٍ قليلة، أما شقيقة إسلام التي تُدعى يُسرا، فقد جلست على المقعد المجاور لهما لتضع حاسوبها على ركبتيها و تشرع بكتابة شيءٍ ما عليه، كان المنزل بسيطاً في تكوينه و قد لاحظت داليا تلك المكتبة العريضة التي رأتها ما إن وطأت قدميها المنزل، فهذا يدل على أن من يقطن بذاك المكان يعشق القراءة حد اللعنة...

أشار إسلام على شقيقته ليعرفها على داليا بفخر:

-أهي أختي يُسرا ... بتكتب روايات، و عندها جمهور عريض

ابتسمت داليا و هي تُرحب بها لتمر بينهما فترة من الأحاديث الهادئة التي قطعتها يُسرا بسؤالٍ مُتلهف:

-يلا قولولي بقي إتعرفتو على بعض إزاي؟؟

تبادلت النظرات بين داليا و إسلام و كل منهما لا يعرف كيف يُجيبها، همس إسلام بأذن داليا:

-استني إنتِ أنا هقولها

أومأت داليا إيجاباً ليتحنح إسلام قبل أن يخلق كذبة ما بأسلوبٍ دراميٍ مبالغٍ به:

-إحنا كان بينا قصة حُب عظيمة...-

وجه نظرة عابرة نحو داليا قبل أن يواصل الحديث بنفس اللمحة المُرتبكة و الدرامية:

-داليا كانت بتشتغل معايا في المُستشفى، ك.. كانت المساعدة بتاعتي ... فااا ...
ففي يوم خبطتت فيا بالغلط، بس أنا مسكتلهاش، ردتلها الخبطة بقلم على وشها
علطول...-

اتسعت حدقتا داليا بصدمة من حديثه الذي لم يكن صحيحًا البتة، أرادت التدخل
لتوقف حديثه لكنها تمهلت قليلاً لترى ما سيقوله بعدها:

-و هي طبعاً خافت مني عشان أنا بارد و معنديش رحمة ... بس مرة في مرة لقيت
نفسي بتغير عشانها، لقيت نفسي مُستعد أديلها القصر بتاعي و شركاتي و
مستشفيات عشان خاطر عينيها_

هنا و قد طفح الكيل بداليا فتدخلت بصوتٍ مُتهدج:

-قصر !! ... دا إنت لما بتوصلني بتاخذ مني نص تمن البنزين عشان مش معاك
فلوس

حاول إسلام إسكاتها كي لا تفضح أمره:

-اسكتي بقي كانت هتصدق...-

استنكرت داليا حديثه بقولها:

-هو إيه ده إللي هتصدقه؟؟ ... و بعدين رومانسية إيه دي إللي تخلي الراجل
يضرب إللي بيحبها؟؟

حاول إسلام تبرير ما قاله بصوتٍ مُنخفض:

-على فكرة بقى أنا كنت بقرا زمان روايات رومانسية أنا و أختي ... و القصة إللي
قولتها دي واحدة منهم

أما عن يسرا فكانت تقول بتيه لعدم إنصاتها لهمساتهما:

-أنا ليه حاسة إني سمعت القصة دي قبل كدة؟؟

انتبهت داليا لحديثها ففتحنت قبل أن تردف:

-سيبك منه ده بيهزر ... إحنا قصتنا مُختلفة عن كدة تمامًا...

اعتدلت في جلستها و هي تختلق قصة أخرى بطريقة هائلة و كأنها تراها أمامها:

-الحكاية بدأت لما أنا كنت خارجة من العيادة بتاعتي و اتكعبت من قشرة موز
وقعتني على الأرض و دماغي اتفتحت ساعتها الناس أخذتني المستشفى عند
إسلام و هو بنفسه إللي عالجني....

تنهدت ثم واصلت الحديث بهيامٍ أكثر رغم نظرات إسلام المليئة بالرغبة:

-لما عيني جات في عينه ... قولت هو ده فارس أحلامي ... عشان كدة بقيت آذي
نفسي عشان أروحله العيادة تاني و أرجع أشوفه تاني ... و هو كمان ... أول ما
كان بيشوفني كان بيتحوّل لإنسان رومانسي ... علطول بيدلغني و يجيبلي_

قطعها إسلام بهمسٍ حاول الاستفسار معه:

-هو ده فيلم هندي؟؟

عادت داليا من هيامها و هي تنهره:

-بتقاطعني ليه ... خليني أكمل القصة

و قبل أن تواصل تلك الحكاية الحمقاء _ من وجهة نظر إسلام _ أردفت يسرا
بإعجابٍ إختلط بطبيعتها العاطفية التي تختلف عن إسلام تمامًا:

-الله !! دي قصة حلوة أوي ... أنا ممكن أكتبها في الرواية بتاعتي الجديدة

في تلك اللحظة استمعا إلى صوت باب المنزل و هو يفتح ليذلف منه رجل بأوائل
الثلاثين يبدو عليه الوقار و التحضر، حيث كان يرتدي قميصًا مُخططًا و نظارة
سوداء زينت عينيه الداكنة و ذقنه الأملس، صافح الرجل إسلام و كانت يسرا تُعرفه
على داليا بقولها:

-دا خالد جوزي...

ثم أشارت على داليا لتُعرفها:

-دي داليا إلمي هتبقى خطيبة إسلام إن شاء الله

رسم خالد ابتسامة بشوشة على ثغره و هو يلوّح لداليا بؤد ثم يقول بلغة عربية
فُصحى أصابتها ببعض الحيرة:

-تشرفت بمعرفتك يا أنستي

عقدت داليا حاجبيها و هي تهمس بأذن إسلام:

-هو ليه مُدبلج كدة؟؟

أجابها إسلام بتفسير:

-أصل خالد مُدرس لغة عربية، و متعلق أوي باللغة

أومأت داليا بتفهمٍ لتجد خالد يوجه حديثه نحو يسرا كي يُخبرها بشجن و نظراتٍ
عاشقة:

-أخبريني كيف أبعد عيناى عنك و أنت تزدادين جمالاً

ابتسمت يسرا بحرج من حديثه بينما كانت داليا تهمس بحيرة بأذن إسلام:

-الحق .. دا النسخة المثقفة من معتز

وجه خالد حديثه ناحيتهما كي يستأذن بتهذيب:

-يجب أن أنتهي أولاً من قراءة روايتي يا رفاق ... سألقاكم بعد ساعة

لؤح لكليهما قبل أن يرحل من أمامهما، لكنه أتى عند يسرا و أخبرها بصوته الهائم:

-إيكادولي يا زهرة بستانى

ابتسمت يسرا و هي تُجيبه:

-إيكادولي يا حارس قصري

همست داليا بأذن إسلام مُجدداً بعد أن غمرها الحيرة:

-هما بيتكلمو يوناني؟؟

أجابها إسلام بهمس و تيه:

-و حياتك ما أعرف هما بيقولو إيه، بس هما بيقولو كدة عنطول

أومأت داليا بتفهم لتمر بعدها برهة من الصمت قطعتها داليا بسؤالٍ يحمل الفضول:

-إنتو بقى إتعرفتو على بعض إزاي؟؟

خرجت شهقة خافتة من يسرا و هي تُجيبها:

-إنتِ مقرّيش الرواية؟؟

عقدت داليا حاجبها و هي تسأل:

-رواية إيه؟؟

-الرواية بتاعتنا ... إللي بتحكي قصة حُبنا ... اسمها إكتشفت زوجي في معرض الكتاب ... أصل إحنا إتعرفنا على بعض هناك

بدت داليا خالية من المعالم و قد ظنت في تلك اللحظة أن أفراد عائلته جميعهم يمتازون بالغرابة، لم تكذ تتعجب من الأمر حتى استمع كلاهما إلى صوت صياح يُصدر من طفلين يبديان بالخامسة من العُمر، و يبدو أنهما يتشاجران شجارًا حادًا؛ وثبتت داليا أولاً لترى ما يحدث فتبعها إسلام كذلك ليجدا طفلة حنطية البشرة ذات شعرٍ داكن مموج و أمامها طفل يُشبهها بعض الشيء بخلاف خصلات شعره الناعمة و المُرتبة، كانت الطفلة تمسك بتلاباب شقيقها و تهتف بوجهه بحدة:

-إنتِ إللي أخذت البيبي بتاعي و أنا مش هسامحك

حاولت داليا التدخل في ذاك الجدل كي تفضه و هي تقول:

-خلاص يا حبيبي أكيد هو مش قصده

عاندتها الطفلة و بقيت تتجادل مع شقيقها و كأنها ستقتله، رفعت داليا من صوتها كي يصل إلى مسامع يُسرا لعلها تتحدث مع أبناءها:

-يُسرا ... تعالي شوفيهم

لم تكثرث يُسرا للأمر بتاتًا و كأن صفة البرود و اللامبالاة متأصلة بهذه العائلة، حيث واصلت الكتابة على الحاسوب و هي تردف بصوتٍ مرتفع مُتذمر :

-يووه يا غفران، يا نديم ... بطلو خناق قدام الضيوف

عقدت داليا حاجبيها بحيرة من تلك الأسماء التي أعادتها بقرارة نفسها:

-إنتِ مسمية ولادِكِ عُفران و نديم!!-

اكتفت يُسرا عند هذا الحد و تركت أبناءها يتشاجران و كأنهما يفعلان هذا يوميًا حتى فقدت والدتهما الأمل بهما، في تلك اللحظة أخرجت عُفران سكينًا من جعبتها يبدو و كأنها أخذته من المطبخ و دثرته بملابسها، كانت ترفع هذا السكين أمام نديم الذي أخبرها للمرة المئة:

-قولتلك مأخذتش البيبسي-

أصرت عُفران على حديثها و هي تقول:

-لأ ... إنتِ خونت ثقتي و أخذته المرة إلي فاتت، و طالما أخذته المرة إلي فاتت يبقى أخذته المرادي ... عشان إلي بيخون مرة بيخون ألف مرة

اتسعت حدقتا داليا بصدمة من هؤل المنظر و حاولت الاستنجاد بإسلام و هي تمسك بعُفران لتمنعها مما ستقبل عليه:

-يا إسلام تعالی شوف ولادِ أختك

حادثها إسلام ببرود حمل بعض الحماس لعشقه لتلك المشاجرات حتى و لو كانت سخيفة:

-ما تستني نشوف العركة هترسى على إيه-

اضجرت داليا من بروده فدفعته بحدة و هي تقول:

-يا إسلام ولادِ أختك هيخلصو على بعض ... يخرّب بيت البرود إلي عندكم

تنهد إسلام بنفاد صبر ثم استجاب إلى داليا و هرع نحو عُفران لينتشل منها هذا
السكين و يحاول فض الجدل بصعوبة بمساعدة داليا، فبعد أن انتهى كل هذا و انتهت
تلك الزيارة المجنونة كانت داليا تتحرك أمام المنزل و تردف بأريحية:

-الحمد لله وقفناهم ... ولاد أختك دول مجانيين، إزاي يسيبو البت تاخذ سكينه من
المطبخ، أهلها فين من ده كله ؟

طمأنها إسلام بحديثه:

-عُفران دي عيِّلة صغيرة، إنتي فاكرة يعني إنها هتعمل حاجة لنديم ... لأ ... هما
بس متأثرين من الروايات إللي أهمهم و أبوهم بيقرأوها ليل نهار

ما إن أنهى حديثه حتى استمع كلاهما إلى صوت صُراخ عالٍ يُصدر من نديم، و قد
استطاعا سماعه لأنهما لم يبتعدا العديد من الأمتار عن المنزل...

تبادلت نظرتهما في قلق قد تفاقم حتى توقفا عن السير و أردفا بصوتٍ واحدٍ مُحملٍ
بالصدمة:

-نديم!!

يتصبب العرق من جبينها ما إن تم استدعاءها إلى مكتب رئيس التحرير الذي شهد
على فعلتها و ظن أنها ذات قوة خارقة أو ربما ساحرة، هذا ما يزيد من ارتباك قمر
الواثبة أمامه تحاول ترجيه بكل ما أوتيت من قوة، و بداخلها تسب نفسها على
ارتكابها مثل تلك الحماسة في مكان عملها....

-و الله العظيم يا أستاذ يُسري أنا مش ساحرة ... أنا إللي عملته ده كان تنويم
مغناطيسي مش سحر ... دا أنا حتى مُحجبة، هو في ساحرة تبقى مُحجبة !! ...
صدقني والله إللي حصل ده كان غصب عني، أنا_

قطع يُسري توّسلاتها بذهولٍ أبدى معه الإعجاب الذي خالف توقعاتها:

-هو إنتِ بتعملي كدة من إمتي ؟

ارتبكت قمر من سؤاله لكنها أجابت على أي حال:

-من ثلاث سنين

-و بتشتغلي هنا بقالكِ قد إيه ؟

-س... سنة و نص

شقت ابتسامة واسعة ثغر يُسري و هو يردف بلهفة و إعجاب:

-عظيم ... إنتِ إزاي عندك القُدرة دي و بتكتبي في حظك اليوم...-

رمقته قمر بمعالم حائرة مُتعجبة من ردة فعله غير المتوقعة:

-قصد حضرتك إيه ؟؟

عبث يُسري ببعض الأوراق ثم أردف بتقرير:

-إنتِ لازم تتنقلي لقسم التحقيق ... إنتِ عارفة باللي عندك ده ممكن يبقى عندنا

تصريحات قد إيه ؟؟

حاولت قمر اعتراضه بقولها:

-بس إحنا مينفعش ناخذ تصريحات من غير إذن المصدر

أرعى يُسري ظهره للوراء ليفسر لها الواقع الذي تجهله:

-دا كلام الدكاترة بتوع الجامعات ... إنما على أرض الواقع، إحنا نقدر نعمل إلی
إحنا عايزينه طالما بنوصل للحقیقة

بقیت قمر فی حالة من الصمت لا تقنتع بحديثه لكنها مع ذلك آبت الاعتراض لعله
على صواب و هي التي لا تفهم طبيعة العمل جيدًا، فهذا الرجل يحاول أن يجعلها
تخترق القوانين و التشريعات من أجل إثارة الضجة و إعلاء صورة الجريدة، و هذا
ما لم تكن تُريده أبدًا...

مرّت برهة من الصمت كان يعبث بها يُسري بالملفات حتى أخرج حفنة من الأوراق
و تفحصها لبرهة قبل أن يقول بتقرير:

-من فترة قصيرة، في ناس رفعت قضية على مستشفى الرحمة ... يقولو إنها
بتعمل عمليات غير شرعية و مخالفة للمعايير، زي عمليات التحويل .. دا غير
الأخطاء الطبية إلی بتأدي لوفاة المرضى و إلی هما بيغطو عليها...

ترك حفنة الأوراق ليوجه حديثه نحو قمر و يُخبرها بلكنة أمره:

-أنا عايزك تروحي المستشفى دي و تخليهم يقولو الحقيقة عايزك تجمعي
تصريحات تخليهم يعترفو على أنفسهم و نفضهم..

تسمرت قمر مكانها تشعر و كأنها كالإنسان الآلي و هي تنتشل الأوراق من يده كي
تُنفذ ما طُلب منها، فهي إن لم تُنفذ هذا سيتم فصلها من تلك الجريدة خاصة بعد أن
أدرك يُسري ما تستطيع فعله، فهي من الأساس ليست ذات أهمية بتلك الجريدة، فربما
هذا الأمر يجعل لها مكانة مرموقة بينهم و ربما تُصبح من أكفأ الصحفيين و أمهرهم.

إدًا ... عليها أن تُنفذ هذا الأمر حتى و لو خاطرت بحياتها كما المرة السابقة....

انتهيا من هذه الزيارة أخيرًا ليضحا كلاهما داخل السيارة يستعدا للرحيل، أو ربما
لتأدية زيارة أخرى انتظراها منذ الصباح، ما إن جلس إسلام على المقعد حتى أردف:

-إيه رأيك في أختي؟؟ ... أكيد أنا أحلى طبعًا

قالها بتعالٍ تغافلت عنه داليا و هي تردف بمزاحٍ صادقٍ بعض الشيء:

-ما شاء الله إنتو الإنتين عندكم برود أكثر من برودة القطب الشمالي ... بس
بأمانة أختك لذيدة مش زيك

قهقه بخفة إثر حديثها ليجدها تلتفت له و تُخبره بامتنانٍ نابعٍ من فؤادها:

-شكرًا عشان بتحاول تساعدني و تخليني أتخطي عُقدتي ... بجد مش هنسى إلی
بتحاول تعمله

رمقها بابتسامة هادئة لم يجد من الكلمات ما يقولها فاكتفى بالصمت و تأمل ملامحها
الرقيقة مما جعلها تشعر ببعض الارتباك و تقول:

-طب يلا إتحرك ... لازم نروح للراجل إلی عنده الفازا ده عشان نخلص من
الموضوع

عاد إسلام من شروده و قام بتدوير السيارة حتى تعدو بين الطُرقات و تصل إلى
الوجهة المرادة، هذه المرة كان اليقين داخله بأنهما سيجدا تلك المزهرية و تلك الورقة
اللعيينة...

توقفت السيارة بمنطقة شبه مهجورة و كانت الشمس لا تزال ساطعة نظرًا لطول
النهار بمثل تلك الأيام الصيفية، تراجلت داليا من السيارة و تبعها إسلام، طفقا يتجولا
بتلك البُقعة الخالية من السكان و المليئة بالطُرقات المُتعرجة...

توقفا عن السير أمام بناية متهالكة صعدا طبقاتها إلى الطابق الثالث ليدقا على المنزل
المراد و المدوّن عنوانه على تلك الورقة، استمعا إلى صوت كلبٍ يبدو أنه بداخل
المنزل، حيث كان ينبج بصوتٍ عالٍ ثم يتلاشى نباحه لبعض الوقت حتى يعود
مجددًا، لكن هذه المرة إنفتح باب المنزل ليظهر بداخله رجل بأواسط الأربعين بدين
الجسد يرتدي منامة عادية و يرمق كليهما بحيرة...

كانت يدها تتمسك بالحبل الذي يربط كلبه حتى يكف عن النباح، و كان أيضاً في حالة من الصمت يُبادل حدقته بينهما حتى أُردف إسلام مُعرفاً:

-أنا إسلام ... من فترة كدة في واحد اسمه مُرتضى إداك فازا ... و هو إلي قالنا إنها عندك

أضافت داليا على حديثه بتهذيب:

-إحنا محتاجين الفازا دي لو سمحت ... هنبص فيها بصة و هنرجعها لك تاني

و لثاني مرة يبقى الرجل في حالة من الصمت و التيه و لا تزال عيناه تتبادل بينهما و كأنه لا يفهمهما و هذا ما أصابهما بالحيرة، همس إسلام بأذن داليا بشك:

-هو مش بيتكلم عربي؟

أجابته داليا بذات النبيرة الهامسة:

-مش عارفة ... تفتكر أجنبي؟؟ .. بس شكله مصري

حاول إسلام التبرير له باستنتاج:

-يمكن كان عايش برة

استحسننت داليا تلك الفكرة و وجهت حديثها نحو الرجل للمرة الثانية كي تُخبره بلغة إنجليزية لعله سيفهمها:

" do you speak English -هل تتحدث الإنجليزية؟"

و لازال الرجل في حالة من الصمت جعلت صبرهما على وشك النفاد، همست داليا مرة أخرى بأذن إسلام:

-شكّله مش فاهمنا بردو-

ما كاد يتحدّث إسلام حتى وجد الرجل يُشير بأصابعه عليهما ثم يُحركها حركاتٍ بدت غريبة عليهما لكن داليا أدركت ماهية تلك الحركات التي شهدتها مُسبقاً:

-هو بيعمل إيه؟؟-

سألها إسلام باستفسار و صوتٍ خافت خشية من سماعه، لكنه تعجب ما إن وجد داليا ترفع من نبرة صوتها و هي تقول:

-هو مش فاهمنا ... و مش سامعنا-

وجهت بصرها نحو إسلام لتُخبره:

-عشان كدة فتحلنا الباب متأخر، و أكيد الكلب ده هو إللي عرفه إن في حد بيخبط

صمت إسلام لبرهة ليُفكر بحديثها و كم أنه صائبًا، اقترح بعدها و هو يُخرج هاتفه:

-أنا جاتلي فكرة ... أنا ممكن أكتبه على الموبيل-

دوّن بعض الكلمات على جواله ثم أراها للرجل الذي لم يُبدي أي من التعليمات حتى، فيبدو أنه من الأميين الذين لم ينالوا حظهم من التعليم نظرًا لكونه فقيرًا و عاجزًا عن الاستماع، استنتجت داليا بخيبة أمل:

-شكّلة مش بيعرف يقرأ-

وجدوا الباب يُغلق بوجهيهما ما إن طُفح كيل الرجل و سئم من عدم فهمه، فنادرًا ما يجد من يفهمه في هذا العالم إلا قلة قليلة ممن تتطوعوا و تعلموا تلك اللغة التي يتحدّث بها، فحتى أبسط حقوقه للتحدّث و التعامل مع البشر يجدها صعبة بسبب عدم قُدْرته على الحديث، و مع عدم تعلمه للقراءة و الكتابة فالأمر بالنسبة له يضحى أكثر صعوبة....

ما إن أُغلق الباب حتى سأل إسلام باستفسار:

-أومل إلي اسمه مُرتضى ده إتعامل معاه إزاي؟؟

آجابته داليا باستنتاج:

-أكيد إاده الفازا و شاورله على الفلوس عشان يقبض، مش لازم يكون متعلم لغة الإشارة عشان يتكلم معاه

مرّت برهة من الصمت و هما يُفكران في حلٍ لتلك المُعضلة، سأل إسلام بعدها:

-إحنا محتاجين حد يساعدنا نفهمه ... بس ياترى الشخص ده يبقى مين؟؟

حدق بالأرض و هو يُمعن التفكير بهذا الموضوع حتى فكر بإحضار واحد من المُختصين بتلك اللغة كي يساعدهما، لكن حتى هذا الأمر ليس بتلك السهولة، فمن أين يأتي بأولئك المختصين و من أين يعرفهم؟ فكر أيضاً بتعلم تلك اللغة كي يستطيع التحدث معه، لكن الأمر سيأخذ وقتاً طويلاً و هما على عجالة من أمرهما، هو حتى لا يفهم كيف يمتلك هذا الرجل تلك النقود و يبتاع بها مزهرية أثرية بدلاً من استخدامها كي يتعلم؟؟

قطعت داليا وصلة التفكير هذه بعد أن لمعت فكرة ما بذهنها قد تساعدهما بهذا المأزق؛ رفعت إصبعها و هي تردف بثقة و لهفة:

-أنا عرفت مين إلي هيساعدنا...!!

الفصل الرابع عشر (الخطة ب)

هكذا هو الإنسان، يُفضل أن يتخذ دور الضحية على أن يعترف بخطأه و يجد حلاً له

...

يجلس عبده على الأريكة الخاصة بمنزل ذاك الرجل الأبكم بعد أن ألحا عليه بالدخول و معها شقيق داليا الوحيد الذي يقدر على الحديث معه، فقد أقنعه أولاً أن يدلها منزله بعد أن أخذ حفنة نقودٍ من داليا كي يُنفذ ما سيطلباه، فهو قد ترعرع على أخذ المقابل على كل خدمة يقوم به لأحدهم، هذه بالطبع ليست عادة جيدة، لكن هذا الطفل ذو العشرة أعوامٍ هو نتاج تربية سيئة من والدٍ مُتتمر و أمٍ ضعيفة لا تبالي بشأنه و أصدقاء سوء يتعرف عليهم من بقاءه خارج المنزل طوال الوقت...

يضع قدمه على ركبته بتملقٍ و هو يستمع إلى حديث داليا التي كانت تُخبره بتؤسل:

-إحنا عايزينك تترجمنا بس إللي بيحاول يقوله عشان الفازا دي مهمة و لازم ناخدها منه

همهم عبده بلامبالاة ثم سأل:

-و أنا هعمل كدة ليه؟؟

آجابه إسلام ببعض التردد:

-إحنا هنعملك إللي إنت عايزه ... بس تساعدنا الأول

سأله عبده بشكٍ:

-هتجبولي غدا؟

وافقت داليا على حديثه بسرعة لبساطة مطلبه:

-أه ... هنجبك إلی إنت عایزه

أرخی عبده ظهره للوراء لیردف بتملق:

-أنا عایز سوشي

جحظت عینا إسلام و هو یردف باندفاع و غیر تصدیق:

-نعم !! ... سوشي!!

التفت نحو دالیا لئُخبرها بصوتٍ خافت:

-دا جاي یحقق أحلامه عندنا ده ولا إیه؟؟

أصرُّ عبده علی حدیثه بلکنه مُهددة:

-یا تجبولي سوشي ... یا إما مش هترجم حاجة ... آمین؟

ألحت دالیا علی إسلام بقولها:

-خلاص یا إسلام هاتله سوشي خلینا نخلص

اضجر إسلام من استسلامها و عزم علی إنهاء تملق هذا الصبي الأرعن و لکمه علی وجهه، فما هو حتی یتحکم بهما؟؟

إحتدت نبرات وجهه و هو یقول بغضب کبته منذ قابله للمرة الأولى و سمح له بسلب أمواله:

-لا بقولک إیه یا شبر و نص إنت إنت هترجم غصب عنک، و أنا مش هجیب سوشي

إحتد عبده هو الآخر و وثب من مكانه ليردف بفضاظة و تهديد:

-متعلّيش صوتك عليا يا أبو طويلة بدل ما أخليك تتفرج على دمك

تدخلت داليا لتنهر عبده على فضاظته التي لا تتوافق مع سنه:

-يا عبده كدة عيب ... مفيش ناس متربية بتعامل الكبير بالطريقة دي

وجه عبده حديثه نحو داليا باندفاع و صدق:

-و إنت مين قالك يا حلوة إني متربي

لم تجد من الكلمات ما تقولها فأثرت الصمت لتجده يوجه ضفة الحديث نحو إسلام ليُخبره بإصرار:

-يا تجيب سوشي ... يا إما تشوفولكم حد غيري يترجم

أطبق إسلام على شفتيه بغضبٍ و هو يردف بإصرارٍ و صوتٍ مُرتفع مُقرر:

-و أنا قولت مفيش سوشي ... هو طبق كشري و مش هجيب أكثر من كدة...

بعد مرور ساعتين..

-بقولك يا إسلام ... هات الوسابي من عندك

قالتها داليا و هي تتناول قطعة من تلك الأكلة الصينية باستخدام الأعواد الخشبية، حيث كانوا يتربعون على الأرض و أمامهم العديد من غُلب الطعام الصيني و قد شاركهم هذا الرجل الأبكى بتناول الطعام في سعادة كما كان عبده كذلك، أما إسلام فلم تخلو معالمه من الغضب الذي تلاشى فيما بعد ليندمج بتناول الطعام باهظ الثمن الذي اضطر لشراءه من أجل ذاك المُتملق الصغير....

انتهوا أخيراً من تناول الطعام بعد أن امتلأت بطونهم و وثبت داليا من الأرض تضب ما تبقى من الطعام بمساعدة إسلام، أما عن عبده فأخذ موضعاً على إحدى المقاعد ليُرخي ظهره براحة، يراقبهم من بعيد و هم يُزيلوا آثار الطعام و كأنهم يقومون بخدمته....

إرتمى إسلام قبالته على الأريكة و كذلك داليا التي أخذت مقعداً بجوار عبده، كانا الاثنان يُحملقان بعبده و بوادر الغضب و نفاذ الصبر ارتسمت على وجهيهما خاصة مع كلمات إسلام:

-أدي السوشي و جنباه ... إتفضل بقى ترجم خلينا نخلص

اعتدل عبده في جلسته عندما انتبه إلى بعض الإشارات التي يفعلها الرجل بكتنا يديه، ترجم عبده هذه الإشارات بقرارة نفسه ثم أردف بصوتٍ واثق:

-بيقول إنه هيعمل شاي عشان يحبس و بيسأل لو إنتو كمان عايزين

أردفت داليا ببلاهة و تداركٍ للموضوع الرئيسي:

-أيوه أنا كمان عايزة شاي

نهرها إسلام بحديثه و نفاذ صبره:

-شاي إيه هو وقته !! ... خليه يقولنا الفازا فين

تنهد عبده قبل أن يعاود النظر إلى الرجل و يُحرك يديه ببعض الحركات التي فهمها الرجل و أجابه بحركاتٍ ممتالة ترجمها عبده بقوله:

**-بيقول إنه كان وسيط ... و إنه أخذ الفازا من مُرتضى و سافر الجيزة عشان يديها
لواحد تاني**

عقدت داليا حاجبيها و هي تسأل بحيرة:

-هو إيه اللفة دي كلها ؟ ... ما كان مُرتضى إداها للراجل ده علطول

ترجم عبده حديثها للراجل الذي أجابه بدوره ببضع إشارات قام عبده بترجمتها أيضاً:

-بيقول إنه راجل معلم و ثقيل ... و هو الوحيد إلي بيتعامل معاه بشكل مباشر ... و
بيقول كمان إنه بيحب يجمع الحاجات القديمة و بيحب يجمع أي حاجة و يخزنها
عنده في البيت...

أرعى عبده ظهره للوراء ليواصل الحديث:

-حسين صاحب مُرتضى ... و لما مُرتضى بيلقي حاجة عليها القيمة بيديها لحسين
عشان يبيعتها للراجل الكبارا و يقبض منه، بعدها يدي الفلوس لمرتضى و ياخذ
منها نسبة

تدخل إسلام بالحديث ليسأل:

-طب الراجل ده مكانه فين بالضبط ؟

تنهد عبده بنفاد صبر ثم وجه إشاراته نحو الرجل الذي يُدعى حسين حتى أخبره
العنوان، التفت عبده إلى إسلام و داليا ليُخبرهما:

-بيقول إنه ساكن في الجيزة ... بس مش أي حد يتعامل معاه، يعني لو قربتو منه
هتتشوّحو

عقدت داليا حاجبيها و هي تسأل بشك:

-هو قال هتتشوّحو؟؟

أجابها عبده بصدق:

-لا .. دي من عندي أنا

أنهى إسلام الحديث بتقريرٍ و إصرارٍ:

-طب إدلنا العنوان...

تحركت بخطواتٍ متأنيةٍ داخل تلك المشفى العريقة التي من المُفترض أن تُجري الحوار بها، كانت أنفاسها تتلاحق بعنفوانٍ و كأنها تقترب من نيرانٍ جامحةٍ قد تحوّلها إلى رمادٍ، كم تمقت أن يجبرها أحدهم على فعل ما لا تريده، لكنها دائماً ما تفعل ما هي مجبورة على فعله، فوالدتها تجبرها على تنظيف المنزل رغم مقتها للأمر، و ذلك المدير الأرعن يُرغمها على إجراء مقابلات هي لا ترغب بها، كم صعبة هذه الحياة؟؟ فهي تشعر و كأنها لعبة يُحركها الآخرون على أهوائهم دون أن ينصتوا حتى لرغباتها.

نفضت تلك الأفكار المتدمرة عن ذهنها لتواصل السير داخل المشفى عازمة على التوجه إلى المدير الذي يقطن بإحدى المكاتب، طرقت بضع طرقات على باب المكتب و ما هي إلا لحظات حتى إنفتح الباب لتتوغل داخل الحجرة و تلقى ذلك الرجل ذي البزة الأنيقة التي تبرز مدى كونه من طبقة ميسورة الحال، كان بالعقد الخمسين من عُمره و على الرغم من ذلك كان يتمتع بلباقة في الحديث و تحضرٍ في المعاملة، سمح لها بالجلوس قبالة كي يستمع إلى كلماتها التي بدت مُترددة و مرتبكة:

**-أنا الصحفية قمر هلال ... جاية أعمل تحقيق على القضايا إللي إترفعت على
المستشفى .. و كنت عايزة_**

قطعها الرجل بصرامة اشتملت على الإصرار:

**-القضايا إللي اترفعت على المستشفى كلها مش حقيقية يعني مفيش حاجة أقدر
أفيدك بيها**

أدركت من نبرة صوته أنه يمتنع عن الإجابة حتى لا يُدمر سُمعة المشفى، فأغلب الأشخاص يظنون أن الصحافة و الإعلام هدفهم فقط هو نشر الفضائح و تدمير سُمعة

الآخرين دون أن ينتبهوا إلى أن ما يتم نشره هو الحقيقة ليس إلا، استجمعت قمر قواها قبل أن تترجاه لآخر مرة:

-حضرتك في أدلة على القضايا دي ... و في شهود كمان_

قطعها مجدداً بحدة أنهى معها الحديث:

-الناس دول كدابين ... إحنا في مستشفى محترمة ... تقدري تتفضلي عشان أنا ورايا شغل

أغمضت قمر عينيها بترو كمحاولة منها لكظم غيظها و مواجهة هذا الفظ، سرقت نفساً عميقاً قبل أن تفتح عينيها و ترمق ذاك الرجل بأعينٍ ثاقبة أطلقت معها شعاعاً لا يُرى بالعين المُجرّدة لكن تأثيره جعل ذاك المدير يتغيب عن العالم و لا يعرف أين هو، سألته بعدها بصوتٍ واثق:

-مين المسؤول عن العمليات الغير شرعية إللي بتتعمل هنا؟؟

وجدته يُجيبها بصوتٍ تائه:

-الدكتور سليم دويدار ... بيعمل تجارب في المستشفى على ناس مجهولة الهوية عندهم صحة كويسة، بيحاول ينقل الجينات بتاعتهم السليمة لأشخاص بتعاني من المرض أو سنهم كبير، يعني لو حد عنده السكر، بيقدر يدخل على جيناته و يشيل الجين الحامل للمرض و في المقابل، الشخص إللي عنده جينات تخليه يعيش لفترة أطول بيقدر ينقلها لناس مريضة عشان يجرب إذا كانوا هيستجيبوا و يعيشو فترة أطول هما كمان...

قطعته قمر بسؤالٍ صارم:

-هو بيعمل كدة ليه؟؟

أجابها بنبرة مُتغيبية أدلت معها على الحقيقة كاملة:

-دكتور سليم دويدار مُدمن كحول ... و عنده مشاكل في الكلى و الكبد ... يعمل التجارب دي عشان يشيل الجينات الحاملة للمرض بتاعته و ياخذ جينات جسم متعافي تمامًا و عايز ينقل جينات المرض في العالم عن طريق وضعها في الأدوية و العقاقير عايز يعيش حياة أبدية...

ما إن أدلى بتلك الكلمة حتى اتسعت حدقتها في صدمة جعلتها تعود بذاكرتها للوراء لتتذكر هذه الجملة التي تسمعها دائمًا، تلك الجملة التي تربط ما بين أشخاص يسعون لحياة أبدية خالية من السُكّان كي تسنح لهم الفرصة بالسيطرة على العالم...

صباح اليوم التالي، عزم كل من داليا و إسلام على الذهاب إلى ذاك المدعو بالشاويش حسب ما أخبرهما حسين و ترجمه عبده، غطت داليا بالنوم على مقعدها بينما تولى إسلام القيادة و كان يتعجب من سرعة نومها و يسخر منها أيضًا:

-دا إنتِ أسهل واحدة تتخطف

واصل القيادة لعلها تستيقظ في أية دقيقة، لكن ما حدث أنها استيقظت حالما توقفت سيارة إسلام عند البُقعة المرادة، تحركا بأقدامهما وسط الحشائش الخضراء باتجاه منزلٍ كبيرٍ يبدو عليه الثراء، كان باب المنزل مفتوحًا على مصراعيه و كان يطل منه حفنة من الرجال و كأنهم يقومون بحراسة المنزل....

وثب إسلام قبالتها يستأذن منهما بؤد كي يقابل زعيمهم و صاحب هذا المنزل، لم يصدر الحراس أي من التعبيرات و كانت أجسادهم ضخمة حتى تظن أنهم مُبرمجون على عدم الحديث مع الغُرباء، اخترق مسامعهم صوت ضجيج يُصدر من الداخل فحاولوا التقدم بضع خطوات أمكنتهما من رؤية ما يحدث داخل المنزل...

كان المنزل مليئًا بالأغراض لدرجة تجعلك تعتقد أنك لا تستطيع السير بداخله من كثرة هذه الكراكيب، مع ذلك استطاع إسلام أن يرى المزهريّة خاصته فأشار عليها بلهفة و هو يقول:

-الفازا أهي ... أنا متأكد إن هي

أحست داليا بالسعادة تخترق طياتها لأنهما أخيراً استطاعا الوصول إليها، بقي فقط أن ينظرا بداخلها و يأخذها تلك الورقة...

-طب يلا نتكلم مع إللي اسمه شاويش ده عشان يدينا الفازا

حاولت اختراق الحرس لكنهم منعوا تقدمهما خطوة فبقيا أمام الباب ينتظرا الإذن بالدخول، استرق إسلام النظر داخل المنزل ليجد أمامه رجل ضخم البنية يبدو عليه الصلابة، كان الحرس يكتنفونه في تلك البقعة الفارغة بين هذه الكراكيب، و كان يركع أمامه على الأرض رجل عادي البنيان يبدو عليه الخوف الشديد، حيث كان يتوسل بكل ما أوتي من قوة:

-يا باشا والله العظيم آخر مرة ... والله ما هعمل كدة تاني

رفع شاويش سلاحه أمام الرجل الذي ارتعد من الخوف و بدأت أنفاسه تتلاحق، أطلق شاويش نظراتٍ نارية و هو يقول:

-هو أنا مش قولت محدش يقرب من الحاجات بتاعتي؟؟ تقوم إنت تاخذ الطفاية و تستخدمها كمان

حاول الرجل التبرير بأنفاسٍ مُرتعدة:

-والله كنت عايز أظفي السجارة و ملقتش غيرها، كنت عايز أرجعها والله بس كنت خايف سامحني أبوس إيدك

حاول تقبيل يديه كي يعفو عنه لكن لا حياة لمن تُنادي، فالرجل أصرَّ على عقابه مع لكنته التهديدية:

-إحبسوه في أوضة الفران ... عشان يكون عبرة لكل إللي هيفكر يمد إيده على حاجات الشاويش

إزدردت داليا غصتها بزُعبٍ من حديثه، همست بأذن إسلام بتردد:

-ده هيجبسه عشان طفاية ... أومل لو عرف إننا عايزين الفازا هيعمل إيه؟؟

طمأنها إسلام بحديثه الواصل:

-متقلقيش ... إحنا هنبص فيها و هنرجعها علطول

ما إن أنهى حديثه حتى وجدا شاويش يقف قبالتها بعد أن أخبره الحراس أن هذين الغريبيين يريدان مقابله، رمقهما بصلافة أشعرتهما بالخوف أكثر مما أدى إلى ارتجاف الأحرف و هي تخرج من أفواههما....

-إنت مين يا ض إنت و هي؟؟

تبادلت النظرات بين إسلام و داليا في تيه حتى أرف إسلام بارتباك:

-إحنااا ... إحنا عايزين منك حاجة بسيطة أوي

أطلق شاويش النيران من عينيه و هو يقول:

-أنا محدش بياخد مني حاجة

بررت له داليا بارتباك:

-إحنا هناخدنا و هنرجعها تاني والله، مش هناخدنا لينا خالص

تجاهل شاويش حديثها و أمر حراسه بصلافة:

-عباس ... خُد الاتنين دول و إرميهم في الصحرا

التف الحراس حول إسلام و داليا رغم اعتراضهما على ما يحدث، حاولا التملص من قبضتيهما لكن لا حياة لمن تنادي، فالحراس قد نالوا منهما و ألقوا بهما ببقعة مكفهرة بصحراء كاحلة لا يوجد بها إنسي أو حتى مأوى، فقط صحراء تحفها الرمال ببقعة بعيدة عن سيارتيهما...

ضربت داليا الأرض بقدميها و هي تردف بتذمر:

-هنعمل إيه دلوقتي ... الراجل ده طلّع مجنون

حاول إسلام التبرير له بحكمة:

-أو يمكن عنده إجتناز قهري، إنتي مشوفتيش البيت مليون حاجات إزاي، و مشوفتيش إزاي بيقدس حاجته ؟

أومأت داليا رأسها بتفهم قالت بعده:

-و هناخد منه الفازا إزاي؟؟

فكر إسلام هنيهة لكنه لم يجد حلاً الآن لذلك قال:

-نمشي من هنا الأول بعدين نفكر في طريقة

سألته داليا بتيه حمل ضيقها:

-و هنمشي إزاي من المكان ده ؟

أجابها إسلام بنفاد صبر:

-يا ستي هنركب أي حاجة إن شاء الله عربية خرفان

بعد مرور نصف ساعة...

كان إسلام يجلس على ركبتيه و جواره خروف يحمل اللونين الأبيض و الأسود، أما داليا فكانت بالقرب من ذلك الخروف تجلس مُتربعة على أقدامها و يداها تُمسد على خروفٍ آخر صغير الحجم، بعد فترة من الصمت تناست داليا تلك المُعضلة التي هم بها و إردفت بلهفة بعد أن اندمجت مع هذه الخراف:

-أنا هسمي الخروفة دي روتانا

سألها إسلام بتيه:

-و إنتِ عرفتي منين إنها بنت؟؟

آجابت داليا باستنتاج:

-حسيت، أصلها كيوت و بريئة، و مفيش رجالة بريئة

أوما إسلام باستخفاف ثم أشار على خروفٍ آخر ليقول:

**-أنا هسمي الخروفة إيلي هناك دي على اسمك ... أصل واضح عليها إنها هيلة
زيك**

آثار حنقها بتلك الكلمات فضربته على كتفه كي تنهره بحديثها:

-طب تصدق بقى إنك شبه الخروف البارد إيلي قاعد هناك ده

آجابها إسلام بحكمة حملت معها السخرية:

**-في عالم اسمه داروين... كان بيقول إن الإنسان أصله قرد، أهو أنا بقى مكنتش
مصدق كلامه لغاية ما شوفتك**

و هكذا إستمر الجدل بينهما و كان الفوز بالطبع من نصيب إسلام الذي يستطيع إثارة حنق ما أمامه بسبب معلوماته التي يختلقها و المعلومات الحقيقية التي يُطبقها على

أرض الواقع، و لكن في النهاية استطاعا الوصول إلى السيارة و الذهاب إلى
وظيفتهما لعلهما يجدا حلاً لتلك المُعضلة بوقتٍ آخر....

يطرق بالقلم على الطاولة أثناء انشغاله ببعض القضايا و الأدلة، أحس بثقلٍ يجتاح
عقله يطالبه بأخذ قِسطٍ من الراحة بعد هذه الأشغال الشاقة التي أجهد نفسه بهم، و في
خضم تركيزه بتلك الأوراق المهمة إذا أنه يجد يد تُضرب على الطاولة أمامه
يصحبها صوت يعرفه جيداً و يرتاح لسماعه:

-أنا عرفت واحد من المنظمة...-

انتبهت حواسه لحديثها فرفع رأسه بإهتمام لينصت إلى ما تقوله و الذي يبدو في غاية
الأهمية:

-الدكتور سليم دويدار....-

طغت العُتمة على هذا المكان الذي إجتمع فيه شياطين الإنس من كل حدبٍ و صُوب،
ينبثق شعاع من الضوء بمُنْتَصَفِ الحجرة ليَجْعَلِ الأجواء واضحة بعض الشيء و مع
ذلك لا تزال تُحافظ على غموضها، وطأت أقدام متحضرة تلك الحجرة ليظهر بعدها
رجل حسنت قسما ووجهه على رغم من كونه بأواسط العُمر، حيث كان يرتدي بزة
أنيقة سوداء و ملامح حادة زينتها عيناها الخضراواتان الشبيهتان بالقطط و وجه حاد
أعرب عن صلابته صاحبه...

أشار عليه ضرغام كي يُعرفه عليهم بصرامته المعتادة:

-أقدم لكم فيرناندو جيلبرت ... من أمهر خبراء التكنولوجيا و المواقع السوداء،
أتى إلى هنا من إسبانيا كي يضحى عضواً بمنظمتنا بدلاً من فاتح

حيّوه بعوالم جامدة حتى أزاح فيرناندو المقعد ليتلقى حديث إيزاك الوقح كالعادة:

-و ما الذي سيضيفه هذا الأحمق؟

واجه فيرناندو سبه بصلافة جعلته يرد عليه بكلمات أجنبية:

-سأفعل ما لا تستطيع فعله أيها الوغد المتعنت...

تقدم بجذعه للأمام كي يُفسر وجهة نظره:

-لدي العديد من الأفكار التي من شأنها الإطاحة بهذا الشعب و استقطاب عقول الشباب و خاصة المراهقين...

أرعى ظهره للوراء كي يتحدث عن إنجازاته بفخر:

-لقد قُمت ببرمجة العديد من البرامج لنشر عقيدتنا و مذاهبنا، بهذه الطريق سنستطيع استدراج الشباب و إخبارهم عن مذاهبنا حتى ننال دعمهم و تسنح لنا الفرصة بتحريكهم على أهوائنا

سأله ستيفن بشك:

-و ما الذي يجعلك متأكد من أن هذه البرامج ستؤتي ثمارها ... من الممكن ألا يستخدمه أحد من الأساس

أجاب فيرناندو بثقة:

-أنا لست أحمقاً حتى أخبرهم بمذاهبنا بطريقة مباشرة قُمت باستخدام تلك البرامج للترفيه أولاً و نشر المقاطع المُسلية، و عندما ينغمس الشباب بتلك المقاطع و يتعلقوا بالبرنامج، أقوم أنا وقتها ببث السُم و دس مذاهبنا بين هذه المقاطع حتى يراها الشباب و ينخرطوا بها و قد نجحت هذه التجربة بالفعل

أضاف جيفري على حديثه بتقرير:

-يمكننا أيضاً أن ننشر مذهبنا بين الأغنياء و الكُتب، هكذا ستتوسع مداركهم و ينهش الفضول أحرشهم كي يتعمقوا بالبحث عن أفكارنا المتطرفة

أيدوه الرأي و طفقوا يفكرون بطرق أخرى لنشر الفساد بالعالم، قطع ضرغام هذا النقاش بقوله:

-هذا جيد أيها الأوغاد ... لكننا نريد أن ننال من أولئك الذين لن يستجيبوا لمذهبنا و أفكارنا أولئك المتحجرة عقولهم من كبار السن و الشيوخ و أصحاب العقيدة هؤلاء يُمثلون تهديداً لمصالحنا لذلك علينا أن ننل منهم

طمأنه سليم بتلك اللحظة بحديثه:

-لا تقلق أيها الزعيم ... سننال منهم عما قريب، فأنا أجهز العقاقير التي من المُفترض أنها تُعالج بعض الأمراض المُزمنة، لكنني وضعت بها تركيبة من شأنها نشر الأمراض على كل من يستخدمها تعاقدت أيضاً مع العديد من شركات التغذية التي تدعمنا و أمرتهم بوضع تلك السموم بمنتجاتهم الغذائية ... و مع انتشار تلك الأطعمة المُعلبة و المليئة بالمواد الحافظة، سينتشر معها مرض السرطان الذي سيودي بالعديد من الأرواح ... و سيخلو الجو لنا

رسم ضرغام ابتسامة خبيثة على ثغره أنهى معها الحديث بتقرير:

-أحسنت أيها الطبيب يجب عليك أن تسافر إلى مناطق أخرى تُصدر لنا الطعام حتى تبت السُم بمنتجاتهم ... أما أنا فسأعمل على تنقل الأرواح حتى نستطيع أن نحيا حياةً أبدية نتلذذ فيها بتدمير العالم..

حلّ المساء و كانوا يجتمعون وقتها بالحديقة الخاصة بكوكي و التي أضحت رسمياً المقر الخاص بنقاشاتهم، فيما عدا مُعزز الذي إنهمك بوظيفته الجديدة ذات الدوام

المسائي، كان يتحدث إسلام عما حدث معه هو و داليا مع ذاك الذي يُدعى شاويش و كيف عاملهما عندما أرادا فقط أن يقتنيا تلك المزهرية، تملك الغضب من إسلام و هو يتحدث عن معاملة هذا الرجل و كم أنه مختل عقلياً، فمن بين البشر أجمعين تقع تلك المزهرية بين يدي مختلاً عقلياً لديه مرض نفسي، ما إن أنهى إسلام الحديث حتى سأله لؤي:

-إنت قولتلي هو ساكن فين؟؟

أخبره إسلام عنوان هذا الرجل و كان لؤي يُهمهم بتفهم حتى أُردف بالنهاية:

-كدة مقدمناش غير إننا نسرق الفازا

اتسعت حدقتا قمر بصدمة قالت معها بغير تصديق:

-نسرق !! ... لؤي إنت ظابط

وجه لؤي بصره نحو قمر ليُخبرها بإصرار:

-هو إللي أجبرنا على كدة طالما معرفناش ناخدها منه بالذوق و نرجعها له تاني يبقى لازم ناخدها من وراه و هنبقى نرجع الفلوس إللي أخذناها منه المهم إن الفازا و الورق يبقو معانا ... إحنا مش ضامين ضرغام ممكن يعمل إيه لو موقفنا هوش عند حده

كانت كلماته صارمة تحمل كمًا من الضغينة لذاك الماكر هو و أفراد مُنظمتة، تدخلت داليا بالحديث كي تسأله:

-طب إحنا هنعمل كدة إزاي؟؟

أجابها لؤي بصرامة:

-على بكرة هكون عملتكم خطة متخرش الماية، عايز منكم بس تدوني شوية
تفاصيل عن المكان إلي هو فيه عشان نعرف ندخله من أي ناحية....

في اليوم التالي، تسللت أشعة الشمس الساطعة وسط الشوارع و الطرقات، كان هذا
اليوم من الأيام بالغة الأهمية بالنسبة لمُعتر، فهو اليوم الذي سيتقدم فيه لخطبة الفتاة
التي دق قلبه لها، من المفترض أن يقبل على تلك الخطوة منذ عدة الأيام، لكن ما
حدث و مازال يحدث بالفترة الأخيرة يقف حائلاً أمام هذا الأمر....

يتحرك كل من سيد والد إسلام و جواره معتر و من الناحية الأخرى كان إسلام و
جميعهم يقتربون من المنزل الخاص بكوكي، لاحت عوالم الازبهلال على وجه سيد و
هو يرمق ذاك القصر الفسيح و يقول:

-هي البت إلي عايز تخطبها ساكنة في قصر صلاح الدين؟..

بقيت عوالم الازبهلال مُنطلية على وجهه بينما تقدم إسلام نحو معتر ليهمس بأذنه:

-خُد بالك من عمو عشان الجوازَة متبوظش

تعجب معتر من مناداة إسلام لوالده بالعم، سرعان ما تقاذفت الشكوك على رأسه حتى
أردفت داليا التي إخرقت جسد إسلام:

-أنا داليا مش إسلام ... هو إلي قالي آجي مكانه عشان أنقذ الموقف

أوما مُعتر بتفهم و بقيوا في حالة من الصمت حتى دخولهم المنزل و جلوسهم على
أريكة البهو ينتظرون مقابلة والد كوكي الذي سيتحدث معهم أولاً، كان سيد يتلقت
حواله يتحص هذا القصر بعناية و لا يُصدق أن مُعتر سيتقدم لخطبة فتاة من تلك
الطبقة الإجتماعية المرموقة، فلازالت الشكوك تساوره حيال موافقة والد الفتاة على
تلك الزيجة أم لا...

ما هي إلا برهة حتى تقدم نحوهم والد كوكي برونقه الواضح و شعره الأبيض الذي
إجتمع مع عينيه الزرقاء التي تُشبه خاصة كوكي، فكانت هيئته تُشبه أولئك الذي
يظهرون على التلفاز، رسم مُصطفى ابتسامة هادئة على ثغره أثناء قوله بؤد:

- nice to meet you

لم يفهم سيد مقصده لعدم تمكنه من تلك اللغة؛ رسم هو الآخر ابتسامة بلهاء على ثغره
و هو يرد:

-إحنا الحمد لله كويسيين

ضربت داليا جبهتها بنفاد صبر ثم إقتربت من والد إسلام كي تهمس بأذنه:

-هو بيقول إنه مبسوط إنه شافنا

أوما سيد بتفهم ثم أعاد الإجابة مرة أخرى و لكن بثقة متزايدة:

-أه ... و إحنا كمان لينا الشرف بمقابلة حضرتك

مرّت برهة من الصمت كان يُرتب فيها الحديث، أما عن مُعترز، فكان يرتعد من
التوتر و يُهذب بزته في كل ثانية لعله يحد من توتره، تنحح سيد ليُجلي حنجرته قبل
أن يردف بتحضرٍ ينافي مبادئه:

-يسعدني إني أطلب إيد الأنسة....

بتر حديثه عند هذه الكلمة لعدم تذكره لاسم الفتاة؛ إقترب من مُعترز ليهمس بأذنه حتى
يُذكره:

-هي كان اسمها إيه؟؟

آجابه مُعترز ببلاهة و ابتسامة تعتلي ثغره:

-اسمها ناجتس-

عقد سيد حاجبيه بحيرة من ذاك الاسم الأحمق ثم سأل:

-ناجتس !! إنت إتعرفت عليها في ماكدونالدز ؟

تدخلت داليا بالحديث كي تنقذ الموقف:

-اسمها كوكي يا عمو ... أقصد يا بابا

كانت الغرابة لا تزال تُرتسم على وجه سيد لأن ابنه لا يناديه إلا بالحج منذ سن المراهقة، لكنه تغاضى عن ذلك الشعور ليوجه الحديث مرة أخرى نحو مُصطفى و يُخبره بتحضر زائف:

-إحنا عايزين نطلب الأنسة كوكو...

صححت داليا الاسم بأذنه فأعاده سيد مرة أخرى:

-الأنسة كوكي ... عايزين نطلب إيدها لمُعتر إلي بعتره أكثر من إبني

رسم مُعتر ابتسامة فخورة على ثغره هذب معها ثيابه، أما عن مُصطفى فلا زال مُحافظاً على وقاره و هو يقول بابتسامة هادئة:

-كوكي قالتلي على كل حاجة ... و أنا شايف إنهم لايقين على بعض، ناقص بس
تسمعو موافقتها

أخرج الهاتف من جعبته و أجرى مكالمة قصيرة للغاية كان الغرض منها إرسال إشارة إلى كوكي كي تظهر الآن أمامهم، ما هي إلا لحظاتٍ حتى ظهرت سيدة بمُقتبل العشرين ترتدي ثياباً فاتنة أبرزت مُتعرجات جسدها الممشوق مع ملامح بريئة تحمل اللحمة الأجنبية، كانت تحمل صينية مليئة بكؤوس العصير لتضعها أمامهم بهدوء....

اتسعت بسمه سيد ما إن رmq هذه الفتاة؛ وثب من موضعه يُمعن التحديق بتلك الفتاة و
يقترb منها رويداً...

-بسم الله ما شاء الله العروسة زي القمر

كانت معالم الصدمة تُرسم على وجه كل من معتز و داليا التي تستحوذ على جسد
إسلام و تدعي بقرارة نفسها ألا تتدمر هذه الخُطبة، كان مُعترb يردف ببعض الحرج و
التنبيه:

-يااا .. حَج...-

تجاهله سيد و بقي واثبًا مكانه يثني على تلك الفتاة بابتسامة فخورة:

-زين ما إخترت يا واد، هتحسن النسل بتاعنا ... أهو دي العِرسان ولا بلاش

لم تتحمل داليا أكثر من هذا فأردفت بنبرة عالية:

-يا بابا دي مش العروسة ... دي اللي بتعمل شُغل البيت

تسرُب الحرج إلى وجه سيد و هو يرمق الفتاة لآخر مرة و قد لاحظ عوالم التيه على
وجهها من تصرفاته، عاد مجددًا إلى موضعه و كانت داليا تهمس بأذن مُعترb:

-مش قولتلك عمو هيبوظ الجوازَة

استجدى مُعترb الدعاء بقوله:

-يا رب الموضوع يعدي على خير

ما إن جلس سيد على الأريكة حتى أردف بصوتٍ هامس:

-إبقى فكرني يا ض آجي أخطب من هنا .. دا الشغالة عندهم أحلى من أمك

تتهدت داليا بنفاد صبرٍ من أفعال والد إسلام الطائشة، فهي الآن قد علمت من أين أتى إسلام بلسانه السليط...

مرّت ثوانٍ أخرى و أنت كوكي أخيراً برداءٍ فُرْمزي يصل حتى أخصم قدميها مُطرز بالورود و لا زال يحتفظ بأناقته و بساطته، كانت الابتسامة العريضة تُرسم على وجهها حتى جلست قبالتهم تُخبر والدها بموافقته بصدورٍ رحب حتى يتم قراءة الفاتحة و ارتداء الدبل في أجواءٍ شاعرية مليئة بالبهجة، فلا يُصدق مُعتر أن الأمر مرٌ بهذه المرونة رغم ما حدث منذ قليل، ها هو يُحقق أولى أحلامه بوصوله لنصفه الآخر و بدايته لحياةٍ جديدة مليئة بالسعادة...

بعدما إنتهى الأمر و شرعوا يتحركون نحو السيارة، كان مُعتر يتحدث مع داليا:

- هو إسلام فين؟؟

أجابت داليا بثقة:

- مستتياه ياخذ جسمه تاني ... أصل هو إللي مبدل، المفروض نبدل دلوقتي بس مش عارفة هو بيعمل إيه؟؟

-بُصي يا ستي ... المحلول ده تُحطي منه كل يوم على مخدته قبل ما ينام علطول

...

قالها إسلام الذي استحوذ على جسد داليا و أصبح داخل عيادتها يتحدث مع حالاتها و كأنه خبيرٍ بتلك الأمور، أمسكت الفتاة الورقة التي دُون عليها اسم المحلول لتسأله بشك:

-يعني لو حطيتله المحلول ده مش هيشوفني وحشة تاني؟؟

أجابها إسلام بتلقائية و صدقٍ حمل معه ميوله الشريرة:

-دا لو شاف تاني يبقى خير و بركة

تعجبت الفتاة من حديثه و سقط فكها لو هولة لكن إسلام صحح الموقف بقوله:

-قصدي إنه مش هيعرف يشوف غيرك ... هو مين يعني عشان يبص برة و هو
معاه القمر ده

ابتسمت الفتاة بخرج من حديث طبيبتها التي ظنته إطراءً على الرغم من أنه كان يتغذّل بها بطريقة مُبطّنة، لملمت الفتاة شتات نفسها قبل أن تثب من موضعها عازمة على تنفيذ ما أخبرها به إسلام بحذافيره...

ما إن تركت المكتب حتى أرخى إسلام ظهره للوراء كي يقول بأريحية و لامبالاة:

-يلا ..خلينا نخلص من الناس دي...

بقي لبرهة يدور بالمقعد المتحرك نصف دائرة و يعبث أيضاً بالأقلام أمامه حتى تذكر شيئاً هاماً فقال:

-داليا !! ... أنا نسيتها خالص...

أشرفت الشمس على المغيب و كانت السماء تتلخخ بالعديد من الألوان التي جعلتها كلوحة فنية جعلتها هذه الشمس التي احتضنت باطن الأرض بحمرتها الجذابة، كانا يتجولان بين المتاجر بعد أن إنتهت فترة دوامهما و سنحت لهما الفرصة بالتنعم ببعض الراحة، تحدثنا بالعديد من المواضيع أهمها ما قالته قمر عن إحدى أعضاء المنظمة و المدعو بسليم، حيث أنها منذ أدلت هذه الحقيقة و لؤي لم يتوقف عن البحث على المزيد من الأدلة و النيش وراء ذلك الطبيب الماكر....

كان قد تسلّم ضفة الحديث و هو يقول بجدية:

-أنا أتأكدت إنه مسئول عن عمليات غير شرعية، ده غير إن شركة الأدوية بتاعته بتصدر أدوية مُنتهية الصلاحية وبتنقل أمراض خطيرة ... ناقص إني أقبض عليه، بس المشكلة إنه مسافر أمريكا و معرفش هيرجع إمتى

سألته قمر باستفسار:

-مش هتصدر أمر بالقبض عليه؟؟

نفي لؤي حديثها بحكمة:

-لو عملت كدة و الخبر وصله ممكن يفضل في أمريكا و منعرفش نجيبه ... أنا هخلي الموضوع كله في السر لغاية ما يرجع من السفر

أومات بتفهم و اقتناع تام بحديثه، مرّت بعدها بُرهة من الصمت قطعها لؤي بابتسامة تشق ثغره ما إن رأى متجرًا للعبور جوارهما، أراد أن يزرع السعادة بقلبها و التوقف عن تلك الأحاديث الجادة لفترة، فهو يعلم أنهم سيجتمعون بالمساء ليسرد لهم الخطة الأكبر لاستعادة تلك المزهرية، لا ضير بالتنعم ببعض السعادة في تلك الدقائق...

أشار بيده على متجر العطور ثم حث قمر على اتباعه لبيتاع لها عطر ما كهديه لطيفة تُسجل تلك اللحظات، سارت قمر وراءه بتغيب حتى توقفا داخل المتجر ليسألها بلهفة:

-بتحبي ريحة إيه؟؟

ارتسمت السعادة على وجه قمر و هي تُجيبه بتلقائية و صدق:

-بحب ريحة المنكير ... و بحب ريحة الكُتب الجديدة

تلاشت بسمة لؤي ليحل محلها الغرابة و هو يقول:

-كُتب جديدة !! و أنا هجيبك ريحة الكُتب الجديدة منين أنا دلوقتي ؟

واصلت قمر حديثها بلهفة:

-إنت متعرفش ريحة الكُتب الجديدة دي بتبقى حلوة إزاي ... دا أنا لما بشتري كُتب جديدة بفضل أشمها أكنها مُخدرات

أوقف لؤي لهفتها و حديثها الأبله _ من وجهة نظره _ ليعيدها على أرض الواقع بقوله:

-قمر ... إحنا في محل برفنات، أكيد مفيش الروايح دي هنا

لاح العبوس على وجهها بعد أن تحطمت آمالها في أقل من الثانية، عادت الابتسامة على ثغر لؤي و هو يقول:

-أنا هجبك على ذوقي

تقدم بعدها نحو المسئول عن المتجر ليُخبره عن طلبه، أحضر الرجل زجاجة تحتوي على إحدى السوائل حتى يُفرغها داخل زجاجة صغيرة ليُخفف تركيزها حتى تضحي جاهزة للاستعمال، أخذ لؤي الزجاجة من الرجل بعد أن دفع ثمنها و رحل بها من المتجر....

أعطى زجاجة العطور لقمر كي تشتم رائحتها الهادئة المُتشبهة بالحلوة، اخترقت تلك الرائحة أرنبة أنفها و أصابتها بالإنتناء لبعض الوقت حتى سأل لؤي بنبرة هادئة:

-حلوة؟؟

رسمت ابتسامة هادئة على ثغرها و هي توميء برأسها إيجابًا و السعادة تطفو على جنباتها بتلك الهدية البسيطة التي أسعدت يومها، أكمل السير بعدها في أجواء هادئة و بعض الأحاديث التي تنقلت ما بين الأحاديث الجادة تارة و العشوائية تارة أخرى حتى ذهبوا إلى وجهتهما المرادة سويًا...

أظلمت السماء بعد أن حلَّ الليل و كانوا يجتمعون بنفس ذات البقعة عازمين على وضع نهاية لذلك الأمر بُرمته، فقد كان لؤي يترأس الطاولة و أمامه على اليمين كل من إسلام و جواره مُعتز و على اليسار تجلس كل من كوكي، قمر و داليا، كان يتحدث لؤي بصرامة و هو يُشير بيده على تلك الورقة العريضة الموضوعه على الطاولة و التي تحمل مُخططًا لما سيفعله بالضبط...

أشار بإصبعه على منطقة مُعينة قال معها:

-دا بيت شاويش أو خلينا نقول الأستاذ إمام المحلاوي ... الملقب بالشاويش... إحنا بقى هنتقسم ثلاث مجموعات...

أشار على كل من إسلام و داليا ليُخبرهما دورهما:

-بما إنكم تقدرو تمشو بأرواحكم في أي حته، فإحنا هنستخدم العُنصر ده في الخطة بتاعتنا...

عاود النظر إلى الورقة كي يواصل:

-روح إسلام هتدخل البيت، هيفضل يدوّر على مكان الفازا بالظبط، و لما يلاقها، هيخرج يدي إشارة لداليا إلهي هتكون مستتية جنب جسمه، و طبعا الإشارة دي محدش هيعرف يشوفها غيرها

أوماو رؤوسهم بتفهم ثم أشار لؤي على داليا ليسترسل:

-لما داليا هتستقبل الإشارة هتتصل بكوكي عشان تعطل الكاميرات، و في نفس الوقت مُعتز هيكون قدام البيت بيعطل الحراس عشان ميحسوش إن في حاجة بتحصل جوة

إبتعد عن الطاولة ليُدلي آخر جزء بالخطة بنبرة واثقة أشار معها على ذاته:

-داليا هتقولنا مكان الفازا بالظبط، فأنا و قمر هندخل من الباب إلي ورا و ناخذ
الفازا من غير ما حد يحس ... في أي حاجة مش مفهومة ؟

نفوا برؤوسهم مؤكدين على فهمهم التام لتلك الخطة و تحفزهم لتنفيذها، تقدم لؤي
بجدعه نحو الطاولة لينهي الحديث بصرامة و تقرير:

-تمام ... يبقى بكرة بليل هنفذ الخطة... !!

الفصل الخامس عشر (صوت السلاح)

لا تكن كالماشية التي تسير وراء القطيع دون أن ترسم طريقها بنفسها، ففي النهاية يضحى الهلاك مصيرها على يد من تسير وراءه....

خطواته المترنحة أعربت عن كم السعادة التي تتغلغل بداخله، فهذا هو أول يوم يقضيه بعد أن تمت خُطبته و أضحت الحياة تبتسم له بعد المرار الذي ذاقه، كان من المُفترض أن يتقابل مع كوكي كي يتناولوا الغداء سوياً قبل أن يستعدا لتنفيذ تلك الخطة بالمساء، لكنه قرر أن يفاجئها و يجلب لها نوع من المكسرات كانت قد أخبرته مُسبقاً أنها تُفضله.

رسم ابتسامة هادئة على ثغره كلما فكر في ردة فعلها و كيف ستضحى سعيدة بمفاجأته البسيطة، فسعادتها هي نعيم بالنسبة له لذلك يسعى دائماً لجعلها تبتسم و يظفر بإحساس النعيم هذا.

تقدم نحو البائع كي يسأله بؤد:

-بكام عين الجمل لو سمحت؟؟

أجابه البائع دون أن ينتبه له لأنه يُلبي طلب إحدى الزبائن:

-300 جنيه

أجم لسان مُعتز من هذا السعر البهيز الذي جعله يردف بتساؤل:

-هو عين جمل بجد ولا إيه؟؟

وجه سؤاله مُجدداً نحو البائع كي يسأله:

-هو الرُبع كيلو بكام؟

آجابه البائع بنبرة جامدة:

-300 جنيه

سأله معترز مجدداً لعل البائع لم ينصت له جيداً:

-لا أنا بتكلم عن الرُّبع كيلو مش الكيلو

آجاب البائع بنبرة أعلى تحمل نفاذ الصبر:

-منا قولت لحضرتك بـ300 جنيه، ما هو محدش بيشتري غير رُّبع كيلو

أوما مُعترز بتفهم ثم تفقد محفظته ليُخرج النقود من جعبته، لكن للأسف لم يكن معه سوى منتي جنيه فقط من المُفترض أن يستخدمها في عزيمة الغداء، آعاد النقود داخل جيبه ليقول:

-طب اوزنلي تلاتة لو سمحت

عقص البائع حاجيبه و هو يسأل:

-تلاتة كيلو؟؟

فسر معترز قوله أكثر:

-لا تلات وحدات...

لبي البائع رغباته و معالم التيه مُرتسمة على وجهه من ذاك المُشتري البخيل من وجهة نظره، فهو لا يعلم أن الذي أمامه لا يمتلك قوت يومه و يسعى دائماً لإسعاد خطيبته الغنية...

رحل مُعتر من المتجر ليلقى كوكي التي كانت تنتظره بمكانٍ قريبٍ تلتقط بعض الصور لنفسها حالما يأتي، وجدته يقترب منها بابتسامة بشوشة مدُّ معها علبة بلاستيكية صغيرة تحتوي على ثلاث حباتٍ من عين الجمل جعلتها تُقهقه بخرج من تلك اللقطة، أمسكت منه العلبة و كان بداخلها يعلم أنه لا يمتلك المزيد من النقود ليبتاع لها أكثر من هذا، لكنها أيضاً كانت سعيدة بما يفعله من أجلها...

-معلش بقى، عين الجمل مكنش حلو عند الراجل، فاخترتك أحلى ثلاثة منهم

كانت متأكدة أنه يتحجج حتى لا تعتقد أنه بخيل، و مع ذلك لم تزل البسمة عن محياها و هي تتقبل هديته بصدرٍ رحب و تُخبره:

-شكراً...

كلمة بسيطة أعربت بها عن امتنانها جعلته يكاد يطير من الفرح و السعادة، مرّت برهة من الصمت بينهما حتى أرفف مُعتر بتقرير:

-طب يلا بقى نروح نتغدا قبل ما يكلمونا...

يجلس أمامهما رجل يبدو بأواخر الثلاثين و جواره فتاة تبدو بمُقتبل الثلاثين، كلاهما يحملان ورقة ما قد أعطهما إياها داليا الماكثة داخل عيادتها تتحدث معهما لعلها تجد لهما حلاً لتلك المشكلة التي تُعيق حياتهما الزوجية:

-الورقة إللي ادتهالكم دي ... تكتبو فيها رسالة لبعض، عايزاكم تطلعو كل إللي جواكم في الورقة دي...

وجهت بصرها نحو الفتاة لتُخبرها:

-يعني أي حاجة إنتي عايزة تقوليها لرامي إكتبيها في الورقة ... و إنت كمان يا رامي نفس الكلام ... لحد_

قطع إسلام حديثها بعد أن ظهر فجأة داخل عيادتها و تدخل بطريقة علاجها بسُخرية:

-لحد ما حبر القلم يخلص فيقررو يستخدمو دراعهم

أطبقت داليا على شفيتها بعد أن استمعت إلى صوته و أدركت أن روح إسلام تطوف حولها كي يتدخل بوظيفتها و يُشاكسها كما يفعل دائماً، وجدت نفسها تتحدث بصوتٍ مُرتفع بتلقائية غفلت معها عن تلك الأعين التي ترمقها بحيرة:

-إنت جاي هنا ليه يا بني آدم إنت ... أنا مش قولت مليون مرة إن في حاجة اسمها موبايل تقدر تكلمني و تقولي إني عايزه بدل شغل العفاريت ده!!

إزدرت الفتاة ريقها و قد بدأ الخوف ينهش أحراسها خاصة بعد أن ذكرت داليا وجود الأشباح التي تخشاها حد الموت:

-عفاريت !! ... هـ ... هو في عفاريت هنا ؟؟

حاولت داليا طمأنتها بقولها:

-لأ مفيش حاجة ... أنا بس بحب أكلم نفسي

كان العرق ينساب من جبينها و شعور الحرج يتسرب داخلها بسبب ذلك الذي يُفسد عملها دائماً، وجدته يردف ببرودٍ صحح معه حديثها:

-لحقتي تنكري وجودي ... و بعدين في واحدة تكلم نفسها بالطريقة دي ؟

وجهت داليا بصرها نحوه و هي ترد عليه بحدة:

-أه عادي، أنا ممكن أزرق لنفسي، بعدين متدخلش في شغلي و متخليهمش يفتكرو إن أنا مجنونة مش معنى إنك شبح يعني تفرض سيطرتك ... لاا .. انا كمان ببقى شبح زيي زيك خليك فاكِر

اتسعت حدقتا الرجل و زوجته و هما ينصتا إلى ذاك الحديث المُنبثق من داليا، فقد
ظنا لو هلة أن بها مس شيطاني أو أنها مجنونة ما، حمم رامي بهلع ثم أمسك بيد
زوجته ليثب كلاهما بخوفٍ استأذن معه رامي:

-طب عن إنك يا دكتورة

أحت عليهما داليا بقولها:

-استنو الجلسة لسة مخلصتش

استأذنت الفتاة و الخوف يتسرب من عينيها:

-لأ إحنا مش محتاجين جلسة خلاص ... إحنا إتصالحنا

رسمت بسمة زائفة على ثغرها قبل أن تهرع بسرعة من المكتب و يلحقها زوجها
لعلهما ينفدا بجلدهما قبل أن يمسهما جنونها، ما إن رحلا حتى التفتت داليا نحو إسلام
لئخبره بغضبٍ حمل معه العتاب:

-إنت إيه إلهي جابك؟؟ ... كل شوية تبوظلي شغلي

إرتمى إسلام على المقعد أمامها ليحدثها ببرود:

-أولاً .. وطي صوتك أحسن ما يفتكروكي مجنونة ... ثانياً بقى و ده الأهم...

تقدم بجذعه و هو يواصل الحديث بأهمية:

-أنا جاي أتدرب معاكي على إلهي هنعمله بليل....

جُدران هذا المطعم تنم عن الثراء لكثرة تلك اللوحات الباهظة المُعلقة في كل مكان و التي إجمعت بدورها مع مقاعد كلاسيكية و طاولاتٍ مُستديرة زجاجية، تغلغت موسيقى هادئة تنبعث من تلك الفتاة التي تعزف على البيانو بمهارة أبهرت المعازيم الذين يتكونون من الطبقات العالية....

أتى نحوهما نادل يرتدي بزة فاخرة و قفازان أسودان، كان يجر عربة تحمل بداخلها كوؤساً فاخرة و بعض الأطباق البيضاء المُستديرة التي وضعها أمامهما و عليها منديل كبيرة الحجم تم وضعه بطريقة أنيقة، كاد يضع زجاجة من النبيذ لكن كوكي أشارت بيدها إشارة أرسلت له أنهما لا يُريدان تلك المشروبات المُسكرة....

ما إن رحل النادل حتى أمسكت كوكي بقائمة الطعام لتتفحصها بلهفة، أما مُعتر فلم يكن يتوقف عن النظر في كل مكانٍ ليتفحص هذا المطعم الكبير الذي اختارته كوكي بالطبع، فهو لا يفقه شيئاً عن تلك الأماكن، قطعت كوكي شروده بسؤالها:

-هنطلب إيه؟

انتبه مُعتر لسؤالها فانتشل قائمة الطعام و فتحها، كانت مكتوبة بلُغة أجنبية لم يستطع فهمها لضعفه بتلك اللغة، لم يُرد أيضاً أن يُظهر جهله أمامها لذلك أغلق قائمة الطعام و هو يقول بلُطف:

-إطلبني إنت و أنا هاخذ زيك

ابتسمت كوكي ابتسامة عريضة و هي تقول بثقة:

-أنا هطلب vine leaves

اعترضها مُعتر بعد ان فهمها بطريقة خاطئة:

-واين !! ... لا ... أنا مليش في الحرام

تلاشت بسمة كوكي و هي تُصحح له باندفاع:

-يا مُعترز أنا قولت **vine leaves** يعني ورق عنب

تفهم مُعترز مقصدها لكنه سأل أيضاً:

-هو ورق العنب هنا مُختلف؟ ... هاتي كدة وريني

انتشل منها قائمة الطعام ليرى تلك الأكلة التي ستطلبها و كم سعرها، ما إن وقعت عينيه على طلبها حتى اتسعت حدقتاه في صدمة قال معها:

-ورق العنب بـ**800 جنية !! ...** ليه ؟ محشي ذهب!!

تفحص قائمة الطعام مجدداً ليجد جميع المأكولات هنا يزداد سعرها عن مئة جنية بما فيهم المقبلات، كانت تتابعه كوكي بحيرة لا تفهم لما هو غاضب هكذا، فهي معها ما يكفي من النقود كي يتناولوا في مثل هذا المطعم، لكنها لا تعرف أن الذي أمامها لن يسمح بجعلها تدفع ثمن تلك العزيمة و هو موجود، فهذا يتنافى تماماً مع مبادئه، و إذا لم يكن يمتلك ما يكفي من النقود، لذا عليهما أن يرحلا من هنا.

أغلق قائمة الطعام بضجر ثم وثب من مكانه ليقول بتقرير:

-يلا نروح مكان تاني...

اعترضته كوكي ببعض التؤسل:

-أيوة بس إحنا_

قطع مُعترز حديثها بصرامة:

-يلا يا ناجتس نمشي من هنا ... أنا هؤديكي مكان أحسن

رسم ابتسامة لطيفة على ثغره مع آخر حديثه جعلتها تبتسم هي الأخرى و تنصاع لرغباته لعله سيعوّضها خير تعوّيض...

عيناه كالذهب بنيرانها التي تطلقها بغلٍ على تلك الأوراق أمامه، الأفكار الشيطانية تتجلجل بذهنه لتجد له طريقة يُحقق بها أماله و يعثوا الفساد في كل مكانٍ على تلك الأرض، فلا شك أنه ترعرع على السيطرة و التملك منذ وطأت قدماه هذا العالم، و لأنه لم يستطع فعل هذا ببلاده التي هرب منها بفضل والده الضعيف من وجهة نظره، سيبقى بتلك البلدة كي يُسيطر على أهلها و يزداد قوة حتى يُسيطر على مُدنٍ أخرى و يتمكن من بناء مستعمرته التي لطالما حلم ببناءها....

شعر بأنامل رقيقة تحاوط رقبتَه و تثب به قشعريرة تجعل الابتسامة الهادئة تشق ثغره، صاحب تلك الأنامل صوتٌ رقيق هاديء يسأل:

-بتعمل إيه؟

التفت لها ضُرغام ليطلع قبلة على يدها و يُخبرها بابتسامة لطيفة رغم الشر الكامن باخله:

-بشتغل شوية ... عايزة حاجة؟

ابتعدت عنه بطة لنتجولُ بأنحاء مكتبه و تقول:

-أه ... عايزة أعرف إنت ناوي تعمل إيه؟

وثب ضُرغام هو الآخر ليشاركها التجولُ داخل المكتب و كأنهما يتجولان بحديقة عامة، كان يتحدث بحُبثٍ أثناء سيره و رغبته بمشاركتها أفكاره:

-بفكر في طريقة أوقع بيها الشعب

عقدت بطة حاجبيها و هي تسأل:

-و إنت عايز إيه من الشعب؟؟

إقترب منها ضرغام ليجيبها بتفسير:

-أنا لو وقعت الشعب .. البلد دي هتقع

أومأت بطة بتفهم و قد بدا على ملامحها عدم الإكتراث، فهي من البداية تمقت هذه البلدة و ترغب بالسيطرة عليها، ما صدقت أن وجدت شخصاً يحمل نفس رغباتها لتشاركه خطته الماكرة، و تشرح له كم أنها تمقت هذه البلدة التي لم تساعدنا هي و أسرته البسيطة في محنتهم، فوالدها قد سُجن بسبب اتجاهه للسرقة عندما لم يجد وظيفة تساعد على تلبية رغبات بيته، أما والدتها فقد توفيت بفشل كلوي لعدم إمتلاكهم نقوداً لعلاجها، و كانت هي وحيدة تبيت بالكنايس و أحياناً على الطريق حتى انتشلها ضرغام من جُرحها و أدركت كم أنها تمقت هذه البلدة التي لم تشعر بها بالانتماء و ولو لثانية واحدة، فكيف تزرع الانتماء داخل شخصٍ كان ينام على الرصيف و يأكل من القمامة؟؟ كيف تجعله يُحب بلده و هو لم يلقى منها أي شيء يُعرب عن حُب تلك البلدة له، فلو كانت بلده حيواناً لعاملته أفضل من هذا...

-و إنت هتوقع الشعب إزاي؟؟

سألته بطة لئُخرجه من شروده و تُخرج ذاتها من تفكيرها فيما مضى، زاع ضرغام ببصره للأمام و هو يجيبها بُخبث:

-مفيش حاجة هتوقع الشعب غير الاحتجاجات ... هنجمع ناس نتكلم عن نظام البلد و تنشر أخبار مش حقيقية تخلي الناس تتعاطف معاهم و تخليهم يحسو إن لازم نعمل ثورة و لازم نغير النظام و طول ما البلد في حالة ثورة ... إحنا نقدر نسيطر عليها

أنهى حديثه بابتسامة خبيثة قطعها بطة بسؤال:

-بس إسلام و داليا أكيد هيعملو حاجة ... انا شوفتهم بعيني و هما بيحاولو ياخدو الأبحاث ... و متنساش كمان إنهم يقدرو يدخلو جوة جسمي

التفت لها ضرغام ليربت على كتفها كي يُطمئنها:

-دي عيال تافهة متقدرش تعمل حاجة ... بس صدقيني لو هؤبو ناحيتنا هتكون
نهايتهم على أيدي...

توقفت سيارة مُعترز أمام بقعة خالية من السكان بعد أن أوشكت الشمس على المغيب،
لم يكن يوجد بهذا المكان سوى عربية صغيرة تفوح منها رائحة قوية و شهية لشطائر
اللحم التي قرر معترز أن يتناولها الغداء عندها، تتلفت كوكي برُعبٍ في كل مكان
حولها و هي تسأل ببعض القلق:

-هو إيه المكان ده؟؟

أجابها مُعترز بثقة وطمأنينة:

-ده واحد بيبيع كبدة و سجق ... بس إيه ... هتاكلي صوابك وراها

حثها على الجلوس بإحدى المقاعد المستديرة و التي كانت مغطاة بملاءة بالية و
المقاعد كانت صغيرة و مصنوعة من المعدن، فشتان بين هذا المكان و ذاك المطعم
الفاخر الذي كانا به مُنذ قليل، أشار مُعترز للنادل كي يأتي و يأخذ طلبهما من مُعترز...

على جهة أخرى كانت الأدخنة تنبعث من جوف رجلٍ نحيفٍ أسمر البشرة ذابل
الملامح و كأنه يتعاطى إحدى الممنوعات، أو هو بالفعل يتعاطاها، يمسك بين يديه
لفافة سميكة محشوة ينفث منها الأدخنة التي تتغلغل داخل رنتيه لُتصبيه بالانتشاء، أما
باليد الأخرى فكانت تحمل كيسًا بلاستيكيًا يحتوي على تبغ داكنٍ ربما هو ما تم حشو
به هذه اللفافة...

كان يُدخن بانتشاء و هدوءٍ قطعه رجلٍ آخر بلكنة أمره:

-شلبي ... تعالى هات الطلبات دي عشان عايزينها

مدُّ نحوه ورقة ما تحتوي على بعض الطلبات التي سيحتاجونها لمليء عربتهما، وثب شلبي من مقعده ينتشل منه الورقة باعتراض:

-ما تروح تجيبهم إنت

إحتد الرجل الآخر و هو يهاجمه:

-أنا شايل العربية فوق دماغي و إنت قاعد هنا تتكيف ... يلاهات الطلبات خلينا نشوف أكل عيشنا

تأفف شلبي بداخله ثم ألقى لفافته على الأرض ليدعس عليها بقدمه و يذهب ليأتي بالطلبات، لكنه قبل أن يرحل توقف عند العربية التي يتم إعداد الطعام بها ثم وضع الكيس البلاستيكي الذي يحتوي على التبغ بين الأكياس المليئة بالبهارات التي يتم استخدامها في إعداد الطعام....

عاد الرجل مجدداً إلى العربية و بدأ بإعداد الشطائر للزبونين الوحيديين الموجودين الآن، فقلما يأتيهما أحد بهذا التوقيت المُبكر، دائماً ما تأتي زبائنهم بالليل كي تسنح لهم الفرصة باشتمام الممنوعات بأريحية....

وضع الرجل قطع الكُبد على المقلاة و بدأ يُفرغ أكياس البهارات عليها و يُحركها بمهارة طاهٍ جعلت الروائح الشهية تنبعث في كل مكان، لكنه لم يلحظ أن هذا الكيس يحتوي على التبغ فقام بفتحه و كأنه من البهارات، وضع الكثير مما يحتويه هذا الكيس لعله سيجعل مذاق الطعام شهياً، و للحق أنه سيجعل الطعام شهياً لدرجة تجعلك تنسى العالم و ما به...

-زيزو ... هو إنت متأكد إن الأكل هنا كويس؟؟ ... أصل أنا علطول بشوف في الـtv إن العربيات دي ممكن تكون بتعمل لحم كلاب

أردفت كوكي بهذه الكلمات ما إن وُضعت أمامهم الشطائر التي أفرزت رائحة شهية، أمسك مُعنز إحدى هذه الشطائر و هو يُطمئنها بحديثٍ واثق:

-أنا كل يوم آكل من هنا و مبيجراش حاجة ... بعدين لو جراننا حاجة هتبقى آخرها
تسمم مش حاجة كبيرة متخافيش

-أستاذ عربي إشتغل سباك .. ليه ؟؟

سألها مُعترز بانتشاءٍ و هو يقضم من الشطيرة التي معه بنهم، كانت كوكي تتناول هي
الأخرى و تستمع إلى إجابته....

-عشان بيْفهم في قواعد الصرف

تبع حديثه بقهقهة منتشية أضافت عليها كوكي بقهقهات أخرى و هما يتناولوا الشطائر
و لا يفهما ما يحدث حولهما...

-زيزو ... هي الكبة دي شافت البحر قبل كدة ؟؟

سألته كوكي بانتشاء لتجد مُعترز يجيبها بثقة امتزجت مع انتشاءه...

-أيوة أكيد شافته ... أصلها كبة إسكندراني

تبع حديثه بقهقهاتٍ أخرى أكملت عليها كوكي، بقي كلاهما يضحكان بانتشاء جعل
أجسادهما تتأرجح و أوجههما يتغير لونها إلى الأحمر من كثرة الضحك....

عاد شلبي و معه حقائب بلاستيكية مليئة بالأغراض، كان وقتها الرجل الآخر يُنظف
العربة استعداداً لإعداد طلبية أخرى، إقترب منه شلبي و بحث بعينيه عن الكيس الذي
تركه على الطاولة و لم يجده أبداً، شعر بضربات قلبه تتسارع في سباقٍ لأنه لا يجد
كنزه الثمين بالنسبة له، وجه نظره نحو الرجل الآخر ليُخبره....

-واد يا عنتر ... الكيس إالي كان هنا راح فين ؟

سأله عنتر بارتباك:

-ك.. كيس إيه؟؟

لم يتحمل شلبي كبت غضبه أكثر من هذا فأمسك بتلابيب عنتر بحدة ليهتف بوجهه:

-كيس الحشيش إالي كان هنا راح فين .. إنطق

أدرك عنتر أنه افتعل كارثة و أن صديقه لن يتركه وشأنه على الرغم من أنه لم يفتعل هذه الكارثة عن قصد:

-إنت قصدك الكيس إالي كان هنا

سأله بشكٍ و هو يُشير على إحدى البقاع، اوماً شلبي برأسه إيجاباً ليزداد توتر عنتر و هو يقول:

-أنا تقريباً حطيته على الكبد

تتطاير الغضب من عيني شلبي ما إن اخترقت هذه الجملة مسامعه و كادت تُصيبه بالجنون، شدد قبضته على تلابيب عنتر ليرفع من صوته و هو يقول:

-إنت حطيت الحشيش على الكبد!!

برر له عنتر بعرقٍ ينساب من جبهته:

-و ربنا ما أخذت بالي...

حركه شلبي بين قبضتيه و هو يسأل:

-و مين إالي أكل الكبد .. إنطق .. مين؟؟

أشار عنتر بإصبعه نحو معتز و كوكي اللذان لم يتوقفا عن الضحك مما أكد لشلبي
أنهما ضحية تلك الحركة الحمقاء، أطبق على شفثيه بغضبٍ و قد أراد في تلك اللحظة
أن يطيح بصديقه على تلك الحركة، لكن أولاً يجب أن يتخلص منهما حتى لا تأتي
الشرطة و تشك بأنهما يتعاطا الممنوعات فُرب عربتهما، خاصة و هما لا يزالان
بوضوح النهار...

-روح عند الاتنين دول و سرحهم بعيد عن هنا ... الحكومة لو طبت و شافتهم
هتودينا في داهية

أوما عنتر بارتباك و ما إن فلت من قبضة شلبي حتى هرع نحو معتز و كوكي
يُخبرهما بتهذيب:

-يا أستاذ ... يا أستاذة ... ممكن تيجو معايا مشوار؟؟

اعترضته كوكي بانتنشاءٍ حرّكت معه أصابعها:

-أنا مش اسمي أستاذة أنا اسمي كريمة

أضاف مُعترز على حديثها و هو يُشير على نفسه و يقول:

-و أنا بخيل

تبع حديثه بقهقهاتٍ عالية دَعَمَتها كوكي بقهقهاتٍ أخرى جعلت عنتر يردف بقرارة
نفسه:

-دا الصنف شكله عالي أوي

أنهى جُمَلته و إقترَب من مُعترز لينتشله من المقعد و يحث كوكي على السير وراءهما
أثناء قوله:

-طب تعالو بس معايا...

زُيِّنَت النجوم اللامعة عُتمة الليل في أجواءٍ مُضطربة خاصة داخل المنزل الخاص بلؤي و الذي يتحرك به إسلام ذهابًا و إيابًا و بداخله يسب صديقه هذا الذي تسبب بتلك المُشكلة من البداية و الذي تأخر كذلك عن موعد إجتماعهم كي يبدأ التنفيذ، كان يضع الهاتف على أذنه يُجري العديد من الإتصالات التي لم تُجدِ نفعًا لأن صديقه لا يُجيب من الأساس....

كان الحال سيان بالنسبة لداليا و قمر اللتان لم تتوقفا عن الإتصال بكوكي تارة و الإتصال بوالدها كذلك دون أن يُخبروه باختفائها كي لا يغتابه القلق، أغلقت داليا هاتفها بعد أن أجرت مكالمة فاشلة قالت بعدها بنفاد صبر:

-هيكونو راحو فين ... الساعة داخلة على عشرة و إحنا المفروض نتحرك حداثر-

لم يتوقف إسلام عن السير و هو يتحدث بغضب:

-الحيوان مبيردش على تليفونه...-

كان يجلس لؤي في صمتٍ يتابع الأمر من بعيد حتى تدخل باقتراح:

-أبعث حد يدور عليهم؟-

لم يكذ ينتهي من اقتراحه حتى وجدوا الهاتف الخاص بإسلام يصدح برقم مُعترز، تلهفت حواسهم إثر هذه المكالمة؛ أظرقوا آذانهم حتى ينصتوا إلى إسلام الذي أجاب على المكالمة باندفاعٍ أخرج معه كم القلق الذي يكنيه بداخله:

-أيوة يا زيزو ... إنت فين يا زفت بقالنا ساعة بنكلمك-

لم يأتيه الرد من مُعترز مما جعله يشعر بالريبة، لكن من تحدث من الجهة الأخرى كان يبدو عليه التذمر أثناء قوله:

-اسمع يا أستاذ ... صاحب المحمول ده عامل شوْشرة في المكان و تقريبا ضارب
حاجة ... لو مجتش لحقته أنا هبلغ البوليس

اتسعت حدقتنا إسلام في صدمة ما إن أخبره الرجل بما يفعله معتر من أفعال مجنونة
و كأنه يتعاطا إحدى الممنوعات، لطالما كان صديقه من أولئك المحافظون على
أخلاقهم و إيمانهم، فكيف له أن يرتكب ذنبًا كهذا!!

نفذ هذه الأفكار عن ذهنه ليتحرك بسرعة لعله يلحق به...

في نفس التوقيت أنت مكالمة هاتفية إلى قمر لتجد رجل غليظ الصوت يُخبرها أن
صديقتها تقتل كارثة و يجب عليهم اللحاق بها، فما هي إلا بضع ثوانٍ حتى هب
الجميع من موضعه متغافلون عن تنفيذ الخطة لعلهم يستطيعوا اللحاق بأصدقائهم قبل
أن تزداد كوارثهم...

هرؤل كل من إسلام و لؤي داخل متجرٍ للملابس كان من المُفترض أن يجدا مُعتر
به، فهذا هو العنوان الذي أخبرهما به هذا الرجل المجهول المُلطح بالغضب،
تفحصت أعينهما المكان بعناية حتى وقع بصرهما على تجمع صغيرٍ من الأشخاص
ربما هم من العاملون بذاك المكان، و الأغرب أنهم كانوا مُجتمعون حول مُعتر الذي
كان يتشبت بتمثالٍ لعارضة الملابس و يتغزل بها كما لو أنها فتاة بالفعل، أما الرجال
فكانوا يحاولون نزعها من بين يديه بلا أية فائدة....

اخترق إسلام هذا الجمع و تبعه لؤي بأعين مليئة بالريبة و بعض التذمر، تشبت أحد
الرجال بذراع إسلام كي يستجد به:

-أبوس إيدك يا أستاذ إبعده عن هنا...

قطع حديثه صوت مُعتر الذي قاوم الرجال و هو يردف بصوتٍ مُرتفعٍ مُنثشي:

-محدث يقرب مني ... أنا مش همشي غير لما تجوزوني كاميليا ... أنا مش هسمح
لحد يفرق بينا

بقي مُعترز يتشبث بتمثال العارضة حتى تقدم لؤي نحوه يحاول أن يُبعده عن هذا
التمثال رغم أنه يشعر بالغرابة من تصرفاته:

-يا مُعترز دي مش حقيقية ... دي مانيكان

اعترضه معترز بإصرار و نبرة مُحتدة و كأنه يتحدث عن معشوقته:

-إنت إزاي تقول على كاميليا كدة ... دي حقيقية أكثر منك ... أنا مش همشي غير
لما تجيبو المأدون

تأزم الموقف أكثر و بقي مُعترز يصرُّ باننتشاءٍ على زواجه من ذاك التمثال، إقترب
لؤي من إسلام ليحادثه بخفوت:

-لازم نبعده عن هنا ... حتى لو بالعافية

بدا على نبرة صوته الصرامة فظن إسلام أن صديقه سيتم زجه بالسجن لذلك تدخل
بحكمة:

-لأ .. أنا هتصرف

ربت إسلام على كتف لؤي كي يُطمئننه ثم تقدم نحو مُعترز ليحاوطه بذراعه بوُد قال
معه مسائراً لهذا الجنون:

-إيه يا زيزو الدوشة دي ؟

أجابه مُعترز بترنج:

-بحبها يا إس ... بحبها و مش هقدر أسيبها مع الوحوش دول

أشار على العمال مع آخر كلماته و كأنه رآهم و هم ينتهكون عرض هذا التمثال الذي لا حول له ولا قوة، أدرك إسلام أنه ليس بوعيه في تلك اللحظة فسأله:

-معتز هو إنت شارب حاجة؟؟

أجابه معتز بتلقائية:

-شارب كبدة و سجق

بدا على صوته الانتشاء مما جعل إسلام غير مُصدقًا لحديثه رغم أنه يقول الصدق، استخدم معه اللين مجددًا لعله ينتهي من تلك المُعضلة:

-إنت عايز تتجوزها مش كدة؟..

أوما مُعتز إيجابًا فأكمل:

-طب ينفع تتجوز بنت شريفة كدة من غير موافقة أهلها؟؟

نفى معتز برأسه باقتناع تام لحديث إسلام، انتهز إسلام هذه الفرصة و أكمل خطته:

-يبقى الصبح إنك تيجي معنا .. و بكرة الصبح هاخذك من إيدك و نروح نخطبها .. أمين؟؟

شكك مُعتز بحديثه فسأل:

-يعني إنت هتخليني أتجوز كاميليا؟

أكد إسلام على حديثه مُمنيا إياه بأنه سيوفي بوعده و يجعله يتزوج من فتاة أحلامه التي هي تمثال بالنهاية، أقتعه كذلك أن يترك المتجر حتى لا يفضح أمر صديفته التمثال و يجعلها علكة بأفواههم و كأنها فتاة حقيقية، هو فقط يقول هذا كي يجاري الانتشاءه و يُخرجه من هنا بسلام....

قبل أن يترك مُعتر المتجر التفت إلى التمثال ليُقبل يدها و يردف بهيام:

-هتوحشيني يا كمولتي...-

جذبه إسلام لبيتعد عن هنا و يعود به إلى المنزل بعد أن اعتذر من الباعة و أخبرهم أن هذا لن يتكرر مجدداً، سار بضع خطواتٍ خارج المتجر و يدها مُتشبثتان بمُعتر حتى لا يفر مجدداً، تذكر أن داليا و أصدقاءها ربما يواجههم مأزق ما لذلك قرر أن ينتقل إلى جسد داليا حتى يعرف ما بها...

و على جهة أخرى كانت تقف داليا و جوارها قمر ببداية إحدى الجسور، تحاوط داليا فاهها بيديها و هي تنادي بأعلى صوتٍ لها

-يا كوكي إنزلي من عندك بقي-

كانت تقف كوكي أعلى الجسر بالتحديد قُرب إحدى التمثالين على أركانه، فقد كان التمثال يحمل شكل الاسد الخاص بإحدى أهم معالم القاهرة، لكن كوكي لم تكن تدرك هذا و هي بحالة الانتشاء تلك، فكل ما تفعله هو إحاطة يدها بعُنق الاسد و الإصرار على حديثها الذي حمل شيئاً من الغضب:

-لأ ... انا مش همشي قبل ما أنتقم...-

وجهت حديثها للتمثال و كأنه يسمعها:

-قتلت موفاسةً ليه .. ها .. قتلته ليه هو عمك إيه؟؟-

رفعت قمر من صوتها و هي تُنبهها:

-يا كوكي دا مش سكار ... إنزلي بقي من عندك-

تجاهلت كوكي حديثها و بقيت تهتف بأذن التمثال ذي شكل الاسد:

-لأ هو ... انا مش هسيب حق موفاسة

خفضت قمر من صوتها و هي تتحدث لداليا:

-يخرب بيت كدة ... هي مشافتش آخر الفيلم ولا إيه، مش سمبا قتله في الآخر ؟

ردت عليها داليا بنفحات الحيرة:

-المشكلة إنها مُقتنعة إنه سكار ... فدي لوحدنا مصيبة تانية

بقيا يناديا عليها حتى تهبط من ذاك المكان المُرتفع الذي لا يعلمان كيف صعدت إليه، فهي بالتحديد تجلس فوق ظهر الاسد، بعد بُرهة من التفكير أردفت قمر باقتراح:

-إطلعها يا داليا ... انا لابسة جيبة و مش هعرف

وافقت داليا على اقتراحها و ما كادت تصعد لأعلى حتى انتفض جسدها مما يعني أن إسلام قد حلّ مكانها و رأى ما يحدث...

-إيه ده !! ... هي بتعمل إيه هنا؟؟

قالها إسلام بعد أن اخترق جسد داليا و أشار على كوكي ليستفسر عن الأمر، اعتقدت قمر أن هذا إسلام فسألته أولاً:

-إنت إسلام؟..

أوما إسلام إيجاباً فأخبرته:

-إحنا لقيناها هنا ... في واحد كلمنا من موبايلها و قالنا إنها هنا ... تقريباً كان فاكرها مجنونة ... بس أنا متأكدة إن في حد شربها حاجة

أكد إسلام على حديثها ثم أضاف:

-مُعْتز بردو كدة....

صمت برهة ثم اقترح:

-خلي داليا تطلعها ... أنا هرجع جسمي و أجيلكم

أومأت قمر بتفهم لتعود بعدها داليا و تواصل ما كادت تفعله كي تنفذ الموقف....

أما عن إسلام فقد عاد إلى جسده ليجده مازال مُتَشَبِّهًا بذراع صديقه و لؤي يتشبث بمُعْتز من الناحية الأخرى، ترك يد مُعْتز ليردف بتقرير:

-أنا عرفت هما فين ... خليك مع مُعْتز عشان ميروحش في حته

هرول إسلام بعيداً عنه حتى يساعد داليا و أصدقاءها بينما تكفل لؤي بإعادة مُعْتز إلى المنزل حتى لا يرتكب مُشكلة أخرى و هو بتلك الحالة المنتشية، أراد فقط أن يعرف ما حدث لهما كي يُلقن من تسبب بهذا درساً لن ينساه أبداً، فتعاطي الممنوعات ليست بجريمة هينة...

قطع مُعْتز أفكاره و هو يتحسس وجنتا لؤي الذي اغتاض من تلك الحركة....

-إنت مش مربى دقنك ليه؟؟

سأله مُعْتز و هو يترنح في مشيته فأجابه لؤي بهدوء:

-عادي يعني

أكمل مُعْتز بنفس تلك النبرة التي امتزجت مع قهقهاته:

-لازم تربيها عشان متبقاش قليلة الأدب...

استمر يُقهقه أمام نظرات لؤي المشمئزة من مزاحه الثقيل، بعد فترة من الصمت سأله
لؤي بفضول:

-إنت عارف كوكي فين؟؟

أوما مُعترز إيجابًا ليقول بعدها:

-أه عارف ... في السوبر ماركت

بدا على لؤي معاني التصديق و هو يسأل بلهفة:

-فين في السوبر ماركت؟؟

عاد مُعترز إلى نبرته المُنتشيه أثناء إجابته:

-في التلاجة ... جنب البطاطس المحمرة

أغلق لؤي عينيه بتروٍ ثم فتحهما مجددًا ليكبت بداخله ثورانه من ذاك المُنتشي،
واصل جذب مُعترز حتى يصل إلى السيارة كي يعود به إلى المنزل و يعمل على إفاخته
قبل أن يُصاب بالجنون من مزاح مُعترز الثقيل الذي لا يظهر إلا و هو في تلك الحالة،
فهو لن يصل إلى أي إجابات حقيقية مهما كان السؤال مباشرًا، عليه أن يُفقيه أو لا
ليعرف ما حدث بالتفصيل....

يحتسي من فنجان القهوة لتتوجس جُرعة الكافيين داخل جسده و تجعله يشعر بالإفافة
و أن رأسه تزن أطنانًا، أرخى ظهره للوراء لعل الأريكة ستحمل معه رأسه الثقيلة،
أغلق عينيه كذلك بإجهادٍ من هذا الوضع الذي وصل إليه، فهو حتى لا يتذكر أبدًا ما
حدث...

-هو إيه إلي حصل؟؟ ... أنا جيت هنا إزاي؟؟

قالها مُعترز و هو يتلفت حوله مُتفحصًا منزله الذي دخلوه باستخدام المفتاح الذي كان بحوزته، لا يتذكر حتى كيف أضحى بمنزله بعد أن كان يتناول الغداء برفقة كوكي....

بالنسبة إلى كوكي، فلم تختلف حالتها عن حالته كثيرًا، تستند برأسها على مسند الأريكة بفاه يُهرتل ببعض الكلمات غير المفهومة، رفعت رأسها بتناقل قالت معه أثناء تحسسها لجبهتها:

-دماغي هتفجر..

تدخلت قمر لتُخبرها الحقيقة بسخرية:

-ما لازم تتفجر، ما إحنا جايبنك و إنت بتتخانقي مع أسدين قصر النيل

اتسعت حدقتا كوكي بغير تصديقٍ أثناء سؤالها:

-أنا عملت كدة no way ... !! أكيد مش أنا

رمقها مُعترز لوهلة أدت إلى زيادة تيهه و هو يسأل:

-هو إيه إيلي حصل يا جدعان ... حد يفهمنا

جلس إسلام قبالة على الأريكة ليُحيطه بذراعه كي يقص عليه ما حدث باختصارٍ و نبرة ساخرة:

-مفيش ... كل الحكاية إننا لاقيناك عامل علاقة مع مانيكان و عايز تتجوزها

سقط فك مُعترز بصدمة مما يسمعه و قد ظن لوهلة أن إسلام يمزح معه بطبيعته المازحة، تلفت ليرمقهم جميعهم حتى يتأكد من هذا الهراء الذي لن يُصدق أبدًا أنه افتعله:

- هو الكلام ده حقيقي ؟

أومأت داليا رأسها بتأكيد أدت إلى زيادة حيرتهما، بعد برهة من الصمت و التحديق
بغير تصديق سألت داليا:

- هو إنتو كنتم شاربين إيه؟؟...

أجابت كوكي بصدق:

-أنا مش فاكرة إني شربت حاجة ... أنا آخر حاجة فاكراها إني كنت باكل
sandwiches من على **street car**

أوما لؤي بتفهم ثم أردف بثقة و هو يتقدم نحوهم حتى جلس على أقرب مقعد:

-زي ما توقعت ... الأكل إالي أكلتوه كان فيه مادة مُخدرة ... و أنا بعث ناس يعملو
تحريات على المكان إالي أكلتو فيه

تبادلت النظرات بين كوكي و معتز لفترة حتى تطايرت شرارات الغضب من أعين
كوكي بعد أن تأكدت من أن قرارات مُعتز هي ما تسببت بتلك المهزلة، كان رد فعلها
حاد بعض الشيء حيث أمسكت بوسادة الأريكة لتضرب بها مُعتز ضربة بسيطة
نهرته معها:

-إنت السبب ... خلّيت شكلي مسخرة قدام الناس

دافع مُعتز عن نفسه بقوله:

- هو إنت لوحدك؟؟ ... ما أنا كمان كنت هكتب كتابي على مانيكان

قطع لؤي هذا الجدل البسيط بلكنة صارمة تحمل نفاذ الصبر في طياتها:

-خلاص الموضوع خلص ... خلونا بقى نركز في أم الخطبة دي و نجيب الفازا...

دقت ساعة الصفر و إزدادت رهبة هذه الليلة مع السكون الذي حلّ بكل مكان و نسّمت الهواء العليلّة التي تُشعرك و كأنهم ليسوا بفصل الصيف و أن درجة الحرارة لا تصل إلى عشرين درجة، يتحرك مُعترز بخطواتٍ متأنية تعرف وجهتها جيّدًا، فقد توقفت سيارتهم قُرب القصر و كانت كوكي تجلس داخل السيارة تستطيع رؤية ما سيفعله مُعترز من بعيد، أما عن لُوي و قمر فطفقا يتحركا خلف القصر حتى تصلهما إشارة داليا و تُخبرهما أين تقع المزهريّة بالضبط.

توقفت أقدام مُعترز عند إحدى حراس القصر عريضي المنكبين غليظي السِنحة، رسم ابتسامة بلهاء على ثغره و هو يقول بوْد زائف

-سلام عليكم يا أفندينا ... لا مؤاخذه يعني أنا عربيتي عطلت في المكان ده و عايز مساعدة...

بنفس ذلك التوقيت كانت أقدام إسلام تتحرك بإنسيابية داخل القصر دون أن يراه أحد، فحتى و إن كان أمامه إحدى الحراس فلن يتمكن أبدًا من رؤيته لأنه الآن ليس داخل جسده، بل هو روح تجوب القصر بحثًا عن تلك المزهريّة المُتدثرة بأحد الأماكن، تلفتت رأسه بجميع الاتجاهات يحاول أن يعثر عليها وسط هذا الكم الهائل من الكراكيب و الأغراض عديمة الفائدة...

اخترق بجسده هذه الأغراض و كان ممتنًا لعدم قدرته على الشعور بأي شيء و إلا كان ارتطم بإحدى هذه الكراكيب و أصدر ضجيجًا عاليًا، التفت برأسه يمينًا و إذا أن ابتسامة مُنتصرة تُرسم على ثغره تلتها قهقهة بسيطة وُد معها أن يقفز عاليًا بانتصار، فتلك المزهريّة اللعينة التي ندم كل يوم على إخفاء أوراقِ بهذه الأهمية داخلها تتمثل أمامه الآن دون أن يُصيبها أي خدش، حتى الأتربة التي كانت تُغطيها لا تزال متراكمة عليها....

إقترب إسلام أكثر نحو تلك المزهريّة حتى تيقن بالفعل أنها هي، لكنه بالطبع لن يستطيع أن يلمسها و يرى الأوراق داخلها، تلفت يمينًا كي يبحث عن منفذ لتلك

الحُجرة يستطيع من خلاله إرسال الإشارة المُتفق عليها لداليا التي تنتظره بجوار جسده...

ما إن رأى الحائط الذي يطل على الحديقة خاصة على جهته اليسرى حيث تقبع داليا حتى هرع نحوها و كان على وشك أن يخترق هذا الجدار، لكنه بدلاً عن ذلك أخرج جذعه العلوي خارج القصر و طفق يُحرك عينيه في عدة اتجاهات حتى استطاع رؤية داليا...

رفع يديه عاليًا ليلوِّح لها حتى رآته داليا بالفعل و علمت من النافذة التي يطل منه أين تقع المزهرية بالضبط؛ لاح على ثغرها ابتسامة مُنتصرة أخرجت معها الهاتف من جعبتها و وضعت على أذنها كي تتصل بكوكي أولاً و لكن بصوتٍ خافت...

-ألو يا كوكي...

أخرجت الخريطة من جعبتها لتتفقد البقعة التي أطل منها إسلام ثمثل أية حجرة بالمنزل، أثناء تفحصها للخريطة كانت تقول:

-الفازا في الأوضة إلي على الشمال آخر الطرقة ... أيوة إلي قدامها الحمام ... يلا قوليلهم و عطلي الكاميرات ... ماشي سلام

أغلقت الهاتف لتضعه مُجددًا داخل جيبها، لكن فجأة...

تسمرت أهدابها و اختفت ألوان وجهها ما إن فاجأتها أقدام تتحرك خلفها مباشرة، اتسعت حدقتيها بزُعبٍ خاصة و هي تستمع إلى صوت تعمير السلاح الذي تم توجيهه مباشرة على رأسها من الخلف...!!!

الفصل السادس عشر (مُخدرات !!)

من يخشى الموت يحيا طوال العُمر كالميت...

قطرات من العرق تتصبب على جبينها و تلفحه بسخونة طاغية مصدرها الخوف المُنبجس داخلها، كانت أطرافها ترتجف كما لو أن زلزالاً يضرب الأرض و لا يشعر به أحد سواها، فقد ظنت أن هذه حتمًا ستضحى نهايتها، أو أنها قد كُشفت و سيتم قتلها أو تعذيبها بسبب هذا المُختل الذي يحاولون سرقة، فبخلاف الإجتياز القهري الذي يعاني منه يوجد بداخله برائن من الحدة و الغضب السريع الكفيل بهدم بناية بأكملها و جعله يرتكب أمورًا مخبولة...

التقطت أنفاسها و هي تلتفت إلى مصدر السلاح المصوّب على رأسها حتى وجدت قبالتها رجل عريض المنكبين يعقص حاجبيه بغضبٍ و حدة، خرج صوته جهوريًا كفيلاً بضخ الرهبة داخلها:

-إنت مين ؟

رفعت داليا يديها علامة على الاستسلام و هي تتحدث بارتجافٍ و حروف متشابكة:

-أنا .. أنا..انا...

حاولت العثور على سبب يُبرر وجودها حتى لا تضحى تلك اللحظة هي الأخيرة بحياتها، وقعت حدقيتها على جسد إسلام الملقى على الأرض فسرعان ما أنتها فكرة ربما تنجدها من تلك المُعضلة، حاولت الحديث باستعطافٍ أشارت معه على جسد إسلام و هي تقول:

-أنا كنت ماشية مع أخوية و هو أغمى عليه ... فا ... فانا معرفتش أعمل إيه ..
ففضلت قاعدة هنا لغاية ما الإسعاف تيجي

مثلت التّوَسُّل مع دموع أذرفت من عينيها نتيجة خوفها لكنها استخدمت تلك الدموع لثريه كم أنها خائفة على من ادعت أنه شقيقها، ضمت راحتيها أسفل ذقنها و هي تتوسل أكثر:

-أبوس إيدك سيبنى ... أنا معملتش حاجة، إحنا كنا تايهين و هو أغمى عليه فجأة
و أنا مش عارفة أعمل إيه

كان حديثها غير مُرتب أبرزت معه مدى خوفها و دقات قلبها المتسارعة، بقيت نظراتها المُستعطفة موجهة على الرجل الذي أخفض سلاحه و كان على وشك أن يتركهما وشأنهما، لكن...

انتفض جسد إسلام في تلك اللحظة و قد عاد للتو إلى جسده، اعتدل في جلسته و الابتسامة المُنتصرة لا تزال على وجهه أثناء سؤاله المُتلهف:

-كلمتي كوكي ??? ... إحنا لازم ندخل نسرق الفازا أنا خلاص عرفت مكانها ... و على فكرة الحراس دول عيال هتية " سُدج " هنعرف نضحك عليهم...

كان الرجل يستمع إلى حديث إسلام بغضب و هو واثب وراءه، أما عن داليا فكانت تُشير بأعينها على الحارس الذي لم يلاحظه إسلام و هو يتحدث بفخر عن نفسه:

-هو صحيح البيت مكركب، بس أنا عملت دوري ولا كأيي توم كروس، أنا قولتكم الخطة هتنجح و هنسرق الراجل المُتخلف صاحب القصر ده...

تقدم الرجل أكثر نحو إسلام ليُشير بفوهة سلاحه مع كلماته التي حملت كمًا من الغضب بعد استماعه لخطتهم بأكملها من إسلام:

-مين ده إيلي متخلف؟؟

قالها الرجل بصوتٍ جهوري أدى إلى ارتباك إسلام و تهتهته بالحديث:

-إيه !!.... لا ... أنا بتكلم على حد تاني

أما عن داليا فكانت تضرب جبهتها بيأس و تسب إسلام بقرارة نفسها:

-يلعن أبو معرفتك

وجه إسلام نظرة عابرة نحو داليا ليسألها:

-إنتِ مقولتيش ليه إنه واقف؟

لم يكد يُنهى حديثه حتى وجد الرجل يجذبه لأعلى مع كلماته الغاضبة:

-تعالى معايا يا روح أمك...

وجه السلاح نحو داليا كي تأتي معه هي الأخرى و يتم معاقبتهما على تلك الفعلة، فكانت داليا تسير جوار إسلام إلى مصيرهما المحتوم و الذي بالطبع لن يضحى هيناً

...

-سلام عليكم يا أفندينا....

قالها مُعترز بالجبهة الرئيسية للقصر حتى يؤدي دوره و يحاول إلهاء أولئك الحرس حتى يستطيع لؤي و قمر اقتحام القصر من البوابة الخلفية، أخبرهم معترز أن سيارته قد تعطلت بتلك البقعة و أنه يحتاج إلى مساعدة تنجده من هنا، بقي يتحدث للعديد من الدقائق و لم يجد أي من العلامات بادية على أوجه الحرس، فقط يستمعون إليه بعدم اكتراثٍ و كأنه ليس موجوداً من الأساس؛ رفع مُعترز من نبرة صوته و هو يسأل
بمسكنة:

-يا أفندينا لو سمحتم تعالو ساعدوني، أنا واقف في عرضكم

و أخيراً أتاه الرد من إحدى الرجال الذي آجابه بوقاحة:

-إمشي من هنا...

لاحت خيبات الأمل على وجه مُعترز لكنه لم يستسلم و واصل الإلحاح بحديثه:

-يا باشا ابوس إيدك ساعدني أنا عندي مشوار مهم و لازم أروحه

سئم الرجل من إلحاحه و كأنه نحلة طنانة تُزعجه في مضجعه، صك على أسنانه بغضب لعل مُعترز يسترفد غضبه و يتوقف عن الحديث، لكن ما حدث أن مُعترز بقي يُثرثر حتى يجذبهما نحو سيارته كما الخطة بالضبط...

يبدو أن الخطة لا تسير على نهج جيد، فقد اضجر الرجل أكثر من ثرثرته حتى قبض على ياقة ملابس مُعترز و هزه بعنفٍ أثناء قوله:

-مش قولت ياض امشي من هنا...

اتسعت حدقتيها و هي تجلس داخل السيارة تهم بإغلاق الكاميرات حتى تُنفذ الخطة، لكنها ما إن رأت ما يحدث لمُعترز حتى شهقت برُعب إردفت معه:

-زيزو!!

و سرعان ما ضربت بتلك الخطة عرض الحائط و ترجلت من السيارة لتهرول نحوه و تنقذه من أولئك الأوغاد...

-إبدو عنه " Are you dump هل أنتم حمقى ؟"

قالتها بصوتٍ مرتفع جعل الرجلان يُحملقان بها بنظراتٍ شهوانية و ابتساماتٍ مُتغزلة لاحظها مُعترز جيداً و شعر بالحنق الشديد بسببها، إقتربت كوكي من مُعترز لتطمئن عليه بصوتٍ رقيق:

-إنت كويس؟؟

نهرها مُعتر بصوتٍ هاديء:

-إنت ليه نزلتي من العربية؟؟

-نزلت عشان أساعدك

أجابته ببراءة جعلت دقات قلبه تتضارب بعشقي، ما كادت لحظة الهيام هذه تأخذ
حذوها حتى أردف إحدى الحرس بوقاحة:

-مقولتش يعني إن معاك مُزة في العربية

بقيت نظراتهم تتفحص كوكي بشهوانية جعلتهما يهما بالإقتراب منها، تسارعت
نبضات قلبها في هلع و اختبأت خلف مُعتر الذي بقي ينظر لهما بنظراتٍ غاضبة قال
معها مُحذراً:

-إبعد عنها إنت و هو...

إقترب منه إحدى الحراس ليُربت على كتفه و يردف بنبرة لعوب وجهها نحو كوكي
التي كادت تحترق بسببها:

-مش إنت كنت عايز مساعدتنا من شوية ... إحنا موافقين نيجي معاك ... بس
تسيبلنا المُزة دي

اشتعلت براثن معتر أكثر حتى وجد قبضته تلکم هذا الرجل لكمة عنيفة أدت إلى
انبثاق الدماء من شفثيه...

شهقت كوكي بخوف بينما تجلجلت حصون الرجل و هو يتحسس موضع الضربة و
يقسم على تلقين هذا الوغد درساً، سرعان ما أخرج الرجل الآخر سلاحه من جعبته
كما فعل هذا الرجل الذي تلقى اللكمة حتى أضحت الأسلحة مصوّبة نحو مُعتر و
كوكي التي تختبئ خلفه...

رفع معترز يديه باستسلامٍ حاول الاعتذار معه:

-أنا آسف والله .. مكنتش أقصد

لم تتوقف نظرات الغضب من الانبثاق من عيني الرجل حتى جذب معترز من تلابيبه ليجره داخل القصر حتى يلقي عقابه، كما سارت كوكي أيضاً وراءه بالسلاح المصوّب على رأسها من الخلف...

أدخلهما الحراس داخل حُجرة مليئة بالكراسيات كما المنزل بأكمله، لكن هذه الحجرة كانت صغيرة خافتة الإضاءة، ربما يتم استخدامها لحبس الخائنين، و الغريب أن داليا و إسلام كانا في تلك الحجرة مكبلتا أطرافهما يصدح صوتهما في عراك نتيجة ما حدث...

-يعني مش قادر تمسك لساتك شوية ... أدي الخطة باظت

حاول إسلام طمأننتها بقوله:

-و مين قال إنها باظت، ما خلاص إحنا دورنا انتهى، أكيد معترز و كوكي عرفو يعملو دورهم

لم يكذ يُنهى جملته حتى وجدا مُعترز و كوكي يدلّفان الحجرة بأيدي مكبلتا و أسلحة مُصوّبة على رأسيهما مما يعني أن أمرهما قد انكشف، إرتمت مُعترز جوار إسلام و إرتمت كوكي جواره على بُعد بضعة أمتار، تقدمت داليا بجذعها لتسألها بحيرة:

-هو إيه إلهي حصل ??? ... إنتو إتكشفتو ??

أجابت كوكي بضيق:

-مش بالظبط ... بس الخطة باظت

تدخل إسلام بالنقاش لينبهم:

-لازم نكلم لؤي و قمر ... لو دخلو القصر دلوقتي هيتكشفو هما كمان

أضافت داليا على حديثه بتساؤل:

-هما صحيح راحو فين؟؟ ... المفروض يكونو دخلو القصر من بدري

سأل معتز بشك:

-تفتكرو هما كمان إتكشفو؟

طمأنه إسلام بحديثه الذي بدا واثقاً على الرغم من ضيق الموقف:

-لا يا عم، أكيد هما كويسين ... عايزين بس نعرف هما فين؟؟

-نزليني يا قمر من هنا...

قالها لؤي بصوت عالٍ و هو مُعلق رأساً على عقب بإحدى الشجيرات، فأثناء سيره إتجاه الباب الخلفي تعرّكل بإحدى المصائد التي جعلته يُعلق بتلك الطريقة البلهاء أمام قمر التي تشاهد ما يحدث بارتباك و لا تعرف كيف تتصرف، بقيت تتألفت حولها و تقول:

-أعمل إيه طيب؟؟...

لمحت بعينيها قطعة من الصخور ملقية على الأرض؛ انتشلتها بسرعة لعلها ستقذفها على الحبل كي يتمزق و يسقط لؤي، لكن ما حدث أنها ألقت الصخرة على رأس لؤي حتى أصابته بجرح طفيف تأوه بسببه و هو يمسك رأسه:

-بتعملي إيه؟؟

هتف بتلك الجملة بصوتٍ مُرتفعٍ لعن معه حماقتها و لكن بقرارة نفسه، اعتذرت له
قمر بارتباك:

-و الله أسفة كنت فاكرة إنها هتيجي على الحبل

تأرجح لؤي بجسده لعل الحبل يتمزق لكن لا فائدة تُرجى، فلزال مُعلقًا رأسًا على
عقب حتى بدأ يشعر أن الدماء تتدفق إلى عروقه، فكرت قمر هنيهة في تلك المعضلة
و كيف ستساعده و هي لا تستطيع تسلق الشجرة و إحلال قيده كما ترى بالأفلام،
لكنها وجدت فكرة أخرى أدلتها بحماس:

-طب بٌص ... إرفع جسمك لغاية الحبل و حاول تفكه

كان الحل يبدو بسيطًا لكن الحقيقة تجعل من التنفيذ شيئًا مستحيلًا، فالمسافة كبيرة ما
بين رأس لؤي و قدمه المُعلقة على جذع الشجرة، لذلك أرفد بتوبيخ مع رأسه التي
أضحت حمراء من كثرة الدماء المُتجمعة:

-يا قمر أنا مش الرجل الأخضر...

إزداد ارتباك قمر و ظلّت تُدبب على الأرض و تجوب بعينيها المكان حتى التقطت
طيف رجل يقف على مقربة منهما، ربما يستطيع مساعدتهما...

حمدت ربها على تلك المساعدة التي نزلت من السماء كي تساعدهما بهذا المأزق،
رسمت بسمة على ثغرها و هي تُطمئن لؤي بحديثها ثم تهرع نحو ذاك الرجل الذي
ظنت أنه سيساعدهما، فهي لا تعرف من هذا الرجل بالضبط...

-ممكن لو سمحت تفكه...

قالتها قمر باستعطافٍ بعد أن أتت بهذا الرجل رغم اعتراض لؤي الشديد، فهي
أخبرته أن لا يوجد حل سوى هذا و عليه أن يرضى بقرارها رغم أنفه، كان الرجل
يبدو على هيئته الصرامة و الغلظة أثناء تفحصه لجسد لؤي و سؤاله:

-إيه إللي جابكم هنا؟؟

أجابته قمر بسرعة و تلقائية جعلت إجابتها بلهاء:

-أصل إحنا كنا عايزين ندخل القصر إللي هناك ده من الباب إللي ورا عشان محدش يشوفنا ... بس إكتشفنا إنهم عاملين فخ و لؤي وقع فيه

ضرب لؤي جبهته بغضبٍ رفع معه من صوته:

-إنت بتقولي إيه؟؟

انتبهت قمر إلى الإجابة الحمقاء التي أدلت معها الحقيقة؛ وضعت يدها على فمها تُعاتب نفسها بقولها:

-مكنش المفروض أقول كدة صح؟؟

لم تكد تُنهي جملتها حتى وجدت الرجل يقترب من لؤي ليفك وثاقه و يسقط لؤي على الأرض بدوارٍ شديد زعزع حركته، أوفقه الرجل مكانه ثم دفعه للأمام كي يسير كلاهما قبالة إلى وجهتهما المحتومة، و إن سألتهم عن سبب عدم استخدامها للتنويم للمغناطيسي في تلك اللحظة فإن السبب ببساطة هو أنها لا تستطيع تنويم أحدهم دون أن تنظر إلى عينيه، فالرجل يُصوّب السلاح على رأسها من الخلف حتى تسير أمامه بهدوءٍ تامٍ هي و لؤي الذي يسير وراءها دون أن يقاومه لأنه لا يزال يشعر بدوارٍ و رأسه الثقيلة تكاد تجعله يتغيب عن العالم...

إقترب لؤي من ظهر قمر ليُخبرها بصوتٍ خافت:

-كان لازم تقوليلهم يعني ... كدة مش هنعرف نجيب الفازا و يمكن كمان يكونو إتقفشو زينا

أضافت قمر على حديثه بقلق:

-تفتكر هما كمان إتمسكو؟؟

أكد على حديثه بثقة:

-طالما حاطين فخ ورا يبقى أكيد داليا و إسلام كمان إتمسكو ... و طالما إحنا مدخلناش يبقى مُعترز كمان ممكن يتقفش

إزداد قلق قمر و هي تقول:

-يعني تفتكر هما بيعذبوهم دلوقتي؟؟

-ناجتس ... ماتيجي أقولك فزورة...

وافقت كوكي بلهفة لعله بتلك الطريقة يُزيح سحابة القلق عن صدرها، اعتدلت في جلستها كي تستمع إلى فزورته التي قالها بلطف متناسياً لهذا الموقف برمته:

-إيه الحاجة إلي عندها عقارب و مش بتقرص

فكرت كوكي هنيهة و لم تكن تعرف الإجابة لذلك أردفت:

-مش عارفة..

حاول مُعترز تقريب الإجابة لها كما لو كانت طفلة صغيرة تشعر بالسعادة عندما تظفر بجائزة تُبرز مدى ذكائها، لكن إسلام تدخل بين حديثهما ليُدلي هو الإجابة:

-الساعة ... مش محتاجة تفكير

نهره معتز لتسببه بقطع تلك اللحظة الحالمية و كأنها كانت لحظة رومانسية على إحدى جُزر المالديف و ليست داخل حجرة مليئة بالكراسي و أمامهم رجلين كالجدار يقومان بحراستهم...

-بتدخل ليه إنت كمان ... حد وجهك سؤال ؟

برر له إسلام بتعالٍ و ثقة:

-ما إنت بتقول فوازير هبة ... أنا هقولك فزورة أحلى

حمم قبل أن يسأل:

-إيه الحاجة إلي كل ما ناخذ منها تزيد ؟

تدخلت داليا لتجيب بلهفة و ثقة:

-الحفرة

بقيت ملامحها تُنذر بالفخر من ذاتها و التهليل لأنها علمت الإجابة قبلهم، أردف إسلام بعدها:

-طب إستنو أقولكم فزورة كمان...

ما كاد يتحدث حتى وجدوا إحدى الحارسين يُزجر بوجههم بعد أن سئم من ثرثرتهم:

-مش عايز أسمع صوت

قطب معتز حاجبيه بغضب من ذاك الحارس قاطع اللحظات الجيدة، فهو لم يكتفي بسجنهم في تلك الحجرة بل و أيضاً يريد لهم أن يجلسوا في سكونٍ كالتماثيل....

-ما تسيبنا بقي يا عم إنت، مش كفاية حبسينا

كانت نبرته مُرتفعة أدت إلى غضب الحارس الذي كان نفسه من تلقى لكمة من مُعترز فيما سبق، هذا المرة تطاير الشرر من عينيه و هو يتقدم نحو معترز حتى أمسكه من تلايبه بقضبته الكبيرة التي أوقدت نارًا من الخوف داخل معترز، لكنه مع ذلك تماسك قدر الإمكان أثناء إنصاته إلى الحديث المصوّب ناحيته....

-ولا ... لو سمعت صوتك تاني مش هرحمك إنت فاهم؟

تركه الرجل و عاد مكانه تاركًا معترز غارقًا في نيران غضبه التي جعلته يثب بصعوبة من موضعه بسبب يداه المُكبلتان و يردف بصوتٍ مرتفعٍ حمل معه أطنانًا من التحدي:

-أنا مش خايف منك ... عشان مش معترز المعلوم إلي يحصل فيه كدة

لم يكد ينهي جملته حتى تلقى لكمة من نفس الرجل كانت تعادل اللكمة التي لكمه إياها معترز سابقًا، سقط معترز مجددًا على الأرض أمام شهقاتهم و صرخة كوكي:

-زیزو!!

اعتدل في جلسته كي يُطمئنُها بهيام:

-متخافيش يا قلب زيزو ... أنا هفضل جنبك و أحميكي

كانت نبرته درامية جعلت إسلام يكاد يتقيًا من الاشمئزاز، حيث كان يُتمتم بقرارة نفسه:

-أبو تلزيق أمك

في تلك اللحظة انضم إليهم كل من قمر و لؤي اللذان أتيا بصحبة رجلٍ آخر، إرتمى لؤي أمام إسلام بحدة بينما جلست قمر بهدوء جوار داليا ليضحوا جميعهم بتلك

الحجرة ينتظرون مصيرهم دون أن تُنفذ تلك الخطة التي بدت سهلة التنفيذ في البداية، لكن يبدو أن الواقع يفرض عليهم المعاناة في كل مرة...

التصقت قمر بداليا لعلها تستمد منها بعض الأمان كما كانت تفعل داليا بالضبط، أما عن لؤي فبقيت نظراته ثاقبة كالصقر و هو يرمق أولئك الرجال و يتوعد لهم بقرارة نفسه...

ما هي إلا برهة من الزمن حتى أتى شاويش صاحب القصر و طفق يقترب منهم حتى توقف أمام لؤي مباشرة، رسم بسمه شيطانية على ثغره و هو يقول:

-بقي شلة هُبل زيكم تحاول تسرقني..-

أشعل لفافة تبغها ليضعها بين شفثيه مُستنشقًا دخانها الذي أخرجه على وجوههم مما يدل على الاستحغار، تحرك بضع خطواتٍ داخل الحجرة متسببًا بطرقٍ على الأرض كفيل بإثارة الهلع بنفوسهم، لكن الحقيقة أن لؤي لم يتأثر أبدًا بالموقف و بقي محافظًا على نظراته الثاقبة على عكس معتز الذي تقاوم الهلع بداخله خاصة و كوكي جواره و خوفه من أن يمسخها مكروهاً، أما عن إسلام فكانت اللامبالاة رفيقته و كأنه لا يكثرث بالأمر أو أنه يتمتع بتجربة الخطف هذه...

توقف شاويش عن السير مجددًا و قد بدا أنه يُفكر طيلة هذه المدة في عقابٍ لهم، وجه نظرات ماكرة نحوهم أثناء قوله:

-أنا إللي بيفكر يمد إيدته على حاجتي أو يحاول يسرقني بعمل في حاجة من الإثنين... يا بعذبه ... يا بقتله

إزدردوا ريقهم في هلع بعد حديثه و قد كانت كوكي في تلك اللحظة تكاد تفقد الوعي بسبب رهبة الموقف، حتى أنها لم تلاحظ يداها و هي تنسبت بذراع معتز لتحتمي به من نظرات شاويش التي تكاد تُصيبها في مقتلٍ...

أكمل شاويش حديثه بلكنة مُهددة و مُقررة أيضًا:

-بس المرادي مش هعمل كدة ... لقيت إن عددكم كثير، فقولت أستخدم الموضوع
ده في حاجة تخصني

قطع لؤي حديثه بسؤالٍ صارم:

-هتعمل إيه؟؟

رسم شاويش ابتسامه ماكرة على ثغره أثناء إدلاء الإجابة:

-في بضاعة عايز أتصرف فيها ... و إنتم هتساعدوني

تبادلت النظرات بينهم في تيهٍ و قد أخبرتهم أفكارهم أن تلك البضاعة ليست مجرد
بضاعة عادية، فربما هذا الشاويش يتاجر بالأسلحة أو شيء كهذا، و هم لن يستطيعوا
أن يساعده بمثل هذا الأمر، قطع إسلام لحظة التفكير هذه بسؤاله:

-إيه إلهي عرفك إننا هنوافق؟

سحب نفساً عميقاً من لفافته السميكة ثم أطلقه ليُلقي بعدها اللفافة على الأرض كي
يعود إلى ابتسامته الخبيثة التي إردف معها:

-و أنا إيه إلهي هخليني آخذ رأيكم؟؟

أصابتهم تلك الإجابة بالحيرة التي ألجمت لسانهم و جعلتهم يتابعون ما سيحدث في
صمت، أشار شاويش على واحد من حراسه كي يقترب منه و يُلبي أوامره، فما إن
إقترب منه الحارس حتى أشار شاويش على لؤي بعينه ليقول بتقرير:

-خُدو الواد ده و إحبسوه في أي أوضة

إقترب الحراس من لؤي لينتزعونه من فوق الأرض متجاهلين حركاته العنيفة التي
حاول من خلالها مقاومتهم، انقبضت أساريرهم جميعاً و قد ظنوا أن ما سيحدث للؤي
لن يضحى هيناً، خاصة قمر التي كاد الخوف يأكلها و يجعلها تهتف بصوتٍ مُرتفع:

-سيبوه ... على فكرة دا ضابط و ممكن يحبسكم

كان الغضب بادٍ على وجهها ظانًا من أنها بتلك الطريقة ستجعلهم يهابون و يتركوا لؤي وشأنه، لكن ما حدث كان عكس ما توقعت تمامًا، فابتسامة شاويش قد اتسعت عدة إنشآت و هو يهتف بمُكر اختلط بسعادته:

-حلو أوي...-

وجه نظره للحارس كي يأمره:

-إحبسه في أوضة الفران...-

ثم أعاد نظره نحوهم ليُخبرهم بنبرة بثت الرعب في قلوبهم:

-طالما هو ضابط ... يبقى لازم نعمل الواجب

سببت قمر نفسها بداخلها بعد أن تأكدت أنها أوقعت لؤي في مأزقٍ للمرة الثانية، بقيوا في حالة من الصمت بعد أن اختفى لؤي من بينهم و ظهرت أمامهم حقيبة كبيرة مُحملة بالعديد من الأغراض، أو بالمعنى الآخر، هذه هي البضاعة التي يجب أن يتصرفوا بها...

أنهى شاويش الحديث بلكنة مُهددة أخبرتهم ما يجب فعله:

-البضاعة توصل لمكانها ... يا إما مش هتشوفو صاحبكم تاني...-

تهدلت أكتافهم و هم يسرون في بقعة نائية تقترب من ذاك القصر، يجرون أذيال الخيبة وراءهم بعد أن فشلت الخطة فشلاً ذريعاً و كادوا يفقدون أرواحهم بها، بل حدث ما هو أسوأ من ذلك أيضاً، فبخلاف احتجاج لؤي معهم، يجب عليهم أن يشاركون في جريمة حتى يستطيعوا إنقاذه....

إرتموا على الأرض بين الحشائش في شكل نصف دائرة توستطها داليا و جوارها كان يجلس إسلام و معه حقيبة سوداء كبيرة الحجم لم يقدرها على فتحها خاصة و هم في مكانٍ عامٍ كهذا، فهم على يقين أن ما يوجد داخلها لن يضحى جيداً....

تجلس قمر جوار داليا من الناحية الأخرى يكاد القلق ينهش صدرها خوفاً على لؤي الذي سيضطر المبيت مع حفنة من المجرمين بسببهم، أما عن كوكي فأخذت موقعاً جوار قمر و حالتها لم تكن تختلف عن حالتهم التائهة...

-ها يا جماعة .. هنعمل إيه؟؟ ... إحنا كنا جايين عشان ناخذ منهم الفازا ...
دلوقتي بقي معاهم الفازا و لؤي

قالتها داليا بضيقٍ من هذا الوضع الذي وصلوا إليه، تدخلت قمر بالحديث باندفاع أعرب عن مدى خوفها على خطيبها:

-إحنا لازم نعمل خطة تانية نهرب بيها لؤي

أردعتها داليا بحدثيها الصادق:

-إتلهي ... و إحنا عرفنا نجيب الفازا عشان نعرف نجيب لؤي...

تدخلت كوكي لتدلي إحدى اقتراحاتها:

-أنا عندي فكرة ... إحنا ممكن نقول لـ uncle عبد الصبور يساعدنا ... قمر قالت إنه لوا

رفع إسلام من صوته و هو يعترضها:

-إنت عايزانا نقول لأبوه إننا كنا رايعين نسرق ... دا هيوديننا و يؤديه في داهية

لاحت بينهم برهة من الصمت و التفكير المطوّل حول هذه المُعضلة، قطعت داليا هذا الصمت بخيبة أمل تقاطرت مع كلماتها:

-إحنا مقدمناش غير إننا ننفذ كلامهم و نسلم الحاجات دي

اعترضتها قمر باندفاعٍ و إصرار:

-مستحيل ... إنتِ عايزانا نشتغل مع مجرمين

بررت داليا بصوتٍ مليءٍ باليأس:

-مفيش حل تاني غير كدة_

قطع إسلام حديثها بثقة وثب معها من الأرض و التقط الحقيبة التي كانت جواره استعدادًا للرحيل من تلك البقعة:

-أنا عرفت مين هيساعدنا ... تعالو ورايا...

وطأت أقدامهم داخل هذا المنزل البسيط ليتفرق شملهم و تتجمع الفتيات داخل الحجرة رفقة يسرا شقيقة إسلام، حيث كان يسير خالد زوجها أمام إسلام و مُعتر حتى جلس على المقعد المجاور للأريكة بالبهو، تأبطت ذراعا إسلام و مُعتر و هما يتوغلان المنزل حيث همس معتر بأذن إسلام و أعينه تترقب خالد من بعيد و بداخله يحمل كمًا من الكراهية كان يكتنيتها لذلك المدعو بخالد منذ أيام المدرسة...

-مش قولتلك أنا مش عايز آجي عند الراجل ده

حاوطه إسلام بذراعه ليُهديء من روعه:

-هو الوحيد إلي هيعرف يساعدنا، بعدين متقلقش ده إتغير أوي من ساعة ما
إتجوز أختي

وجدا خالد يحمل هرة صغيرة كانت تتجول على الأرض ليضعها على فخذه و يبدأ بمداعبتها في حنانٍ بالغ، جلس كل من إسلام و معتر على الأريكة قبالة خالد يراقبونه و هو يُداعب الهرة التي يراها إسلام لأول مرة و يتعجب من إحضارهم لها بالمنزل

...

-جديد يعني موضوع الحيوانات ده ... إيه إلهي طلعتها في دماغم تربو قطة؟؟

آجابه خالد بحكمة دون أن ينظر له، حيث بقي يُمسد على ظهر الهرة أثناء حديثه:

-الحكمة تقول : عليك أن تتعامل مع الحيوانات حتى تستطيع التعامل مع البشر

تبادلت النظرات ما بين معتر و إسلام حتى أردف معتر ببعض الغضب:

-هو قاصدني بالكلام ده ... مش كدة؟؟

عارضه إسلام بحديثه:

-لأ .. هو قصده البشرية كلها

حمم إسلام بعدها ليوجه ضفة الحديث نحو خالد حتى يصل إلى صُلب الموضوع:

-بُص يا خالد ... إحنا واقعين في مشكلة كدة و عايزينك تساعدنا

آجابه خالد بحكمته المعتادة و هو لا يزال يداعب الهرة:

-عليك أن تتحمل البلاء حتى تنعم بالاسترخاء

لم يتحمل معتر تلك اللكنة المُشفرة التي يحادثهم بها خالد، فهو يريد حلوًا مباشرة لا تلك الحكم و المواعظ التي ينهال بها عليهما طيلة الوقت، وثب من موضعه بعد أن تفاقم غضبه و جعله يوجه سبابته نحو خالد لينهره:

-لا بقولك إيه... إنت هتعملنا فيها أرسطو !! ... يا تسيب القطة دي و تتكلم عدل
ياما و ديني لأعرفك مين هو معتر اللوموم

حافظ خالد على هدوءه و هو يتحدث معه بسخرية و بلغة عربية فُصحى اعتاد
الحديث بها:

-ما الذي ستفعله أيها السائق ؟

اتسعت حدقتي معتر ثم نظر نحو إسلام نظرة غاضبة لأنه بالطبع أخبر خالد حقيقة
وظيفته:

-إنت قولتله!!

اعتذر له إسلام بتبرير:

-أسف يا زميلي ... لساني فلت و أنا بقوله

نصب مُعتر قامته ليُعاود الجدل مع خالد بثقة:

-و فيها إيه لما أكون سائق؟؟ ... على الأقل بشقى و بتعب في شُغلي ... و إن شاء
الله ربنا هيكرمني و أبقى راجل مهم

وجه سبابته نحو خالد ليواصل الجدل بتحدٍ:

-إنت حياالله مدرس عربي لا روح و لا جيت ... تقدر تقولي بقي إنت بتعرف تعمل
إيه في حياتك ؟

احتد خالد قليلاً لكنه لم يترك مكانه أثناء الرد عليه:

-يكفي أنني أستطيع التحدث مع السُفهاء أمثالك

أشعلت هذه الجملة نيران الغضب داخل معتر حتى كاد ينقض على خالد و يلكمه على وجهه؛ وثب إسلام في تلك اللحظة ليفض من هذا النزاع، أحاط معتر بذراعه حتى يُهديء من روعه و يجلس مجدداً على الأريكة...

-يا خوانا مش وقت خناق إحنا في مصيبة ... ممكن تهذا بقى إنت كمان

رد عليه مُعتر باندفاع:

-إنت مش شايف بيقول عليا إيه ؟

ربت إسلام على صدره بيده أثناء قوله الذي حمل في طياته الاعتذار:

-معلش ... امسحها فيا

تنهد معتر لعله يُهديء من روعه و يتجنب الحديث مع هذا المتعالٍ حسب ما يظن، بعد برهة من الصمت تقدم إسلام بجذعه ليردف باهتمام أثناء إزاحته للحقيبة كي تضحى بمنتصفهم و تساعده على الشرح:

-الشنطة دي فيها بضاعة لازم نسلمها لشخص معين..

أزاح الحقيبة جانباً ليوصل ولكنها ذات أهمية:

-بس قبل ما نسلمها لازم تعرف حاجة مهمة ... أنا و داليا أرواحنا بتتبدل...

-واو ... يعني إنت تقدري تبقي في جسم إسلام!!

قالتها يسرا بذهولٍ بعد أن استمعت إلى الحقيقة الكاملة من داليا، فقد إجتمعن داخل حجرة نومها حتى يتحدثن بأريحية دون أن يتدخل الرجال، كانت يسرا تجلس على الفراش الفسيح و جوارها كوكي، أما قبالتها فكانت تجلس داليا تنغمس بحديثها عن

تلك الأحداث المجنونة التي حدثت بالفترة الأخيرة و جوارها تجلس قمر تنصت
باهتمام و تنتظر اللحظة التي سيفكرن فيها بخطة يستطيعوا من خلالها إنقاذ نصفها
الأخر....

-أيوه ... و دلوقتي في ورق مهم جوة الفازا دي هياسعدنا ندخل المعمل و نستخدم
جهاز التثبيت ... بس للأسف و إحنا بنحاول نجيب الفازا فشلنا و أخذو لؤي رهينة

قالتها داليا بيأسٍ اختصرت معه الأمر حتى تستطيع يُسرا العثور لهم على حل، لكن
ما حدث أنهن وجدن يُسرا تفتح فاهها بذهولٍ حمل معه اللهفة و هي تقول:

-أنا لازم أكتب الكلام ده في روايتي الجديدة ... ده الرواية هتكسر الدنيا

أوقفت قمر لهفتها بنفاد صبر و نبرة مندفعة:

-رواية إيه إنتِ كمان .. إحنا لازم نساعد لؤي، و مش هنعرف نساعده غير ما
نسلم البضاعة

استكانت يُسرا مكانها و شرعت تُفكر لبعض الوقت حتى أردفت:

-أنا كتبت رواية قبل كدة، كان فيها عصابة بتهرب آثار و أجبرو بطل الرواية
يشتغل معاهم ... فهو عمل خطة كدة عشان يسلمهم للبوليس من غير ما يتأذي...

وجهت بصرها نحوهن و هي تقول بلهفة:

-إحنا ممكن نعمل خطة نقفشهم بيها و في نفس الوقت ننقذ لؤي ... بس إنتم
عارفين إيه الحاجة إلي هتهربوها؟؟

نفث كوكي برأسها و هي تُجيب:

-لسة مفتحناش الشنطة ... بس I think إنها آثار ... أصلي لمحت حاجة مُجسمة
جوة الشنطة

وثبت يُسرا من الفراش لتترك الحجرة بتقرير:

-طب يلا نطلع نشوف هي إيه...-

أضحى البهو معتجًا بهم، حيث كان إسلام يجلس على حافة الأريكة جواره مُعترز، و على مسند الأريكة جوار إسلام كانت تجلس داليا، أما على حافة الأريكة من الناحية الأخرى كانت تجلس كوكي و جوارها قمر تجلس على المسند، إرتدت يُسرا إزدال الصلاة و هي تستوطن مقعدًا بالقرب من خالد و جميع الأعين كانت مُنصبه على تلك الحقيبة السوداء القابعة بالمنتصف...

وضع إسلام يده على الحقيبة يحاول فتحها بفضولٍ غمر أبدانهم و جعل أعينهم يزداد وسعها، هذا الفضول و اللهفة اختفيا مرة واحدة ما إن فتح إسلام الحقيبة و وجد....

-دباديب !! إحنا عاملين ده كله عشان في الآخر دباديب!!-

نعم .. فما كان يوجد بتلك الحقيبة هو مجموعة من الدُمى مختلفة الأشكال و الألوان، تفرقت أيديهم داخل هذا الحقيبة ينتشلون الدُمى منها و يتفحصونها في سخرية من الموقف بُرمته، هل هذا الخوف الذي غمرهم طيلة الوقت كان هباءً؟؟

-الموضوع سهل أهو يا جماعة ... دي مُجرد عرايس ... شكل إللي اسمه شاويش ده هفأ

قالها إسلام بأريحية و هو يضع الدمية مكانها، أما عن يُسرا فكان العبوس يُغطي وجهها لأنها تمننت لو تحظى بقليلٍ من المغامرة، لكن يبدو أن أحلامها لن تتحقق أبدًا، كاد يغلق إسلام الحقيبة لكن صوت خالد قد أوقفه و هو يهز الدمية التي معه و يقول:

-يا رفاق ... هذه الدمية ثقيلة

تبادلت نظراتهم بحيرة من حديثه فانتشلت داليا دمية من الحقيبة قبل أن يتم إغلاقها و شرعت تُحركها كما يفعل خالد حتى رأت أيضاً أن هناك خطب ما بها:

-خالد عنده حق ... العرايس دي بتلق

كانت تضع الدُمية قُرب أذنها لتتصت إلى صوت اللقطة الصادر منها و كأن بداخلها شيء ما، انتشل إسلام الدمية من يدها لينصت إلى نفس الصوت الذي تأكد منه بالفعل

...

سرعان ما تبدلت ملامحهم الساخرة إلى أخرى حائرة ترغب بمعرفة ما يوجد داخل الدُمية، سارع إسلام بشق الدُمية من بطنها دون أن يُمزقها حتى لا يفسد الأمر، دثر يده داخل الدُمية بحذر حول الأعين التي تتربح حركته بفضول، التقطت أنامله شيئاً ما تم دثره داخل الدُمية، فقد كان يحمل كيساً شفافاً يحتوي على بعض الأقراص الدائرية...

سقطت فكوكهم بصدمة مما يروه أمامهم، فهذه الدُمية محشوة بنوع من الحبوب لا يعرفون ماهيتها، أشار مُعتز على الحبوب ليردف باستنتاج:

-هي إيه الأدوية دي؟؟

آجابه إسلام و هو لا يزال يرمق تلك الحبوب بين يديه:

-دي مش أدوية ... دا كبتاجون

أردفت داليا بصوتٍ عالٍ و حائر بعد أن سمعته بطريقة خاطئة:

-كبدة !! ... فين الكبدة دي

صح إسلام ما أنصتت إليه باندفاع:

-مقولتش كبدة ... أنا بقول كبتاجون ... يعني مُخدرات ... !!

الفصل السابع عشر (فارغة !!)

لا تبتأس من تلك الحياة التي دائماً ما توليك ظهرها، فحتى وإن كانت ترفد النظر إليك، هذا لا يعني أنها لا تستطيع الإصغاء لك...

كانت الأجواء مكفهرة تحفها هالات من التفكير و الصدمة، فأمامهم حقيبة مُحملة بكمٍ من الممنوعات تجعلهم في السجن بقية حياتهم، حالت فترة من الصمت و التحديق بتلك الحقيبة أثناء تفكيرهم في خطة أخرى يتخلصوا من خلالها من تلك المعضلة دون أن يتأذى صديقهم، لكن كيف سينفذوا خطة خطيرة كهذه و هم قد فشلوا من قبل في تنفيذ خطة أقل ما يُقال عنها أنها بسيطة، قطعت قمر هذا الشرود بصرامة:

-طيب ... يلا نفكر هنعمل إيه؟؟ ... لازم نفكر في خطة ذكية تخلصنا من الحوار ده كله

لاحت ابتسامة ساخرة على ثغر خالد و هو ينظر لمُعترز نظرة محتقرة قال معها:

-كيف سنأتي بخطة ذكية و هذا الأحمق بيننا؟

اشتعلت عيني معترز إثر حديثه فهب واقفاً أمامه يكاد يُبرحه ضرباً:

-طب و رحمة أمي ما هسيبك...

بدأ الجدل بينهما ليجعلهم يتناسوا أمر الحقيبة و يحاولوا فض هذا النزاع قبل أن يتدمر المنزل، إقتربت داليا من أذن إسلام كي تسأله باستفسار:

-هو خالد و معترز ليه مش طابقين بعض؟

أجابها إسلام بصوت خافتٍ بعض الشيء:

-أصلهم كانوا مع بعض في الدفعة و عطلوا يتخانقوا أيام المدرسة

استنتجت داليا أن مُعتر بنفس عُمر خالد و الذي يكبر عن إسلام بثلاثة أعوام، هذا يعني أن معتر يكبر إسلام بثلاثة أعوام أيضًا رغم أن إسلام أكثر طولًا و عرضًا:

-إيه ده هو معتر أكبر منك !! ... مش باين عليه خالص

خرجت نبرة إسلام متعالية و هو يُجيبها:

-كل الناس بتقول كدة ... إكمني يعني عاقل و ناضج

رفعت داليا حاجبيها بسخرية و هي ترد عليه:

-لو كانت بتتقاس بالعقل كان زمانكم إنتو الاتنين في الحضانة ... أنا كان قصدي على الطول

لم يكد يُجيبها إسلام حتى وجدا صوت يُسرا يصدح عاليًا لتوقف هذا الجدل الناشب، فما إن سكنت الأصوات و انصبت الأعين نحوها باهتمام حتى أردفت بثقةٍ أدلت معها اقتراحها:

-أنا عندي خطة...

ظلام دامس أحاط بهذه البقعة رغم أن الشمس كانت ساطعة، حبل غليظ يلتف حول يديه التي لم تتوقفا عن الحراك كمحاولة للتملص من تلك القيود، كان جسده مترaxيًا على مقعدٍ خشبيٍ مُهترئٍ تعتقد لو هلة أنه أتى من فترة الستينات، أما عن وجهه فكان العرق يتقاطر منه كحُبيبات الندى المتساقطة على سفوح الأشجار..

أرخی رقبته للوراء لتُحدث طقطقة أعربت عن انحناءها لفترة طويلة كان فيها ضحية النوم الذي غلبه في تلك الحجره، حرك رأسه يمينًا و يسارًا استعدادًا لاسترداد قوته و معاودة التغلب على تلك القيود مجددًا، فهو لن يترك مجالًا لأولئك الأوغاد أن ينالوا

منه و يستغلوا رفاقه، فربما لو كان شخص آخر مكانه لما استطاع الفرار منهم و ربما كان سيضحي بخطر الآن...

و هذا لا يعني أنه في موقف أقل خطورة، هذا يعني أنه في مأزق لكنه يستطيع الفرار منه لأنه مُدرب على تلك الأمور جيداً، فهذه ليست أول مرة يتم أخذه كرهينة وسط مجموعة من المجرمين، ربما أول مرة يتم أخذه كرهينة حاولت السرقة، لكن هذا لا يُهم، عليه أن يفك قيده قبل أن يقبل رفاقه على ارتكاب جريمة من أجله...

بقي لساعات أخر يُحرك يديه في عنفٍ حتى أصبح رسغه أحمرًا يسيل منه الدماء التي لم يكثر لها بتاتاً و كأنها لون أحمر ينبثق من جلده و لا يستطيع الشعور به، بعد بضع دقائق كادت أنفاسه فيهم تنقطع بسبب قلة الهواء، استطاع أخيراً فك قيد يديه و من ثم قدميه ليثب بعدها بحذر أطلق معه نظراتٍ مترقبة و آذان صاغية لما يحدث خارج الحجرة....

أمسك بالمقعد الخشبي بكلتا يديه ليأخذه و يقف به خلف الباب المؤصد، ركل الباب الخشبي ركلة كادت تُطيحه أرضاً، هذه الركلة آفاقت الحارس القابع خلف الحجرة و جعلته ينتفض في مضجعه و الغضب يتكلم جوانحه، أخرج الحارس سلاحه من جيبه ليقترب من الحجرة التي تيقن أن لؤي يحاول الهرب منها...

دفع الباب دفعة قوية جعلته يلتصق بحدة بجسد لؤي الواثب خلفه، صوّب الحارس سلاحه أمامه و عيناه تشخصان بكل مكان بحثاً عن ذاك المُحتجز، جرّ على أسنانه بغضب ما إن تأكد من اختفاء لؤي، لكنه لم يلحق التبليغ بهذا الأمر لأن لؤي هوي على رأسه بالمقعد الخشبي الذي كان معه و استخدمه ليضرب به الرجل ضربة قوية جعلته يسقط على الأرض مغشياً عليه...

إنحنى لؤي لمستواه ليعبث بحوزة الحارس حتى التقط منه سلاحه و خزينة الرصاص ليضعها بجيبه، عثر أيضاً على الهاتف الخاص بالحارس فالتقطه بسرعة البرق و هو يُجري مكالمة أردف بها:

-ألو ... أنا الظابط لؤي ... في عصابة أخذتني رهينة ... محتاج دعم عشان أعرف
أخرج من هنا .. تمام، متأخروش

أغلق المكالمة بسرعة ليلتف كمحاولة للهروب من هذا المكان، لكن الرياح تأتي بما لا تشتهي السفن، فما إن التفت وراه حتى وجد حارسان يسدان الباب بنظراتهما الحاقدة و أعيرتهما النارية المصوِّبة على وجهه مباشرة... !!

ترحف دقات الساعة ببطء و هو يجلس على أريكة خشبية تتوسط حديقة عامة مليئة بالأطفال التي تتأرجح بمرح على تلك الألعاب، يحتضن خالد الحقيبة السوداء بين صدغيه خشية من أن يُصيبيها خدش أو يتم سرقتها، يتلفت يمينًا و يسارًا ثم يرمق ساعته في كل وهلة ينتظر تحرك هذه العقارب إلى التاسعة صباحًا، فقد اتفقت معهم أفراد العصاية على المقابلة في ذاك المكان العام و بهذا الوقت الباكر منعًا للشبهات....

تحركت عقارب الساعة أخيرًا إلى التاسعة فاستعد خالد لمقابلة هذا الشخص الذي من المفترض أن يتسلم منه الحقيبة بعد أن يُخبره كلمة السر المُتفق عليها، فربما سيأتيه مجرمًا متخفيًا سيحفظ هو معالمه و يُبلغ إسمه للشرطة، هذا ما كان يُفكر به حتى قطع شروده صوت طفلٍ صغير ذا بحة رقيقة قال بها:

-طنط فوزية عازماك على الغدا-

اتسعت حدقتا خالد ما إن التقطت أذناه كلمة السر من طفل صغيرٍ من المُفترض أن يتسلم منه تلك الممنوعات، بقي في حالة من الصمت و التيه لفترة حتى مدَّ الصغير يده و حدقتاه تُشيران على تلك الحقيبة التي يحتضنها خالد:

-طنط فوزية عازماك على الغدا-

آعاد عليه كلمة السر لينتشل خالد من شروده و يمدُّ نحوه الحقيبة السوداء التي التقطتها أنامل الصغير بكل جرأة و كأنه مُدرب على هذا، ما إن رحل الصبي حتى أخرج خالد هاتفه بسرعة ليتصل بزوجته و يُخبرها عن الشخص الذي تسلم الحقيبة منه...

على جهة أخرى كانت تجلس يُسرا و معها كتابًا تُمثل أنها تقراءه بنهم، لكن الحقيقة أنها تتابع بعينها ذاك الصغير الذي يحمل حقيبة سوداء أكبر من حجمه، وجدته يجلس على بضعة أمتارٍ منها و يبتعد تمامًا عن البقعة التي أخذ منها الحقيبة، تحركت يُسرا بخطواتٍ هادئةٍ خلف هذا الصبي، عَزمت على إخفاء هويتها قدر الإمكان حتى لا يُلاحظ أحدهم أنها تراقبه، فقد كانت تضع الهاتف تارة على أذنها تُمثل انشغالها في مكالمة ما و تارة أخرى تجلس على أريكة انتظار وسائل المواصلات تُمثل أنها تقراء كتابًا كما تفعل في تلك اللحظة...

وجدت رجل يرتدي حلة سوداء و يجلس بالقرب من الصبي ليُبدل معه حقيبته السوداء بالحقيبة التي تحتوي على بضاعتهم، فر بما أعطى هذا الصغير حقيبة تحتوي على ثمن البضاعة، وجدته يُشير بسبابته أمام الصبي و كأنه يُحذر من أمرٍ بالغ الأهمية، بعدها داعب خُصلات الصبي و أهداه حقيبة بلاستيكة ربما تحتوي على الحلوة لأن الصبي ما إن التقفها حتى ارتسمت بسمه واسعة على ثغره.

أخرجت يُسرا هاتفها و طفقت تلتقط العديد من الصور لهذا الذي تسلم الحقيبة دون أن يدري أنه يتم تصويره، أما عن الصبي، فبقي مكانه يحتضن الحقيبة و يتناول الحلوة في صمت حتى تقدم نحوه رجل آخر تحدث معه لبرهة ثم أخذ منه الحقيبة ليثب الصغير من مكانه و يسير وراء الرجل الذي يعرفه بلا شك.

أرسلت يُسرا الصور لشخص ما مع عباراتٍ تحثهم على مراقبته و معرفة أين ستذب البضاعة...

فكانت داليا على جهة أخرى تتحرك خلف الرجل بأريحية دون أن تُكلف نفسها عناء الاختباء، فهذا الرجل لن يراها على أي حال، بقيت تسير وراءه بإنسيابية حتى استقلت معه السيارة التي لم تكن خالية البتة، فقد كان بداخلها رجل آخر يتولى القيادة يبدو أنه في ريعان شبابه، أما بالخلف، فكان يجلس رجل ذو هنية طاغية و كِرش ممتد أمامه مع خصلات شعر بيضاء و ملامح غليظة، أمسك هذا الرجل ذو الهنية بالحقيبة و طفق يبحث بداخل الدُمي عن بضاعته...

أخذت داليا مقعدًا بالخلف و جوارها الحقيبة مباشرة، علمت للتو أنهم سيأخذون تلك البضاعة إلى المطار كي يُهربونها خارج البلاد تمامًا، فلهذا السبب تم حشوها داخل

الذمى حتى لا يكشفها أحد، بقيت داخل السيارة تُراقب تحركهم حتى وجدت الرجل الجالس جوار السائق يُخرج هاتفه حديث الصيحة ليُجري مكالمة هاتفية قال معها:

-البضاعة وصلت ... و الفلوس سلمناها-

ما إن أدلى بهذه الجملة حتى اتسعت بسمه داليا و كأنه أخبرها دعابة ما، فما جعلها تجلس بين هذه العصابة هو أنها تُريد أن تتأكد أن شاويش علم بتنفيذهم لذلك التسليم حتى يبدأو خطتهم الأصلية، سارعت داليا بالتحرك خارج هذه السيارة، حيث اخترقت بابها المُغلق حتى وجدت نفسها تتدحرج على الطريق بسبب سرعة السيارة، توقفت عن الدحرجة لتثب عن الأرض دون أن يمسه أي خدشٍ لأنها بالأساس ليست داخل جسدها، فإذا فعلت هذا و هي بداخله بالتأكيد ستضحى مشوّهة المعالم الآن.

وجدت سيارة بيضاء تشق الطريق نحوها فعاتت خطوتان للوراء بأعين ثابتة كالصقر تستعد من خلالها لاختراق تلك السيارة قبل فوات الأوان...

انتفض جسدها فجأة لتُصبح داخل سيارة تعرفها جيدًا، أمامها كوكي تجلس جوار مقعد السائق تتصفح حاسوبها و شريحة التتبع التي دثروها داخل شُحنة الممنوعات، أما عن مُعترز، فكان جوارها يقود السيارة حسب توجيهات كوكي التي تتابع الرجل الذي أرسلت لهم يُسرا صورته مُرفقة مع لون سيارته التي كانت داليا بداخلها.

-كلمو البوليس ... هما خلاص قالو لشاويش إننا عملنا إلهي هو عايزه-

استجابت كوكي لحديثها و أخرجت هاتفها فورًا لتتصل بالشرطة و تقدم بلاغًا كاملاً بأولئك المجرمين مهربي الممنوعات، صدح هاتف داليا مُعربًا عن مكالمة هاتفية أنتها من قمر التي كانت تُنفذ شيئًا آخر من الخطة برفقة إسلام.

-ألو يا قمر...

قالتها داليا بهدوءٍ رغم القلق البادٍ على وجهها، ما هي إلا برهة حتى اتسعت عينا داليا في صدمة قالت معها بصوتٍ مُرتفع:

-إيه !! ... طيب إحنا جايين..

أغلقت المكالمة بسرعة لتتقدم بجذعها نحو كوكي و مُعترز كي تُخبرهما بهلع:

-إطلعو على قصر شاويش بسرعة ... قمر بتقولي إن لؤي في خطر و إن في ناس
عايزة تموته!!

من المفترض أن يضحى المرء في أوج هلعه في ذاك الموقف، فأمامه فوهة سلاح ربما تم تعمييره استعدادًا للإطلاق، بل و حتى إجتماع مع فوهة سلاح آخر مصوّب نحو لؤي بأقدام تقترب منه و أعين تنثر شعاعاتٍ من الغضب لو كانت حقيقية لما حوّلت هذه الحجرة إلى رمادٍ، و مع هذه الأجواء الخطرة يبقى لؤي مكانه محافظًا على صلابته و أعينه الثاقبة التي أبرزت أنه لا يهابهما.

رفع يديه لأعلى علامة على الاستسلام بينما قدماه كانتا تتقدما ببطء و هدوءٍ اتجاه هذين الرجلين..

-إثبت مكانك أحسنك

قالها أحد الرجلين بصوتٍ جهوري مُهدد، إنصاع لؤي له باستسلام و توقف عن السير دون أن ينبس ببنت شفة؛ تحرك واحد من الرجال نحوه ليعاود تقييده بالمقعد لكن...

أمسك لؤي يده التي تحمل السلاح و أدارها ليلوي ذراعه و يحتضن جسده لؤي، كان يطلق الحارس من سلاحه أثناء مقاومته للؤي لكن لسوء حظه أطلقت النيران ما إن أدار لؤي يده بسرعة البرق مما جعل الطلقة تُصيب صدر الحارس الآخر و تلقيه صريعًا، انتهز لؤي هذه الفرصة و انتزع السلاح من الرجل ليلقيه بعيدًا حتى يستطيع الهرب...

لم يتركه الرجل و شأنه و جثا بركبتيه نحو جثة زميله لينتشل منه السلاح و يطلق به رصاصة كادت تخترق جسد لؤي لكنه تفادها و أخرج سلاحه بسرعة ليطلق منه رصاصة اخترقت قدم الرجل و منعته من الحراك.

هرول لؤي بسرعة خارج الحجرة بالسلاح الذي بين يديه، أغلق باب المخزن على الحارس المُصاب و جثة الحارس الآخر حتى لا يتلقى رصاصة أخرى، هرول بسرعة و بخطواتٍ لا تُصدر من الأصوات إلا القليل حتى لا يكشفه أحد، لكن للمرة الثانية تأتي الرياح بما لا تشتهيهِ الأُنفس، فما إن خطت قدماه بعيداً عن المخزن حتى استمع إلى صوت تبادل الطلقات المصحوبة بصفارة الشرطة التي أخيراً استجابت إلى رغبته و أتت للقبض على تلك العصابة...

اختبأ بسرعة أسفل إحدى المناضد تفادياً للطلقات النارية المتبادلة بين أفراد العصابة و الشرطة التي اقتحمت بهو القصر، سرعان ما تحوّل القصر إلى معركة عزم فيها لؤي على النفاد بجلده دون أن يمسه مكروهاً، أحنى جذعه و هو يتحرك بخطواتٍ هادئة لكن...

شعر بمادة صلبة تُهوى على رأسه بقسوة جعلت الدماء تنبثق من خلف جمجمته و جسده يخر راکعاً على الأرض، أدت هذه الضربة إلى سقوط سلاحه على الأرض و ابتعاده بضع إنشات عنه، مدّ يده ليلتقط السلاح مرة أخرى لكنه يجد قدمًا تدعس على يده بقوة كادت تجعله يتأوه لكنه تماسك قدر الإمكان...

صوّب نظره إلى صاحب هذه القدم ليجده رجل من رجال شاويش يبدو عليه الغضب و هو يرفع سلاحه صوّب لؤي الراكع على الأرض على وشك أن يتلقى رصاصة تخترق رأسه....

انتفض جسد إسلام المُستلقي على الحشائش و أمامه قمر تراقب القصر من بعيد، اعتدل إسلام في جلسته و الهلع بادٍ على وجهه أثناء قوله:

-لؤي بيحاول يهرب و في ناس هتموته ... لازم ندخل بسرعة

قالها ثم وثب من الأرض ليتجه نحو القصر، أما قمر فكانت الصدمة تتكلم معالمها حتى أخرجت هاتفها لتجري مكالمة بأصابع مُرتبكة و صوتٍ مرتجفٍ أخبرت معه داليا ما حدث و أنهم يجب أن يأتوا فوراً، أغلقت المكالمة لتلحق بإسلام الذي يحاول دلوف القصر من الباب الخلفي تزامناً مع استماعهما لأصوات سيارات الشرطة تقترب من القصر استعداداً لمعركة دموية...

لايزال يُحدق بعينه على فوهة السلاح هذه جازاً على أسنانه بغضب، كلما حاول رفع يده عن الأرض كلما شدد الرجل من قبضته و أصابه بالوجع، لم يستسلم لؤي رغم ذلك و حرك يده الأخرى قُرب السلاح لكن الرجل سبقه و ركله ركلة قوية على وجهه جعلت الدماء تنبثق من أنفه...

أرجع لؤي رأسه في ألم يتحسس معه نزيفه و الصداع الجامح الذي لجج كيانه، رفع الرجل سلاحه مرة أخرى و كاد يضغط على المزناد استعداداً لإطلاق النار لكن...

أخفض يده فجأة و كأنها أصبحت رخوة لا يستطيع التحكم بها؛ سقط سلاحه على الأرض و سقط معه جسده الثقيل بالقرب من لؤي الذي تابع ما حدث في تيه، رفع لؤي نفسه من الأرض ليلقى أمامه كل من قمر و إسلام...

تقدمت قمر نحوه لتسأله بقلق:

-إنت كويس؟؟

أوماً لؤي رأسه و هو يجيبها:

-أه ... إنتو إيه إلهي جابكم هنا...

وجد يد إسلام تجذبه مع كلماته المقررة:

-إحنا لازم نجيب الفازا قبل ما الشرطة تحجز على المكان...

تحركت أقدامهم بسرعة داخل إحدى الحُجُر التي حفظها إسلام ظهرًا عن قلب، ما إن وطأت أقدامهم تلك الحجرة المظلمة حتى أحسوا بأقدامٍ أخرى تحاول اختراق الحجرة من خلال النافذة، رفع لؤي سلاحه استعدادًا لإطلاق النار لكن من وجدوه هو...

-داليا!!-

قالها إسلام بحيرة ما إن وجد داليا تدلف الحجرة من النافذة...

-مش هقدر أسيبكم ... معتر فضل مع كوكي عشان في ضرب نار تحت

أصبح جميعهم الآن داخل الحجرة و معهم تلك المزهرية يريدون إخراجها من هنا بأسرع ما يُمكن، أمسك لؤي بالمزهرية ليعطيها إلى قمر بلكنة أمره:

-خلي داليا تنزل و تاخذ منك الفازا .. و إحنا هننزل وراكم

أمسكت قمر بالمزهرية تلبية لأوامره، لكن داليا كانت جوار النافذة التي تسلفتها من قبل، كانت تُخفض بصرها لترى سبب الضجيج الذي يحدث أسفلها:

-معتقدش إننا هنعرف ننزل من هنا...

بقيت تُحدق فيما يحدث حتى إقترب منها جميعهم ليشاهدوا ما تشاهده و يتأكدوا أن لا سبيل للهرب من ذاك المأزق؛ فأسفل النافذة يتجمع عدد لا بأس به من رجال شاويش و معهم أسلحتهم التي يدافعون بها عن القصر و يقتلون من يحاول الإقتراب ناحيتهم، لم تجد داليا هؤلاء الرجال و هي تتسلق النافذة لذلك تسلفتها بسهولة و يُسر، لكن يبدو أنها ستظل هنا حتى ينتصر الشرطة على أفراد العصابة أو يهملوا بالهرب...

لكن حتى هذا الحل لم يكن متاحًا، فسرعان ما اخترقت آذانهم أصوات ضجيج تقترب بشدة من باب الحجرة؛ التصقت قمر بجسد داليا أثناء اختبائها خلف إحدى المزهريات الضخمة مُحترضة هذه المزهرية، أما عن إسلام فأخذ تمثالًا من النحاس و وثب خلف لؤي الذي يحمل معه سلاحه ليصوبه على من سيقتم الحجرة و كان كلاهما يختبئان خلف الباب مباشرة...

اندفع الباب دفعة قوية وثب بعدها رجل يُشهر سلاحه أمامه بحثاً عن اقتحم الحجرة بعد أن استمع إلى أصواتهم، باغته إسلام بضربة مفاجأة بالتمثال الذي معه كما تبعه لؤي هو الآخر بركلة استخدم فيها قدمه جعلت الرجل يسقط على الأرض.

أشار لؤي بيده لقمر و داليا كي يتبعاه هو و إسلام بسرعة قبل أن يثب الرجل مكانه و يعاود مهاجمتهم؛ تحركن وراءه بأقدام مُرتجفة و أعينٍ تتلفت في كل مكانٍ تجنباً للطلقات التي تتقاذف ناحيتهم، أطلقت داليا العديد من الصرخات الخائفة ما إن شعرت بلهيب طلقة تخترق مسامعها و تكاد تُصيب أذنها....

استطاع لؤي إيجاد منفذٍ من هذا كله من خلال بوابة القصر الخاصة بالحديقة، أشار بيديه كي يتبعونه و يتقدم هو المسيرة لحمياتهم، هرولت قمر أولاً و هي تحتضن المزهريّة جيّداً حتى لا تقع على الأرض أثناء ركضها، و ما كادت تتحرك داليا وراءها هي و إسلام حتى وجدا رصاصة كادت تخترق أجسادهما...

إنحني إسلام بجذعه على الأرض كما فعلت داليا، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل سرعان ما أحاطتهم الرصاصات و أضحى الخروج من تلك الثكنة أمراً مُستحيلاً، كان البهو مُعتجاً بالكراكيب و كان يختبئ إسلام و جواره داليا بين مجموعة من الأنتيكات الكبيرة المليئة بالأتربة...

-هنعمل إيه دلوقتي؟؟-

قالتها داليا بصوتٍ مُرتجف و هي تستمع إلى الطلقات التي تتبادل خلف أذنها، جال إسلام بعينيه في كل مكانٍ بالحجرة حتى وقعت عيناه على خزانة حديدية عملاقة ربما تحميها من الرصاص...

-تعالى نستخبى جوة الخزانة دي-

قالها إسلام و هو يتحرك بجذع محني و خطواتٍ متقطعة حتى وصل إلى تلك الخزانة و دلفها أولاً دون أن يستمع إلى موافقة داليا التي كانت تتابعه في صمت، كاد يُغلق إسلام الباب عليه لكن داليا سألته بحيرة و صوتٍ خافت:

-إحنا كدة هنتخفق و مش هيدخلنا نفس-

أجابها إسلام قبل أن يُغلق الخزانة:

-مفيش جُثت بتتنفس-

أغلق الباب بعدها دون أن يكثرث لنظرات داليا الحائرة و التي أبدت عدم فهمها لما قال، لكنها شعرت بجلبة تحدث داخل الخزانة فأدركت جيداً ما يقصده إسلام و الذي ربما يساعدهما في مثل هذا المأزق، استمعت إلي طليقة أخرى كادت تخترق جسدها لكنها أصابت الخزانة و لم تخترقها مما أشار إلى داليا أن تلك الخزانة مضادة للرصاص.

تشجعت بعد أن أدركت هذا و فتحت الخزانة، وطأتها بأقدام مرتبكة حتى جلست بالقرب من جسد إسلام الخالي من الروح، حاولت إحكام الباب جيداً لكنه بالطبع لم يُغلق تماماً، فالخزائن لا يتم إغلاقها من الداخل حتى و لو كانت ضخمة كهذه، ضمت ركبتيها بالقرب من صدغها كما الجنين في بطن أمه، أغلقت عينيها لتحافظ على هدوءها رغم هذا الظلام المُحاطول لها، توقف إحساسها بالرغبة عندما...

انتزعت روحها من جسدها و أضحت الآن تتجول بأريحية بين الطلقات النارية التي تخترق جسدها دون أن تُصيبها بخدش واحد، التفتت بظهرها لتجد إسلام يثب خلفها ببرود تام يستند بذراعه على مقعد تم تثبيته فوق مقعد آخر، نفثت داليا الهواء من فمها و هي تقترب من روح إسلام كي تُخبره بتقرير:

-يلا ندور على مكان نعرف نهرب منه-

تقدمت بضع خطوات تخطت معهم إسلام لعله سيأتي وراءها و يساعدها بالبحث عن مهرب وسط هذه الضجة، أحست بخطوات إسلام تهول نحوها حتى أوقفها ليردف متوسلاً:

-طب استني بالله عليكي نشوف العركة هترسى على إيه-

كان يبدو على وجهه اللهفة لأن هذه أول مرة يضحى في وسط تبادلٍ طلقاتٍ نارية، فبالطبع لن يرحل دون ان ينتهز الفرصة و يشاهد ما يحدث كما لو كان يُشاهد فيلمًا سينمائيًا على أرض الواقع، عارضته داليا بإصرار و نبرة مُندفعة:

-عركة إيه هو وقته ... إحنا لازم نهرب من هنا قبل ما نموت

حاول إسلام اقناعها بتبرير:

-ما إحنا مش هنموت و إحنا كدة....

بقي يلح عليها كي تجلس معه و يشاهد المعركة سويًا كطفلٍ يلح على والدته كي تبتاع له الحلوة؛ تأففت داليا بضجرٍ من صبيانية إسلام التي أردعتها بصوتٍ صارم أصرت معه على قرارها:

-لأ يا إسلام مش هينفع إحنا مش في السينما ... أكيد مش هنتفرج عليهم و هما بيضربو نار على بعض...

بعض مرور نصف ساعة...

-شايف الواد إلي لابس جاكيت جلد؟؟...

قالتها داليا و هي تستند بظهرها على إحدى التماثيل العملاقة التي تراكمت الأتربة عليها، كانت تُشير بسبابتها على إحدى الرجال المُلثمين الذين يطلقون النيران على الشرطة، أكملت حديثها لإسلام الواثق جوارها يشاهد المعركة من بعيد كما لو كان يشاهد التلفاز.

-هياخذ طلقة في صدره دلوقتي..

ما هي إلا برهة حتى شهدا مصرع الرجل الذي أشارت عليه داليا و سقوطه على الأرض جثة هامدة، هللت داليا بفرح و هي تُصفق بيديها:

-أهو... زي ما قولت .. إيدك على العشرين جنيه-

مدت يدها نحوه كي تأخذ منه النقود كما تراهنا، لكنه تحجج بقوله:

-هديكي الفلوس إزاي و أنا عفريت؟؟ .. لما أرجع جسمي هبقى أديهمك

أخضت يدها بموافقة لتواصل بعدها متابعة طلقات النيران المدوية حتى أرفد إسلام بثقة و هو يُشير على أحد المجرمين:

-الواد أبو أزرق ده هياخد دلوقتي طلقة في كتفه...

انتهى هذا اليوم العصيب و تشربت السماء بعُتمة الليل الحالك الذي أتى مع نفحات الهدوء و السكينة، دلفوا منزل معتز بأجسادٍ متهدلة كادت تنهدم من كثرة إنهاكها، إرتمت قمر على إحدى المقاعد بالبهو لتضع المزهريّة التي لا تزال معها على طاولة صغيرة تتوسط مجموعة من الأرائك، أرخت ظهرها للوراء بأريحية لنجد لؤي بعدها يجلس على مقعدٍ مجاور لمقعدّها يتحسس أنفه المحشو بالقطن بسبب إصاباته، حيث كانت رأسه أيضاً مغطاة بالشاش الذي ظهر منه بقعة من الدماء أبرزت حدة الضربة.

كاد يرتمي مُعتز على الأريكة لكنه استمع إلى ضجيج معدته التي أخبرته أنها تتضوّر جوعاً، بل جميعهم كانوا يتضورون جوعاً بعد هذه الضجة؛ اتجه معتز بدوره إلى المطبخ لينتشل كيساً من البطاطا المقلية و يضعه في صحن عميق كي يشاركه أصدقاءه في تناوله، أخذ الصحن و إرتمى به على الأريكة الفسيحة ليرتمي إسلام جواره و يبدأ تناول البطاطا معه كما البقية.

بعد مرور ساعة من الراحة و تناول بعض الأطعمة الخفيفة، بدأت الأحاديث تأخذ حذوها بينهم، حيث كانت داليا تقول بأريحية:

-مش مصدقة بجد ... جنبنا الفازا أخيراً ... أنا كنت بدأت أياس من إننا نلاقي الورق ده تاني

أيدوها الرأي لينتشل إسلام المزهرية كي يتفقدھا و ينتزع منها الأوراق حتى لا يتكرر الأمر مجدداً، فهذه المرة سيحتضن الأوراق هذه حتى يُتخلصوا من أبحاثهم نهائياً، ربما سيجعلها تنام جواره حتى...

-بعد كدة إياك تبیع حاجة من غير ما تقولي ... حتى لو هدومك

قالها إسلام بتحذيرٍ وجهه نحو مُعترِ الذي كان يتناول البطاطا المقلية في صمتٍ و اصغاء، أخذت الأحاديث تتبادل بينهم تزامناً مع تفحص إسلام للمزهرية و ما بداخلها...

-طالما الورق بقى معنا يبقى لازم ندخل المعمل و ناخذ أبحاثنا ... مينفعش نستنى أكثر من كدة

قالتها داليا بتقريرٍ و صرامة فأيدتها قمر:

-بالظبط ... الناس دي مش سهلة و لازم يتقبض عليهم

قطع حديثهم صوت إسلام المُحمل بالصدمة:

-يا جماعة...

إنتهوا إليه فأكمل و هو يُبادل حدقته ما بين المزهرية و أصدقاءه:

-الورق مش هنا الفازا فاضية!!

الفصل الثامن عشر (السيطرة على العالم)

أتعلم تلك الحبة الكبيرة التي تكاد تأكل وجهك في الأيام المهمة؟؟ هذه ليست مجرد حبة، بل إنه الحظ الذي يحاول إفساد حياتك بشتى الطرق..

تبادلت نظراتهم في صمت حمل معه عوالم التساؤل و الخوف، فما أن أخبرهم إسلام بتلك الحقيقة حتى توقفت أفواههم عن الحديث ليضحوا في تلك اللحظة يرمقون إسلام بوجه غير مُصدق، هل نُخبرنا للتو أن المزهرية التي كادوا يخسرون حياتهم من أجلها تضحى فارغة في النهاية!!

-إزاي يعني فاضية؟؟ ... أو مل الورق راح فين؟؟

قالتها داليا بصوتٍ مرتفع حمل معه الاندفاع و الغضب، أضاف إسلام على حديثها و هو يضع المزهرية على الطاولة بحدة:

-أنا متأكد إنى حطيت الورق جوة الفازا...

-يعني هما أخذوه؟؟

سألته قمر هذا السؤال لتستمر بعدها عوالم التساؤل و الغضب الذي نحت وجوههم، أوقفهم معتز بصوتٍ هاديء مُتذكر أثناء تناوله للبطاطا المُقرمشة:

-إنتو قصدكم على الورق إلی كان جوة الفازا؟؟

انتبهت الرؤوس إلى حديثه باهتمام فأكمل:

-أنا شيلته من الفازا قبل ما أبيعها ... أكيد مش هديله فازا فيها ورق يعني

أنهى حديثه بوضعه لقطعة من البطاطا المقرمشة داخل فمه و تلويكها في هدوء أمام نظراتهم النارية المصوّبة نحوه و التي لاحظها جيداً؛ بادل مُعتر نظراته بينهم بعد أن أقلقه تلك النيران المُنبثقة من أعينهم إتجاهه:

-في إيه يا جماعة؟؟ ... بتبصولي كدة ليه؟؟ ... هو إنتو كنتم عايزين الورق في حاجة؟؟ ... انا والله فإكركم عايزين الفازا

لازالت حالة الصمت تتلبسهم مع نظراتهم الحارقة التي كادت تجعلهم ينقضون على مُعترز ليبرحوه ضربًا، إزداد قلق معترز من صمتهم فوضع صحن البطاطا أمامه ليعاود الحديث بقلق:

- هو في إيه؟؟

وثب لؤي من مقعده ليثب قبالة معترز مباشرة، و لأنه الأكثر تضررًا من كل ما حدث فكانت عوالمه تتم عن غضب يكاد يُدمر مدينة بأكملها، كان إسلام يقف جوار لؤي يجز على أسنانه بغضب حتى أردف:

-يعني إنت_

بتر لؤي حديث إسلام بإشارة من يده، أردف بعدها بما يكتنيه بداخله:

-سيبهولي

شمر عن ساعديه إستعدادًا لبدء عركة جديدة، إزدرد معترز ريقه في رعب و ما هي إلا برهة حتى هب من موضعه ليركض في أرجاء المنزل و خلفه كل من إسلام و لؤي يقسمون على تلقيه الدرس جيدًا....

مرّت عدة أيام كانت كفيلة بتعافيتهم من كل تلك الأهوال، بقيت الأوضاع كما هي على جميعهم بخلاف إسلام الذي لم يتوقف عن التفكير في تلك التي شغلت عقله و أوقدت نيران قلبه، حيث كثر حديثهم و مزاحهم في الفترة الأخيرة مما جعله يتأكد أنه اعتاد لوجودها بحياته و يجب أن يُخبرها بما يشعر به اتجاهها لعلها تبادله نفس الشيء، طوال هذه الأيام كان يُفكر في طريقة يستطيع بها الإفصاح عن مشاعره، لكن نظرًا لكونه لا يعرف شيئًا عن تلك الأمور فكان الأمر أصعب مما يتخيل.

لهذا السبب لجأ إلى الوحيد الذي سيستطيع مساعدته في مثل تلك الأمور و الذي بالطبع لن يضحى مُعترز.

-أنا عايزك بقى تساعدني أقولها كلمتين حلويين عشان أتقدم لها

قالها إسلام و هو يتقدم بجذعه يوجه حديثه إلى خالد كي يُخبره بعضاً من كلمات الغزل الفصيح التي يستخدمها مع شقيقته و التي هي زوجة خالد، وضع خالد يده على ذقنه يحاول العثور على بضعة سطور مناسبة يستطيع أن يقولها إسلام، بعد فترة من التفكير أرفد خالد بثقة:

-يمكنك أن تقول...

رفع كفيه و هو يُمثل الكلمات بهيام:

-تنازل الجمال عن الجمال لجمالك، فزاد جمالك على الجمال جمالاً

تشابكت كلمات خالد داخل ذهن إسلام لتجعله يفتح فمه ببلاهة قال معها:

-ها !! جمال مين؟؟ ... ده واحد معروف يعني؟

ضرب خالد رأسه بخيبة أملٍ ليُغلق بعدها عينيه ثم يفتحهما بترورٍ قال معها بهمجية و بلغة عربية فُصحى كما اعتاد:

-دعك منها ... هناك غيرها

حمم خالد و هو يُعدل من قامته حتى يعود إلى هيامه أثناء إلقاءه لكلماتٍ أخرى:

-أعرف أنني أسافر في بحر عينيك دون يقين ... و أترك عقلي ورائي و أركض ..
أركض .. أركض_

قطع إسلام حديثه ليُعلق ببلاهة:

-أنا كدة هتعب من الركض-

جز خالد على أسنانه بغضب ظهر على قسّمات وجهه و لاحظّه إسلام أيضاً، أنت يُسرا بعد فترة لتضع فناجين القهوة أمامهما و تستمع إلى خالد الذي كان يسب إسلام في قرارة نفسه:

-هل تسخر من نزار قباني أيها الجاهل؟

قالها خالد بصوتٍ مرتفعٍ غاضبٍ واجهه إسلام ببروده و نرجسيته المعتادة:

-في إيه يا خالد ... إحنا نسايب، يعني المفروض تساعدني و تفضل جنبي لغاية ما أتعلم

تنهد خالد بغضب ليردّ بعدها بصوتٍ عالٍ و سبابه مشاركة نحو إسلام:

-لا تعتقد أنك محور الكون ... لأن الكون مشغول و مش فاضيلك

تعجب إسلام من لكنته التي تحوّلت إلى العامية مرة واحدة لذلك قال:

-إنت قلبت ليه كدة مرة واحدة..

تركه خالد ليذهب إلى الداخل بعد أن سئم الجدل مع إسلام، جلست يُسرا على الأريكة جوار شقيقها لتُعطيه فنجان القهوة تزامناً مع قوله المُتوسّل:

-ساعديني إنت يا يُسرا ... قوليلي إزاي اعترف لها بطريقة كرييتف

عقدت يُسرا حاجبها بحيرة و هي تسأله:

-هو إنت كل ده لسة معترف لهاش؟؟

لاح الارتباك على وجه إسلام لأنه أخبرها من قبل أنهما على علاقة غرامية، و الآن يُخبرها أنها لا تعرف بمشاعره من الأساس، لهذا السبب تهته بالحديث و هو يقول الحقيقة:

-لأ ما هو ... أنا عايز أتقدم لها للجواز بطريقة جديدة و كدة...

أومأت يُسرا بتفهم لتمر بينهما برهة من الصمت ارتشفت فيهم رشفة من قهوتها تزامناً مع ظهور فكرة برأسها، وضعت فنجان القهوة على الطاولة كي تسأل بلهفة:

-جاتلي فكرة ... هو إنت مش قولت إنك تقدر تدخل جسمها؟؟

أوما إسلام رأسه إيجاباً فأكملت يُسرا بنفس لهفتها و ثقنها:

-يبقى أنا عرفت هتعمل إيه....

انصبت حدقتها على شاشة انبعث منها إضاءة ملونة ربما هي إحدى الأفلام التي تنغمس بمشاهدتها يومياً، تجلس وحدها في ذلك الوقت لأن والدتها داخل غرفتها تأخذ قبيلولة قصيرة، مسدت بيدها على الأريكة لعلها تجد جهاز التحكم و تبحث عن فيلم آخر يساعدها على إضاعة الوقت، ما إن وجدته حتى وجهته نحو التلفاز كي تضغط على أزراره عدة ضغطات بدت عنيفة لأنها لا تجد من الأفلام أو البرامج ما يستحق المشاهدة، الحقيقة أن عقلها لم يكن في حالة هادئة تسمح له بالاستمتاع بأي شيء، فكل ما يشغل بالها هو تلك الأبحاث اللعينة و كيف سيحرقونها و يتخلصوا منها، تكاد تحصي الأيام على أصابعها كلما مرّ يوم دون أن يتخلصوا من تلك الأوراق.

اتفقوا من قبل على أن ينتظروا قليلاً حتى يأتيهم لؤي بخطة مُحكمة تساعدهم على اختراق المعمل دون التعرض لأذى، فلا يجب التسرع في أمرٍ خطيرٍ كهذا خاصة بعد فشلهم الذريع و المتكرر في أي خطة يخوضونها.

تنهدت داليا بمللٍ حاولت معه التهرب من تلك الأفكار التي تلتهم أنسجة عقلها و تُعيق حياتها، فإن كانت الأيام القادمة صعبة فعليها أن تتلذذ و تستمتع بتلك الأيام الحالية، أغلقت التلفاز بعد أن يأسست من إيجاد ما يُسليها، وضعت جهاز التحكم جانباً كي تثب من الأريكة و تتفوق في حجرتها لعلها تجد شيئاً آخر لتفعله في تلك الليلة، لكن فجأة

...

انتفض جسدها لتجد ذاتها داخل سيارة تعرفها جيداً و في جسد اعتادت اقتحامه بالأونة الأخيرة، زمجرت بغضب لأنها ليست أول مرة يخالف فيها إسلام التعليمات و يقتحم جسدها دون إذنها، أطبقت على شفثيها في غضب ثم تلفتت حولها لتعرف أين تصطف تلك السيارة، فهذا المكان الذي حولها تشعر و كأنه مألوف عليها، ما كادت تترجل من السيارة حتى انتفض جسدها مجدداً و عادت إلى جسدها تجلس على أريكة البهو بمنزلها و كأن شيئاً لم يكن، لكن الغريب أنها تستمع إلى أغنية تصدح بصوتٍ عالٍ لا تعلم من أين أنت.

-و لأن الحلال أجمل سأنتظر ... رغم إني مش قادر أصبر و بحتضر ... رغم العادات و الحاجات هنجز و هختصر ... هتجوزك هتجوزك و سوف ننتظر...

ارتسمت بسمة تلقائية على ثغرها مع هذه الأغنية التي أدركت لوهلة أن إسلام هو من قام بتشغيلها، حركت رأسها بياسٍ من حركاته الغريبة التي يفعلها معها خاصة بالفترة الأخيرة، فمنذ متى و شخص يهتم بها لهذه الدرجة، منذ متى و شعور الاشتياق و الرغبة في الحديث مع أحدهم يسيطران عليها، فمنذ أن تفرق والديها و هي قد أقسمت على عدم خوض أية علاقة و معاملة جميع الرجال بجفاءٍ خشية الزواج و بدء حياة جديدة مليئة بالمخاطر، لكن هذا الذي اقتحم حياتها لسبب لا تعرفه و لا يستطيع العقل استيعابه جعلها تُغير وجهة نظرها عن الرجال رغم أنه فظٌّ في تعاملاته و يشاكسها طوال الوقت.

لا تعلم حقاً ما الذي يجذبها ناحيته، فهو لا يمتلك أية رومانسية كما ترى بالأفلام، بل هو حتى لا يعرف معنى هذه الكلمة، و رغم أنه لم يُغرقها بأحاديثٍ هائلة و لو لمرة إلى أنه يحرص على أمانها و سعادتها طيلة الوقت، و هذا أكثر ما يجذبها ناحيته بخلاف ذكائه و اجتهاده في دراسته بالطبع.

نفضت تلك الأفكار عن رأسه بعد أن أدركت من أين تنبعث تلك الأغنية، فهي تنبعث من هاتفها المجاور لها على الطاولة، فهااتفها يتم فتحه ببصمة الإصبع، و طالما أن إسلام استطاع اختراق جسدها، فبالطبع يستطيع فتح جوالها بسهولة و يُسر.

مدّت يدها لتنتشل الهاتف لكنها لاحظت بعض الأحرف المنقوشة على ذراعها بخطٍ أسودٍ داكن؛ تهتت بخيبة أملٍ لأنها أيضاً لا تُحب هذه الحركة و أخبرته أكثر من مرة ألا يُكررها، شُمرت عن ساعديها لترى ما كُتب حتى وجدت جملة واحدة مكونة من بضعة أحرف.

-إطلي برة دلوقتي

هذه فقط هي الكلمات التي وجدتها و جعلتها تشعر بالاغتياب و الحيرة أكثر، سرعان ما هُبت من موضعها لنتجه نحو باب المنزل و تفتحه كما لو كانت إنساناً آلياً يُنفذ الأوامر فقط، فتحت الباب لتجده أمامها يبتسم ابتسامة واسعة و بين يديه باقة من الورود الحمراء التي نجحت بنثر عبيرها داخل أنف داليا.

مرّت برهة من الصمت و التحديق بينهما بمعالم الحيرة و التردد، تقدم إسلام نحوها خطوة مدّ معها الورود بأيدي مترددة تبعها بصوتٍ حاول أن يجعله هادئاً رغم طبيعته المندفعة:

-جبتك ده

انتشلت منه الورود بعوالم حائرة تنتظر منه تفسيراً، وجدته يتنحج ليُجلي حنجرته قبل أن يقول:

-بصراحة أنا كنت محضر كلام كثير أقوله بس إكتشفت إن الكلام مش هيقدر يعبر عن إلي جوايا

عقدت حاجبيها بحيرة تزداد أكثر مع كل كلمة يقولها، نصب قامته ليُدلي الحديث مباشرة رغم أن يُسرا أخبرته بقصيدة يقولها أولاً:

-أنا عايز أقولك إني إني...-

لم يستطع التفوه أكثر من هذه الجملة فشجعتة بلهفة:

-إنك إيه ؟-

-بحبك-

قالها بسرعة قبل أن يتعارك مع تردداته التي ستجعله بالنهاية يتراجع، بقيت هي في حالة من الصمت و التيه، ثم تلاشت بسمتها أثناء حديثها المستنكر بعد أن تذكرت إحدى الأفلام:

-لأ مش المفروض تقول كدة ... المفروض تقول ... بحبك ... و تنظ من الشلال، بس مفيش هنا شلال فممكن تنظ من السلم عادي

لاحت عوالم البلاهة على وجهه و هو يتابع حديثها بعد أن ظنت أنه يُمثل أمامها إحدى مقاطع الأفلام، بعد برهة من الصمت أو ما رأسه بخيبة أمل ليقول متراجعا:

-أنا كنت حاسس إني بعمل حاجة غلط من الأول...-

كاد يرحل من أمامها لكنها تشبثت بذراعه كي لا يرحل و يُفسر لها أكثر ما يريد:

-استنى استنى .. أنا كنت بهزر ... تعالى بس

أبعد ذراعه عنها ليردف بإصرار:

-آجي فين؟؟ .. إنتِ خلتي حاجة تانية أقولها

احتدت داليا و هي تحادثه بإصرار:

-يووه ... خليك بقى بدل ما أدخل جسمك و أخليك تتحبس في بيتي مع ماما

حادثها إسلام ببساطة و هو يرد عليها:

-و إيه يعني ... أنا خلاص اتعودت أبقى في جسمك

ربطت ذراعيها كي تحادثه بتملق:

-و أنا كمان على فكرة اتعودت أدخل جسمك

في تلك اللحظة استمعا إلى شهقة عالية آتية من إحدى سكان البناية بعد أن استمعت إلى حديثهما و ترجمته بطريقة خاطئة تمامًا:

-استغفر الله العظيم يارب ... حسبي الله و نعم الوكيل...

بقيت السيدة تسبهما في قرارة نفسها مما جعل داليا تشعر بالخرج و تضرب إسلام على كتفه كي تنهره:

-شوفت بقي ... خليت الناس يفهمونا غلط

رد عليها إسلام بحديث و طريقة تنافت مع الطريقة التي عزم استخدامها:

-الله !! ... بقولك أنا بحبك..

ربطت داليا ذراعيها و هي تقول بكبرياء:

-و أنا أعمل إيه بالحُب ... عايزني أفضل جنبك يبقى كل حاجة تمشي شرعي

واجهها إسلام بحديثه:

-إنتي حتى لو مش موافقة إحنا كدة كدة هنفضل مع بعض لأن الحوار مش بمزاجنا بس طالما عايزاها شرعي ... يبقى ماشي

أنهى حديثه بتحدٍ ثم دفعها من أمامه ليقتحم المنزل و يصيح بصوتٍ عالٍ جعلها ترتعد من الخوف:

-طنط بسمة ... يا طنط بسمة..-

بقي ينادي بصوتٍ عالٍ و داليا تلطم على وجنتها تُريده أن يتوقف عن الصياح، استيقظت والدتها إثر ضجيجها و أدركت أن هناك شخص غريب بالمنزل رغم أنها نبهت على داليا ألا تفتح لغريبٍ و هي نائمة، إرتدت بسمة إزدال الصلاة قبل أن تهرع من الحجرة بملامح القلق المرتسمة على وجهها و أسئلتها العديدة عما يحدث:

-إيه يا داليا في إيه ؟ ... و مين الراجل ده ؟؟-

قطع إسلام أسئلتها بإصرار:

-يا طنط أنا عايز أتجوز داليا-

اتسعت حدقتا داليا و أحست و كأنها كالفرخ المبلول في الشتاء القارص، أما عن بسمة فكانت تضع يدها على صدرها مع شهقة غير مُصدقة انبعثت من جوفها:

-عايز تتجوز بنتي!!-

أصر إسلام على حديثه بصوتٍ مُرتفع:

-أه يا طنط ... أنا عايز أتجوز داليا و أكتب عليها دلوقتي لو ينفع-

ثانية .. إثنان .. ثلاثة، حتى انفجرت بسمة بالبكاء ثم احتضنت داليا بين أضلعها و بقيت تُمسد على خصلات شعرها القصيرة مع كلماتها الدرامية المعتادة الممزوجة ببكاءها:

-يا حبيبتي يا بنتي ... أخيراً جيه اليوم إلي هشوفك فيه عروسة ... أخيراً جيه اليوم إلي شيلت في ولادك و غنيتلهم عشان ينامو...

عقص إسلام حاجبيه بحيرة و هو يسأل:

-إيه ده إحنا كمان خلفنا؟

ردت عليه داليا و هي لاتزال بين أضلع والدتها:

-لو استنيت شوية هتجبلنا أحفاد

بقيت والدتها تتحدث بدرامية حتى أبعدتها داليا بترو حتى تتجه نحو إسلام الذي كان على الوشك الرحيل، كان يقف على أعتاب الباب يستمع إلى حديثها الصارم:

-مش معنى إن ماما موافقة يبقى كل حاجة تمام ... لازم أهلك كمان يوافقو

آجابهها إسلام بثقة:

-و مين قالك إنهم مش هيوافقو؟؟ ... هما هيوافقو و إنت هتيجي تشوفي بنفسك

قطبت حاجبيها بحيرة و هي تسأله:

-هاجي آشوفهم إزاي؟...

إنفتح باب المنزل ليظهر إسلام بابتسامة بشوشة و جواره داليا ترمق ما يحدث بتيه، صافح إسلام والده قبل أن يتوغل المنزل و تتوغل وراءه داليا دون أن ينتبه لها أحد، فالحقيقة أن من دلفت معه ليست داليا بالمعنى الحرفي، هي فقط مجرد روح أنت معه كي تتعرف على والديه أكثر و هما على طبيعتهما، أخبرها إسلام أن تنتظره على الأريكة حالما يُبدل ملابسه و يأتي، لكن ما حدث أنها وجدت روح إسلام هي من تأتيها لأنه يريد التحدث معها دون أن ينتبه له والديه.

توسط إسلام الأريكة و كانت جواره داليا تراقب والديه الجالسين جوارهما على أريكة أخرى يشاهدان التلفاز، حيث كانا يُشاهدا فيلماً أجنبياً مليئاً بالدموية و العنف تُشبه الأفلام التي يتابعها إسلام بكثرة، كانت بُثينة و الدة إسلام تُقلم أظافرهما التي يبدو أنها تعتني بهم جيداً كما تعتني بشعرها الداكن الذي عقصته بطريقة ما تجعله أكثرًا نعومة و استرسالاً.

انتهت بُثينة من تقليم أظافرهما لثريها لسيد والد إسلام الجالس جوارهما يُتابع الفيلم باهتمام.

-إيه رأيك يا سيد ... ضوافري حلوة؟؟..

لم تنتظر إجابته لأنها أجابت على نفسها بتعال:

-أنا عارفة إنها حلوة مش محتاجة إجابتك

انتبه سيد لحديثها فشاكسها كما يفعل دائماً:

-على فكرة أنا بقى ضوافري أحلى ... أنا لسة عاملهم إمبراح

ظلاً بتشاكسان لفترة جعلت إسلام بيتسم بتلقائية لإعجابه بمشاكساتهما:

-شايفة ماما و بابا رومانسيين إزاي؟؟

قالها بابتسامة عريضة و هو يُشير على والديه؛ رمقته داليا بحيرة قالت معها لتُصح ما ترعرع عليه:

-فين الرومانسية دي؟؟ ... دول بيدلعو نفسهم، أنا حاسة إنهم فاهمين الرومانسية غلط

برر لها إسلام بطريقته الحكيمة المعتادة:

-ما في نظرية بتقول ... إن الإنسان لما بيدع نفسه مش بيحتاج حد يدلعه

ترابط حاجبي داليا بحيرة و هي تقول باستنتاج:

-دي نظرية ولا محمد طارق؟؟

تدارك إسلام استنتاجها و بقي يشاهد الفيلم مع والديه حتى وجد والده يُخرج هاتفه لئُري زوجته آخر أعماله:

-بوصي كدة يا حبيبتي ... إيه رأيك في الخاتم ده؟؟

أمسكت بُثينة الهاتف منه لئُبدي إعجابها بذاك الخاتم المُرصع بالألماظ و لأن سيد يعمل كصانع للذهب بإحدى متاجر المجوهرات، فدائمًا ما يجعلها تشاركه أعماله و تُبدي رأيها:

-الله ... حلو أوي الخاتم ده ... ده ألماظ حر؟؟

داعبها سيد بإجابته:

-لأ .. ألماظ مسجون

تبع حديثه بقهقهة عالية كادت تُصيب داليا بالتقيؤ، و ما زاد الطين بلة أنها وجدت إسلام يُقهقه هو الآخر من دعابة والده السمجة:

-شايفة أبويا دمه خفيف إزاي؟؟

ضربت داليا كفاً بالآخر و هي تقول بخيبة أمل:

-هقول إيه صحيح ... ما هو هذا الشبل من ذاك الأسد

تنهدت بعدها لئُغير مجرى الحديث و تقول لإسلام بتقرير:

-طب يلا بقى ... روح إتكلم معاهم خلىنا نخلص

استجاب إسلام لحديثها و سرعان ما هرؤل داخل حجرته ليعود إلى جسده و يهرع من الحجرة، تحركت داليا نحوه لتبقى جواره و تتباعه و هو يستأذن من والديه كي يذهبا لخطبتها معه، وثب كل من إسلام و داليا جوار الأريكة التي يجلس عليها والديه كي يستطيع إسلام التحدث معهما بطلاقة:

-يا حج...-

التفت إليه سيد ليسأله:

-إيه يا بني .. عايز إيه؟؟-

-عايز أخطب

قالها إسلام بسرعة مجاهدًا معارك التوتر بداخله، لكنه وجد والده يحادثه بمزاح كعادته:

-ماشى يا حبيبي ... الجمعة إالى جاية إن شاء الله هقول للشيخ إنك عايز تخطب مكانه

آعاد إسلام حديثه بتفسيرٍ أكثر:

-يا حج لأ ... أنا عايز أتجوز

انتبهت والدته إلى الحديث جيدًا حتى سألته:

-مين دي إالى عايز تتجوزها؟؟-

لم يكن يعلم إسلام بما يُجيبها فوجد لسانه يردف بتهتهة:

-إبيه ... واحدة زميلتي

انتبه إلى داليا التي كانت تُربت عليه كي تتدخل في الحديث:

-إسلام إحنا مش زمايل ... الزميل يعني المفروض يكون مشاركك في حاجة

برر لها إسلام بصوتٍ مُنخفض حتى لا يسمعه والداه:

-ما أنا بشاركك جسمك و إنت بتشاركيني جسمي

-أيوة بس إنت لو قولت كدة هتتفهم غلط

تابع والده همسات إسلام بغرابة حتى سأله:

-بتقول حاجة يا بني؟؟

انتبه إسلام إلى والده فنصب قامته و هو يُجيب:

-لأ ولا حاجة...

رسم ابتسامة على وجهه كي يتوَّسل إليهما باستعطاف:

-ها قولتو إيه ... هتيجو تخطبوهالي؟؟

أوما سيد رأسه و هو يستدير ليووجه التلفاز و يردف بتقرير:

-ماشني ... ربنا يسهل

هلل إسلام بفرح هو و داليا التي كانت تضرب يدها مع يد إسلام، لكن والداه كانا يريا
إبنهما يضرب يديه في الهواء و كأنه يحدث شخصاً وهمياً...

-بتعمل إيه يا بني؟؟

سأله والده بنيه فانتبه إسلام لما فعله للتو؛ تنحنح ليُجلي حنجرته قبل أن يقول بارتباك:

-ولا حاجة .. أنا هدخل جوة...

دلف إسلام حجرته ليطلق كل ما بجعبته جوار داليا التي كانت روحها تطوف بحجرته كي تشاركه فرحته:

-شوفتي إنهم وافقو

أومأت داليا رأسها بإبتسامة هادئة أعلى ثغرها استأذنت معها بحرج:

-طب بما إنهم وافقو بقي أنا لازم أمشي

ألح عليها إسلام بقوله:

-ما تخليكي شوية ... أنا زهقان و مش عارف أعمل إيه

أصرت داليا على قرارها:

-لأ مينفعش ... الناس تقول عليا إيه و أنا قاعدة مع راجل و لوحدنا

عدل إسلام على حديثها ببساطة:

-يعني هي الناس شيفاكي أصلاً ... مفيش حد يعرف إنك موجودة غيري

حذرت داليا بحديثها:

-طب وطى صوتك أحسن مامتك و باباك يسمعو

رد عليها بثقة لا يعلم من أين أنته:

-متقلقيش محدش هيعرف إنك موجودة في أوضتي...-

شهقة مصدومة خرجت من فوه بُثينة و هي تقف على أعتاب الباب الخاص بغرفة إسلام بعد أن استمعت إلى حديث إسلام و إردفت بصوت عالٍ غير مُصدق:

-إلحق يا سيد ... الواد إبنك جايب معا واحدة في الأوضة.... !!-

صباح اليوم التالي، كانت تجلس قمر على مكتبها داخل الجريدة بأعين حادة صبت معها تركيزها على تلك الشاشة أمامها، تنقر بأصابعها بحدة على جهاز الحاسوب كما لو كانت تتعارك معه، فقد أخبرها مدير التحرير أن تدون المقالة الخاصة بتلك المشفى، هذه تُعتبر ثاني مرة تتولى فيها دورًا هامًا بتلك الجريدة التي لطالما شعرت بداخلها أنها مُهمشة...

تتقاطع حبيبات العرق من جبينها بسبب شدة حرارة الطقس خاصة و هي داخل مكتبٍ ضيقٍ لا يصلها مصدر تهوية غير تلك المروحية الصغيرة التي تنثر نفحاتٍ من الهواء الساخن، انتهت أخيرًا من تدوين المقال الذي بالطبع قامت بتأليف مُعظمه، فلؤي قد نبه عليها ألا تذكر اسم سليم دويدار حتى يأتي من السفر و يستطيع القبض عليه، لهذا السبب إكتفت بذكر القضايا التي حدثت داخل المشفى بصورة سطحية مما سيجعل مدير التحرير يُؤبخها على هذا الأمر...

و مع ذلك ستنفذ ما يُمليه عليها ضميرها حتى لا تقل بنظر لؤي الذي يرى دائمًا رغبته الجامحة في تحقيق العدالة، أخرجت تنهيدة حارة من جوفها بعد أن انتهت من التدوين و أعادت قراءة المقال أكثر من مرة لتنقيحه و تعديل ما به من أخطاء، لاح التردد على وجهها لعدم رغبته في تسليم المقال خوفًا من أن يشتم سليم رائحة الخطر و ينتبه على نفسه، في نفس الوقت كان يلح عليها مدير التحرير كي تقوم بتسليم الخبر الذي تأخرت على تسليمه...

بقيت القرارات و الأفكار تتعارك بذهنها حتى قررت معاودة قراءة المقال للمرة
المئة، كلما قرأت المقال كلما أرادت أن تُلقيه بالقمامة و تنفيذ تعليمات لؤي، فعلى
الرغم من تكتمها على اسم سليم إلا أنها أشادت بجرائم المشفى التي من الممكن أن
تجعل سليم يشك بالأمر و ينتبه على نفسه خاصة و هو مُدير المشفى....

عُيِّست ملامحها كلما تعقد الأمر ثم وضعت يدها على جبهتها تستشعر السخونة
المنبثقة من جبهتها و التي بدأت تجتمع مع نبضات قلبها المتسارعة، تنهدت مرة
أخرى لكن هذه المرة حسمت قرارها و انتبهت إلى الحاسوب كي تمحي هذه المقالة
تمامًا، قررت استخدام المماثلة مجددًا حتى يأتي هذا الحقير من السفر و يتم إلقاء
القبض عليه....

أما بالنسبة لمُدير التحرير اللعين، فهي لا تكثرث لأمره، هي لا تُحبذ هذه الوظيفة من
الأساس، أنت هنا فقط من أجل الكتابة في أمور الطاقة و الأبراج كما تُحب، فما
دخلها بتلك القضايا المُعقدة، ستحاول أن تتحجج بأية حجة إذا سألتها المدير عن تلك
المقالة، لكن الآن، ستنتال قسطًا من الراحة و تتلذذ بمشروبها الذي يُرطب على ذاك
القيظ الشديد...

أسدلت السماء ستارها و هما داخل إحدى متاجر الفساتين الخاصة بالزفاف، ففي تلك
الأيام السابقة تم عقد قرانهما و احتفلوا مع أصدقائهم احتفالًا بسيطًا قبل أن تبدأ
الخطط من جديد، تقف كوكي أمام المرأة بابتسامة واسعة و هي تتأمل جسدها
الممشوق و ذاك الرداء ناصع البياض المرصع بحبيبات الألماظ و الورود المنقوشه
التي زينت منطقة الخصر مع بريقٍ يمتد إلى آخر الرداء الذي يصل إلى أخمص
قدميها....

كان الرداء ساحرًا متناسفًا مع ملامحها الأجنبية التي ورثتها عن والديها و شعرها
البرتقالي كوالدتها بالضبط، دارت حول نفسها عدة دوائر غمرتهم الفرحة و الحماس
لتلك الليلة التي ستضحى من أسعد ليالي حياتها، كانت فقط تنتقي الرداء برفقة زوجها
و إذا كانت والدتها على قيد الحياة لما كانت معها بتلك اللحظة تشاهد السعادة على
فلذة كبدها....

انتهت من إرتداء الفستان ثم تركت حجرة تبديل الملابس بثيابٍ عادية لعدم رغبتها في جعل زوجها يرى فستان زفافها، رسمت بسمه واسعه على ثغرها و هي تُحادث معتر بلهفة:

-خلاص إخترت الفستان...-

أوما معتر ببسمه هادئة قبل أن يمسك يدها بحنانٍ ليسير جوارها نحو المسئولة عن الأتيليه حتى يتولى هو دفع ثمن الرداء كما المتعارف عليه...

هنئتهما المسئولة عن الأتيليه بؤد بينما كانت تقوم الفتاة الأخرى بتحضير الرداء الخاص بكوكي، سألهما معتر عن ثمن الرداء فأخبرته السيدة:

-كده الحساب عامل 12 ألف جنيه-

إزدرد معتر ريقه في صدمة من ذاك السعر البهيظ الذي اخترق مسامعه، حاول تدارك الأمر و إخفاء ارتبائه كي يعبت بجعبته عن النقود التي يحويها، أخرج محفظة نقوده لينتشل جميع الأموال التي بداخلها و التي تُقدر بألفي جنيه فقط، فكيف سيجني أكثر من هذا و هو يعمل بالصباح بإحدى متاجر التسوق و بالمساء يطوف بسيارته كي يقل الناس إلى وجهتهم كما لو كان سيارة أجرة و لكن على النمط الحديث...

وضع نقوده على الطاولة ليردف بارتباك:

-طب أنا هدفع دول ... و الباقي هقسطهم-

رسمت مسئولة الأتيليه بسمه واسعه على ثغرها و هي تُزيح بيدها نقوده كي يُعيدها إلى جعبته مجدداً لأنها لا تحتاجهم:

-خلاص يا فندم الحساب اتدفع-

جالت الصدمة على وجه معتر و هو يسأل بحيرة:

-إيه !! ... مين إللي دفع؟؟

تصيب العرق من وجه كوكي و هي بجوار مُعترز تحاول عدم إخباره بأنها هي من دفعت ثمن الرداء لأنها تعلم أنه لا يمتلك ما يكفي من النقود ليدفع ثمنه، كذلك هي ترى أنها هي من يجب أن تدفع ثمن رداءها و ليس الزوج...

وجدت معترز يلتفت إليها بأعينٍ تطلق شرراً مع غضبه الذي حاول تداركه بحديثٍ هاديء بعض الشيء:

-إنتِ إللي دفعتي؟؟

أشار إليها بأصابع الإتهام التي جعلتها تغرق في بحر ارتباكها و لا تستطيع الإجابة، فقط تزيغ بعينيها في جميع الاتجاهات حتى لا تتقابل مع عينيه الغاضبة، ضم مُعترز قبضته في غضب ثم ترك الأتيليه بأكملة و اتبعته كوكي بأقدامٍ سريعة حاولت معها إيقافه:

-زيزو استنى ... أنا والله كنت _

التفت إليها معترز ليواجهها بحديثٍ غاضب:

-كنتِ عارفة إني مش معايا تمن الفستان مش كدة؟

أدرجت رأسها لأسفل و لم تجد من الكلمات ما يُبرر موقفها خشية من تصاعد الأمر، تهتت بالحديث لفترة ثم أردفت ببعض التوسل:

-لأ .. أنا بس كنت عايزة أساعدك

رفع من نبرة صوته و هو يحادثها بصرامة:

-كوكي ... أنا مطلبتش إنك تساعديني ... و مطلبتش إنك تصرفني عليا

تنهد ليحاول التهدئة من روعه أمام نظراتها الحزينة و دموعها التي تكاد تتدفق على وجنتيها، أغلق عينيهِ بترٍ ثم فتحهما كي ينهي الحديث بجفاء:

-يلا عشان أوصلك...

قالها و رحل فوراً إلى سيارته كما تبعته كوكي في صمت ليقلها إلى منزلها، حيث كان يقود في صمت تامٍ و ملامح جافة أعربت عن غضبه و شعوره بأنه لا يستحقها، كانت تشعر هي كذلك بالذنب لأنها فقط حاولت المساعدة و لم تكن تعلم أنه سيغضب من تلك الحركة...

صوت طقطقات القلم تكاد تكسر زجاج المكتب الذي يجلس عليه إسلام بأريحية مسترخياً بظهره للوراء ليطلق العنان لأفكاره و ذكرياته أن تقحم رأسه و تجعله يبتسم كلما تذكر ما حدث ليلة البارحة، حيث اتفق مع والديه على أن يساعده على خُطبة داليا حالما تنتهي مهمتهم و يهملوا بسرقة الأبحاث، على الرغم من أن تلك الليلة انتهت بشجار مع والديه بعد أن ظنوه يأتي بالنساء غرفته، لكنه تدخل و أخبرهم أنه كان يُحادث نفسه ليس إلا و أن الحجرة كانت فارغة تمامًا...

اعتدل في جلسته ما إن شعر بمقبض الباب يتم تحريكه حتى انفتح الباب و دلف منه آخر من يتوقع أن يأتيه في عيادته؛ اعتدل إسلام في جلسته بلامح ودودة استقبل معها ضيفه الذي كان مخيمر:

-أهلاً وسهلاً...

بتر مخيمر ترحيبه بنبرة مُفعمة بالقلق و الحدة:

-إنتو اتأخرتم أوي ... الأجهزة خلاص اتصلت

تحولت قسماات وجه إسلام إلى الجدية و هو يقول:

-إحنا بس كنا بندور على طريقة ندخل بيها المعمل

بالطبع كذب بشأن الأحداث السابقة التي أعاقت حركتهم و اكتفى بإخباره أنهم يعثرون على طريقة يستطيعوا من خلالها اقتحام معمل بهذا الكبر، تقدم مخيمر بجذعه للأمام كي يحادثه بجدية و تقرير:

-إنتو لازم تبدأو دلوقتي لو استنيتم أكثر من كدة ضرغام هيبدأ أول خطة عشان يسيطر على العالم...

الفصل التاسع عشر (الخطة النهائية)

ليست جميع الآلام تُسبب المعاناة، فهناك جروح تحتاجك أن تتألم حتى تتعافى...

صوت صرصور الحقل يدوي في خضم هذه الليلة الحالكة، و في ظل هذا السكون كان يجلس إسلام على فراش داليا و تجلس هي قبالتها على بُعد بضعة أمتارٍ و جوارها جسدها المُستلقي على الفراش، فالحقيقة أن ما أمامها لم يكن إسلام بالمعنى الحقيقي، فهو بالطبع لن يقتحم منزلها و والدتها موجودة، هو بالعادة لا يقتحم منزلها بروحه إلا إذا كان الأمر بالغ الأهمية...

-ضرغام هيخطف مذيع مشهور و عضو في البرلمان ... مخيمر قال إنه هيدخل جوة المذيع ده و ينشر فتنة في البلد

عقدت داليا حاجبيها باهتمامٍ و هي تستمع إليه و لا تُصدق أن ضرغام بهذا المكر و الدهاء، كذلك كان التيه يتملكها لأنها تريد أن توقفه عند حده و لا تعرف كيف...

-إحنا لازم نوقفه إنت عارف المذيع ده اسمه إيه؟؟

قالتها بإصرارٍ فأجابها حسب ما تذكره من حديث مخيمر:

-اسمه داوود عابدين ... إنت أكيد عرفاه

أومأت داليا دلالة على معرفتها بذاك الإعلامي المشهور، فمن لا يعرف ذاك المذيع الذي ما إن يظهر على القنوات الفضائية بإحدى الأخبار حتى يُثير الرأي العام و يجعل الجميع يتحدث عن ذاك الخبر، هذا يعني أن ضرغام إذا اقتحم جسده سيجعل الفتنة تنمرغ بين الجميع و إذا زادت الفتنة إزدادت الثورات المطالبة بحقوق الشعب المهذورة، فبالتالي سيعم الفساد و تزداد الجرائم حتى تضع هذه المنظمة يدها في الحُكم و تبدأ السيطرة على العالم...

لا ... هذا لا يجب أن يحدث، يجب أن يوقفا ضُرغام عند حده و يمنعا خططه حتى لا
يضحيا طرفاً بجريمة إضمار الفساد في كل مكان، لاحت عوالم الإصرار على
وجهها و هي تقول:

-إنت عارف المذيع ده فين دلوقتي؟؟

أجابها إسلام بثقة:

-أه ... أكيد بيصور حلقة دلوقتي في الاستوديو ... مخيم قالي عنوان الاستوديو
كمان إلیـ

قطعت داليا حديثه و هي تثب من الفراش بعد أن عادت إلى جسدها حتى تردف
بتقرير يحمل بعض الصرامة:

-يلا نروحله...

دلفت الغرفة بخطواتٍ متهدلة و وجهٍ عابسٍ كاد يجعل الدموع تتدفق من عينيها،
دلفت قمر وراءها و كانت شمس تجلس على فراشها تتابع كوكي ذات الوجه العابس
لثدرك لو هلة أن هناك ما يؤرق راحتها و يشغل بالها، إرتمت كوكي على فراش قمر
و لازالت تحني رأسها لأسفل و كأنها على حافة الانهيار و إغراق الحجرة بدموعها،
جلست قمر جوارها تتابع حالة صديقتها كما تفعل شمس شقيقتها..

-هو في إيه؟؟

سألته شمس بقلقٍ فدعمت قمر سؤالها كي يفهما ما حدث:

-إنتِ إتحانقتي مع زيزو؟؟

أومات كوكي رأسها في صمتٍ لا تستطيع الحديث خشية الانفجار، بادرت شمس
بسؤالٍ استفساري:

-إتخافو ليه ؟

تنهدت كوكي قبل أن تقص عليهما ما حدث بالتفصيل و بدموع لطخت كلماتها، أبدت
شعورها بالذنب و هي تتحدث على الرغم من أنها لم تكن تقصد مضايقته، أنهت
الحديث باندفاعٍ و يأس:

-أنا مش عارفة هو ليه اتضايق ... and he is not answering my
calls " لا يجيب على إتصالاتي " ... ده غير إنه قالي..

بترت حديثها عند هذه النقطة مما آثار فضولهما و ظنا أنه نعتها بأفبح السباب،
اتسعت حدقتا قمر و هي تقترب منها كي تسألها:

-قالك إيه ؟ ... هو شتمك ؟

لم تُجيبها كوكي فاستنتجت قمر أنه بالفعل سبها و هذا ما آثار حفيظتها لكونها داعمة
لحقوق المرأة و تكره أن يتم سبها و اهانتها مهما كانت المُشكلة، لطح الغضب حديثها
و هي تقول:

-شتمك قالك إيه ... إنطقي

قالتها بنبرة هجومية لتجد كوكي تصمت لوهلة تحاول استجماع قواها و هي تقول
بأعين تكاد تُذرف الدموع:

-قالي ... قالي يا كوكي

قالتها بضيقٍ واضح لكن قمر و شقيقتها بقيا يرمقاها ببلاهة حيث ظنا لوهلة أن السببة
أقوة من هذا، بعد برهة من الصمت أرذفت قمر نحو شقيقتها بسخرية:

-تقومي تديها قلمين ولا أتدخل أنا

لم تُجبهها شمس و وجهت حديثها نحو كوكي كي تستفسر أكثر:

-إزاي يعني قالك يا كوكي؟؟

أضافت قمر على حديثها ببعض الحدة و السخرية:

-أومل لو قالك يا كريمة كنتِ هتعملي إيه؟؟ ... هترمي نفسك من الشباك؟؟

ضربت كوكي على الفراش بغضبٍ و هي تُبرر سبب ضيقها:

-يووه ... هو عُمره ما قالي يا كوكي من ساعة ما اتعرفنا على بعض ... علطول
كان بيقولي يا ناجتس

قالتها بحالمية و اشتياقٍ لهذا اللقب الذي تعشقه، بقيت عوالم العبوس ترسم تقاسيم
وجهها حتى اقتربت قمر نحوها لتحاوطها بذراعها بحنانٍ حاولت معه إرشادها:

-خلاص يا كوكي متضايقيش ... روعي صالحيه و هو أكيد هيفهم إن مكانش
قصدك

أضافت شمس على حديثها كمحاولة لإرشاد كوكي التي تعتبرها كصديقتها أيضاً:

-أيوه ... هو يمكن اتضايق عشان حس بالنقص، بس إنتِ قوليله إنك مش هتعملي
كدة تاني و صالحيه..

استمعت كوكي إلى إرشاداتهما جيداً حتى قررت الرحيل و التحدث معه حتى و إن
كان يرفض مكالماتها، فهو الوحيد الذي شعرت معه بالأمان و شعرت أيضاً بالبساطة
و العفوية، فالحقيقة أنها لا تُحب مصادقة أولئك الذين يأتون من طبقات مرتفعة و من
عائلات مرموقة حتى تضحي على طبيعتها و لا تُجبر على التصنع كما كانت تفعل
في صغرها، و لهذا السبب اختارت أصدقاءً بُسطاء بحياتهم حتى تشاركهم هذه

البساطة و تبتعد عن الثراء الفاحش الذي أرغمت عليه، فالمال و الجاه لا يشتريان السعادة كما يعتقد الجميع، هناك العديد من الأشياء البسيطة تجعل الابتسامة تُرتسم على ثغر الإنسان دون أن ينفق أموالاً طائلة، و من أهمهم الشعور بالونس و الأمان

....

بناء شاهق يبدو عليه الحداثة رغم أنه يقع ببقعة عريقة مليئة بالسكان، كانا ينتظران أسفل البناية يستند إسلام على سيارته و هو يتفقد هذه البناية و الضجيج الذي يحدث بداخلها، أما عن داليا فكانت تقف قُرب البناية تحاول تصويب نظرها داخل إحدى الأماكن لعلها تلتقط هذا المُقدم الذي يحاول العثور عليه، فقد أتيا لتحذيره مما ينوي ضُرغام فعله، لا تعلم أيضًا إذا كان سيصدقهما أم لا لكنهما سيحاولا قدر الإمكان حتى و لو أجبرا على مراقبة هذا المُذيع حِرصًا على سلامته....

مرّت عدة دقائق حتى وصلت الساعة إلى التاسعة مساءً، أغلقت أضواء القاعة مما يعني إنتهاء مُدة العمل؛ اعتدل إسلام في وقفته استعدادًا لما سيقبلا عليه، كما اقتربت داليا من السيارة الخاصة بإسلام و طفق كلاهما يراقبا البناية حتى هرع منها داوود بحلته الأنيقة و هيبته الطاغية، فهو رجل بالعقد الأربعين من عُمره لديه كاريزما و لباقة تُهيئه على الوقوف أمام الكاميرات و التحدث بتلاقة أمام جمهوره، ناهيك عن حُسن مظهره و شعره البني اللامع الذي إجتمع مع ثيابه الأنيقة...

ركض إسلام حتى أضحي قبالتة كما فعلت داليا هي الأخرى، حيث كان داوود يسير بهدوءٍ نحو سيارته حتى يستقلها و يعود منزله.

-أستاذ داوود ... يا أستاذ داوود..

ناداه إسلام بصوتٍ عالٍ لكن داوود تجاهله بتعالٍ ظانًا من أن إسلام واحدًا من المعجبين...

-بعدين عشان ورايا مشاوير..

بقيا يسيران خلفه حتى اعترضته داليا لتقف قبالته و تمنعه من أن يخطو خطوة أخرى، كان حديثها مندفعًا حمل معه التحذير و هي تقول:

-يا أستاذ داوود إحنا جايين نحذرك..

توقف داوود عن السير بحاجبين معقودين أثناء سؤاله:

-تحذروني من إيه؟

كادت تُجيب داليا لكنها وجدته يتأوه و يسقط على الأرض مغشيًا عليه؛ اتسعت حدقتها بذهول لكنه اختفى ما إن أدركت أن إسلام هو الفاعل:

-إيه إللي عملته ده؟؟

قالتها بصوتٍ مرتفع لتجد إسلام يحاول حمل جسد داوود بوضعه لذراعيه أسفل إبطيه كي يستطيع حمله عن الأرض، كان يقول بصوتٍ مندفعٍ أمر:

-شليه معايا بسرعة ... رجالة ضرغام هنا و هيخطفوه

تصاعدت ضربات قلب داليا و هي تلتفت وراءها لتجد مجموعة من الرجال يتقدمون نحوها بأوجهٍ غليظة تنم عن الشر، لم تدري بتفسيها و هي ترفع جسد داوود مع إسلام و يركضان بسرعة نحو السيارة التي قام إسلام بفتح حقيبتها حتى يضع جسد داوود داخل حقيبة السيارة، استقلا السيارة بعدها و طفق إسلام يقود بسرعة هربًا من الرجال الذين استقلوا سيارتهم كي يلحقوا بهما...

-إنت عرفت منين إن دول رجالة ضرغام؟؟

سألته داليا و هي تربط حزام الأمان فوجدته يُجيبها و هو يبدأ القيادة:

-كانو واقفين من بدري كأنهم مستئينه... و باين إنهم مش تمام

تحرك بالسيارة بسرعة البرق كما تحركت السيارة الأخرى كي تتبعهما، استدارت داليا بجسدها المُرتجف من الخوف ثم قالت:

-إسلام دول بيمشو وارنا

قبض إسلام على مقود السيارة و هو يردف بثقة:

-متقلقيش ... أنا هتوهم

ضغط بقدمه ضغطة قوية جعلت السيارة تُصدر ضجيجًا نم عن تحركها السريع على سفحات الطريق، فمن شدة سرعتها تشعر و كأن النيران ستنبعث منها، طفق يُحرك السيارة يمينًا و يسارًا و يخترق العديد من الطُرق حتى كادت داليا تتقيأ من فرط الحركة، كادت السيارة تنقلب بهما لذلك تمسكت داليا جيدًا، و فجأة...

استمعا إلى طلقاتٍ نارية تضرب السيارة من الخلف مما جعل داليا تصرخ بصوتٍ مرُتفع و تُغطي أذنيها؛ قبض إسلام أكثر على المقود و طفق يُحرك السيارة يمينًا و يسارًا على نفس الممر حتى يتشتتوا و لا يستطيعوا التصويب عليهما، أخذ بعدها طريقًا به العديد من السيارات حتى يتوقف إطلاق النار.

و بالفعل توقفت السيارة الأخرى عن إطلاق النيران ليستغل إسلام الأمر و يقود بأقصى سرعة لديه على طريق مُتقاطع مستغلًا الثواني الأخيرة بالإشارة التي تسمح لهم بالمرور، فما إن مرت سيارتهم حتى أغلقت الإشارة و بدأت سيارات الطريق المُتقاطع بالتحرك مما جعل السيارة التي تلاحقهم تُرغم على الوقوف حتى لا تصطدم بالسيارات التي تتحرك أمامهم...

استدارت داليا بجسدها لتتأكد أن السيارة توقفت عن ملاحقتها، تلاشى ذعرها و خفضت ضربات قلبها بعد أن ظنت أن هذه نهايتها، أعادت ظهرها على المقعد لتسترخي بجسدها للوراء كمحاولة لتهدئة ارتجافة يديها و أنفاسها المتلاحقة، أردفت بعدها بأريحية:

-الحمد لله ... مشيو

هدأ إسلام من سرعة السيارة و هو يقول بثقة:

-مش قولتك هتؤهم

أومأت داليا بجمودٍ لأنها تزال في حالة من الذعر مما حدث، بعد برهة من الصمت
أردفت بتساؤل:

-إلا صحيح هو إحنا ليه حطينا داوود في شنطة العربية؟؟ ... ما العربية فاضية

برر لها إسلام حتى تقتنع:

**-هو كدة .. لازم إلی يتخطف يتحط في شنطة العربية ... مش بتشوفي أفلام ولا
إيه؟؟**

أومأت داليا بتفهمٍ بعد أن اقتنعت بحديثه و حُجته البلهاء، مرّت برهة أخرى من
الصمت حتى سألت داليا مجدداً:

-طب إحنا رايعين فين دلوقتي؟

أجابها إسلام و هو يُهديء من حركة السيارة عندما وصل وجهته:

-هروح أبزنن العربية عشان نعرف نروح

ما إن أنهى حديثه حتى توقف بالسيارة ليفتح النافذة و يحدث الرجل الذي سيملاء له
الوقود:

-فؤلي ب400

أوماً الرجل و بدأ ينزع الجهاز ليضعه بالسيارة حتى ينتقل الوقود إليها، كان الأمر
عاديًا بالبداية، لكن الرجل بدأ يستمع إلى صوت ضرباتٍ بحقيبة السيارة جعلته يشعر
بالريبة حيال هذا الأمر، اتجه إلى النافذة حتى يُخبر إسلام:

-يا باشا في حاجة بتخبط في العربية

تلاشت الألوان من على وجه إسلام و داليا بعد أن أدركا أن داوود آفاق من غفوته و سينكشف أمرهما خاصة بعد أسئلة الرجل المُتكررة عن الضجيج الصادر من حقيبة السيارة، تبادلت نظراتهما بقلقٍ و كانا يُتهتها بالحديث حتى قطعهما الرجل مجدداً:

-يا باشا إيه الصوت ده؟؟

سأله الرجل مجدداً فلم يجد إسلام من الحديث سوى أنه أمسك بمعدته و مثل التأوه أثناء قوله:

-آآآاه .. أه يا بطني آه ... أصل دا صوت كركبة بطني

أضافت داليا على حديثه بارتجافٍ:

-أيوة أيوة ... دا دا صوت كركبة بطنه

أوماً الرجل بريبة و عاد إلى ما كان يفعله، لكن فجأة ... تحوّل صوت الضربات إلى صياح يبدو عليه الاستجاد، ما إن استمعت داليا إلى ذلك الصياح حتى شعرت أن هذه هي النهاية و أن الرجل سيتصل بالشرطة حالما يعلم أنهما اختطفا شخصية جماهيرية، قرضت داليا أظافرها بقلق عندما أتى الرجل مجدداً بعوالم غاضبة و كأنه يستجوبهما:

-يا باشا في صوت شخص طالع من شنطة العربية

نفت داليا حديثه بسرعة و ارتباك:

-لا لأ ... دا مش صوته ... قصدي ... الصوت ده طالع مني أنا

رمقها الرجل بحيرة فوجدها تفسر بعرقٍ يتصبب من جبينها:

-أأ... أصل أنا بتكلم ببطني

لاحت البلاهة على وجه الرجل و هو يرمقهما و لا يُصدق ما يقولأ أبدأ، إقترب إسلام
من أذن داليا ليهمس لها:

-إحنا لازم نمشي بسرعة قبل ما نتكشف..

آجابته داليا بنفس الصوت الهامس:

-خلاص أنا جاتلي فكرة ... قوله إن أنا عندي نوبة صرع و إنت لازم تنقلني على
المستشفى بسرعة

استحسن إسلام فكرتها ليعتدل في مقعده تزامناً مع أخذ داليا لشهيقٍ حادٍ مثلته جيداً
أمام الرجل الذي يتابعهما بحيرة، وضعت داليا يدها على رقبتها تُمثل الاختناق تزامناً
مع هتاف إسلام و هو يمد النقود نحو الرجل:

-إحنا لازم نمشي بسرعة ... نوبة الصرع جاتلها

أخرجت داليا أصواتاً غريبة من حنجرتها كما أخرجت لسانها خارج فمها و يداها
بدأتا تفعلان حركاتٍ عشوائية جعلت البلاهة تُرتسم على وجه الرجل و هو يأخذ
النقود من إسلام، لاحظ إسلام حركاتها الغريبة فأقترب نحو داليا كي يُنبهها:

-داليا إنتِ كدة عاملة زومبي مش واحدة عندها صرع

همست داليا نحوه بصوتٍ خافت:

-إشش ... أنا عارفة أنا بعمل إيه

عاودت حركاتها الغريبة أمام الرجل الذي تدارك تلك الأصوات الصادرة من حقيبة
السيارة و طفق يرمقهما و كأنه يُشاهد عرضاً ساخرًا، تدارك أمرهما بعدها ليتحرك

إسلام بالسيارة و تتوقف داليا عن حركاتها الغريبة لتضع يدها على صدرها و تردف بأريحية و ثقة:

-شوفت صدقنا إزاي ... عشان أنا طول عمري بقولك إني بعرف أمثل و عندي موهبة

سخر إسلام من حديثها بقوله:

-الله أكبر ... عندك موهبة تستحق الدفن

تذمرت داليا من سخريته بتملقٍ و أذرع مربوطة:

-طب على فكرة بقى ... أنا كنت بمثل في مسرحية المدرسة و أنا صغيرة

رفع إسلام حاجبيه و هو يسألها بمشاكسة:

-لا بجد ... و عملتي دور إيه بقى

داعبت خصلات شعرها قبل أن تردف بعد فترة من الصمت و التردد:

-عملت إيبويه ... عملت دور البقرة ... بس و الله عملته حلو

أنهى معها الحديث بمزاحٍ و مشاكسة:

-الواضح إن من كتر ما دور البقرة عجبك قررتي تعمليه مدى الحياة

ضربته داليا على كتفه بغضبٍ قالت معه:

-بطل سخافة بقى ... بعدين أكيد الراجل ده صدقنا ... و مشاكش في حاجة

و على جهة أخرى داخل محطة البنزين كان يتحدث الرجل مع زميله فور أن رأى سيارة إسلام و داليا تتحرك بعيداً عنهم:

-إيه يا سطا في إيه؟؟ ... مالهم الناس دي؟؟

أشار الرجل على سيارة إسلام و داليا بعد أن لاحظ زميلة يتحدث مع صاحبها بقلق عن تلك الأصوات التي استمع إليها، لكن زميله آجاب بما استنتجه:

-والله ما أعرف ... شكلهم مجانيين...

بأنامل رقيقة و نسما ت هادئة تنبعث من جوفها، سرقت نفساً عميقاً ثم أطلقتها كي تطرق على الباب بضعة طرقات هادئة بابتسامة لطيفة حاولت رسمها على وجهها لتجعل من مظهرها بريئاً كالطفلة الصغيرة، مرّت بضع ثوانٍ حتى انفتح الباب ليظهر أمامها معتر بوجه لا يحمل أية ملامح، فقط نظرات عادية موجهة نحوها و كأنه لا يعرفها من الأساس، وجدها تمد نحوه حقيبة ورقية تحتوي على شيء ما بداخلها، مدت نحوه الحقيبة و هي تعتذر:

-أنا أسفة

لازالت عوالم الجمود مُرتسمة على وجه معتر و هو ينتشل منها الحقيبة بهدوء ليرى ما بداخلها، دثر يده داخل الحقيبة ليُخرج إطاراً من الخشب يحتوي على صورة لطيفة تجمعهما، كانت السعادة تتغلغل بداخله فرحة بتلك الهدية، لكنه أخفى سعادته بغطاء من الكبرياء و الجمود أثناء حديثه:

-ملهاش لازمة الهدية

زاد الضيق على وجه كوكي و هي تعتذر:

-أنا عارفة إنك متضايق ... بس I swear |إني مش قصدي_

قطع معتز حديثها ليُخرج ما بجعبته بضيق:

-أنا عارف إنك متقصديش ... أنا بس..

أخفض رأسه ليُكمل بشعورٍ من الذنب:

-حسيت إنك متستهليش واحد زيي ... تستاهلي واحد غني يقدر يعملك إيلي إنتِ
عايزاه ... إما أنا ... أنا واحد فاشل و مفيش حاجة بنجح فيها ... و مش معايا أي
حاجة أقدمها لك _

قطعت حديثه باندفاعٍ و صدق بعد أن شعرت أن القادم سيجعلها تنفطر حزناً:

-بس أنا مش عايزة حاجة ... أنا عايزاك إنتِ بس

رفع رأسه نحوها ليجد ابتسامتها التي تسحره تشق ثغرها و حديثها الهاديء نجح
نجاحًا باهرًا في الانتصار على معاركة الداخلية، حيث أصبح الآن كما الذي سقط في
حفرة عميقة و اكتشف النعيم بتلك الحفرة، آفاق من شروده على كلماتها الرخيمة:

-و أنا في أمريكا مكنش في حد يفهمني أنا الوحيدة إيلي كنت مسلمة و كمان
مصرية ... فصحابي كانوا بيقولو إني معقدة عشان مش عايزة أصحاب و مش
عايزة أعمل الحاجات إيلي هما بيعملوها و لما جيت مصر الناس بردو كانوا
شافيني مختلفة كانوا بيقولو إني الأجنبية المنفتحة و إيلي ميفرقش معاها حاجة
... بس الحقيقة مش كدة ... أنا طول الوقت بحاول أكون زي إيلي حواليا ... بس
اكتشفت إني عمري ما هقدر أعمل كدة...

وجهت بصرها نحو مُعتز لتدلي آخر كلماتها بشجن:

**" You're the only one I don't have to act for -أنت الوحيد الذي لا
أضطر للتمثيل من أجله"**

زلزلت كلماتها حصون قلبه و شعر أن الكلمات تهرب من جوفه، فما آراده الآن هو أن يأخذها في عناقٍ طويلٍ ليعتذر لها عن تلك الترهات التي أقنعه بها عقله كي يبتعد عنها، فهو لا يعرف كيف سيواصل حياته دون أن يستمع إلى صوتها الحاني و كلماتها الأجنبية التي لا يفهمها و لكنه يعلم مكنونها الذي يخترق ضلوعه لئصبيه بالانتشاء و الغوص في ملامحها البريئة ذات الطابع الأجنبي، تقدم نحوها خطوة و كان سيلتقفها بين أضلعه لكن فجأة...

وجدا باب المصعد الخاص بالبناية يفتح بقوة ليهرع منه كل من داليا و إسلام بينما رجل بحلة أنيقة غائب عن الوعي لذلك كانا يسندانه حتى يدلفا منزل معتر:

-وسع كدة يا زيزو-

قالها إسلام و هو يجر جسد داوود بعد أن قام بتخديره عندما آفاق، اقتحم إسلام منزل معتر دون أن يستأذنه حتى و كأن هذا المنزل منزله، أما عن مُعتر فكان يراقب ما يحدث بحيرة انقلبت إلى قلق ما إن وجد خطأً من الدماء يسيل على جبهة الرجل.

سقط فك كوكي بصدمة من هذا المنظر فتبعتهم داخل المنزل هي و معتر، وجدا إسلام يُلقي بجسد داوود على الأريكة ثم يربط أطرافه بإحكام و باستخدام الحبل الذي ابتاعوه في طريقهم، أمعنت كوكي التحديق بهذا الرجل إلى أن عرفته فوراً فإزدادت صدمتها و هي تسأل:

-هو مش ده ال- producer إلی بيظهر على التلفزيون؟

أجابتها داليا و هي تساعد إسلام على ربط داوود:

-أيوة هو-

شهقت كوكي بصدمة بينما اندفع معتر بوجهيهما:

-إنتو خاطفين راجل مشهور!!

أسكته إسلام بحدة و صوتٍ منخفض:

-إسكت هتفضحنا ... إحنا عملنا كدة عشان نساعده

انتهى إسلام من تقييد داوود ليثب من الأريكة و يُربت على كتف مُعتز بتوصية:

-هنخليه هنا لغاية ما نجيب الأبحاث بتاعتنا...

سقط فك مُعتز و هو يقول بتذمر:

-إنتو كمان هتخطفوه عندي!!

برر له إسلام و هو يحيطه بذراعه:

-معلش بقى يا زوز ... أصل أبوية و أمي في البيت و مفيش مكان تاني نخبيه فيه
غير هنا

تسمر جسد معتز مكانه بعدم تصديق لهذه الورطة التي يُقحمه بها إسلام، فإذا بحثت الشرطة عن هذا الرجل و وجدته بمنزل معتز فسيحيا ما تبقى من عُمره خلف قضبان السجن، و في نفس الوقت لا يعلم كيف يرفض الأمر و صديقه قد ورطه بالفعل.

أفاقتهم داليا من حالة الصدمة بقرارها:

-إتصلو بلؤي و قمر قولولهم ييجو عشان نعرف الخطة...

-يعني إيه تخطفو شخصية جماهيرية !! ... و إزاي تعملو كدة من غير ما تقولولي

!!

قالها لؤي بصوتٍ مرتفعٍ وُبخ معه كل من إسلام و داليا على تلك الحركة المجنونة التي ستجعلهم يقعون في كارثة كُبرى، حاول إسلام التدخل ليُبرر ببعض الهجوم:

-ضرغام كان هيخطفه و هيستغل منصبه لولا إننا إتدخلنا ... مكش قدامنا حل تاني غير إننا نجيبه هنا

أغلق لؤي عينيه بترو كي يُهديء من روعه و يحاول استجماع أفكاره كي يخرجوا من تلك المُعضلة خاصة و هو الشرطي الذي يجب أن يحافظ على سلامة المواطنين لا أن يختطفهم، تنهد تنهيدة عميقة سأل بعدها بصرامة:

-حد شافكم و إنتو بتعملو كدة؟؟

نفت داليا برأسها و هي تُجيب:

-معتدش ... أصل الدنيا كانت ضلمة

بدأ يتحرك لؤي بأركان المنزل كي يُخفف بعضًا من غضبه ليحاول التفكير بطريقة حكيمة:

-إحنا لازم نتكلم مع داوود و نقوله هو ليه هنا...

قالها ثم اقتحم حجرة معتز ليجد جسد داوود مُقيد بحبالٍ و شريطٍ لاصقٍ يُكلم فمه حتى لا يصدر الضجيج، جلس لؤي جواره على الفراش ليوجه بعدها نظرة نارية غاضبة نحو إسلام بسبب هذا الجرح الذي يعتلي رأس داوود و حالته المرثية و التي على الأغلب ستجعل موقفهم سيء للغاية، أعاد لؤي أنظاره نحو داوود لينزع عنه الشريط اللاصق حتى يستطيع التحدث معه بطريقة ودية.

ما إن نزع الشريط حتى أطلق داوود صرخة عالية غاضبة:

-و دين أمي لافضحكم في كل حنة

حاول لؤي التهدة من ورعه باعتذار:

-أنا الراءد لؤي ... و أنا بعترلك على إلي هما عملوه ... بس صدقني إنت هنا
عشان حمايتك

عقد داوود حاجبيه بحيرة سأل معها:

-حمايتي من إيه؟؟

أجابه إسلام و هو يجلس جواره على الفراش من الناحية الأخرى:

-أصل في واحد اسمه ضرغام عايز جسمك في حاجات مش كويسة

حظت عينا داوود في صدمة بعد أن وصل إلى فهم خاطيء لما يقوله إسلام، أدركت
داليا أن إسلام أرسل الرسالة بطريقة خاطئة لذلك تدخلت كي تنقذ الموقف:

-إنت بتقول إيه يا إسلام كدة هيفهم غلط..

تتحنت لتجلي حنجرتها و تبدأ الشرح بطريقة أخرى:

-قصده يعني إن ضرغام ده هياخد جسمك عشان يستغله

إزداد الفهم الخاطيء لدى داوود فبقي يطالعهما بفاهٍ مفتوح حتى تدخل لؤي بتوبيخ
لكليهما:

-اسكتو إنتو الاتنين ... أنا إلي هشرحه

تنهد لؤي ثم انحنى بجذعه ليووجه وجه داوود المستلقي على الفراش و يقص عليه
بأهمية:

-كل الحكاية إن في واحد اسمه ضرغام....

نيران الغضب تنبعث منه في كل أركان المكتب و كأنه تنين يقسم على تحويل هذه الحجرة رماداً، تتحرك قدماه في كل مكان و أنفاسه تتلاحق مع وجه مجعدٍ توقف به عند الطاولة التي هوى عليها بيده الثقيلة ليضربها ضربة كادت تُحطمها:

-يعني إيه الاتنين دول يخطفوه !! أنا باعت خمس رجالة تجبلي راجل واحد و في الآخر اتنين هفاً يستغفلوكم!!

قالها ضرغام بصوتٍ مرتفعٍ كاد يُمزق حنجرته من كثرة ما به من غضبٍ و حدة، أخفض الرجل رأسه بحرج و عرقٍ يتصبب على جبينه، كما كانت أطرافه ترتجف خوفاً من بطش ضرغام عليهم، أخبره عما حدث بالتفصيل و كيف رأى إسلام و داليا و هما يختطفان داوود و استطاع أن يميزهما نظراً لمعرفته بهما منذ أن أمرهما ضرغام من قبل أن يتبعوهما قبل البحوثات، لكنه حتى الآن لا يعلم كيف علما بخطة ضرغام المتعلقة بذلك المدعو بداوود...

-هما سبقونا يا رئيس_

قطعه ضرغام بأعينٍ غاضبة مصوَّبة نحو الرجل مباشرة:

-هما يومين ... لو داوود مبقاش في المعمل كلكم هتدفعو التمن....

لطح التهديد حديثه مع آخر جملة قالها:

-و أولكم إسلام و داليا..._

دقائق أخرى مرّت و هم مُجتمعون بمنزل مُعتز ينتظرون لؤي كي يملي عليهم الخطة التي من المفترض أن يتم تنفيذها بأسرع وقتٍ قبل أن تكتشف الشرطة اختفاء شخصية جماهيرية كداوود و يتم إلقاء القبض عليهم، صحيح أنهم أخبروا داوود

طبيعة ما يحدث و لا يعتقدوا أنه صدق هرائهم لكنه إلى حد ما لم يعد غاضباً و قرر أن يتحلّى ببعض الصبر حتى الغد بعد أن يُنفذوا الخطة و يتخلصوا من أبحاثهم....

-جماعة إحنا مستنيين إيه ... ما يلا نبداً

قالتها قمر بعد أن اغتابها الملل الشديد لكثرة مكوثهم بذاك المنزل، آجابتها داليا و هي تتفحص هاتفها:

-لسة لما ييجي

عقدت قمر حاجبيها كي تسألها بحيرة:

-هو مين إيلي هيجي ؟

لم تكذ تجيبها داليا لأنهم وجدوا الباب يصدح عاليًا حتى فتحه معتر ليدلف منه مخيمر ببنتالٍ من الجينز و سترة فضفاضة أدخل معظمها داخل بنطاله مع قلادة فضية تتدلى على صدره و شعره المُسترسل الذي يصل إلى آخر منطقة بعُنقه، أشارت داليا عليه كي تُعرفه على صديقاتها بصوتٍ خافت:

-ده مخيمر أخو ضرغام ... و هو إيلي هيساعدنا ندخل المعمل

إزدادت حيرة قمر خاصة و هي ترمق وجه مخيمر الأملس و شفتاه الورديتان المُكتنزتان قليلاً، ناهيك عن خصلات شعره المتدلّية:

-داليا إنت متأكدة إنه أخوه؟؟ ... ده شعره أطول من شعري

اختصرت داليا الإجابة و هي تُربت على كتف قمر:

-ده حوار طويل هبقى أفهمهولك بعدين

اتجهوا بعدها إلى منتصف البهو ليلتقوا حول بعضهم في دائرة توسطها لؤي الذي كان يتحرك بأركان الحجرة استعداداً لإدلاء الخطة، ارتكن مخيمر عند إحدى المقاعد و كان يُعرف ذاته بنبرة هادئة بها بعد الخجل:

-أنا مخيمر ... و دي تصريحات تقدرود تدخلو بيها المعمل

أعطاهم حفنة من الأوراق لتنتشلهم قمر و هي تسأل بفضول:

-هو ينفع أسالك سؤال؟...

أوما مخيمر إيجاباً فسألت:

-هو إنت بتستخدم إيه على شعرك؟

رسم مخيمر ابتسامة خجلة على ثغره و ما كاد يُجيبها حتى قطعته داليا قبل أن يغرق في أحاديث صديقاتها السانجة:

-إييه ... خلينا في المهم .. ممكن؟

وافقوها الرأي فجلست داليا بمنتصف الأريكة و جوارها كوكي على الجهة اليسرى و قمر من الجهة اليمنى، أما معتز و إسلام فكانا يجلسا على مقعدين متجاورين كما جلس مخيمر على مقعدٍ يجاور لؤي الذي بقي واثباً:

-ركزو معايا بقي عشان أقولوكم هنعمل إيه...

قالها لؤي بصرامة قبل أن يبدأ شرح الخطة، رفع يديه و هو يشرح كي يبدو الأمر مُبسّطاً:

-داليا و إسلام هيكونو مسئولين عن بطة ... لازم تلاقو طريقة عشان تُوَقعوها

قطع إسلام حديثه كي يستفسر:

-نوّقعها يعني نقتلها؟؟

نفي لؤي استنتاجه ببعض الحدة:

-لأ... محدش هيقتل حد... توّقعوها يعني_

قطعته داليا لتفسر بتسرّع:

-يبقى نوّقعها في حُبنا... أو نوّقعها في حب أي حد عشان تبعد عن طريقنا

عقب إسلام على حديثها بتبرير:

-ما هي بتحب ضُرغام... هنوّقعها تاني إزاي

-ما ممكن_

قطع لؤي حديثهما بصوتٍ مُرتفعٍ يحمل أطناناً من نفاذ الصبر:

-لأ... مش هنوّقعها في الحب و مش هنقتلها... و محدش يقاطعني

تنهد بعمقٍ ليهدأ قليلاً قبل أن يواصل الحديث:

-هنوّقعها يعني هنبعدا عن طريقنا... يعني هنخلي روحها مثبتة عشان متعرفش
تقربلكم...

تحرك بضع خطواتٍ ليوصل:

-ده هيكون أول جزء من الخطة... تاني جزء بقي_

قطعه معتز هذه المرة حتى يسأل:

-معلش يعني ... هو إحنا ليه لازم نخطط، ما إحنا خططنا المرة إلي فاتت و الخطة فشلت

قطع إسلام إجابة لؤي الذي كاد يفقد صبره بسببهم:

-ما لازم تخطط قبل أي حاجة عشان متبقاش حمار تبقى حمار مخطط

أنهى حديثه بمزاح ليضرب كفه بكف معتر الذي أعجبتة دعابته و بقي يُقهقه هو الآخر، لكن فجأة...

وجدا مطفأة السجائر تُلقى على وجهيهما مما جعل أجسادهما تنتفض خاصة ما إن استمعا إلى صوت لؤي المرتفع و الصارم:

-أقسم بالله لو حد قاطعني تاني لاروح أبلغ عنكم...

شعروا بالخوف من تهديده الصريح فتسمروا أماكنهم لتبقى أفواههم مُغلقة حتى ينصتوا إلى حديث لؤي، بعد تنهيدة طويلة عاد لؤي إلى حديثه و هو يقول:

-مبدئياً إحنا لازم يكون عندنا اسماء مستعارة نعرف ننادي نفسنا بيها ... عشان كدة كل واحد يختار اسم مطعم قبل ما ننفذ الخطة

رفعت كوكي يدها لتردف بلهفة:

-ماشى .. أنا هبقى كرسبي كريم

عارضتها قمر التي أردفت وراءها مباشرة:

-يا غلسة أنا كنت لسة هقول الاسم ده

اقترحت عليها كوكي بقولها:

-خلاص إنت ممكن تاخدي كرسبي كريم ... و أنا هاخذ دانكن دونتس

وافقت قمر على اقتراحها لترفع داليا يدها و تقول:

-و أنا هبقى كنتاكي

رفع إسلام يده ليردف بثقة:

-و أنا البرنس

عارضته داليا ببعض الاندفاع:

-إحنا قولنا اسماء مطاعم ... البرنس ده ممثل

فسر إسلام مقصده لداليا:

-مش قصدي البرنس أحمد حلمي ... أنا قصدي مطعم البرنس

أومات داليا بتفهم ليرفع معتر يده و يقول مُشيرًا على ذاته:

-إبن الشام

تابعهم مخيمر بعينيه بنيه و حاول التجاوب معهم لكنه لا يعلم أية مطاعم بهذه البلدة، فهو بالكاد يخرج من المعمل و لا يتناول الطعام إلا بالفنادق و المطاعم الفاخرة التي لا يتذكر اسمها حتى، كان يُريد الانضمام لكنه وجد لسانه يردف:

-و أنا .. و أنا..

لم يكن يعلم ماذا يقول لذلك تدخل لؤي ليقترح عليه الاسم:

-إنت هتبقى أبو حيدر...

ثم أشار على نفسه ليُنهي الاختيارات:

-و أنا عز المنوفي...

إنحني بجذعه ليوصل الحديث بأعينٍ حادة كالصقر:

-لما تحصل أي مشكلة لازم كلنا نقول كلمة السر ... الكلمة دي هتبقى المعزة
كحت .. مفهوم؟؟

أوماؤ رؤوسهم بنيه و من تلك الجملة الغريبة التي من المفترض أن يقولوها عندما
تحدث مشكلة لأنهم سيتحدثوا باللاسلكي، بدت ملامحهم بلهاء لا تفهم حديث لؤي
فأعاد عليهم كلمة السر ليتأكد من فهمهم:

-يعني لما حد يقول المعزة كحت هنعمل إيه؟؟

آجابه معتر ببلاهة:

-هنجبلها مضاد حيوي؟

أطبق لؤي على شفتيه بغضب ثم هتف بوجوههم:

-لأ ... لما حد يقول المعزة كحت يبقى كدة في خطر و لازم ناخذ بالننا

قالها بصوتٍ مرتفع ينم عن غضبه من تعليقاتهم الحمقاء، رفع إسلام يده كي يستفسر:

-طب هو إشمعنا المعزة كحت ... ليه مش المعزة عطست، ليه مش المعزة جالها
برد-

قطع لؤي حديثه بصرامة:

-هو كدة ... و محدش يعارضني...

تنهد للمرة التي لا يعلم عددها حتى يُهديء من روعه و هو يقول:

-و دلوقتي ركزو معايا في الخطة إللي هقولها...-

انتشر الظلام كل مكان و لم يهرب من تلك الظلمة سوى هذا الحاسوب الذي يُظهر عدة لقطاتٍ تحتوي على علماء و العديد من الأجهزة، كان يظهر أيضًا انعكاسًا لأعين زرقاء مُترقبة تُحدق بما يحدث على الشاشة مع أنامل تتحرك بسرعة و مهارة على أزرار الحاسوب، فما هي إلى بضع ثوانٍ حتى اختفت تلك اللقطات و حلَّ محلها تشويشٌ مع شاشة داكنة أوضحت تلك الابتسامة المُرتسمة على ثغرها و التي أظهرت أسنانها البيضاء المتناسقة، اهتز الحاسوب اهتزازة بسيطة ما إن أصدرت كوكي تهليلًا و حركت يدها علامة على الانتصار و الفخر بما فعلته، أخرجت جهاز اللاسلكي من جعبتها لتضعه على أذنها كي تقول بصوتٍ منخفض:

-كرسبي كريم ... أنا قفلت الكاميرات .. حوّل

التقطت قمر إشارتها من الجهة الأخرى و كانت في هذا التوقيت ترتدي سترة بيضاء تُشبه ملابس العلماء خاصة مع هذه البطاقة التعريفية التي ترتديها هي و لؤي المجاور لها، أشارت للؤي بعينيها حتى يدلغا المعمل و يؤديا دورهما و الذي يتمثل في البحث عن الأبحاث و حرقها، تحرك لؤي جوارها مدعيًا الوقار و هو يدلغ المعمل بسهولة مكنهما مخيمر منها...

تحركا داخل المعمل وفقًا للخريطة التي تساعدهما على معرفة أين تقع الأبحاث، فهي تقع بحجرة صغيرة تبتعد عن الحُجر التي يتم إجراء التجارب داخلها، كانت خطواتهما هادئة تُصدر أصواتًا خافتة خاصة ما إن إقتربا من حجرة الأبحاث و إقتربا من بابها حتى يفتحاه...

حركت قمر وجهها بعدة اتجاهاتٍ لعلها تراقب ما يحدث حولهما و تستطيع تنبيه لؤي الذي كان يحاول فتح الباب وفقًا للطريقة التي علمهما مخيمر إياها، فذاك الباب فولاذي لا يسهل كسره و لا يتم فتحه إلا عن طريق كلمة المرور التي لا يعرفها

سوى مخيمر و بعض العلماء المميزين، كان يحمل لؤي شاشة عريضة يقوم بالعبث بها حتى يخترق النظام و يستطيع معرفة كلمة المرور، هو ليس بهذه المهارة بتلك الأمور لكن مخيمر علمه الطريقة جيداً لذلك لم يأخذ الكثير من الوقت حتى استطاع معرفة كلمة المرور و أدخلها بسرعة لينفتح الباب بسهولة و يُسر...

وطأت أقدامهما هذه الحجرة المُعتجة بالأوراق الموضوعه داخل أرفف معدنية، سرعان ما جثت قمر على ركبتيها لتعبث بالأوراق حتى تجد الأبحاث الخاصة بإسلام و داليا، فعل لؤي المثل و بدأ يبحث بين الأرفف بعد أن جعل الباب موارباً كي لا يتم كشفهما، فهو إن أغلق الباب فاحتمالية فتحه مجدداً ربما تضحى مستحيلة...

بقي البحث للعديد من الدقائق التي كانت كفيلة بجعل قطراتٍ من العرق تتصبب على جبينهما لقلة الهواء بهذه الحجرة الضيقة، لكنهما استطاعا في النهاية أن يعثرا على الأبحاث الخاصة بإسلام و داليا، حيث كانت أبحاثهما بمكانٍ خاص يبتعد عن بقية الأوراق لأهميته البالغة...

ارتسمت ابتسامة واسعة على ثغر قمر و هي تمسك بتلك الأوراق بين يديها و تثب على الأرض استعداداً للتخلص منهم، لكن الرياح دائماً تأتي بما لا تشتهي السفن فسرعان ما استمع كلاهما إلى أصوات أقدامٍ تقترب نحو الحجرة التي هما بداخلها، و إذا وجدهما أحد من العمال داخلها و وجد هذه الأبحاث بين يديهما، فعلى الأحرى ستضحى نهايتهم و لن يستطيعوا التخلص من الأبحاث أبداً...

إقتربت الخطوات أكثر ناحية الباب حتى....

الفصل العشرون (إختفاء)

لا تعتقد أن العقل و التفكير هما سبب الخلافات التي تحدث بين الجميع، فلو كان هذا حقيقي لما تشاجرت الحيوانات على يومياً...

نبضات قلبها تتسارع في سباق كلما اقتربت هذه الخطوات من الحجرة عازمة على فتح الباب و إفشاء سرهم، ارتجف جسدها بخوف جعلها تُخبيء الأوراق لا إرادياً بين إبطيها و تتلفت بذعرٍ حولها بحثاً عن أي تُكنة للاختباء، أما عن لؤي فكان محافظاً على ملامحه الصارمة بخلاف أنه حرك يده وراء ظهره ليضعها فوق سلاحه المُتدثر بملابسه، استمعا إلى مقبض الباب يتم تحريكه فانتشل لؤي سلاحه و كان على استعدادٍ لبدء عركة ربما تتسبب بخسائر جثيمة، ما إن فُتح الباب حتى...

تلاشت عوالم القلق من على وجهيها ليحل محلها الهدوء و الراحة، فمن فتح الباب لم يكن سوى مخيمر، يمسك بين يديه قداحة مدها نحوهم و هو يردف باعتذار بعد أن لاحظ ذعرهم:

-معلش .. نسيت أقول إني جاي دلوقتي ... لقيتو الورق؟؟

قالها بصوتٍ منخفضٍ حتى لا يسمعهم أي من الحرس، التقط لؤي القداحة من يده ليُقرّبها من الأوراق كي يُحرقها كما خططوا بالضبط، فسرعان ما انتشر لهيبها كل رُكنٍ بالحجرة حتى ألقى لؤي الأوراق على الأرض ليشاهد تبخرها و تحوّلها إلى رمادٍ استطاع اضمار السعادة داخلهما، فأخيراً تخلصا من هذا المأزق و لم يتبق فقط سوى القبض على ضرغام و التخلص من بطة، و هذا كله من ضمن خطتهم...

تتحرك أقدامهما بسرعة و هدوء داخل المعمل الذي اقتحماه من إحدى نوافذ المعامل، فبعد أن قامت كوكي بتعطيل الكاميرات أصبح سهلاً عليهما التنقل بين أركان المعمل بأريحية دون أن يُلاحظهما أحد، كانا يُغطيان وجهيهما بغطاءٍ أسود مع ملابسهما السوداء التي تمنع أي أحد من التعرف عليهما ناهيك عن القفزات التي يرتدونها منعاً

للبصمات، تحرك إسلام نحو باب الحجرة المظلمة بهدوءٍ و خطواتٍ لا تُصدر أي من الأصوات.

ما إن توقف عند الباب حتى أخرج رأسه ليرى إن كان الطريق آمنًا أم لا، لمح ظل لإحدى العلماء يمر بالرواق مما جعله يُبعد رأسه عن الباب و يُرسل إشارة لداليا حتى تتوقف عن السير كي لا ينكشف أمرهما، بعد برهة قصيرة أخرج رأسه مجددًا ليجد المكان آمنًا و لا يوجد أي شخصٍ بالرواق؛ أشار بأصابعه نحو داليا كي تتبعه، فما هي إلا لحظات حتى أصبح كليهما يسيرا بالرواق و يتلفتنا بحدقتيهما في كل مكانٍ بحثًا عن تلك الشمطاء التي أتيا من أجلها.

كان يعرف إسلام أي حجرة تقبع بها لذلك لم يكن البحث صعبًا عليهما، ما إن توقفا عند الحجرة المرادة و بدأ إسلام بفتح الباب حتى..

-إنتو مين؟؟-

قالها إحدى العُمال بصوتٍ غاضبٍ جعل فرائسهما ترتعد، وضع العامل يده على كتف إسلام كي يمنعه عما سيقبل عليه مُهددًا إياه بإبلاغ الشرطة، و ما كاد يصيح بصوتٍ عالٍ حتى قامت داليا بإخراج زجاجة عِطرٍ قد ملاءتها بإحدى سوائل التخدير كي تنثرها على وجهه و يغيب العامل عن الوعي فورًا.

أزاح إسلام جسد العامل الذي سقط عليه ليضعه جانب الحجرة كي يفتحها بسرعة قبل أن يتفاقم الأمر...

استمعت إلى أصواتٍ تُصدر بجوار حجرتها تنعي بوجود أحدهم ربما يريد لها لأمرٍ ما، تركت المُجلد الذي كانت تتفحصه لتثب من الفراش و تقترب من الباب بأعينٍ حادة، فهي تعلم أن ضرغام ليس بالمعمل الآن حتى يأتي و يزورها، فمن هذا الذي يحاول اقتحام حُجرتها، أمسكت تمثالًا من المعدن كانت تضعه على المنضدة كنوع من أنواع الزينة، رفعته لأعلى استعدادًا للدفاع عن نفسها.

ما إن فتح إسلام الباب حتى تلمس هواءً داعب وجنتيه إثر قطعة المعدن التي هويت أمامه مباشرة و كادت تضربه و تلقاه صريعًا لولا أنه تفادها بالوقت المناسب، لم

تتوقف بطة عن دفاعاتها و بقيت تركض خلف إسلام كي تضربه بذاك التمثال، ناهيك عن صياحها المُستنجد الذي بالطبع استمع إليه من بالمعمل.

أغلقت داليا باب الحجرة بإحكامٍ ثم انقضت على بطة لثُكلها من الخلف كي تتوقف عن التحرك بهستيرية و تدمير الحجرة.

-إنتو مين ... و عايزين مني إيه؟؟

نثر إسلام من الزجاجاة التي معه كي تتخدر بطة و تغيب عن الوعي، سقط جسدها على الأرض بين يدي داليا التي كانت تجرها قُرب الباب استعدادًا للذهاب إلى جهاز التثبيت، ما إن غفت بطة تمامًا حتى سأل كل من داليا و إسلام بشك:

-إنتِ داليا؟؟ / إنتِ إسلام؟؟

وجدنا نفسيهما يسألًا بنفس الوقت مما جعلهما يتأكدا أن كل منهما لم يترك جسده و لم تستطع تلك العيننة معرفة أنهما وراء ما حدث، لهذا السبب كانا حريصا على تغطية وجهيهما جيدًا.

جذبت داليا جسد بطة لتسأل مجددًا:

-هنعمل إيه دلوقتي؟؟

قادها إسلام نحو الباب و هو يقول:

-هنروح الأوضة إيلي فيها الجهاز

ما كاد يفتح الباب حتى استمع إلى طرقاتٍ عنيفةٍ يصحبها صوت إحدى الحراس و هو يسأل بقلق:

-مدام بطة إنتِ كويسة؟؟

توقف عن الحراك و لم يعد يعلم ماذا يقول، فهو متأكد أنهما إذا فتحا الباب الآن فسيلقيا جمع من الحرس لن يستطيعا مواجهتهم...

تشق سيارته الفارهة طريقاً مُعتمًا بسرعة قد تتعدى المئة، فقد أتته رسالة من إحدى رجاله يُخبره أنه عثر على داوود و قام باحتجازه بإحدى الأماكن بل و أيضًا احتجز معه كل من إسلام و داليا بعد أن وجدهما يحاولا أذية زوجته العزيزة، لذلك ترك ضُرغام كل ما كان يفعله ليذهب إلى ذاك العنوان بتقاسيم الغضب التي نحتت وجهه لتجعله يضر الضغينة و الكُره لأولئك الذين يسعون لإفساد خُططه، سيذهب إليهم الآن حتى يُلقنهما درسًا قاسيًا أو ربما يتخلص منهما حتى لا يُعيقا طريقه مجددًا...

توقف بسيارته بجوار مخزنٍ واسع عتيقٍ تشعر حتى أن الجرذان اتخذت منه منزلًا، لكنه لم يُبالِ بذاك المكان الغريب لأنه اعتاد أن يخطف الخائنين و يُلقنهم درسًا بمثل هذه الأماكن النائبة حتى لا تشتم الشرطة الخبير و يضطر التعرض للمسائلة القانونية.

اقتحم البناية بخطواتٍ صارمة و أعينٍ ثابتة تبحث بكل مكانٍ عنهما، ما إن توغل أكثر داخل الحجرة حتى اشتد غليانه لأن الحجرة فارغة لا يوجد بها حتى الجرذان، أخرج هاتفه بسرعة ليتصل بإحدى رجاله الذي أخبره أنه يُخبئهم هنا.

لم يكذب يضع الهاتف على أذنه حتى....

استمع إلى صوت الباب الذي يتم إغلاقه بسرعة و هو بداخل المخزن، هرع بسرعة نحو الباب ليدق عليه بهستيرية و يحاول فتحه لكن لا حياة لمن تتنادي، فهذا الباب الصديء مؤصدًا بإحكام، بخلاف أنه فولاذي و لن يستطيع فتحه بسهولة.

تفاقم غضب ضُرغام و ركل الباب ركلة قوية بقدمه أصدرت صوتًا عاليًا، كان مُعترز على الجهة الأخرى يتحدث على الجهاز اللاسلكي و يقول:

-الفار وقع في المصيدة ... حوّل

أما داخل المخزن فكان ضرغام يتحدث كذلك على الهاتف لكنه كان يقول بصراحة:

-روح المعمل و جيب رجالة معاك ... شمعو المكان و دؤرو عليهم...

-كرسبي كريم ... إحنا محبوسين و مش عارفين نطلع ... حوّل

هذه هي الرسالة التي استقبلتها قمر على جهاز اللاسلكي و أوضحت الآن خارج حجرة الأبحاث تقف هي و لؤي خلف إحدى الجدران يُراقبا هذا التجمع أمام حجرة بطة و كأنهم على وشك اقتحامها، إرتديا أفتعة تُغطي وجهيهما و قفازات تمنع انتقال بصمتهما، كان الوضع مُضطربًا مما جعل قمر تختبئ خلف لؤي لتتحمى به مما سيحدث.

-هنعمل إيه؟؟

همست بهذا السؤال بأذن لؤي في سبيل العثور على طريقة يساعدا بها أصدقائهما، تلفنت حدقتا لؤي بكل مكان حتى توصل إلى فكرة قام بتنفيذها بسرعة، أخرج السلاح من جعبته ليقوم بتعميره و يطلق منه رصاصة عشوائية كانت كفيلة ببث الرعب بهذا التجمع و جعلهم يبتعدون عن الحجرة ليتجهوا صوب موضع الطلقات النارية.

اضطرب المكان أكثر و بدأ الحرس يتوغلون حتى أشار واحد منهم على لؤي ليُخبرهم أنه دخيل يُريد قتلهم.

ترك لؤي موضعه بسرعة و بدأ يركض في أركان المعمل و جواره قمر، كلاهما يحاولا الهرب من الحراس و العلماء الذين يلحقون بهما، كانا يركضان بالرواق بسرعة هربًا من المكان، ثم فجأة...

قطع طريقهم مجموعة من الحراس يحملون الأسلحة بين يديهم و يقتربون أكثر نحو لؤي و قمر؛ تراجع الاثنان إلى الوراء لكنهم للأسف وجدا مجموعة من العلماء يتجمعون خلفهم حتى أصبحا محاطين من جميع الاتجاهات.

تصاعدت ضربات قلب قمر لكن لؤي طمأنها بأن كل شيء سيمر مرور الكرام، فهذه ليست أول معركة يخوضها سويًا، عقد حاجبيه بصرامة قبل أن ينقض على العلماء ليلاكم واحد منهم حتى يبتعد عن طريقه.

أطلق واحد من الحراس رصاصة تفادها لؤي ليجعلها تُصيب واحد من العلماء و تلقاه صريعًا، تجمع باقي العلماء على لؤي و شرعوا يضربونه بما لديهم من قوة، رغم مهارات لؤي القتالية إلى أن الكثرة دائمًا ما تغلب الشجاعة، فقد تجمع العلماء حوله و جعلوه مكبلًا بين أيديهم.

أما عن قمر فكانت ترفع يديها أمام الحارسان علامة على الاستسلام، رفع الحارس سلاحه أمامها بأقدام تقترب منها حتى..

سقط مغشيًا عليه بعد أن التقطته قمر بأعينها الحادة، سقط فك الحارس الآخر و هو يرى زميله يسقط على الأرض عن طريق تلك الساحرة من وجهة نظره، رمقته قمر بنظرة جعلته يرتعد من الخوف و يتراجع خطواتٍ للوراء حتى لا يلقي مصير زميله الذي اعتقد لو هلة أنه لقي حتفه.

ما إن فرّ راضيًا حتى أطلقت ضحكة ساخرة من هيئته المفزوعة، اخفضت بعدها يدها لتلتقط السلاح من جعبة الحارس و تلتفت إلى لؤي المكبل بين العلماء، مدّت فوهة السلاح أمامها لتصرخ بصوتٍ جهوري مُهدد:

-إبعدو عنه و إلا هقتلكم-

اقتربت قمر نحوهم بالسلاح الذي مدته أمامها و جعل العلماء يرتعدون من الخوف، استغل لؤي هذا الموقف و لكم العالم الذي كان يُكبله حتى يستطيع إخراج سلاحه هو الآخر و تصويبه عليهم.

ما هي إلا لحظات حتى استطاع الفرار هو و قمر و مواصلة الركض حتى يصل إلى إسلام و داليا و يساعداهما فيما يفعلان...

بالحديث عن إسلام و داليا، فكانا في ذاك التوقيت يجذبا جسد بطة على سفحات الطريق اللامع حتى دلفا الحجرة المليئة بالأجهزة، رفعها كل من إسلام و داليا حتى أرخيا جسدها على الفراش ليربطا أطرافها جيداً قبل بدء عملية التثبيت.

شعر إسلام بيدٍ قاسية تقبض على معصمه تبعها صوت مُفعم بالتهديد:

-ضرغام مش هيسبكم

خرجت تلك الجملة من بطة بعد أن فاقت من غفوتها و فهمت ما يحدث حولها، لم تُمهلهما داليا فرصة أخرى للحديث لأنها قامت بتخديرها مجدداً حتى لا تنتهز بطة الأمر و تتبدل بروحها مما سيمنعهم من مواصلة الخطة.

أخرج إسلام الورقة من جعبته و طفق يقرأ ما بها و هو يجلس أمام الجهاز، أما عن داليا فكانت تساعدته حتى شعرت بأحدهم يقتحم الحجرة بغوغائية.

انتفضت أجسادهما بعد أن ظانا أن الحراس قد كشفوا أمرهم، لكن اضطراباتهم قد هدأت ما إن ظهر لؤي أمامهم بسلاحه و بعض الكدمات التي تركت آثارها على وجهه بعد أن انتزع عنه القناع عنوة، كانت جواره قمر تحاول طمأنتهما:

-إحنا جينا نحميكم ... خلصو بسرعة عشان نمشي من هنا

أوماً إسلام رأسه ليلتفت بعدها نحو الجهاز حتى يضغط على إحدى الأزرار، أطلق الجهاز عدة أضواءٍ مختلفة الألوان كما الصوت الذي خرج منه و الذي أوضح لهما أنه بدأ يعمل و يؤدي دوره..

على جهة أخرى، داخل السيارة التي تجلس كوكي بداخلها تراقب ما يحدث من بعيد و تتمنى لو كانت مع أصدقاءها و تساعدهم فيما يفعلوه، لكنها تعلم جيداً أنها لن تتمكن من مساعدتهم و أنها ستلقى حتفها لا محالة، لذلك توّلت هي دور المراقبة و إغلاق كاميرات المراقبة بخلاف بعضاً من الامور الخاصة بالتكنولوجيا التي تفهمها جيداً.

كانت حدقتيها منصبتين على باب المعمل بنبضات قلب تدق عاليًا تقسم أنها تستطيع سماعها بأذنيها، ازدادت نبضات قلبها ما إن وجدت سيارة سوداء ضخمة يهرع منها مجموعة من المسلحين ليفتحوا المعمل مضمرين الفساد و قتلهم بأية طريقة.

ارتجفت أطرافها مع فاهها الذي سقط في رُعبٍ من هُول الموقف، أخرجت اللاسلكي الخاص بها لتحدثهم جميعهم بجملة واحدة حملت كمًا من الرهبة:

-إخرجو بسرعة ... المعزة كحت ... المعزة .. كحت..-

ما إن التقطوا إشارة كوكي حتى تزلزل كيانهم و تضخم الخوف داخلهم، و ما زاد الطين بلة هو ارتطام الباب إرتطامة كادت تجعله يتهدم فوق رؤوسهم، استمرت الطرقات الحادة على الباب يصحبها أصوات جمهورية تُهددهم.

وضعت داليا يدها على فمها تكبت صرختها حتى لا يُفتضح أمرهم، أما عن قمر، فكانت تستجيب لإشارات لؤي و تتجه نحو جسد بطة لتحملها من على الفراش بمساعدة من داليا كي يختبأ خلف إحدى الخزانات، غطيا أنفسهما بفرشة بيضاء كما قام لؤي بإغلاق جميع الأضواء و الاختباء بالقرب من إسلام أسفل إحدى المناضد المعدنية.

ما هي إلا لحظات قليلة حتى وجدوا الباب ينفتح بغوغائية ليقتمم الحجرة مجموعة من المُلثمين مُشهرين أسلحتهم أمامهم، كما كانوا يُغطون وجوههم و يرتدون ملابس واقية تمنع اختراق الرصاص أجسادهم.

تحرك اثنين من المثلثمين داخل الحجرة بخطوات هادئة و أعينٍ تبحث في كل مكان، كانت داليا في ذلك الوقت ترتعد من الخوف لكنها تحاول كبت شهقاتها و دموعها قدر الإمكان، إقترب واحد من المثلثمين من البقعة التي تختبئ بها داليا و قمر، حتى أنهما استطاعا الإحساس بطيفه يقترب نحوهما و كأنه شبح يستعد لالتهامهما.

التصقت قمر بالجدار كما فعلت داليا بالضبط و هي تحتضن جسد بطة كي تُقربها
منهما، ازردا ريقهما بخوفٍ خاصةً عندما أحنى المثلث جذعه و كان على وشك رفع
الغطاء الذي يتدثرا داخله، وضع يده على الغطاء الأبيض حتى...

-حرم أستاذ ضرغام مش في أوضتها

أوقفت هذه الجملة حركة المثلث و جعلته يثب من الأرض ليتحدث مع زميله بحدة:

-إزاي مش في أوضتها؟؟

-معرفش ... شكلها اتخطفت

-اتخطفت... !!

قال هذه الجملة ثم وثب هو و رجاله من تلك الحجرة التي ظنوها فارغة، ما إن تأكدوا
من رحيلهم عن الحجرة حتى تنفست داليا الصعداء بأريحية أزاحت معها الغطاء كي
يعودوا إلى ما كانوا يفعلون و يضعوا جسد بطة مجدداً على الجهاز، هذه المرة كانت
حركاتهم سريعة مُضطربة كل ما يُريدونه هو الانتهاء من الأمر بأسرع ما يُمكن.

أغلق لؤي الباب مجدداً و هو لا يزال يستمع إلى دوي الطلقات النارية مع أصوات
أقدامٍ تتحرك في كل مكانٍ حولهم، التفت برأسه ناحيتهم ليقول:

-أنا هطلع آمن برة كلمو دانكن دوناتس خلوها تشوف مكان نهرب منه

أوماؤ رؤوسهم بموافقة لُتخرج قمر جهاز اللاسلكي حتى تُرسل إلى كوكي:

-شوفلنا مكان أمان نهرب منه ... حوّل

التقطت كوكي إشارتها من الجهة الأخرى فوضعت جهاز اللاسلكي جانباً حتى تفتح
حقيبة ظهرها و تُخرج منها الطائرة الآلية " الدرون " التي من الممكن أن تساعدنا

بهذا الأمر، وُصلت الطائرة الآلية بهاتفها ثم أطلقتها من النافذة لتُحلق عاليًا، كانت تُحركها بجهاز التحكم و ترى ما يحدث من تلك الكاميرا المُوصلة بها.

كان الوضع مُضطربًا أمامها، فالبنية بأكملها محاطة بالرجال مما يجعل هروبهم يكاد يضحى مستحيلًا، لكنها مع ذلك لم تفقد الأمل و ظلت تُحرك الطائرة الآلية حوّل البنية حتى أخيرًا وجدت نافذة صغيرة خلف البنية يبدو أن يد الملتئمين لم تطولها؛ ارتسمت ابتسامة منتصرة على ثغرها تبعثها بإخراج اللاسلكي و قولها:

-كنتاكي ... الحمام إلي جنب الأوضة رقم تسعة فيه شباك ممكن تنطو منه ... حوّل

التقطت داليا الإشارة من داخل الحجرة و أخبرتهم عن طريقة الهرب، ضغط إسلام آخر ضغطة على الجهاز أدت إلى اهتزاز جسد بطة اهتزازاتٍ عنيفة أخبرتهم أن هذا يعني أن الهيئة النجمية داخل جسدها يتم نزعها رغماً عنها، تداركوا ما يحدث لها و قرروا أن يهربوا بسرعة قبل أن يتضخم الأمر أكثر من هذا.

تقدم لؤي مسيرتهم بسلاحه ثم أشار على قمر ثم داليا كي يتبعاه، أما عن إسلام، فكان بأخر المسيرة يقوم بتأمينهم من الخلف، تحركوا بخطواتٍ سريعة في الرواق قطعها استماعهم لأصوات الملتئمون تقترب نحوهم؛ اختبأوا بأقصى ما لديهم داخل إحدى الحجرات حتى لا يظهروا أمام الملتئمين و يتم القبض عليهم.

لكن لسوء حظهم كانت الحجرة التي اقتحموها يقف داخلها اثنين من الملتئمين ربما كانوا يبحثون عنهم؛ ارتدت أجسادهم للخلف ما إن رأوا الأسلحة يتم إشهارها بوجوههم مع النظرات القاتلة التي كادت تُصيبهم، بقوا يتراجعون بهدوءٍ للوراء لكنهم توقفوا ما إن وجدوا المزيد من الملتئمين يحاوطونهم من الناحية الأخرى.

لم يجدوا حلاً سوى أن يرفعوا أيديهم لأعلى و يستسلموا لما يحدث، فحتى التنويم المغناطيسي لن تقدر قمر على فعله لكثرة هذا العدد الذي أمامهم، حاوطهم الملتئمون أكثر حتى أجبروهم على الركوع و الاستسلام، ركعت داليا على ركبتها تجاهد خوفها و ارتباكها لتستغل كونها متدثرة بينهم حتى تُخرج جهاز اللاسلكي بالخفاء و تتحدث بصوتٍ هامس:

-نفذ يا ابو حيدر ... حوّل

أحست بالسلاح يقترب أكثر نحو رأسها مع يدٍ ثقيلة تحاوط ذراعها و تجبرها على ترك اللاسلكي حتى يقوم بتقييدها، كانت الخطة ستفشل في تلك اللحظة لكن...

إنفجارٍ جثيم غمر المكان جعل أجسادهم تنتفض تبعاً ليلتف الملتزمون حتى يعرفوا مصدر هذا الانفجار، استغل لؤي التفاتهم و نزع سلاحه الذي أخذ منه ليثب بعدها على الأرض و يطلق رصاصة اخترقت قدم المُلثم و جعلته يتأوه على الأرض بألم.

أكملت عليه داليا و هي تأخذ سلاح المُلثم كي تضربه به على رأسه بكل ما أوتيت من قوة، ساعدتهم قمر بالأمر و استخدمت قدرتها على التنويم المغناطيسي حتى جعلت إحدى الملتمين يغط في سباتٍ عميق، شعرت بفوهة السلاح المصوّبة على رأسها من الخلف و كانت الرصاصة على وشك أن تخرق رأس قمر لكن لؤي قبض على ذاك المُلثم و ظل يخنقه بذراعه حتى سقط سلاح المُلثم على الأرض و توقف كذلك عن التنفس ثم سقط مغشياً عليه، تركه لؤي ليسقط على الأرض ليجد يد تحاوطه من الخلف ثم دفعة قوية جعلته يسقط على المُعدات الطبية.

ارتدى لؤي بظهره على طاولة معدنية تحتوي على العديد من العينات التي بالطبع تدمرت كلها، أخرج المُلثم سلاحه و كاد يُطلق منه على رأس لؤي لكن إسلام أنقذ الموقف هذه المرة و التقط إحدى الإبر الفارغة لينقض بها بسرعة على رقبة المُلثم و يحقنه بحقنة فارغة أدت إلى موته مباشرة.

ما إن سقط الرجل على الأرض حتى فتح إسلام فاهه و هو يرمق الإبرة التي معه، لا يُصدق أنه أودى بحياة شخص ما، فكانت هذه أول مرة يرى فيها جثة هامة بسببه هو!!

ظن لؤي أن حالة إسلام النفسية ستتهور بعد هذا الموقف لذلك وثب مكانه و كان سيواسيه و يُخبره أنه اضطر لفعل هذا حتى ينقذ حياته، لكنه وجد إسلام يبتسم بطريقة مجنونة على عكس المتوقع، كان يقول بحماسٍ و صوتٍ مرتفع:

-أنا قتلته ... أنا قتلت واحد ... ياس

لم يجد لؤي ما يقوله لذلك المجنون الذي أمامه، فلا الموقف و لا المكان يسمح له بالتحدث مع هذا المختل الذي يبدو سعيداً مما فعله، وجد نفسه يجذب إسلام من ذراعه كي يترك الحجرة بسرعة:

-يلا يا برنس مش وقته

واصلوا الركض بعدها بين الطلقات النارية التي تُدوى من حولهم، وصلوا أخيراً إلى ذاك المرحاض الذي أخبرتهما عنه كوكي، فما إن وجدا النافذة حتى تسلقها إسلام أولاً حتى يؤمن المكان بالأسفل، تسلقت داليا بعده ليلتقطها إسلام حتى لا تسقط على الأرض، تبعتها قمر لتلتقطها داليا و من ثم لؤي الذي كان آخر من يهرب من ذاك المكان، فبعد أن هرب مباشرة استمع إلى أصوات المثلثون يفتحون ذاك المرحاض بحثاً عنهم...

واصلوا الركض بأقصى ما لديهم حتى استقلوا السيارة التي كانت تجلس كوكي داخلها بالمقاعد الخلفية، جلست قمر و داليا جوارها و تولى إسلام القيادة بينما راقب لؤي الطريق باستعداد تام لأي سيارة من الممكن أن تتبعهم، تحركوا بالسيارة بأقصى ما لديهم كي يتجهوا إلى مُعتر الذي من المُفترض أنه يراقب ضُرغام حتى يتم القبض عليه...

بالعودة إلى الحجرة التي يتم فيها تثبيت روح بطة، لم يتوقف جسدها عن الاهتزاز منذ تركوها وحدها بتلك الحجرة، كانت الحجرة تهتز هي الأخرى، فكانت الأضواء يتم غلقها و فتحها تباعاً، انتهت كل هذه الاهتزازات مرة واحدة ما إن سكن جسد بطة تماماً...

توقفت سيارتهم عند البقعة التي من المفترض أن يضحى ضُرغام بها مسجوناً داخل إحدى المخازن، واجهوا العديد من السيارات التي كانت تتبعهم لكن إسلام استطاع بمهارة أن يهرب منهم و مواصلة القيادة بأقصى ما لديه حتى وصل إلى هنا.

ترجل لؤي أولاً من السيارة بخطواتٍ سريعة تتوق شوقاً للقبض على هذا المجرم و معرفة بقية أعضاء المنظمة من خلاله، تبعه إسلام بسرعة حتى تقابل مع مُعترز الذي كان يانتظارهم و الذي تولى بدوره حراسة ضُرغام و ترتيب هذه المكيدة للإيقاع به، ربت إسلام على كتفه قبل أن يسأل:

- هو جوة؟؟

أوماً معترز رأسه و هو يُجيب:

- أه ... أول ما دخل قفلت عليه زي ما اتفقنا

ربت مجدداً على كتفه بفخرٍ من صديقه، أما عن لؤي فكان يتحرك بسرعة صُوب المخزن حتى يفتح الباب و يفتحمه بسلاحه الذي يُشهره أمامه و الذي اجتمع كذلك مع أعينه الحادة و بدنه المُترقب.

تلقت بعينه في شتى الاتجاهات بحثاً عنه، فكان المخزن يعتج بالأتربة و إطارات السيارات و أيضاً قطع غيارٍ بالية، توّغل أكثر المخزن ليتبعه إسلام و مُعترز، تغلغل الغضب داخل لؤي عندما لم يجده داخل الحجرة و كأن الأرض انشقت و ابتلعتة.

كل هذه التناقضات تلاشت ما إن وجد أمامه نافذة صغيرة تم فتحها لينطلق منها نفحات من الهواء دغدغت حواسه، أخفض سلاحه باستسلامٍ جعله يستنتج و يقول:

-ضُرغام هرب... !!

الفصل الحادي و العشرون (عاد لينتقم)

دائمًا ما يصتبع الجمال بالشقاء، فحتى هذه الوردة برحيقها و جاذبيتها لا تستطيع لمسها دون أن تنهال عليك أشواكها...

سواد قاتم غمر طيات هذه الليلة الطويلة التي لم تنتهي حتى الآن، فلا زالوا يقفون أمام المخزن بحثًا عن ذاك الشيطان الذي يُلاحقونه حتى ينالوا منه، لكنهم لم يجدوه حتى هذه اللحظة على الرغم من البحث الذي دام لساعات خاصة من تلك النافذة التي هرب منها.

توقف لؤي أمامهم بمنتصف الحلقة التي تضمهم جميعهم، كان يردف بصرامته المعهودة و التي اختلطت ببعض من غضبه:

-مش موجود ... شكله هرب من بدري

تدخلت قمر لتسأل بشيء من الحيرة:

-و العمل ؟ ... هنسيبه ينفذ بعملته ؟

أجابتها داليا بإصرارٍ حمل معه الضغينة لذاك الذي استغلها لمصالحه الشيطانية:

-أكيد مش هنسيبه ... لو سيناه ممكن يعمل حاجة أكبر

طمأنهم لؤي بجملة أنهت معها الحديث:

-أنا هبعت ناس تدور وراه يمكن نلاقي حاجة تدينه ... المهم إننا خلصنا من الأبحاث و ثبتنا بطة ... موضوع ضرغام هيجي واحدة واحدة ... بس لحد ما يبجي ياريت تاخدو بالكم من نفسكم و محدش يجيب سيرة الموضوع ده لأي حد مهما كان
إيه

أنهى حديثه بتحذير نبههم إلى خطورة الأمر و بأن ضرغام سيأتي في أي وقت و
يعاود استغلالهم مجدداً...

انتهت الأوقات العصبية ليحل محلها أوقات الراحة و السعادة، فها هم انتهوا من أكبر
خططهم على خير رغم بعض الكوارث التي حدثت و تركت آثار الرهبة و الاجهاد
على ملامحهم، إرتدى كل واحد منهم على إحدى البقاع بمنزل معتز بعد أن قرروا
الإحتفال بهذا الانتصار العظيم، اتجه معتز إلى المطبخ ليُخرج بعض المُسلّيات حالما
يأتي الطعام الذي طلبوه كي يكتمل إحتفالهم، فما هي إلا لحظات حتى امتلأت
الطاولة بشتى أنواع الأطعمة التي تناولوها بشراسة نظراً لهذه المغامرة التي
خاضوها و التي بالطبع جعلت أجسادهم تفقد كل ذرة من طاقتها.

انتهوا من تناول الطعام ليغمر جسدهم حاله من الانتشاء جعلتهم يتمددون على
الأريكة منهم من يشاهد التلفاز بكسل و منهم من يلتقط بعض الصور المرحية إحتفالاً
بهذا النصر العظيم، ترك إسلام مجلسهم ليشتتم بعض الهواء النقي من نافذة الشرفة،
فكان يستند على السور و بين يديه كوب من الشاي الدافئ الذي يتلذذ بمذاقه الحلو
أثناء مراقبته للقمر و النجوم في حالة من التأمل، فطالما أحب التأمل في هذا الكون و
استخراج منه العديد من الحكم التي ربما تبدو غريبة للبعض و تبدو شديدة العمق لمن
يستطيع الوصول إلى مغزاها.

قطعت داليا تأمله و هي تقترب خطواتٍ ناحيته تُريد أن تُخبره أنه لم يأتي لطلب يدها
للزواج حتى الآن، لكن كبرياءها يمنعها من قول هذا، لذلك فقررت أن تُخبره بتبطين
حتى تعلم حقيقة مشاعره اتجاهها، فربما لم يعد يكني لها أية مشاعر، أو ربما تلك
المشاعر السابقة كانت إعجاباً ليس إلا.

حممت ببعض الحرج قبل أن تقول:

-فرح مُعترز و كوكي بعد إسبوع

وجدته يومئذ رأسه بلامبالاة جعلتها تشعر ببعض الضيق من بروده.

-عقبالك..

قالتها بغيظٍ دفينٍ و هي تستند على السور جواره على بُعد بضعة أمتار، التفت إليها بحدقاته بعد أن فهم ما ترمي إليه، وضع كوب الشاي على السور كي يُصحح حديثها:

-قصّدك عقبالنا

زاغت ببصرها في عدة اتجاهاتٍ و هي تحادثه بكبرياء ادعت معه البلاهة:

-عقبالنا إزاي؟؟ ... أنا لسة ملقتش الشخص المناسب...

ابتسم إثر كلماتها المشاكسة ثم حاول إجابتها بصوتٍ رخيم:

-متقلقيش ... الشخص المناسب موجود ... بس كان مستني الظروف دي تخلص و
بيجي يتقدملك

ارتسمت ابتسامة خجلة على ثغرها جعلت وجنتيها تتوردتان و رأسها ينحني لأسفل بحرّج، رفعت رأسها بعد فترة فوجدته لايزال يتأمل القمر ببريقه الساحر و الذي يُجمله تلك النجوم التي تتراقص جواره، حدقت بالسماء هي الأخرى ثم استندت على رسغها حتى تفتح معه الحديث بمشاكسة:

-باصص في السما ليه؟؟ ... بتدور على القمر؟؟

رسم بسمة على ثغره و هو ينفى حديثها:

-لأ ... مش بدور على القمر

داعبت خصلات شعرها بتعالٍ قالت معه:

-أيوة صح ما القمر جمبك مش محتاج تدور عليه

خرجت قهقهة من جوفه على طريقته المتعالية التي تُشبه إلى حدٍ ما طريقته، فربما صفاتها قد بدأت تتلخخ بصفاته لكثرة استحواذها على جسده، أخذ رشفة من شايبه كي ينفي حديثها بقوله:

-بس إنتِ مش شبه القمر-

اتسعت حدقتها في صدمة من حديثه الوقح و قد قررت في تلك اللحظة أن ترحل و تتركه.

-أنا مش شبه القمر!!-

لاحظ لمحة الغضب بحديثها لذلك حاول تهدئتها بقوله:

-أيوة مش شبه القمر القمر ده مجرد صخرة ضلمة و مفيهاش حاجة ... حتى النور اللي بيبهرنا بيه واخده من الشمس...

وجه نظره إليها مع آخر كلماته:

-عشان كدة إنتِ مش شبهه-

أعاد نظره للسماء ليواصل الحديث بما يكنيه بداخله:

-عارفة إنتِ شبه إيه ؟ ... إنتِ شبه الملح و الفلفل-

قطبت حاجبيها من حديثه الذي جعلها تُشير على نفسها و تقول:

-أنا شبه الملح و الفلفل!!-

أوما رأسه بتأكيدٍ ثم فسّر لها مقصده:

-أيوة ... الملح و الفلفل بيتحطو على كل حاجة، حتى السلطة بيتحط عليها ملح و فلفل ... و من غيرهم مفيش حاجة بيبقى ليها طعم....

وجه نظره ناحيتها مع آخر جملة يقولها:

-و ساعات في ناس بتدمنهم

بقيت تُحدق له في ذهولٍ لا تصدق حديثه معها بتلك الطريقة التي لأول مرة تراه يتحدث بها، أردفت بعد فترة من الصمت و التحديق:

-هو في حاجة رومانسية في إلي بتقوله بس أنا مش عارفة أحدد هي فين بالضبط

إنفجر بالضحك إثر حديثها ثم عاد ليرتشف من كوب الشاي حتى وجدها ترحل باستئذان:

-أنا هدخل جوة بقى أشوفهم...

أوقفها إسلام ليُخبرها بتقرير:

-الشخص المناسب هيجي بكرة..

ابتسمت ابتسامة هادئة خجولة لم تُريه إياها حتى لا يرى خجلها و دقائق قلبها المتسارعة، واصلت السير داخل المنزل لعلها تجلس مع أصدقاءها و تتخلص من تلك الدوامات التي تحوم حوّل قلبها المضطرب، فها قد أتت اللحظة التي صدقت بها أن ذاك القلب يستطيع التحكم بحياتها و يجعلها تخوض معارك داخلية لم تتوقع أبداً أن تخوضها...

بداخل المنزل كانت كوكي تلتقط العديد من الصور و المقاطع حتى وصل بها الأمر بأنها تفتح البث المباشر و تبدأ بالحديث مع جمهورٍ وهمي اختلقته لكثرة استخدامها لوسائل التواصل الإجتماعي و مشاركتها للصور التي نالت إعجاب العديد من الأشخاص بسبب ملامحها الأجنبية الجذابة، اضجرت قمر من حركاتها و قررت أن

تسحب منها الهاتف كي تشاركهم الحديث و المرح، فكانت تحاول انتشارال الهاتف من بين يديها بينما كانت كوكي تمنعها و تهتف بوجهها:

-إبعدي بقى سبيني أتكلم مع الفائز بتوعى..

واصلت قمر محاولاتها لأخذ الهاتف و هي تهتف بضجر:

-بلا فائز بلا بتاع ... هاتي بقى البتاع ده أنا مرارتي اتفقت

كان مُعتر يراقب جدالهما حتى إقترب من أذن لؤي كي يسأله بحيرة:

-هي إزاي بتتلكم مع المراوح؟؟

عقد لؤي حاجبيه من سؤاله الغريب ثم قال:

-مراوح!!

فسر معتر حديثه بثقة:

-أيوة مراوح ... هي مش فائز دي يعني مراوح بالإنجليزي

لم يكذ يُجيب لؤي على حماقة حديثه حتى وجدوا باب المنزل يصدح عاليًا ليتجه إسلام نحوه كي يفتح الباب و يتوغل منه كل من خالد و يسرا كي يُشاركاهم هذا التجمع رغم اعتراض معتر الذي يمقت خالد بشدة.

عانق إسلام شقيقته يسرا ثم عانق خالد بؤد قبل أن يُدخلهما المنزل و يُعرفهما على لؤي الذي قابلهما بؤدٍ، كما كانت عوالم الضيق على وجه معتر و هو يُصافح خالد الذي كان يبادلها عوالم مُحترقة قال معها بابتسامة صفراء:

-مرحبًا أيها السائق

شدد معترز على قبضة خالد كي يرد عليه بنفس ذات اللكنة المُحتقرة:

-ما بلاش إنت يا كابتن ماجد-

قاطع إسلام حرب النظرات بينهما ليفرقهما عن بعض قبل أن يحدث دمارًا، أجلس كل واحد منهم على جهة مختلفة ثم اتجه إلى الحقيبة التي أحضرها من منزله القريب من منزل معترز، كان يمسك بعُلبة تحتوي على بعض البطاقات التي فرقها عليهم استعدادًا لبدء لعبة تُغنيهم عن هذا الملل و تُلطف من تلك الجلسة.

أيدوا تلك اللعبة بحماسٍ لينقسموا بعدها إلى فريقين، واحد يضم الفتيات و الآخر يضم الرجال، انتشلت داليا إحدى البطاقات و بدأت تشرحها لفريقها قبل أن ينتهي الوقت، أمعنت التحديق بالورقة قبل أن تقول:

-بوصو ... هي حاجة مش بتخلص-

رفعت قمر سبابتها لتُجيب بسرعة:

-المواعين-

نفت داليا إجابتها لتحاول التفسير أكثر:

-لأ ... حاجة بنستخدمها عشان نشغل الأجهزة-

تدخلت يُسرا لتُجيب:

-البطارية؟؟-

نفت داليا مجددًا ببعض نفاذ الصبر:

-لأ .. البطارية بتخلص .. أنا بقول حاجة مش بتخلص و بنجيبها عن طريق حاجة بتتور

رفعت كوكي يدها بحماسٍ كي تُجيب:

-الطاقة الشمسية-

ضربت داليا كفها بحماسٍ بعد أن استطاعت معرفة الإجابة الصحيحة، انتشلت داليا بطاقة أخرى و بدأت تشرحها لأصدقاءها في جو يتكلله المرح و السعادة اللذان غطا على تلك الأجواء المُكفهرة التي عاشوها للعديد من الأيام، فمن يعلم إن كانت هذه الأيام ستتكرر أم أن الشقاء لن ينتهي أبداً...

تهتز أكواب الشاي الموضوعة على تلك الصينية المعدنية و أسفلها أصابع ترتعش كقلبها الذي يدق بسرعة البرق، فهذا اليوم المُنتظر قد أتى أخيراً بعد عناءٍ دام لأسابيع و ربما شهور، هذا هو اليوم الذي أتى فيه إسلام بصحبة والديه كي يطلب يدها كما اتفق معها البارحة، لم يكن الأمر مُخطط له منذ فترة طويلة، فصحيح أن إسلام أخبر والداه أن يأتيها معه لخطبتها إلا أنه لم يُخبرهما في أي يوم بالضبط، وجداه فجأة يُخبرهما أن يستعدا ليذهبا إليها الآن، فالقرارات التي نأخذها فجأة هي القرارات الوحيدة التي يتم تنفيذها...

وضعت صينية الشاي أمامهم بوجنتين و رديتين إثر خجلها و خوفها من تلك اللحظة، كانت ترتدي رداءً بنفسجي اللون يصل إلى أخمص قدميها مع أكمامٍ من الشيفون غطت ذراعيها و جعلت الرداء يبدو أكثر أناقة، تركت المجلس بعدها لتذهب إلى صديقتها اللتان كانتا تختبئان خلف الستار ليُشاهدا ما سيحدث من بعيد...

اعتدل سيد في جلسته ليتصنع الوقار و هو يطلب:

-إحنا يشرفنا إننا_

قطع إسلام حديثه و هو يبصق ما ارتشفه من الشاي في كل مكان، حتى أنه بصق جزءٍ منه على ثياب بسملة والدة داليا مما جعل والداه يرمقانه بغاهٍ مفتوح و حرج مما فعل.

-هي مش بتحب الشاي ؟

قالها إسلام بعد أن استحوذ على جسد داليا ليضحى الآن بين رفيقاتها، سقط فك كل من قمر و كوكي بعد أن رأيا داليا قد ارتشفت من كوب الشاي الذي ملاءته بالملح كما ترى بالمسلسلات التي تتابعها، يبدو أنهما عرفا الآن معنى المثل الذي يقول أن من حفر حفرة لأخيه وقع فيه.

-إنت إسلام!!

سألته كوكي بصدمة فوجدت إسلام يُجيبها ببساطة:

-أيوة أنا إسلام ... أصل أنا بتوتر في المواقف دي و ممكن أبوظ الدنيا، فقولت داليا هتعرف تتعامل

حالت عوالم الصدمة على وجه قمر و هي تقول:

-إنت خلّيت داليا تخطب لنفسها!!

و على ذكر ما حدث، كانت داليا تعتذر عما تسببت به و ما تسبب بحرج لوالدا إسلام و الذي من المفترض أنهما والداها الآن:

-و الله مكنش قصدي...

سحبت ورقة من المحارم و بدأت تُنظف ملابس بسمة و هي تُطيل بالاعتذار مما جعل بُثينة والدة إسلام ترمق ولدها بحيرة، فمُنذ متى و ابنها يعتذر كل هذه الاعتذارات؟؟، عاود سيد الحديث بنبرة مُتحضرة:

-إحنا جايين نطلب إيد الأئسة داليا لابننا إسلام على سنة الله و رسوله

ربت على كتف إسلام مع آخر كلماته مما جعل داليا التي تستحوذ على جسده تبتسم ابتسامة بلهاء و بداخلها براكين تغلي تجعلها تقسم على تلقين إسلام درسًا قاسيًا ما إن ينتهي كل هذا.

-الرأي مش رأيي ... لازم بنتي هي إلي تقرر

قالتها بسمة بتحضر لكن داليا تدخلت بسرعة دون أن تنتبه إلى كونها داخل جسد إسلام الآن:

-و أنا موافقة يا ماما

قالتها بحماسٍ أبرز مدى توترها مما يحدث، لكن حماسها قد تلاشى ما إن رأت النظرات تُحدق بها بأعينٍ متسائلة تريد أن تفهم ما الذي يقوله هذا الأبله، بعد فترة من الصمت فهقه سيد و هو يُربت على كتف إسلام و يردف مُبررًا:

-معلش متحمس ... إنت عارفة بقي طيش الشباب ... مش قادر يستحمل بقي

قهقهوا بعدها لفترة لكن داليا شعرت و كأن دلوًا من المياه الباردة يُلقى عليها، و كلما ازداد حرجها تفاقم معه إحساس الغضب من ذاك الذي يتهرب من المناسبات بشكلٍ دائم، فهذا بالضبط ما فعله عندما آراد و والده أن يأتي معه كي يطلب يد كوكي لمُعترِ صديقه.

تحدثوا بعدها عن بعض الأمور الخاصة بالزفاف و الحياة الزوجية و كان يحاول سيد تجميل صورة ابنه أمام بسمة و إخبارها أنه فتى عاقل يمتلك كمًا من الحكمة و الجدية بخلاف شخصيته الحنونة و العاطفية، فقد كانت داليا تكبت ضحكاتها و هي تستمع إلى تلك الصفات التي لا تمت لإسلام بأية صلة.

نادت بسمة على داليا التي تلبسها جسد إسلام و أتى هو مكانها ليجلس جوار بسمة بابتسامة حاول جعلها حرجة و لكنها ظهرت بلهاء، جلس على المقعد بهدوءٍ يرمق نظرات داليا المتوعدة و يستمع إلى حديث بسمة الحان:

-ها يا داليا ... موافقة؟؟

سألته بسمه بأملٍ، لكن إسلام لم يُجبها و بقي في حالة من الصمت جعلت بسمه تعاود
السؤال مجدداً:

-موافقة يا داليا على العريس ... إنتِ قولتي إنك موافقة قبل كدة

استغل إسلام كونه داخل جسد داليا ثم وضع قدمًا فوق الأخرى كي يردف بتعالٍ مُقلداً
طريقة داليا بالحديث:

-مش عارفة يا ماما ... حاسة إنني محتاجة أفكر

لم تتحمل داليا عند هذا الحد فهتفت بوجهه:

-و حياة أمك!!

لاحظت نظرات والدي إسلام المصوّبة نحوها فحممت بخرج مما تفوّهت به ثم
صبغت نبرتها بالهدوء و هي تعتذر:

-لا مؤاخذة ... أكيد طبعا العروسة لازم تفكر ... ولا إيه؟

أنهت حديثها بنظرة متوّعدة نحو إسلام التقطها جيداً لذلك عدل عن قراره بدلالٍ
زائف:

-و أنا موافقة ... يلا نقرا الفاتحة

رفعوا أيديهم ليتم قراءة الفاتحة و انتهاء تلك الليلة على خيرٍ رغم ما حدث...

يُمكن للسعادة أن تضحى تلك النسومات التي تُلطّف من حرارة الطقس، أو أنها المياه التي تروي جوفنا بعد صيامٍ دام لساعات، فالسعادة لا نشعر بها إلا إذا أتت بعد أزمة و شقاء...

هكذا كان الحال بتلك القاعة الفسيحة و المزينة بالورود البيضاء، لم تكن تلك القاعة بهذه الفخامة لكنها مع ذلك احتفظت بأناقته التي غطت على كونها صغيرة بعض الشيء لا تتسع سوى لعائلة كوكي محدودة العدد لأن معظمهم لا يعيشون بتلك البلدة، و كذلك معارف مُعترز قليلي العدد نظرًا لأنه على خلاف مع عائلته و ربما لا يعرفون حتى أن اليوم حفل زفافه...

تغلّغت موسيقى هادئة خافتة لا تُكاد تُسمع لكنها أضفت جوًا هادئًا على القاعة، كانت تجلس كوكي على مقعد العروسان ترتدي فستانًا أبيضًا منقوشًا بالورود مع لمعة جعلته ساحرًا عليها خاصة و هذا التاج الذي يُزين رأسها و الذي يجعلها أشبه بالأميرات، كان جوارها مُعترز يكاد يطير من الفرح لا يُصدق أن هذا اليوم أخيرًا قد أتى، و أنه سيتشارك منزله معها أخيرًا...

تقدمت نحوها فتاة تبدو بمنتصف العشرين من العمر، لم تخلو معالمها من الملامح الأجنبية خاصة بشرتها البيضاء و عيناها العسلية اللتان امتزجتا مع خصلات شعرها الناعمة ذهبية اللون، مدّت يدها نحو كوكي لتأخذها في عنق هنتها معه بزفافها، كما هنتها أيضًا هذا الرجل الذي أتى معها و الذي يبدو أنه بالأربعين من العمر...

أشارت كوكي على الفتاة كي تُعرفها على مُعترز:

-دي ساندي و ده عمه أوليفر

صافح معترز أوليفر و لوّح بيده لساندي بابتسامة عريضة استقبلت تهنئتهما بصدور ربح، ما إن رحلا حتى جلست كوكي مجددًا على المقعد، وجدت معترز يوجه أنظاره عند هذين الشخصين و يسألها باستفسار:

-هو مين دول؟؟

وجهت كوكي بصرها نحو ساندي كي تُفسر:

-ساندي دي تبقى خالتي و عمتي

عقد معتز حاجبيه بعدم فهم لحديثها:

-عمتك و خالتك في نفس الوقت !! .. إزاي؟؟

اعتدلت كوكي بجلستها كي تقابله و هي تشرح أكثر:

-يعني هي أخت ماما ... و أخت بابا بردو

إزدادت حيرته أكثر و هو يسأل بصدمة:

-هو أمك و أبوكي إخوات!!

نفت حديثه بتفسير أكثر:

-لأ طبعًا ... بَص أنا هشرحك ...جدو عبد الله أبو بابي إتجوز تيتا إيزابيلا مامت مامي ... بس هما لما إتجوزو كان وقتها مامي و بابي متجوزين ... فلما طنط إيزابيلا كانت حامل في ساندي .. أنا وقتها كان عندي سنتين

لاحت عوالم التيه على وجهه لكنه تداركها و هو يُشير إشارة بسيطة بسبابته نحو أوليفر ليسأل:

-طب و أوليفر ده مين؟؟

أجابته بسرعة و بطريقة مُفسرة:

-ده عم بابي ... بس هو في نفس الوقت أخو ساندي

شعر أنه في متاهة بسبب حديثها لكنها حاولت إخراجها من تلك المتاهة بتفسيرها:

-أصل طنط إيزابيلا قبل ما تتجوز جدو عبد الله كانت متجوزة أونكل جورج أبو جدو عبد الله ... أصل جدو عبد الله أسلم عشان يتجوز تيتا كريمة مامت بابا و إلي أنا اتسميت على اسمها، و كمان غير اسمه لعبد الله... المهم يعني تيتا إيزابيلا خلفت من جدو الكبير أونكل أوليفر بس جدو بقى لما إتجوزها مكنش عارف إن ليه أخ منها، أصل وقتها كان عمو أوليفر مسافر ... و أصلاً جدو الكبير و جدو عبد الله مكنتش علاقتهم كويسة ببعض خصوصاً لما جدو عبد الله أسلم ... ده غير إن تيتا إيزابيلا كانت أصغر من جدو الكبير بكثير و تقريباً إتجوزته عشان الفلوس، و كمان مقالتش لجدو عبد الله إنها كانت متجوزة أبوه و إلا مكنتش إتجوزته من أساسه .. هو كمان لما عرف كان هيطلقها بس هي قالتله إنها كانت غلطة و هي ندمانة عليها

كانت تتحدث بسرعة لدرجة جعلته يتوه بين كلماتها و يشعر بأن عائلتها مُعقدة بطريقة لا يستطيع فهمها، ما إن أنهت حديثها حتى سألها:

-هي جدتك إيزابيلا دي مش ناوية تتجوز أبوكي و تكمل المسيرة

نهرته كوكي بحديثها الذي دافعت معه عن والدها:

-لأ طبعاً ... بابي بيحب مامي و مستحيل يتجوز بعدها

وجه مُعتز بصره نحو مُصطفى والد كوكي ليجده يتحدث مع مجموعة من الفتيات بابتسامة عريضة تُزين ثغره و التي إجتمعت بدورها مع قهقهاتٍ عاليه، أشار نحو والدها ليُحذرها و يهدم معتقداتها:

-طب إلحقي أبوكي عشان شكله بيتشقط

شهقت كوكي بصدمة من هذا المنظر ثم قالت:

-داداي!!

خارج القاعة تحديداً عند الباب كان يقف شهاب و بيده إحدى الصواريخ الضخمة التي ربما سيستخدمها بإحدى مقالبه التي لا تنتهي، كان يرفع الهاتف أمام وجهه ليلتقط منه مقطعاً يُصور به ما سيحدث كما يفعل دائماً نتيجة تعلقه الشديد ببرامج المقلب.

-أعزائي المشاهدين من كل بيت أعزائي المشاهدين من كل مكان-

قطع حديثه يد ثقيلة تحمله من قلنصوته و تكاد ترفعه من على الأرض، صاحب هذه اليد صوت لؤي الذي نفذ صبره من مقالب هذا الشقي التي دائماً ما يقع بها و لا يجد الفرصة للإنتقام، هذه المرة شاهده من بعيد و ظن أنه سيقرب هذا الزفاف إلى كارثة كما فعل بقراءة الفاتحة الخاصة به.

-بتعمل إيه؟؟-

سأله لؤي بحدة فقام شهاب بتخبئة الصواريخ داخل ملابسه و تهته بالحديث أثناء الإجابة:

-أناااا... أنا كنت .. كنت...

أكمل لؤي حديثه الذي كان متيقناً منه:

-عايز تؤولع في الفرحة مش كدة...

أدخل يده بين ملابس شهاب ليُخرج منها تلك الصواريخ التي كان سيستخدمها في ذلك المقلب، توّسل إليه شهاب كي يتركه وشأنه:

-والله كان مقلب صغير بس-

قطع لؤي حديثه بحدة ليهزه من قلنصوته كي يستمع جيداً إلى حديثه:

-ولاً ... إتم بدل ما أوريك وش خطيب أختك التاني ... إحنا نسايب أه، بس أنا ممكن أوديكي في داهية ... لو أي حاجة حصلت في الفرحة أنا هاخذك على البوكس إنت فاهم؟؟

إزرد شهاب غصته بهلع من نبرة لؤي المهددة، أوماً بعدها رأسه باستسلام فتركه لؤي و عاد إلى القاعة دون أن ينتبه إلى دبدبة شهاب على الأرض بضيقٍ من ذلك الذي أفسد مُتعتة....

ببقعة أخرى داخل القاعة بالأخص عند المطعم حيث يتهااتف الجميع على المأكولات كي ينتقي ما سيتناوله في هذا الزفاف، كان الوضع مُضطرباً عند يُسرا التي أنت هي و زوجها بعد أن أخذوا دعوة من إسلام، كانت أصواتهما عالية تكاد تصل إلى جميع المعازيم و هما يتشاجران و الغضب بادٍ على ملامح كل منهما، حتى أن داليا بدورها خبيرة للعلاقات الزوجية كانت تحاول أن تُهديء الأوضاع بينهما.

-خلاص بقي يا يُسرا خُلي قلبك أبيض ... ما هو بيقولك إن أسيل دي كانت نزوة و عدت

كانت توجه حديثها نحو يُسرا لعلها ستكف عن تكبير المواضيع و تعفو عن زوجها، لكن ما حدث أنها وجدت يُسرا تربط ذراعها بتملقٍ قالت معه:

-معدتش يا داليا ... كل يوم بيحب في سيرتها ... كل يوم بيثبتلي إنه بيحبها أكثر مني

تدخل خالد ليدافع عن نفسه بلغة عربية فُصحى كما اعتاد التحدث بها دائماً:

-نعم ... أنت تعلمين أنني كنت أهيم بأسيل لكنني بالنهاية تزوجتك أنتِ

أشارت عليه يُسرا لثبرهن مدى حقارتة:

-شوفتي؟؟ ... يعني كمان بيعترف

ربتت داليا على كتفها كي تُهديء من روعها:

-ما خلاص بقى قالك إنه إتجوزك إنتِ في الآخر_

قطعتها يُسرا بهجوم:

-طب و بالنسبة بقى لريما؟؟

أبعدت داليا يدها عنها لثُحادثها بصدمة:

-هو كمان في ريما... !!

أجابتها يُسرا بمسكنة جعلت داليا تحتد لأجلها و ربما ستجعلها تنفصل عن ذاك الخائن
عما قريب:

-أيوة في ريما ... و يا عالم بقى في غيرها ولا لأ

لم يتحمل خالد هجومها و إتهامه بتلك الطريقة لذلك تدخل بقوله:

-تتحدثين هكذا و كأنك ملاك بريء ... أنتِ تهيمين عشقًا بالملك تميم و أنا لم
أُتحدث

عقدت داليا حاجبها بحيرة و هي تسأل:

-مين الملك تميم ده ؟

إقتربت منها يُسرا لتشرح لها:

-ده بطل رواية بس عسل ... مش زي أبطال الروايات إللي بيخونني معاهم

في تلك اللحظة كانت ستنفجر داليا من تصرفاتهما الصبيانية التي لاشك أن أولادهما
نالاً شقاً منها، بقيت في حالة من الصمت و الصدمة لوهلة ثم أردفت بهجوم:

- هو إنتو كل ده بتتخاتقو عشان ناس ملهمش وجود!!

بررت يسرا موقفها و هي تربط ذراعيها:

- إنت متعرفيش بيعمل إيه عشانها ... مش كفاية يعني إن اسمه خالد

تدخل خالد ليُدافع عن نفسه و يبدأ الجدل مجدداً بينهما، حاولت داليا الفص بينهما
للمرة التي لا تعلم عددها:

- خلاص إهدو بقى متخلوش الروايات تدخل ... قصدي الشيطان يدخل بينكم

بقيت تحاول تهدئتهما حتى ناداها إسلام لأنه يحتاج إليها بأمر هام، انتهزت داليا هذه
الفرصة و قررت أن تبتعد عنهما و تترك هذا الجنون الذي يبدو أن تلك العائلة
تتوارثه أباً عن جد...

استمر الجدل بين يسرا و خالد حيث كانت يسرا تهتف بتذمر:

**- على الأقل الملك تميم هيحتل زيكولا من أجل أسيل ... و إنت مقولتش حتى هيحتل
المنيا من أجل يسرا**

حاول خالد تهدئة الأوضاع بمسكه ليديها بطريقة حانية امتزجت مع نظراته الهائمة
التي تعشقها:

**- لا تحزني يا زهرتي ... إذا كان الملك تميم سيحتل زيكولا من أجل أسيل ... فأنا
سأحتل العالم لأجل عينك**

ارتسمت بسمة هادئة على ثغرها جعلت وجهها أحمرًا كالدماء من كثرة الخجل، فهكذا انتهى الجدل بينهما كما ينتهي كل مرة، فلا تعتقد أن هذه أول مرة يحدث بينهما جدال من هذا النوع....

أما عن قمر، فكانت تجلس على إحدى الطاولات تتناول الطعام بنهم ليس و كأنها تجلس بمنزلها، تجلس شمس جوارها أمامها صحن مليء بأصناف الطعام لكن عيناها كانتا تُحدقان في بقعة مُحددة و كأنها تُراقب هذا الرجل الجذاب من وجهة نظرها و الذي كان يتحدث مع مُعترز و يبدو أنه يُهنئه بسبب تلك الابتسامات المُرتسمة على شفثيه و التي جعلته يبدو لطيفاً بخلاف جاذبيته.

آشارت بسبابتها نحو هذا الرجل لتسأل قمر بفضول:

-بقولك إيه يا قمر هو مين الحلو إللي هناك ده ؟

وضعت قمر الطعام في فمها ثم التفتت برأسها نحو ذاك الرجل الذي تُشير عليه شمس بعلامات الإعجاب المُرتسمة على وجهها، كانت تعرف قمر هذا الرجل لأنه من معارف إسلام و قد أخبرتها داليا عنه من قبل.

**-ده سمير ... بيتدرب في المُستشفى إللي فيها إسلام بس هو إتعرف على مُعترز
عشان كدة جيه بياركله**

همهمت شمس بتفهم و هي لا تُزال تحقق بهذا الرجل إلى أن وجدت نفسها تقول:

-طب بقولك إيه ما تعرفيني عليه

تركت قمر الشوكة من يدها بعد أن لاحظت علامات الهيام على وجه شقيقتها، فهذه الطريقة من الارتباط لا تُحبذها أبداً، خاصة و شقيقتها لا تزال بالجامعة و يجب أن تُركز على دراستها أولاً، لهذا السبب هتقت بوجهها:

**-أعرفك على مين؟؟ ... خلصي دراستك الأول و نبقي نشوف الحوار ده بعدين،
إنت شايفاني خاطبة قدامك ؟**

آعادت شمس حدقتيها نحو الصحن لتواصل طعامها و هي تهتف بتذمر:

-يووه ... منا صحابي كلهم اتخطبو إشمعنا أنا

حركت قمر رأسها بخيبة أملٍ من تصرفات شقيقتها و كم أنها تتوقع أن الزواج بهذا اليسر خاصة و هي ترى شقيقتها على وشك أن يتم عقد قرانها، فهي لا تريد أن تبقى بالمنزل وحدها بعد أن ترحل شقيقتها.

عادت تتناول طعامها في صمتٍ لكن حدقتها بقيتا تنتقلان ما بين الصحن و هذا المدعو بسمير عازمة على التّعرف عليه بأقرب وقتٍ مُمكن....

انتهت داليا من تناول طعامها و كان إسلام جوارها يتناول الحلوة التي رفضت هي تناولها لأنها تمقت الحلوة عكس إسلام تمامًا، لاحظ مراقبتها له و هو يتناول الحلوة لذلك مدّ نحوها الصحن لتشاركه بؤد.

-خُدي طيب لو عايزة

رفضت داليا عزيمة لأنها بالأساس كانت تراقبه لأنه يمزج عدة أنواع من الحلوة ليتناولها سويًا و هذا ما يجعلها ترمقه بغرابة، فلا أحد يمزج هذه المأكولات سواء، خاصة بعد أن رآته يمزج عصير البُرْتقال مع المانجو و يقنعها أن هذا المزيج سيجعلها تذهب إلى عالمٍ آخر.

-لأ مش عايزة ... أنا أصلاً مش بحب الحلويات

تعجب من حديثها لأن هذه أول مرة يرى فيها فتاة لا تُحب أي نوع من الحلوة.

-غريبة ... أول مرة أشوف بنت مش بتحب الحلويات ... دا إنتِ حتى مش بتحبي الفاكهة

بررت داليا بحديثها:

-أيوة ما هي الفاكهة بردو مسكرة ... بس بحب الطماطم ... دي تقريبًا الفاكهة
الوحيدة إللي بحبها

أوما إسلام بتفهم تذكر معه عصير الطماطم الذي دائمًا ما تشربه بأي مكان يذهب
إليه، فنادراً ما يجد أحدهم يُحب هذا النوع من العصير، بعد برهة من الصمت وجدها
تردف باستنكار:

-و بحب حاجة كمان ... بحب قشر البطيخ

عقد حاجبيه بغرابة سأل معها:

-قشر البطيخ !! ... إنتِ مش بتحبي البطيخ و بتحبي قشره!!

بررت له داليا بقولها:

-على فكرة دي أكله مشهورة ... و طعمها حلوة جدًا ... و قشر البرتقان كمان...

هنا و قد بدأ يشعر بغرابة هذه الفتاة التي أمامه، بعد فترة من حديثها أردف بسخرية:

-طب مجربتيش قشر الموز يمكن تحبيه؟

ظن أنها ستنتفي لكنه تعجب من إجابتها:

-أيوة طبعا جربته ... بس دي أكله حادقة مش مسكرة

أوما رأسه دون أن ينبس ببنت شفة، لكنه بعد فترة أردف بدفاعٍ عن نفسه:

-و بتتريقي عليا عشان ساندوتش الحلاوة بالمربي

بررت داليا سبب سخريتها منه بقولها:

-عشان مفيش حد بيمزج حاجات غريبة غيرك

فسر لها بطريقة علمية قد اعتادها:

-يا بنتي ما هو في نظرية بتقول ... إن الإنسان إللي بيخلط حاجات على بعض ده بيبقى إنسان مُبدع و بيقدر يتكيف مع الظروف

قطبت حاجبيها بغرابة من حديثه و نظريته التي لأول مرة تسمعها:

-نظرية إيه دي أنا أول مرة اسمع عنها

آجابها إسلام ببساطة:

-نظرية كدة اخترعتها من ثلاث دقائق

مدّ جذعه للأمام ليوصل معها الحديث بأهمية:

-تعرفي بقي ... في نظرية كمان بتقول...

و هكذا استمر الحديث بينهما في جوٍ من اللطافة و بعض المزاح حتى انتهى هذا الزفاف على خيرٍ ليستكملوا بعدها حياتهم في سلامٍ و طمأنينة حتى تبدأ معركة أخرى تُغيّر مسار حياتهم للأبد...

تتغلغل يداه هذه التربة الداكنة الخصبة بأعين تكاد تذرف الدموع المُتחסرة، يكاد يجزم أن تلك التربة حملت معها ضروريًا من الحُزن و الدموع التي جعلتها بهذه الخصابة، فربما تلك الأزهار تترتوي بدموع الفقد و لهذا السبب تجدها ذابلة لا يوجد بها الحياة، فهي تعكس كل من يأتي هذه البُقعة و يتلمس تلك الصخور ذات النقوش قابضة القلوب...

حرك أنامله على تلك الصخرة بأعينٍ تفيض من الدمع ما تفيضه من الغضب و
الرغبة في الإنتقام، فليس سهلاً أن تفقد عزيزاً دون أن تقضي معه آخر لحظاته، بل و
الأصعب أنك تعلم من تسبب بهذا الفقد و لا تعلم كيف تُحاسبه...

-أنا مش هسيبهم يا حبييتي ... هحاسبهم على إللي عملوه

تلك الجملة خرجت من جوفه و أعينه الحمراء العازمة على الإنتقام ... الإنتقام لفتاته
التي بذل كل ما لديه من أجلها حتى وجدها جثة هامدة بمعمله و على يد من ظن لو هلة
أنهم ضُعاء و لن يقدرُوا على شيء، أما الآن ... فهو سيُكسر حياته و كل ما لديه
كي ينتقم منهم أشد إنتقام... !!

الفصل الثاني و العشرون (مُهددة بالقتل)

و ما كنت سوى أبله قاضه فضوله لطرق باب الحقيقة، فما إن فُتح لي الباب حتى وجدت نفسي أحمل سلاحًا لأخوض معركة جثيمة...

أيام هادئة تمر عليهم كما تسير السفن في بحرٍ هاديء لا تعيقه الرياح العاتية، فما إن تخلصوا من تلك المحنة حتى هيبوا أنفسهم على حياة كريمة مليئة بالبهجة و السعادة، فهم يجهلون وجود تلك العاصفة التي تنتظرهم بأخر الطريق عازمة على ضربهم بوبيلٍ من الودق سريع التدفق، لعلها تُغرق أجسادهم في بحرٍ عميقٍ محفوفٍ بالمكائد....

حسنًا ... يكفينا انتظارًا تلك الأيام المُجحفة و دعونا نركز على تلك الأيام الحالية، فها قد إجتمع عصفوران بمنزلهما الدافيء بعد الزفاف، و ها قد تم عقد قران جميعهم حتى يتشربوا كؤوس السعادة لأيام متواليه، فلا وقت للحديث عن عقد قران كل عصفورين بالتفصيل، يكفي أنهم الآن يتصلون ببعضهم ينقصهم فقط حفلة الزفاف التي ستتوّج قصتهم و تكتب النهاية لحياتهم....

دعونا نتوّغل أكثر داخل إحدى هذه المنازل الدافئة رغم اختلاف طبقاتهما، فكل منهما يجد ما ينقصه بالطرف الآخر مما يجعل حياتهما كاملة لا ينقصها سوى ضيف صغير ربما سيأتي مع الأيام و يملاء أركان المنزل بابتساماته و ضحكاته الطفولية، أما الآن ... فها قد أشرقت الشمس مُعلنة عن يومٍ جديدٍ بعد أن أتيا للتو من عطلة الصيف و انتهى أيضًا فصل الصيف ليبدأ الشتاء بأجواءه و نسماته الهادئة تزامنًا مع بدء الفصل الدراسي للعام الجديد.

وضع يده على كتف كوكي النائمة كالملاك على سريرها تتلملم إثر هزاته الحانية، فقد كان يناديها بصوتٍ خافت حتى تستيقظ من نومتها و يبدأ اليوم سويًا...

بعد العديد من المحاولات، و لأن كوكي من أولئك اللذين يستيقظون بعد عناء، ها قد فاقت أخيرًا من نومها لتعتدل على سريرها بشعرها المُشعث الذي غطا مُعظم عوالم وجهها، و بما أنها ذات شعر برتقالي، فكانت أشبه بثمره اليقطين الطازجة...

مسدت على خُصلات شعرها كي تُبعدها عن وجهها و تفرك عينيها بنعاسٍ حتى رأَت
معتز يتأملها بابتسامة هادئة تفحص معها هيئتها البريئة من وجهة نظره....

-كان بوّدي أجبك الفطار و ناطر سوى على السرير زي الأجانب ... بس أنا عارف
لو عملت كدة هنا هنلاقي النمل بياكل معانا

ارتسمت بسمة على ثغرها تبعثها بقهقهة بسيطة من حديثه الصادق إلا حدٍ ما، فلا أحد
يستطيع تناول الفطور على الفراش دون أن تتكاثر الحشرات حوله و تشاركه النوم
فيما بعد...

وثبت كوكي من فراشها بعد فترة لتذهب إلى المرحاض بينما اتجه مُعتز بدوره إلى
المطبخ ليواصل إعداد الفطور، أو أنه بدأ في إعداد الغداء نظرًا لأن كوكي لا تفقه أي
شيء بالطهي...

انتهت كوكي من استخدام المرحاض و تأدية فروض الصلاة كما عوّدها مُعتز منذ
زواجهما، فدائمًا ما يحرص على التزامها بالصلاة و يسألها دائمًا حتى اعتادت هي
بدورها، تقدمت نحوه بخطواتٍ هادئة و بسمة متلهفة على ثغرها قالت معها:

-أنا هساعدك

لاحظ مُعتز لهفتها لكنه عارضها منعًا لحدوث كارثة أخرى:

-لااا ... إنتِ تسيبي المطبخ ده خالص ... مش عايزين حريقة تحصل زي المرة
إلي فاتت

كان يُذكرها بأخر مرة حاولت بها مساعدته و انتهى الأمر بحريقٍ جثيمٍ كاد يغمر
المنزل بأكمله لولا أنهما أنقذا الموقف باللحظة الأخيرة، لم تتوقف هي عن إلحاحها
رغبة بالمساعدة حتى و لو كانت مساعدة بسيطة، و أمام إلحاحها الصياني وافق
معتز بدوره و جعلها تتولى غسل ثمار الخُضار و تجفيف الصحون...

أما عنه فكان يتولى تقطيع البصل إلى حلقاتٍ استعداداً لاستخدامه بإحدى الوصفات الشهية، تبادل الحديث بينهما لفترة في شتى المواضيع منها المرححة و المازحة أيضاً، لكن الفضول لايزال يلتهمها رغبة في معرفة المزيد عن عائلته و سبب مقاطعته إياهم، فهو لم يُخبرها سوى أن والده تسبب في موت والدته لذلك قرر أن يقطع علاقته بتلك العائلة و يستقل بحياته، لكنه أبداً لم يُخبرها ما الذي فعله والده بالضبط، فكما كانت تسأله كان يتحاشى الإجابة و يُغيّر الموضوع، هذه المرة عزمت على معرفة الحقيقة كي ترضي فضولها و تشبع رغباتها..

-زيزو...-

نادته بتلك الكلمة كي ينتبه إلى حديثها الهاديء الذي كان...

-هو إنت ليه مش بتحكي لي عن باباك؟؟-

كان حديثها متردداً خشية من تهربه كما يفعل كل مرة، لكن هذه المرة لم يتهرب ... فقد سئم التهرب من مواجهة ماضيه، ظن أنه من الأفضل أن يفصح عما بداخله، كان الحديث صعباً في البداية لذلك لزم الصمت لفترة جعلت معالمه تتحوّل إلى البُهتان عندما بدأ الحديث:

-عشان ... عشان هو ميستا هلس إنني أجيب سيرته ولا يستاهل إنني أفكر فيه من تاني

قالها بحقٍ دفينٍ أبرز مدى مُقتته لذلك الذي نصب نفسه والداً، زادت كلماته من فضولها فسألت:

-ليه؟؟ ... هو عمل إيه؟؟-

تنهد بعُمقٍ ليستجمع حديثه دون أن تفر دموعه، صبّ حدقتيه على البصل لينشغل بتقطيعه لعل عقله ينشغل أيضاً و لا يستسلم للإنهيار..

-معملش حاجة ... طول عُمره مش بيعمل حاجة ... عُمره ما اعتبرني ابنه و عُمره
ما حسسني بالآمان عُمره ما اهتم بحد غير نفسه...

وضعت يدها على ظهره لثربت عليه و تشجعه على إفراغ ما بجعبته، فيبدو أن ما
بداخله هو سيئل جارف من الأوجاع...

-ماما كل يوم كانت بتعيط بسببه ... بسبب إنه خلاها تفقد ثقتها في نفسها، خلاها
تفتكر إن مش من حقها إنها تتحب زي بقية الناس ... ماما خسرت صاحبها كلهم
بسببه، عشان هو كان راجل خاين ... خان ماما مع صاحبها كلهم ... و مش بس
كدة ... كان بيستغل فلوس ماما عشان يتجوز بيها في السر ماما ذنبها الوحيد
إنها حبه .. و كانت دايمًا تصدقه لما يقولها إنه ندمان ... استأمنته على كل أملاكها
و هو مكنش قد الآمانة ... و آخرتها ... جابلنا رقاصة البيت و قال لماما في وشها
إنه إتجوزها و إنه كتب البيت باسمها...

تنهد مجددًا ليحبس الدموع التي بدأت بالإنطلاق داخله، فقد تحوّل وجهه إلى كتلة من
الذهب نتيجة إحمراه و بعض الدموع المنهمرة، ككف بعض من دموعه ليواصل
الحديث بكل ما أوتي من جهد:

-ماما مستحملتش الصدمة و ماتت و هو طبعًا أخذ كل حاجة و كان عايزني
أعيش معاه هو و مراته ... بس أنا موافقتش ... سيبت البيت و روحت عند إسلام
.... أبو إسلام خلاني أعيش معاهم لغاية ما خلصت مدرسة، و هو إليي كان بيصرف
عليا...

لم يواصل الحديث لأنه لاحظ دموع كوكي المنهمرة و وجهها الأحمر المماثل لوجهه
بالضبط، فقد كان الاثنان منغمسان بالبكاء و كأن قنبلة موقوتة قد انفجرت، وجد
كوكي تكفكف دموعها و تقول:

-أنا مش عارفة أنا بعيط كدة ليه ... أنا شكلي اتأثرت أوي

لاحظ مُعترز سبب بكاءهما الغزير مما جعله يضحك بين دموعه و يقول:

-إحنا بنعيط عشان البصل مش عشان قصتي...-

ما إن أنهى هذه الجملة حتى انفجرت بالضحك كما ضحك هو الآخر على حالهما، فقد استطاع بتلك الحركة أن يقلب أوجاعه إلى أزهارٍ وردية تغمرها السعادة و المزاح...

عقلها مُتيقظ و عيناها شاردتان أمام هذه الفتاة الجالسة بعيادتها تحادثها بغلٍ دفين و دموع متحسرة عن زوجها الذي ينتظرها بالخارج منتظرًا دوره بناءً على رغبة داليا و التي أرادت أن تتحدث مع كل طرفٍ على حدة لتجد الطريقة المثلى بإصلاح حياتهما...

-و في مرة اتصلت بيه و قالي إنه بايت عند أمه ... و في الآخر طلع مسافر و
ياعالم كان بيعمل إيه....-

اجهشت السيدة بالبكاء بعد أن خارت قواها و هي تتحدث عن زوجها الخائن الذي بنا حياتهما على الكذب و يُريدها أن تسامحه و تُصدق أن ما اعتقدته لم يكن سوى أو هام من محض خيالها، كانت داليا تُهمهم برأسها مع كل كلمة تقولها حتى سألت:

-هو إنت متأكدة إنه بيكذب عليكي ؟-

أومأت السيدة رأسها إيجابًا و هي تؤكد بثقة:

-أيوة ... ده علطول يكذب ... من ساعة ما إتجوزنا و هو عمال بيكذب لدرجة إني
حاسة إنه بيخوني

عارضت داليا حديثها بحكمة:

-مش لازم يكون بيكذب عشان يخون ... يمكن يكون بيكذب عشان يريح دماغه،
بيكذب عشان مش عايز حد يعلق على تصرفاته...-

تقدمت بجذعها لتُنهى الحديث كما بدأت:

-إنتِ لازم تحسسيه بالأمان ... بإنك هتحافظي على سره مهما كان إيه ... لأن إلي أعرفه إن جوزك إنسان غامض، مش بيحب حد يتدخل في حياته حتى لو كان قريب منه ... مش بيحب حد يقوله يعمل إيه و ميعملش إيه ... عشان كدة مش بيقولك على كل حاجة ... بس لو حسستيه إنك بتدعويه و بتشجعي قراراته هيبدا يقولك الحقيقة ... و مرة في مرة هيبطل يكذب...

بدت السيدة مُقتنعة بحديثها أشد اقتناع، فهي تعلم أن زوجها و إن كان كاذبًا لن يقدر أبدًا على خيانتها، فالخيانة ليست من شيمه أبدًا...

انتهى الحديث بينهما عند هذه النقطة لترحل بعدها السيدة و تبقى داليا وحدها بعيادتها تُفكر في ذلك النقاش حتى بدأ عقلها يُطبقه على حياتها الفعلية، حتى أنها بدأت تشك بإسلام و أنه من الممكن أن يكذب عليها خاصة و هي تعلم جيدًا أن الكذب من أهم صفاته...

و مع كثرة هذه الأفكار، وجدت يدها تلتقط الهاتف الخاص بها لتتصل بإسلام و تُرِيح بالها...

-ألو يا إسلام ... إنت فين ؟

كانت نبرتها حادة مما جعل إسلام يغتاب لأمرها و يُجيبها ببعض الحيرة:

-أنااا ... أنا في الشغل ... ما إنت عارفة إني ببقى في المستشفى في الوقت ده

كان يُجيبها و هو بداخل متجرٍ للهدايا أمام البائع مباشرة، فقد كان بذهنه أن بيتاع لها هدية ما و يفاجئها عندما يراها مجددًا، لذلك لم يُخبرها الحقيقة حتى تبقى المفاجأة كما هي...

تنهدت داليا بعُمق تحاول أن تطرد تلك الأفكار التي تُخبرها أنه يكذب عليها و أنه ليس بالمشفى الآن، أغلقت عينيها بترو ثم فتحتهما لينتهي بها الأمر داخل جسد إسلام لتتأكد من شكوكها..

-هو ده إيلي في المستشفى !! ... إنت بتكذب عليا ؟

هتفت بها بصوتٍ مرتفع و هي بداخل جسد إسلام أمام البائع الذي يرمق هتافها بحيرة...

كان إسلام بالجهة الأخرى يلعن حظه و قدرتها على اقتحام جسده في الوقت الخاطيء، و أمام صياحها و تهديداتها المُتسرعة قرر أن يُخبرها الحقيقة ليحدث ما يحدث...

-يا داليا ما أنا كنت بشتريك هدية عشان أعملك مفاجأة....

بقي يُعاتبها على شكها به حتى بدأت تندب حظها و تسرعها:

-أنا أسفة والله ... أصل في حالة عندي جوزها كان بيكذب عليها فخلتني أشك فيك و أفكر إنك بتخوني

بررت له بنبرة مستاءة قابلها هو بالحقيقة و التفسير:

-يا داليا يا حبيبتى ... أنا أصلاً بستحمل الستات بالعافية ... فأنتِ كفاية عليا أوي

ترجته بحديثها الذي حمل بعض الأمل:

-يعني إنت بجد مش هتخوني ؟

عند هذه النقطة و كان البائع البالغ من العقد خمسين يراقب حديثها الصادر من جسد رجل، لم تنتبه داليا لأعينه الحادة و بقيت تتحدث مع إسلام بهيام:

-و أنا كمان بحبك على فكرة...

استمعت إلى البائع و هو يضرب كفًا بالآخر و يقول:

-حسبي الله و نعم الوكيل ... استغفر الله العظيم يا رب...

أحسّت داليا بالحرص مجددًا بعد أن أدركت ما تفوّهت به و ما جعل هذا البائع يفهمهما بطريقة خاطئة ككل مرة، عدّلت من هيامها و هي تُحادث إسلام بهمس:

-بقولك إيه يا إسلام ... الراجل ده شكله فهنا غلط...

لم تستمع إلى حديث إسلام و وجهت حديثها نحو البائع لتبرر له ببلاهة:

-متفهمناش غلط ... ده إسلام جوزي

زادت كلماتها الطين بلة و جعلت نظرات الرجل تزداد احتقارًا منها، فهي قد غفلت تمامًا عن كونها داخل جسد إسلام و هي تقول هذا، لاحظت داليا نظراته الغاضبة فأعادت الهاتف على أذنها لتواصل الحديث مع إسلام:

-إسلام أنا عكيت الدنيا أكثر ... أنا هخرج من المحل ده قبل ما الراجل يدلق عليا
ماية نار...

كان الرياح سليل ذاك المنزل الخالي إلا من بعض أدوات المحارة، و أمام جدار عريض، كانت تقف قمر بتيابٍ مليئةً بالبُقع التي انتقلت بدورها إلى حجابها الأبيض، تُدندن بأغنية مرحة تلهيها أثناء عملها، بعد أن ألحت على لؤي بتوليها طلاء المنزل بأنفسهما، فقد شاهدت هذا بإحدى الأفلام برفقة داليا و أصرت أن تفعل هذا لتحظى ببعض اللحظات الرومانسية أو التي تعتقد أنها ستضحى رومانسية..

كان لؤي جوارها يشاركها هذا العبث و يقوم بوضع المعجون على الحائط بأعينٍ شبيهة
غاضبة تدّعي التماسك و ثيابٍ لا تختلف عن ثيابها بتلك البقع التي عليها، وضع
فرشاة الطلاء جانباً ليردف بنفاد صبر:

-ما كنا جبنا حد يعمل الكلام ده ... هو لازم إحنا إللي ندهن البيت

واصلت قمر ما تفعله و هي تُجيبه بإصرار:

-أيوة ... لازم نعمل ذكريات حلوة مع بعض ... والله داليا قالتلي كدة، و كانت
عايزة تعمل كدة بس شقتهم طلعت جاهزة....

وضعت فرشاتها داخل الطلاء ثم أعادتها على الحائط لتستكمل ما تفعله:

-قالتلي كمان إننا لما نغرق بعض ألوان هيبقى شكلنا رومانسي و زي الأفلام
بالظبط

أنهت حديثها بلهفة لكنها وجدته يُحذرهما:

-عارفة لو نقطة دهان واحدة جات عليا هعمل فيكي إيه؟؟ ... و أنا هلاقيها منك
ولا من أخوكي

قالها مُتذكراً ما فعله شهاب به أول مرة أتى فيها منزلهم، فهو يتذكر وقتها الساعات
الطويلة التي قضاها أسفل المياه كي ينزع آثار هذا الطلاء من على جسده، و كم كان
غاضباً في هذا الوقت...

أعاد الفرشاة داخل الطلاء ثم عاود ما كان يفعله حتى توقفت يداه فجأة أمام صدمته
مما تفعله قمر:

-إيه ده !! إنت بتدهني الصالة أزرق!!

توقفت قمر عما كانت تفعله لتنتبه إلى كونها تستخدم اللون الأزرق بدلاً من الأبيض؛
وضعت يدها على فاهها المفتوح ثم أردفت:

-شيت !! ... كان المفروض أعمل اللون ده في أوضة الأطفال مش كدة ؟

ضرب جبهته بنفاد صبرٍ من تصرفاتها ليجدها تضع الفرشاة جانباً و تحاول إصلاح
ما أفسدته و كأنه بهذه البساطة:

-مش مشكلة ... إحنا ممكن ندهن تاني عليه

تنهد تنهيدة حارة و هو يراقب زوجته التي تفسد عشهم الزوجي حتى تخلق ذكرياتٍ
حلوة و التي من الممكن أن تنقلب إلى أخرى مليئة بالكوارث...

التفتت إليه مجدداً لتسأله بصيانية و بعض اللهفة:

-هو ممكن أرسم قلوب على الحيطه عشان نوربها لعيالنا في المُستقبل

قطب حاجبيه من اقتراحها الساذج و الذي آجاب عليه بسخرية:

-هو إنتِ ليه محسساني إننا بنلون في كراسة رسم ؟

تصنعت الاستعطف بحاجبيها و هي تقول:

-يووه ما تقتلش بقى الملاحظات السعيدة

ارتسمت بسمة هادئة على ثغره تبعها بموافقة على اقتراحها و كأنه يُحادث طفلة
الصغيرة:

-ماشى يا قمر ... إرسى قلوب زي ما إنتِ عايزة ... و لو عايزة ترسمى فراشات
ارسمى يا حبيبتى و أنا هبقى أجيب فنانين يشوفو أعمالك العظيمة

لاحظت لمحة السخرية في حديثه مما جعلها تبتسم كما ابتسم هو الآخر حتى انقلبت
ابتساماتها إلى قهقهاتٍ بسيطةٍ شجعتهما على مواصلة العمل في جوٍ من المرح و
السعادة...

أسدلت السماء ستارها و كان إسلام في هذا الوقت يقف أمام منزلها مُدعيًا الهيبة كما
يفعل دائمًا، وضع يده على جرس المنزل و هو لا يزال مُحافظًا على صرامته و ثقته
رغم السبب الذي أتى من أجله...

-إزيك؟؟-

باغته بهذه الجملة مع ابتسامة عريضة تشق وجهها، لكنه لم يتحرك ساكنًا أمام
ابتسامتها التي لم تُحرك به أي شيءٍ كما بباقي الحكايات، اكتفى بإيماءة بسيطة رد
معها على سؤالها ثم أردفت بعتاب:

-و لو إنك بوّظتي المفاجأة بتاعتي بس ماشي...-

تلاشت ابتسامة داليا ما إن ذكرها بما فعلت صباحًا ثم سألته بتحدٍ:

-هتعمل إيه يعني؟-

حافظ على ثباته و هو يُجيبها:

-هاخدك معايا مشوار-

اتسعت حدقتا داليا بعد أن فهمت مقصده بطريقة خاطئة تمامًا:

-هتخطفني ولا إيه؟؟ ... لا ... مش عشان بوّظتك المفاجأة يعني هتعمل كدة ..
أنا_

قطع حديثها بنبرة مرتفعة بها بعض الهجوم و التهكم:

-إيه ياما ... بلاعة و اتفتحت ... و بعدين هو في حد يخطف مراته؟؟

أخفضت رأسها بحممة خرجت من جوفها بعد أن أدركت أن حديثه صائبًا مئة بالمئة، فهو ليس فقط زوجها، هو كذلك يقبع بداخلها كما تقبع هي الأخرى بداخله، رفعت رأسها ناحيته بعد فترة من الصمت كي تسأله بفضول:

-أومل هنروح فين؟

أجابها بسرعة:

-هنروح عند يسرا أختي ... أصلها خارجة هي و خالد و عايزني أقعد مع ولادهم

فهمت داليا من لكانته أنه يريد استغلالها، حيث ظنت لو هلة أنه سيأخذها في رحلة مجنونة أو سهرة حالمية، لكن يبدو أن اعتقاداتها تتنافى مع ذاك المُتبلد الذي أمامها، لذلك أردفت:

-أاه ... و إنت بقى عايزني أبقي الناني بتاعت ولاد أختك ... صح؟

رسم ابتسامة بلهاء على ثغره أثناء الإجابة:

-منا مش هلاقي حد أئتمنه على ولاد أختي غيرك

أطبقت على شفيتها بغضب و هي تعود خطوتانٍ إلى الوراء كي تُدلي قرارها النهائي
:

-و أنا مش موافقة ... روح شوف حد غيري

كادت تُغلق الباب لكنه أوقفه بقدمه كي يلح عليها مُجددًا:

-استنتي بس ... أنا عايزك تغيري جو بدل قعدتك لوحدك

أصرت على قرارها بنبرة هجومية:

-أنا عايزة أقعد لوحدي...

ظل يدفع الباب بيده أثناء حديثه:

-طب على فكرة بقى في نظرية بتقول إن الإنسان لو قعد لوحده و هو غضبان بتبدأ الأفكار الانتحارية تجيله و ممكن يدخل في حالة إكتئاب...

كانت تدفع الباب ناحيتها و هي ترد عليه بنفس طريقته:

-و في نظرية تانية بتقول إن الإنسان لو قعد مع الحاجة إلي بتسببه إكتئاب ممكن ينتحر

و هكذا استمر الجدل بينهما حتى استسلم إسلام و أردف ببساطة:

-خلاص إنت حرة ... أنا إلي غلطان إني بلجالك

لم تُعيره داليا أي انتباه بسبب غضبها منه و من وقاحتها، أغلقت الباب أخيراً و كادت تعاود المكوث بحجرتها حتى...

انفض جسدها لتجد نفسها داخل إسلام الذي لا يزال واثبًا أمام منزلها، اجتنحتها هالة من الغضب جعلتها تطرق على الباب بعنفٍ حتى فتح إسلام الباب ببرودٍ بعد أن استولى على جسدها...

-في إيه؟؟ ... حد يخبط على حد كدة؟؟

كبتت هالة الغضب بداخلها و هي تُجيبه:

-مش هنبطل شغل العيال ده ... إزاي تدخل جسمي من غير ما تقولي ؟

أسند إسلام ظهره على حافة الباب و هو يُجيبها ببرود:

-تعرفي رغم إن الأسد ملك الغابة ... إلا إنه يخاف من صوت الديك

التقطت تلميحاته المُبطنة نحوها و هذا ما جعلها أكثر غضبًا و هي تُهدده كي لا تثبت تلميحاته بأنها تخشى على جسدها رغم ادعاءها للصلابة:

-إسلام رجعلي جسمي بقولك..

إقترب ناحيتها خطوة ليُحدق بمُنْتَصَف عينيها و يقول:

-لما تيجي معايا عند يسرا الأول

بقيت في حالة من الصمت تطبق على شفثيها بغلٍ دفين، كم ودت لو تُلقنه درسًا في تلك اللحظة لكنها حافظت على هدوءها و هي توافق بالنهاية على أمل أن تقضي معه بعض الوقت و يعوُضها عن هذا الجدل السخيف الذي يحدث بصورة شبه يومية، و مع هذه الجدالات السخيفة لا تزال تتعلق به، و خاصة و هي مُتيقنة أنه سيتحمل تقلباتها الغريبة و انفعالها الدائم ... فربما الأيام ستمحي تلك الجدالات نهائيًا ... أو ربما يعتادها لتُصبح جزءًا من حياتهما....

كادت تتدمر الحجرة بسبب صوته الجهوري المماثل لصوت قنبلة موقوتة تعدت قوة قنابل هيروشيما و نجازاكي، فها هو يقف داخل المكتب داخل معمله بعد تصليحاتٍ دامت شهرين متواصلين، لا يعرف حتى من تسبب بزرع تلك القنبلة و لا يعلم كيف اقتحما معمله و خرجا منه بهذه السهولة...

-إزاي معرفتوش هما مين؟... و إنتو إيه لازمتمكم في المكان ده؟؟

هتف بتلك الكلمات أمام واحد من رجاله الذي يثب وراءه بأطرافٍ مرتجفة و كلماتٍ مُبررة تخرج من جوفه بارتجافٍ أكثر:

-كاميرات المراقبة كانت متعطلة ... و ... و هما كانوا مغطين وشهم و بينادو بعض
باسماء غريبة_

كاد يواصل تبريراته و تؤسلاته لكن ضُرغام قطعه بضربة قوية على الطاولة أدلى
معها كلماتٍ حاسمة:

-أنا مش عايز تبريرات...

التفت ليووجه الرجل بأعينٍ حمراء غاضبة و نبرة أهدأ لا تخلو من الحقد و الرغبة في
الإننتقام:

-أنا متأكد إني عارف مين إللي عمل كدة ... و قدامك أقل من يومين تعرفلي مين
إللي ساعدهم

أنهى حديثه بسبابية موجهة نحو منتصف أعين الرجل جعلته يوميء برأسه و يترك
المكتب عازماً على تنفيذ الطلبات، بقي ضُرغام وحدة بالحجرة لا تزال عوالم
الغضب تتطلي على وجهه لكنها إجتمعت أيضاً مع الإصرار على الإننتقام ... ليس
فقط من داليا و إسلام ... بل منهم جميعهم...

كانت الليلة هادئة و السكون مُخيم على الأجواء فيما عدا داخل هذا المنزل بعد أن
أجبرها إسلام على المجيء و مساعدته برعاية أبناء شقيقته، على الرغم من أنها
كانت تُعارضه في البداية لكن بداخلها كانت تُرحب بالمجيء و قضاء بعض الوقت
مع أبناء شقيقته رغم أنهم يكادوا يُصيبونها بالجنون، فهذين التوأمين ذوي الخمس
أعوام لا يختلف جنونهم عن والديهم، بل و ربما أكثر كذلك...

أمسكت داليا إحدى الكُتُب الدراسية لتقرأ منها و تسألها أسئلة تخص مذاركتها، حيث كانت هي و إسلام يُساعدانها على تأدية فروضهما قبل أن يخلدا إلى النوم...

-ها يا نديم ... إيه الفرق بين اللام الشمسية و اللام القمرية ؟

سألته بنبرة حانية ودودة لتجده يضع أنامله الصغيرة على ذقنه و يبدأ التفكير لوهلة قبل أن يُجيبها بكل براءة:

-اللام الشمسية بتظهر الصُبح ... و اللام القمرية بتظهر بليل

أغلقت عينيها و هي تضرب جبهتها بيأس من ذاك الذي سيُصيبها بالشلل عما قريب، فهذه ليست أول مرة يُجيبها إجابات حمقاء على أسئلتها...

-لأ يا نديم ... اللام القمرية ليها حروف معينة و بتتنطق ... و اللام الشمسية مش بتتنطق ... و بردو ليها حروف معينة

سألها ببراعة و خيبة أمل:

-بس أنا مش عارف أحفظهم

وضعت داليا الكتاب جانبًا و حاولت أن تجعل الصغير يفهم حديثها بطريقة حنونة:

-دول سهلين خالص ... قول ورايا

أوما نديم إيجابًا فأكملت:

-جُحا غبي فك مخه وقع

ردد الصبي وراءها أكثر من مرة حتى استطاع أن يحتفظ بتلك الكلمات داخل رأسه الصغير، ما إن تأكدت داليا من حفظه إياهم حتى فسّرت:

-دول حروف اللام القمرية لو لقيت حروف غيرهم يبقى دول لام شمسية ...
تمام ؟

أوما الصبي إيجاباً ليواصل بعدها المذاكرة بهدوء، ما هي إلا برهة قصيرة حتى
استمعت إلى صوت عُفران المتذمر:

-أنا زهقت من المذاكرة

تنهدت داليا مجدداً من تذمرها الدائم فحاولت اقناعها بقولها:

-يا حبيبي لازم تذاكري عشان تبقى حاجة كبيرة في المستقبل ... ممكن تبقى
دكتورة أو مهندسة

توَّعت أن عُفران ستقتنع لكنها وجدتها تقول:

-بس أنا مش عايزة أبقى حاجة كبيرة ... أنا مش عايزة أبقى دكتورة و مش عايزة
أبقى مهندسة

قطبت داليا حاجبيها بحيرة ثم سألتها ببعض السُّخرية:

-و إيه إلهي جابرك على المذاكرة طيب ؟

وجدتها تُجيبها بيأس:

-منا لازم أذاكر عشان أبقى ذكية

سألتها داليا مجدداً لكن هذه المرة بفضول:

-تبقى ذكية و بس ؟؟

أومات عُفران رأسها و هي تقول بلهفة:

-أبوة ... ماما قالتلي لو ذاكرت و بقيت ذكية هقدر أروح أرض زيكولا

بعد أن أدلت هذه الجملة حتى تنهدت داليا بخيبة أملٍ و ضربت جبهتها مجدداً مما سيُصيبها عما قريب، اتجهت بأنظارها نحو إسلام لتجده يجلس برُكن الطاولة يتصفح هاتفه ببرود لا يكثرث أبداً لما يحدث؛ اضجرت داليا من تلك الثلوج المحيطة به فهتفت بحدة:

-ما تقوم تساعدني قبل ما أنتقل العباسية

انتبه إسلام لهاتفها فاعتدل في جلسته متفوّهاً ببلاهة:

-ها ... أساعدك في إيه ؟

مدّت نحوه إحدى الكُتب الدراسية و هي تقول:

-مش إنت دكتور و عملي فيها عبقرينو ... روح شوف بقى هتذاكرلهم إزاي

أرجعت ظهرها للوراء لتراقب ما سيفعله بتملق، أما عنه فقد أخذ منها الكتاب و بدأ بقرآته بصوتٍ منخفض حتى رفع صوته الذي تلطخ فجأة بالثقة و هو يسأل عُفران إحدى الأسئلة المُتعلقة بالدراسة:

-بت يا عُفران ... عكس الآن إيه؟؟

قطبت عُفران حاجبيها بحيرة و هي تُفكر حتى أردفت بشك:

-بعدين؟؟

أردعها إسلام بإجابته المازحة:

-لا يا حبيبتي ... عكس الآن .. مطمئن

تبع حديثه بقهقاتٍ عاليةٍ و ضربةٍ على كف عُفران التي استجابت لدعابته و بدأت تشاركه الضحك، أما عن داليا فقد كانت تراقبهما بنفاد صبر حتى وثبت من مقعدها بغضب أدلت معه قراره:

-أنا استاهل إني اتضرب بالجذمة عشان وافقت على المهزلة دي ... خليكم إضحكو و هزرو أنا خلاص تعبت..

مرّت بضع ساعاتٍ أخرى جعلت السماء أشد قطامة حتى أوشكت الساعة على أن تدق الثانية عشر مساءً، كانوا في ذلك الوقت يجلسون على فراشين يقتربين من بعضهما، حيث كانت تجلس داليا بجوار عُفران على فراشها الذي يكاد يسعهما، و إسلام يجلس على الفراش الآخر بجوار نديم و جميعهم بداخل ذات الحُجرة يستعدون للنوم....

كانت الهرة الصغيرة تندثر بكنف نديم الذي اعتاد على نومها جواره كل ليلة، حيث كان يُمسد على ظهرها بأنامل رقيقة جعلت الهرة تغط في نومٍ عميق، أما عن داليا فكانت تبحث عن أي كتاب أو قصة لتقرأها لهما قبل النوم بعد أن أصراً على ذلك، و أثناء بحثها كان الأخوين يتشاجرا على الهرة و عن أي شخص سيجعلها تنام جواره، فكانت عُفران تمد يدها نحو نديم و تقول بتذمر:

-هات بقى أمانوس ... إنت نمت جنبها إمبراح

أحاط نديم الهرة بيديه ليصر على قراره:

-لا .. أمانوس هتنام جنبي إنهاردة...

استمر الجدل بينهما حتى تدخلت داليا بنبرة مرتفعة مُهددة:

-كفاية خناق و إلا مش هحكلكم الحكاية

توقفا عن الجدال ليعتدلا بفراشهما، كما وثب إسلام من جوار نديم ليقف بالقرب من داليا و يأخذ منها هذه القصة التي من المفترض أن تقرأها، لم تعترض على اقتراحه بالقراءة حتى لا يُجهدها أكثر من هذا، بل أيضاً أجبرها على الجلوس و تولى هو اختيار القصة المناسبة من ذلك الكتاب الذي يحوي أكثر من قصة...

جذب إحدى المقاعد ليجلس عليها بين الفراشين ثم تتحنج لئجلي حنجرته قبل أن يصبغ صوته بآخرٍ إدعى معه تمثيل الحكاية مما جعل داليا تُراقبه بحيرة...

-كان يا مكان ... في قديم الزمان ... في سالف العصر و الأزمان-

قطعت داليا مقدمته الطويلة بنفاد صبر:

-ما تخلص يا إسلام إنت بتخطب

تحنج إسلام مجدداً بعد أن أخرجته من الحالة التي كان بها، استجاب لتعليقها ثم قرر قراءة القصة مباشرة حتى لا تعترض مرة أخرى:

-تمام .. كان يا مكان ... كان في امرأة بتصنع العجين كل يوم و تبيعه للصيادين و التُّجار عشان يسدو الفتحات إللي بتحصل في مراكبهم ... و كانت بتأخذ جنيه واحد على كل عجينة بتبيعهها عشان تشتري بيه أكل لأطفالها ... في يوم من الأيام ... ذهبت المرأة للشاطيء عشان تبيع العجينة إللي صنعتها ... و أثناء انتظارها .. جيه غراب و خطف العجينة من أيدها...

كان يُمثل لهم الحكاية بعينييه و شفتيه مما جعلهم يندمجون أكثر..

-اتضايقت السبت و فضلت تعيط و تقول : صغاري سيموتون من الجوع ... لماذا سمحت يارب للغراب ان يسرق العجينة مني ؟ ... بعدها راحت لحكيم القرية و سألته : هل الله ظالم؟؟ ... فالحكيم رد عليها : الله ليس ظالم فسألته تاني : لماذا سمح للغراب أن يسرق العجينة و هو يعرف أنها الوسيلة الوحيدة التي أطعم بها أولادي؟؟ ... فرد عليها الحكيم و قال : أنت لا تعرفين حكمة الله في تدابير الشنون، انتظري قليلاً و الله سيعوضك أضعافاً، فهو يُحبك أكثر مما تتخيلين....

حرك يديه في الهواء مُمثلاً ما تبقى من القصة:

-بعدها بشوية خبط على الحكيم عشر تُجار كانوا في قمة سعادتهم ... قالو للحكيم إن ربنا أنقذنا من الموت ... طلب منهم الحكيم إنهم يحكوله إلی حصل، فقال واحد منهم : إحنا كُنا عشر تجار في عرض البحر و مركبتنا اتخبطت في صخرة كبيرة و حصل فيها تشققات و بدأت المياة تتسرب جوة المركب ... و كانوا خلاص هيغرقو ... وقتها فضلو يطلبو من ربنا إنه ينقذهم و إن كل واحد فيهم هيتبرع بمية جنيه للفقرا لو ربنا أنقذهم ... فربنا استجاب لدعائهم و بعثهم عُراب رمى عليهم عجينة ساعدتهم يسدو بيها التشقق إلی حصل في السفينة و يرجعو لبلدهم بسلام ... لما رجعو افتكرو إنهم إدو وعد بانهم يتبرعو للفقرا ... و فعلاً إدو الحكيم ألف جنيه يتبرع بيها للي عايزها بعد ما مشي التُجار ... أخذ الحكيم الفلوس و راح عن الست صاحبة العجين إلی اتسرق منها ... إدلها الفلوس و قالها : إشتري الله منك العجينة بألف جنيه بدلاً من جنيه واحد .. إذهبي و أطعمي أطفالك ... و لا تنسي أن تشكري ربك...

انتهى من سرد الحكاية ليجد كلاهما يغطان في نوم عميق، أما عن داليا فكانت الابتسامة مُرتسمة على ثغرها بعد أن أصابها الذهول من حديثه الرقيق و نبرته التي لأول مرة تستمع إليها، إقتربت منه بضع خطوات كي تُخبره بعدم تصديق:

-مكنتش أعرف إنك بتعرف تحكي حكايات

أرخى إسلام ظهره للوراء ليجيبها بتعالٍ اعتاده:

-عيب عليكي و أنا أي حد ... دا أنا ياما حكيتلهم قصص إنتِ بس إلی فكراني
عشماوي مش عارف ليه

كادت ترد عليه و تُبرر وجهة نظرها السابقة التي تتغيّر كلما تعمقت بشخصيته، لكن قطع عليهما صوت الهاتف الذي صدح عاليًا فأخذه إسلام و ترك حجرة الصغيرين حتى يرد على المكالمة دون أن يستيقظا:

-دا خالد ... إيه إلی مخليه يكلمني دلوقتي؟؟

قالها بحيرة قبل أن يرد على المكالمة، وضع بعدها الهاتف على أذنه و كانت داليا جواره تستمع إلى حديثه على الهاتف حتى وجدته يردف بصدمة:

-إيه !! ... إزاي الكلام ده؟؟...

أغلق المكالمة بهلعٍ زاد الفضول بداخلها بل و جعله يتحوّل إلى القلق أيضًا:

-في إيه يا إسلام؟؟

التفت إسلام ليقابل وجهها و هو يجيبها بقلقٍ جامح:

-في واحد ماسك يسرا و حالف ليقتلها... !!

الفصل الثالث و العشرون (ميراث !!)

كلما أردنا نسيان الماضي و منعه من دخول حياتنا، نجده يطرق الباب و يقطع سعادتنا بقوله : مهلاً ... لقد نسيت أنني أمتلك حصة بهذا المنزل...

سواد قاتم حلّ على هذه الليلة ليجتمع بدوره مع ضروبٍ من القلق و الهلع، فها قد تجمع العديد من الناس داخل بقعة يحاولون إيقاف هذا المجدوب الذي يحاول الإقتراب منها لينحر عنقها، فلم يكن هذا الرجل بحالة جيدة، فلامحه تتم عن الخلل داخل عقله خاصة عيناه البارزتان الحمراءوان و يده اللتان لم تتوقفا عن الارتجاف...

-محدث يقرب ياما هقتله معاها-

كان يقول هذه الجملة و هو يحمل سلاحًا يُصوبه على رأس يُسرا التي كانت ترتعد من الخوف و العرق يتصبب من جبينها بغزارة كما لو كانوا بفصل الصيف، يقف خالد أمامها بقلبي ينهش أحرشه خوفاً عليها، فقد ظن أنه السبب فيما حدث عندما تركها ليبتاع لها مفاجأة صغيرة من إحدى المتاجر، لكنه ما إن عاد حتى وجد هذا المنظر و لم يدري ماذا يفعل سوى أنه إتصل بإسلام كي يأتي و ينجده من ذاك الموقف...

بعد برهة من الوقت أتى كل من إسلام و داليا ركضًا ليخترقوا هذا الجمع و يتوقفوا أمام الرجل المُحاط لئيسرا و بعض رجال الشرطة اللذين أتوا بعد البلاغ..

- هو في إيه ... الراجل ده عايز منها إيه؟؟

سأله إسلام بصوتٍ ليجيبه خالد يارتعاد:

-يريد الإنتقام لسيلين التي ماتت

لم تفهم داليا مقصده و قد ساورتها العديد من الشكوك و هي تسأل:

-سيلين مين ؟ هي أختك قتالة قُتلة

خرجت نبرتها مُندفعة لكن إسلام هدأها بتبرير:

-لأ قتالة قُتلة إيه ... سيلين دي كانت شخصية في رواية من رواياتها

إزدادت حيرة داليا خاصة بعد أن ظُنت أن الأمر بسيط و لا يستدعي الإنتقام:

-و إيه علاقتها بالراجل ده أنا مش فاهمة..

برر إسلام حديثه أكثر:

-أصلها كتبت أربع أجزاء و مؤتتها في الآخر ... فيمكن عشان كدة الراجل اتجنن

سرقت داليا نفساً عميقاً تحاول من خلاله أن تكبت غضبها من تلك العائلة التي تكاد تُصيبها بالجنون، أخذت تُتمتم بقرارة نفسها:

-الصبر من عندك يا رب

أما عن يسرا التي كانت مُكبلة بين يدي هذا الرجل لم تتوقف عن التوسل بدموع حارة و جسد يرتجف:

-أبوس إيدك سييني ... والله هعمك جزء خامس و أخليها تعيش تاني ... بس سييني...

استمرت تتوسل له لكن الرجل ذي العقل المُتصلب لم ينصت إليها و أصرّ على قتلها بطريقة شنيعة لعل قلبه المجروح بسببها قد يترمم، و ما كاد يطلق النيران حتى انقضت الشرطة عليه لتُكبله و يليها بعض الأطباء من إحدى المصحات العقلية التي هرب منها.

ما إن فُكَّت وثاقها حتى ركضت بأقصى ما لديها نحو إسلام و داليا و خالد حتى توقفت بينهم تلهث من الخوف و جوارها داليا تُربت على كتفها و تسألها:

-إنتِ كويسة ؟

أومأت رأسها دون أن تنبس ببنت شفة، أشار إسلام على الرجل الذي يتم اعادته إلى
المصحة النفسية ليردف بثقة:

-أنا كنت حاسس من الأول إن الراجل ده مجنون

أمسك خالد بكف يسرا المُثلج ليُحاول التهدئة من روعها:

-لا بأس يا زهرتي حتى و إن كنتِ تقتلين أبطال روايتك، فسأظل أحبك حتى و
لو سقط صريعًا بين أبطالك

ابتسمت بخجلٍ إثر كلماته الحنونة و التي أضافت عليهم داليا بتحذيرٍ و هي تُحاوط
يسرا بذراعها:

-متأخديش على كلام المسهوكِ إلي جنبك ده ... حافظي على أبطال رواياتك عشان
مش عارفين هنتقذكِ إزاي لو الموضوع ده اكرر...

و هكذا استمر الحديث بينهم و هم يعودون إلى المنزل بعد أن تدمرت لحظتهما
الهائلة كما تتدمر كل مرة، فدائمًا ما تظهر الحُفر عندما نعتقد أن الطريق خالٍ من
العوائق...

أشرقت شمس يومٍ جديد و كانت كوكي داخل المرحاض بعد أن أفرغت كل ما
بمعدتها حتى بدأ الإعياء يُسيطر على ملامح وجهها، كانت قبل هذا تشعر بتوَعك
معدتها و كأن خناجر تضربها تكاد تُصيبها في مقتلٍ...

مع استمرار هذه التوَعكات قررت أن تُجري اختبار الحمل لتتأكد من شكوكها قبل أن
تذهب إلى الطبيب، أجزت الإختبار و بقيت بالمرحاض تنتظر النتيجة داخله بقلقٍ

جثيم، فإن لم تكن تلك الأعراض للحمل فبالطبع ستضحى أعراضاً لمرضٍ آخر
خطير، و هي لا تتمنى هذا بالطبع..

لم يكن مُعتز بالمنزل وقتها حيث كان بوظيفته و التي كانت مؤظفًا يتولى الحسابات
بإحدى متاجر التسوق، لهذا السبب كانت وحدها بالمنزل تشكر ربها أنه لم يكن
موجودًا حتى لا يرى حالتها هذه، فهي متيقنة أنه سيأخذها فورًا إلى المشفى و لم
ينتظر لحظة واحدة...

مرّت الدقائق و كأنها دهورًا حتى أخيرًا ظهرت النتيجة و حانت اللحظة لرؤية ما
سيكتبه هذا الاختبار...

شهقت شهقة بسيطة غطت معها فاهها الذي انفتح حتى تحوّلت شهقتها إلى ابتسامة
واسعة و هي تُمعن النظر بذاك المؤشر الذي كُتب عليه ... شرطتين!!

يسير العمل على قدمٍ و ساق داخل مركز الشرطة حيث ينهك لؤي بإحدى القضايا
الخاصة بإحدى مؤردي الأسلحة، فأمامه العديد من الأوراق و الأدلة التي يتفحصها
بنهم خاصة و هو يعتقد أن من وراء صفقة الأسلحة هذه ربما يضحى ضُرغام، فبتلك
الأيام لم يتوقف عن البحث عن ذاك المُجرم لعله يعثر على أي دليل يدينه و يثبت
عليه التهمة..

لكن حتى هذا لم ينجح، كان من المفترض أن يقبض عليه مُسبقًا و أن يجعل قمر
تجبره على الاعتراف بجرائمه حتى يقوم هو بسجنه، لكن ما حدث أنهم لم يستطيعوا
الوصول إليه، و لن يستطيع أيضًا القبض عليه دون أن يضحى بحوزته أدلة تُدينه...

أثناء بحثه المُنهك استمع إلى طرق على الباب يليه دخول إحدى رجال الشرطة
الأقل رتبة من رتبته، أدى التحية العسكرية ثم إقترب نحو لؤي بضع خطوات كي
يُخبره بجديّة...

-لؤي بيه ... جالنا بلاغ بيقول إن الأستاذ داود لقوه مقتول في شقته...

اتسعت حدقتا لؤي في صدمة لا يُصدق معها ما يسمع، هل ذاك الإعلامي المشهور
تم قتله في منزله!!

ما إن تأكدت شكوكها حتى كادت تُحلق من شدة الفرح، حتى أنها توّجّعت فورًا إلى
منزل يُسرا كي تطمئن عليها بعدما أخبرتها داليا ما حدث بالأمس، كذلك أرادت أن
تُخبرهن عن ذاك الخبر الذي يجعل الابتسامة لا تُفارق وجهها، استأذنت داليا من
عملها اليوم لتتحدث معهما قليلاً قبل أن تعود إلى العمل مجددًا ، أما عن قمر فهي لم
تذهب إلى وظيفتها من الأساس رغبة في التهرب من ذاك المقال الذي من المُفترض
أن يتم تسليمه...

كانوا يجلسن على أريكة البهو يتقاذفن بعض الأحاديث حتى اقتحمت كوكي جلستهن
تُصافحهن أولاً و تطمئن على يُسرا ثم تجلس على الأريكة بينهن ببوادر الانبساط
التي لاحظوها فورًا...

" guess what I have -خمنوا ماذا لدي ؟"

قالتها بحماسٍ جعل أذانهن تصغي لها جيداً، فقد ستمرن يسألنها عن سبب سعادتها و
ما الذي تُريد قوله و هي تُماطل لوهلة كي تزيد حماسهن حتى أردفت في النهاية..

" I am pregnant -أنا حامل"

ما إن أدلت هذا الخبر حتى شهقن جميعهن في فرحة ثم طفقوا يعانقنها بسعادة و
يُهَنِّئنها على ذاك الخبر...

-ألف مبروك ... بس إنتو لحقتو .. دا إنتو متجوزين من شهرين بس

سألتها قمر بحيرة لتجد داليا تضربه على كتفها و تقول بمشاكسة:

-خلاص بقي متكسفيهاش...

وجهت الحديث نحو كوكي لتُخبرها بجدية:

-إلا صحيح .. إنتِ قولتي لمُعترِ؟

حركت كوكي رأسها نفيًا و هي تُجيب:

-لسة ... أنا عايزة أعملهاله surprise

قالتها بلهفة لتدعم يُسرا حديثها بنفس لهفتها و حماسها:

-إعلمي ... أنا عملت كدة مع خالد و أنا حامل في عُفران و نديم

انصبَّت الأعين عليها ليسألنها بفضول:

-عملتي إيه؟

اعتدلن في جلستهن ليستمعن إلى الطريقة التي أخبرت بها خالد عن أولادهما اللذان سيأتيا هذا العالم، و على ذكر أولادهما، كانا وقتها بالمدرسة لذلك كان الهدوء مُخيم على المكان حولهن.

-لما رجع من الشغل ... عملته عشا حلو، في نُص العشا كتبتله ورقة بقوله فيها إن حلمه إللي بيحلم بيه من ساعة ما إتجوزنا هيتحقق...

كانت الלהفة تُسيطر على حديثها و هي تتحدث حتى قطعتها قمر باستنتاج:

-و أكيد كان بيحلم بالعيال فعرف إنك حامل ... صح؟؟

تلاشت بسمة يُسرا و هي تُجيبها:

-لا ... طلع بيحلم يجيب أرض زيكولا الجزء الثالث

أنهت حديثها بياسٍ لتنفجر داليا بالضحك على تلك الذكرى التي ظنت أنها ستضحى
حالمية، وجهت بعدها ضفة الحديث نحو كوكي لتُخبرها بتقرير:

-أنا قولت من الأول دي عيلة هبلّة ... و للأسف مُعتر يُعتبر من العيلة فحاولي
تخلي المفاجأة واضحة شوية عشان يفهم

أومات كوكي بتأييد ليستمر بعدها الحديث بينهن في سعادة و مرح، و كل منهن
يُخبرها اقتراح لكيفية إخباره هذا الخبر دون أن تفسد المفاجأة....

أقدام هادئة تتوغل ذاك المنزل حتى توقفت عند قطراتٍ من الدماء يبدو عليها
الحدائث، ارتفعت هذه الأقدام بضع إنشآتٍ إلى أعلى ليظهر صاحبها و هو لؤي بعد أن
جاء إلى منزل داوود يتفقد تلك الرائحة الكريهة المتصلة بالموت مع هذا الزجاج
المتناثر من إحدى النوافذ، إنحنى بجذعه قبالة جسد داوود الملقى على الأرض و
حوله بعض الشظايا..

وضع يده قُرب هذا الثقب الذي تدفقت منه الدماء بخلاف شفثيه الزرقاء و وجهه
الأبيض، ما تأكد منه هو أن سبب وفاته هو رصاصة اخترقت صدره و أخرى
اخترقت منتصف رأسه و أودت بحياته، استنتج أيضاً أن تلك الرصاصات قد مرّت
من النافذة و هسّمتها، مما يعني أن لا أحد اقتحم هذا المنزل الفسيح، كل هذه الأدلة
تُشير إلى أن من تسبب بتلك الجريمة يتعمد قتل داوود دوناً عن سواه...

ترك الجثة على الأرض كي يتم انتشالها و عرضها على الطب الشرعي، تقدم
بخطواتٍ متمهلة قُرب النافذة حتى توقف أمامها مباشرة يُحدق بعينيه بالبقعة التي
يظن أن الرصاصة قد أتت من خلالها، استمر تحديقته بتلك البقعة بضع ثوانٍ قطعها
صوت إحدى الضباط ليُخبره:

-لؤي بيه ... إحنا ملقناش أي بصمات في الشقة

أشار لؤي على تلك البقعة التي ينظر إليها ثم قال:

-دور و هناك...

أوما الضابط رأسه و ابتعد عن لوي لئنفذ الأوامر، ما إن ابتعد حتى ترك لوي البقعة التي كان بها ليتجول بالمنزل لعله يجد دليلاً آخرًا، تخطى الجثة بقدميه المتأنية و طفق يُمعن النظر بأركان المنزل حيث يوجد العديد من عُلب الطعام الفارغة و التي تخص إحدى المطاعم الشهيرة خاصة الفطائر، مسد بيديه على الطاولة حيث وجد بعض ذرات التراب التي تدل على عدم دخول أي من الخادِمات إلى المنزل منذ آخر فترة...

تحرك أكثر قُرب حجرة البهو حيث يوجد شاشة عريضة بها انحناءً بسيطاً دلّ على كونها حديثة التّراث، إقترب لوي أكثر قُرب هذه الشاشة ليستشعر تلك الحرارة الطفيفة التي انبعثت منها، و هذا يعني أن القتل كان يُشاهد التّلفاز قبل وفاته بدقائق، كذلك كان جهاز التحكم أمام الشاشة مباشرة و جسده على بُعد بضعة أمتارٍ قليلة، مما يعني أنه كان يعبث بالقنوات مباشرة قبل موته...

التفت لوي نحو الجثة ليرمقها لبضع ثوانٍ جعلت حدقاته تلتقط شيئاً آخرًا على الطاولة و هو عُلبة من الفطائر الإيطالية، تقدم نحو هذه الطاولة الصغيرة ليضع يده على العُلبة كي ينزع الغطاء و يرى قطعة واحدة مُتبقية من الشطيرة و التي احتفظت أيضاً بطزاجتها، أغلق العُلبة بدون فائدة و كاد يرحل عن تلك البقعة لكن...

أوقف قراره عندما لاحظ شيئاً غريباً بين المحارم التي عادة ما تأتي مع الطعام، فهناك خط بارز باللون الأسود الذي يختلف عن شِعار المطعم الذي يحمل اللون الأحمر...

أمسك هذه المحارم ليتفحصها جيداً حتى وجد ورقة مطوية تدرت بينهم، ربما هي رسالة مُرسلة إلى داوود أو حتى تهديداً...

فتح الورقة ليقرأ تلك الكلمات التي كُتبت بخطٍ مُنمق و بلغة أجنبية:

-أخبرهم أن الضربة عندما تتأخر ... تأتي أشد قساوة

جعد لؤي الورقة بين يديه ما إن تأكد أن تلك الرسالة لم تُكن مُوجهة إلى داوود، بل
إنها مُوجهة إليهم ... جميعهم...

بنفس تلك الليلة التي بدت مُزعجة على البعض و هادئة على البعض الآخر، كان
مُعنز يجلس على أريكة البهو يقرأ كتابًا خاصًا بأمر التجارة و إدارة الأعمال، فهو
يرغب بكسب بعض الخبرات قبل أن ينتقل إلى وظيفة أخرى تساعده على تلبية
رغبات المنزل...

يحمل بيده الأخرى فنجانًا من القهوة يرتشف منه بضع رشقات تساعده على التركيز
فيما يقرأه...

كان الجو هادئًا لا يشوبه شائبة حتى اقتربت كوكي نحوه بابتسامة رقيقة تعطي ثغرها
رغبة في إخباره بمفاجأتها لكنها لا تزال تبحث عن الطريقة المثلى...

جلست أولاً بالقرب منه لتجعله يلاحظ ابتسامتها و يبادلها بابتسامة أخرى أردف معها
بحنان:

-إيه يا حبيبتي .. في حاجة

اعتدلت كوكي في جلستها لتأخذ نفسًا عميقًا ثم تطلقه، و مع هذه الأنفاس التي تخرج
من جوفها يزداد حماسها أكثر و يزداد معنز حيرة من أمرها...

-بصراحة أه ... عايزة أقولك حاجة

أغلق مُعنز الكتاب الذي معه ليضعه جانبًا كي ينتبه جيدًا إلى حديثها، اعتدل ليواجه
وجهها باهتمام حتى استجمعت قواها و حاولت محاربة لهفتها و حماسها الطاغ و هي
تقول:

-إحنا_

قطع حديثها صوت الباب الذي صدح فجأة مُعلنًا عن قدوم إحدى الزوار؛ وضع مُعترز فنجان قهوته على الطاولة ليثب من موضعه كي يفتح لذلك الزائر بعد أن ربت على كتف كوكي بحنانٍ تبعه باستئذانها..

ما إن رحل من أمامها حتى تلاشت عوالم الحماس من على وجهها و حلّ محلها بعض الضيق الذي لعنت معه حظها، فقد كانت على حافة الإدلاء بتلك المفاجأة لولا مجيء هذا الزائر...

إقترب مُعترز من الباب حتى فتحه ليلقى أمامه رجلٌ يبدو عليه الكبر، فخصلاته البيضاء و وجهه المُجعد أبرزوا كم عاش هذا الرجل من الأعوام، وجده يبتسم ابتسامة هادئة تبعها بسؤال:

-أستاذ مُعترز محمد المعلوم؟

قطب مُعترز حاجبيه مُتعبًا من معرفة ذاك الرجل لاسمه بالكامل، مع ذلك أوماً رأسه إيجابًا أثناء إجابته:

-أه ... حضرتك تعرفني؟

ما إن تأكد الرجل أن ذاك هو الشخص الذي يعنيه حتى اتسعت بسمته لنجده ينقض على مُعترز و يأخذه في عناقٍ دافئ رغم الغرابة التي تنطلي على وجه مُعترز نحو هذا الرجل المُريب، بعد بضع ثوانٍ ابتعد الرجل عنه و بقيت يداه على كتفي مُعترز مع ابتسامته التي أبرزت سروره أمام عيني مُعترز الجاحظة من تصرفاته...

-إزيك عامل إيه؟؟

سأله الرجل بؤد فأجابه مُعترز بغرابة تزداد أكثر:

-أنا الحمد لله ... هو حضرتك مين؟

رسم الرجل بسمته واسعة على ثغره ثم ربت على كتف مُعترز قبل أن يُجيبه:

-أنا خالك مرزوق ... و جاي أديك ورثك إلي كتبتھولك المرحومة والدتك

سقط فك مُعتز مع هذه الجملة التي أردف وراءها بغير تصديق:

-ورثي!!

الفصل الرابع و العشرون (صدمة !!)

و ما كُنت سوى شاردًا في عالمٍ مجهولٍ محفوفٍ بالمخاطر، فأرغمت على حمل السلاح و المواجهة، حتى دون أن أعلم حقيقة هذا العالم، فربما ما نعتقد أنه مفاجأة يضحى سببًا في شعورنا بالصدمة...

-ورثي!!

بقيت عوالم الذهول على وجهه مع تلك الكلمة التي خرجت عنوة من فاهه، فهو يعلم أنه كان من عائلة ميسورة الحال، لكنه ظن ان والده استحوذ على جميع أموالهم ليترك فلذة كبده على الحضيض، فمن أين أتاه هذا الإرث الذي يتحدث عنه ذلك الرجل!!

استأذن مرزوق كي يذلف المنزل و يشرح له أكثر عن الأمر؛ فذلف بخطوات هادئة أمام الصدمة التي لازالت على وجه مُعترز و الحيرة البادية على وجه كوكي بعد ان استمعت إلى بعض من حديثهم، أغلق مُعترز باب المنزل ليجلس بجوار مرزوق على إحدى المقاعد بينما اتجهت كوكي بدورها إلى المُطبخ تدعي انها تُعد الشاي لكن الحقيقة انها كانت تنصت لكليهما من وراء الجدار...

أردف مُعترز بذهولٍ طغى على كلماته:

-ورثي إزاي؟؟ ... هو مش أبوية أخذ كل حاجة؟؟

تقدم مرزوق بجذعه ليشرح له بجدية:

**-هو فعلاً أخذ كل حاجة للأسف ... بس جيهان أختي كانت عاملة حساب اليوم ده ...
عشان كدة أمنت مستقبلك...**

آدار جذعه ليلتفت إلى الحقيقة الجلدية التي كانت معه كي يُخرج منها حفنة من الأوراق المهمة و يمدها نحو مُعترز ليوصل الشرح:

-كانت عملاك وديعة في البنك باسمك ... و بعد ما ماتت فضلت أدور عليك في البلد
عشان أقولك ... بس للأسف قالولي إنك سافرت و مش هاتيحي تاني ... لغاية بقي
ما عرفت بالصدفة إنك هنا ... فقولت لازم آجي و أديلك نصيبك من فلوس والدتك
زي ما وُصتني أختي و كمان اباركلك على الجواز

أنهى حديثه بتربيته على فخذ مُعترز و ابتسامه هادئة على ثغره أعربت عن سعادته
لأنه أخيراً استطاع تلبية رغبات شقيقته التي عانت في حياتها و لم تُرد لطفلها أن
يُعاني مثلها، أما عن مُعترز فكانت عوالم التيه لا تزال على وجه، لا يستطيع تصديق
ما يحدث و كأنه داخل إحدى الأفلام...

طفق يُقلب في الأوراق التي معه لفترة حتى توقف عند الورقة المرادة و التي جعلت
فكه يسقط من الصدمة...

-سبعة مليون جنيه !! ... أمي سييالي سبعة مليون جنيه!!

اتسعت بسمة مرزوق و هو يُراقب صدمته و يؤكد على ما قرأه بسعادة:

-أيوة ... و المفروض كنت تاخدهم من بدري بس_

قطع مُعترز حديثه و هو يثب من مكانه بسعادة بالغة كاد يقفز إثرها، فلا أحد يُصدق
أنه في ليلة و ضحاها أصبح يمتلك هذا المبلغ، و ثب مرزوق هو الآخر يُراقب سعادته
ليجد مُعترز يعانقه بسعادة و يتشكره بحبور...

استأذن بعدها مرزوق ليُلبى أعماله و بقي مُعترز وحده بالبهو لا يُزال يُحدق بالأوراق
و الابتسامه مُرتسمة على وجهه، اقتربت منه كوكي لتشاركه سعادته فوجدته يعانقها
و يهتف بلهفة:

**-أنا بقيت غني يا كوكي ... أنا بقيت غني ... أنا هعملك كل إلي إنت عايزاه ... حتى
لو عايزة تطلعي القمر...**

وجدت نفسها تُفقهه بسعادة على هستيريته و وعوده التي يُلقبها رغبة في تعويض تلك الأيام المُكفهره بأخرى تليق بها، لكنه لا يعلم أن المال آخر اهتمامها طالما هي معه...

بعد العديد من التهليلات و القفز بفرحة، إرتمى مُعتر على الأريكة و جواره كوكي و قد قررت في تلك اللحظة أن تُخبره بمفاجأتها لتضيف سعادة أخرى على سعادته....

-زيرو .. أنا عايزة أقولك حاجة

انتبه مُعتر لحديثها فاعتدل في جلسته و هو يردف بهيام:

-إفضلي يا أحلى ناجتس في الدنيا

رسمت بسمة خجلة على ثغرها ثم أخذت نفساً عميقاً حاولت معه استجماع كلماتها كي تلمح له أولاً لربما يعرف هو وحده و يتفاجأ الضعف، أمسكت معدتها و هي تردف ببعض الحماس:

-بقالي كذا يوم بطني بتوَجعني و حاسة ان نفسي غامة عليا ... فروحت للدكتورة و قالتلي ان_

قطع حديثها ببوادر القلق خوفاً عليها:

-إيه؟؟ ... إنتِ عيانة؟؟

نفت برأسها ثم رسمت ابتسامة هادئة كي تُطمئنه و هي تواصل:

-لأ ... الدكتورة قالتلي في حاجة في بطني

قطب مُعتر حاجبيه و هو يسأل بحيرة:

-معدتك؟؟

نفت برأسها أكثر لتوضح له:

-لأ ... حاجة بتتحرك

ازدادت حيرته و تقطبيه لحاجبيه و هو يسأل:

-الأمعاء؟؟

أفأفت بيأسٍ منه لتتلاشى بسمتها كي تشرح أكثر:

-لأ يا زيزو ركز شوية ... في ضيف هاييجي كمان تسع شهور ... و إحنا هنجبه و
هيعيش معانا...

رسمت بسمة بسيطة على وجهها و هي تتحدث لعله يفهم هذه المرة، لكنها وجدته
يدعي المعرفة أثناء قوله:

-إنتِ هتجيبني حيوان ولا إيه؟؟

اضجرت كوكي من غبائه فزمجرت قبل أن تُخبره مباشرة:

-يووه ... يا زيزو أنا حامل يا زيزو .. إزاي مش فاهم إللي عايزة أقوله

قالتها بنبرة هجومية عكس التي أرادت استخدامها في البداية، ما إن ادرك مُعتر ما
تُریده حتى أردف بعد أن فهم أخيرًا:

-أااه ... هو اللفة دي كلها عشان تقوليلي إنك..... إيه !! إنتِ قولتي إيه؟؟

أنهى حديثه بصدمة جعلتها تبتمس و هي تُجيب بهدوء:

-انا حامل

فتح فاهه من هُوَل المفاجأة، بل و من هذه المفاجآت السارة التي تُلقى على رأسه مرة واحدة، عانقها مجدداً و أطال بهذا العناق و هو يشكر ربه على تلك النعم التي أتته مرة واحدة، كم كان ممتناً لخالقه في تلك اللحظة، فطالما كانت حياته قاسية و كان مظلوم بها، فهو قد شهد وفاة والدته العزيزة و تم طرده من الجامعة، بل و أيضاً تخلى عنه والده المُحب للنساء ... أتت أخيراً اللحظة التي سيعوّض بها عن كل تلك المآسي و يبدأ حياة جديدة تليق به، حياة خالية من الصعاب و مليئة بالسعادة و الهدوء....

صباح اليوم التالي، انهمك لؤي بتنظيف المنزل مع والديه بعد أن ألح عليهما كي يتركا ذاك المنزل بعد ان انتهى عقد الإيجار و قرر مالك المنزل تجديد العقد بسعرٍ باهظ، اقترح عليهما المجيء معه إلى بناية إسلام و التي ابتاع بها منزله الذي سيقضي به ما تبقى من حياته مع قمر...

كانت البناية لا تزال فارغة إلا من منزل إسلام المُغلق حتى زفافه، و منزل والداه و منزل لصديقه مُعتر، لذلك قرر لؤي أن يبتاع منزلاً لنفسه حتى يضحى قريباً من منزل والداه قمر و لا تتذمر والدتها مجدداً...

-والله يا بني ما له لزوم الشحطة دي ... ما كنا جددنا العقد و خلاص

قالها عبد الصبور و هو يُفرغ الأمتعة بإحدى الصناديق، و كانت ثناء تتولى إحضار أغراض المطبخ بينما كان لؤي يُساعدهما بضرب الأغراض قبل أن يذهب إلى العمل.

-يا بابا العقد بقى ضعيف التمن ... ده غير إن الشقة الثانية أحلى من دي ... و كمان صاحبها معرفة و مش هيغلس علينا في الإيجار

قالها لؤي مُفسراً لهما فأثنت عليه ثناء بامتنان:

-كثر خيرك يا بني دائماً تاعب نفسك عشاننا

ابتسم لؤي ابتسامة هادئة و هو يُجيبها:

-و أنا لو مش هتعب عشانكم هتعب عشان مين...

رمته بابتسامة أخرى قبل ان تواصل العمل مجددًا، التقط لؤي إحدى الصور القديمة من الخزانة التي تنتصف البهو كي يضعها داخل الصندوق كما بقية الأمتعة، لكن عيناه التقطتا شيئاً غريباً في تلك الصورة جعله يُمعن التحديق بها و يسأل بحيرة:

-هو مش المفروض ماما تكون حامل فيا في الصورة دي ... دا مكتوب إنها متاخدة سنة ستة و تسعين، يعني قبل ما أتولد باربع شهور

انتبه عبد الصبور لحديثه مما جعله يُتهته قليلاً ثم يقول:

-لأ ... الصورة دي قديمة، قبل ستة و تسعين، هما بس إالي كاتبين التاريخ غلط...
إنت عارف بقي الكاميرات بتاعة زمان كانت معيوبة

أوما لؤي بهمهمة حملت بعض الحيرة من حديثه الذي لا يقتنع به بعض الشيء، لكنه يتجاهل الأمر و يواصل ضب الأمتعة حتى ينتهيا بسرعة قبل معاد العمل...

تنقر بأصابعها على جهاز الحاسوب داخل مكتبها و أمامها حفنة من الأوراق تستخدمهم كمرجع لما تكتبه من مقالات عن الطاقة و تلك الأمور التي تُحبها و لا أحد يهتم بها سواها...

قطع نقرها و انهماكها صوت إحدى زملاءها يُخبرها أن رئيس التحرير يُريدها في مكتبه لأمرٍ شديد الأهمية؛ رفعت رأسها عن الحاسوب تلبية للنداء، ثم توجهت فوراً إلى مكتب رئيس التحرير تدعي بقرارة نفسها أن يمر كل شيءٍ على خير و ألا يتذكر يُسري تلك المقالة التي من المُفترض أن تُسلمها مُنذ أكثر من شهرين...

وثبت أمامه مباشرة تزدرد ريقها و تُشجع نفسها لما هو آتٍ، وجدته يوجه بصره نحوها ثم يرخي ظهره للوراء مع قلمه الذي بدأ يُحركه بين أصابعه مما جعل عقلها يتشتت أكثر...

-فين المقالة بتاعة المستشفى؟؟

تصلبت أهدابها أمام كلماته ثم زاغت ببصرها في جميع الاتجاهات و هي تُتهته:

-المقالة ... المقالة...

قطع يُسري تهتهتها و هو يضع القلم على المنضدة متفوهاً:

-مش مهم ... الخبر لما بيقدم مبيكنش ليه لازمة ... بس يكون في علمك دي آخر مرة تتكرر

هددها مع آخر كلماته مما جعل فرائسها ترتعد أكثر، حتى أنها كانت ترغب بالهرب قبل أن يصدر قرارًا بالخصم لها أو طردها..

-ماشي أقدر استأذن؟؟

كانت تؤد أن يُخبرها أنه أرادها فقط من أجل هذا التحذير لكن اعتقاداتها ذهبت هباءً ما ان وجدته يثب من المقعد و يردف بعلمية:

-لا ... الحقيقة أن عايزك تحققي مع شخص تاني ... الشخص ده أهم بكثير من المستشفى...

أخرج بعض الأوراق من الخزانة ثم أعطاها إياها ليوصل شرحه:

-ده ممثل مشهور ... و في ناس بتقول إنه بيتاجر في المخدرات ... إنت لو أكديت الكلام ده و خلتيه يعترف بكل حاجة قدام الناس هنعمل خبر عالمي ... و اسمك هيبقى على كل لسان

تفحصت قمر الأوراق لوهلة و شريط من الذكريات يحوم حوّل رأسها و يُذكرها بكل أولئك اللذين تَوَّرتت معهم و انتهى بها الأمر بكارثة، فطالما مقتت تلك الطريقة غير

الشرعية بالعمل، فلا يجب أن تجعل الناس يكشفون أسرارهم و تفضحهم دون إرادتهم، هذا فقط يُخالف مبادئها و المبادئ التي تعلمتها بالجامعة...

قطع يُسري شرودها بتحذير:

-المرادي لو المقالة متكتبتش هيبقى آخر يوم ليكي في الجريدة

أدلى هذا التهديد ثم عاد ليجلس على مقعده أمام مكتبه، بينما تسمرت قمر مكانها لا تُزال تُحرق بالأوراق حتى أردفت بثبات:

-أنا مش موافقة...

لا تعلم من أين أنت بهذه الصرامة و هي تتحدث، لكنها متأكدة أنها لن تستطيع أن تفضح شخصاً آخرًا بتلك الطريق، فربما هؤلاء ليسوا من الأبرياء، لكنها بتلك الطريقة ستضحى مثلهم، بل و ستعيق حركة الشرطة أيضاً بإفشاءها لمعلومات قد تُدمر سير عملهم...

-مش موافقة إني أجيب أخبار بالطريقة دي تاني ... أنا مش فارق معايا أكتب خبر يوصل للرأي العام، أنا كل إلي فارق معايا هو ضميري ... و أنا هبقى كدابة و بشهر بالناس لو عملت كدة خصوصاً مع حد مشهور ... مش هينفع أخليهم يقولو حاجات هما مش عايزين يقولوها

لم يتوقع يُسري إجابتها و ظن انها لا تفهم طبيعة العمل لذلك أردف:

-بس إنتِ كدة بتساعدني البلد عشان تقبض على الناس دي..

قطعت حديثه بصرامة و صوتٍ مُرتفع لا تعلم من أين خرج و من أين أنتها الشجاعة لمواجهته:

-إحنا كدة مش بنساعد حد ... إحنا كدة بنخدع الناس ... بنخليهم يفكرو ان فلان اعترف على نفسه و إحنا أصلاً إلي أجبرناه يعترف...

هدأت من روعها قليلاً لتواصل الحديث بما يجيش به صدره:

-أنا عارفة إن كل الناس عندها أسرار ... و كل الناس عندها نُقطة سودا بتحاول تداريها ... بس مش لازم كل الأسرار الناس تعرفها ... إحنا بدل ما نفضح الناس دي إحنا ممكن نؤجهم ... ممكن نبلغ عنهم لو التوجيه مجابش نتيجة... ليه ندمر مُتسقبل حد عشان خاطر حته خبر هيتسي مع الوقت؟؟

كان يرمقها باستخفافٍ لحديثها الذي لا يقتنع بها البتة، فمهنتهم هي مهنة إفشاء الأسرار بالأساس، لا أن يقوموا بدور التوعية و التحذير، تركها تنهي حديثها حتى أردف هو بلكنة حازمة:

-إحنا مش في جمعية خيرية عشان نساعد الناس ... إحنا مهمتنا نفضحهم و نعرف الناس إلي بيحصل من وراهم....

رمقها بنظراتٍ ثاقبة هدهدا من خلالهم:

-و زي ما قولت ... لو التحقيق ده متكتبش ... دا آخر يوم ليكي في الجريدة

أطبقت على شفيتها بغیظ من حديثه و رأسه المُتصلب، ما هي إلى برهة قصيرة حتى وجدت نفسها تتقدم ناحيته و تضع الأوراق بعنفٍ على الطاولة كي تقول بإصرار:

-تمام ... يبقى تخلي غيري يعمل التحقيق ده ... هما أكيد أحسن مني

قالتها بهدوءٍ و أعين يبدو عليها الغضب، لم يُرد أن يفهم يُسري مقصدها فسألها:

-يعني إيه الكلام ده؟؟

أخذت قمر نفساً عميقاً قبل أن تُدلي آخر كلماتها بصوتٍ مُرتفعٍ و حازم:

-يعني أنا مستقيلة...

أسدلت السماء ستارها و بدا الجو ساكناً إلا من أصواتهم المنبعثة من جوف المنزل الخاص بإسلام بعد أن جاء مُعترز ليزوره و يُخبره أيضاً بتلك الأموال الطائلة لعله يأخذ بعض النصائح من إسلام و يستشير به بالمشاريع التي يُمكن من خلالها استثمار تلك الأموال قبل أن تنفذ، فعلى الرغم من أن إسلام أوقعه بالعديد من المأزق بسبب اقتراحاته إلا أن مُعترز لا يثق بأحدٍ سواه و لا يأخذ إلا بنصيحته مهما كانت...

كان خالد يشاركهما الجلسة بعد أن كان يزور إسلام مع يُسرا التي استأذنت كي تذهب لزيارة كوكي التي تقطن بنفس البناية، لم يستطع إسلام أن يطرده من منزله على الرغم من العداوة التي بين مُعترز و خالد رغم كل هذه السنوات، فلا يزال كلاهما يتعاركان بصيبانية كلما تواجهها في أي مكان...

أرعى مُعترز ظهره للوراء و هو يقترح:

-أنا بفكر أفتح مصنع شفاطات ... و اسميه بقللة ... و المصنع يكبر و أبقى أشهر واحد بيبيع شفاطات

أدلى هذا الاقتراح ثم ارتشف من عصير البرتقال من خلال الشفاطة التي بالطبع أنته بتلك الفكرة...

إنفجر خالد بالضحك على اقتراحه الأبله من وجهة نظره ثم أردف بسخرية:

-لما لا تفتح مصنعاً للغباء و تستثمر بعضاً مما لديك

بقي يُقهقه بعد حديثه مما أثار حفيظة مُعترز الذي هتف مؤبخاً:

-أنا موجهتكش كلام أنا بقول لإسلام

تدخل إسلام و هو يُحاوط مُعترز بذراعه لعله يُساعده بالاقتراح الصائب:

-أنا بقول شوف حاجة سهلة تعرف تديرها و تكون فاهم فيها كويس

همهم مُعترز بتفهم ثم ارتشف مجدداً من عصيره قبل أن يستشيرَه مجدداً:

-طب إيه رأيك أسافر برة ... ممكن أسافر الصين و أشتري منها بضاعة و أبيعها
في مصر

تدخل خالد مجدداً كي يُحذره بسخرية:

-أخشى عليك من السفر هناك ... فقد سمعت أنهم يأكلون الكلاب

أطبق مُعترز على شفتيه بغضبٍ من ذلك الذي يقصد التقليل منه، وجد نفسه يثب من الأريكة و يوجه سبابته نحو خالد ليُهدده بصوتٍ مُرتفع:

-وللاا ... قسماً بالله لو فتحت بوقك تاني لانزلك من هنا على المُستشفى

كاد الجدل ينشب بينهما لكن إسلام تدخل ليجذب ذراع مُعترز و يُجلسه مجدداً كي يُهدئه:

-خلاص يا زيزو إهدى

وجه بعدها الحديث نحو خالد كمحاولة لفض الجدل بينهما:

-و إنت يا خالد يا تقول اقتراح عدل يا تسكت إحنا مش عايزين خناق

كان البرود ينطلي على وجه خالد و هو يسترخي بظهره للوراء متفوّهاً بحكمة اعتادها:

-هناك حكمة تقول ... يوجد نوعان من البشر، الأول يعرف وجهته جيداً، لكنه لا يمتلك سيارة ... و الآخر يمتلك سيارة ... و لا يعرف إلى أين يقودها

رمقه مُعتر بحيرة و عدم فهمٍ لحديثه و حكمته المُبهمة، حتى أنه أحس أن خالد يُريد التقليل من شأنه بطريقة مُبطنة، أشار بيده على خالد متسألًا:

- هو قصده إيه الواد ده ؟

فسر له إسلام حكمة خالد بقوله:

-تقريبًا هو قصده يقول ... إن في ناس عندها أهداف و معندهاش إمكانيات ... و في ناس عندها إمكانيات بس معندهاش أهداف تحقّقها ... و تقريبًا كدة قصده إن إنت النوع الثاني

ما ان أدلى إسلام بتلك الكلمات حتى ازداد غضب مُعتر لسبب لا يعرفه، أو يُمكن لأنه لن يقبل أن يصفه أحدهم بأنه شخص ليس لديه أهداف..

وثب من الأريكة للمرة الثانية ثم أشار بيده على خالد ليهتف بوجهه:

-أنا معنديش أهداف !! ... طب والله _

توقف عن الحديث ما إن جاءت فكرة عندما تذكر تلك الحكمة التي قالها خالد، هدأ قليلاً و نسي غضبه لوهلة حتى وثب إسلام ليقف جواره و يستمع إلى الاقتراح الذي أدلاه مُعتر بلهفة:

-طب تصدق حكمة العربيات دي جابتلي فكرة...

أنهى بعدها الحديث قبل أن يرحل من المنزل كي يُنفذها:

-بس ... أنا عرفت هعمل إيه بالفلوس....

أشرفت شمس يومٍ جديد، و كان هذا اليوم بمثابة بداية الاسبوع الجديد و إجازة بالنسبة لداليا التي كانت في ذلك الوقت الباكر من اليوم داخل حُجرتها تُصَفِّف شعرها بعد أن انتهت من حمامٍ ساخنٍ أفرغت معه شُحنة غضبها و أرخت معه جسدها الذي أنهك طيلة الاسبوع...

أثناء انهماكها بتصفيف شعرها إذا أنها تشعر بباب الحجرة يفتح و يليه صوت والدتها التي تُخبرها بوجود شخصٍ يريد مقابلتها؛ تركت فُرشاة الشعر أعلى السراحة كي تلتفت لترى ذلك الزائر الذي يبدو و كأنها أول مرة يأتي بها هذا المنزل...

-ريتا !! ... إنتِ عرفتي عنوان بيتي إزاي؟؟

كانت أمامها تلك الفتاة التي أخبرتها بقدرتهما و كيفية التحكم بها، و هي أيضاً من أفشت سرهم لضُرغام و جعلته يُطاردهما طيلة هذه الفترة، أي أنها سبباً فيما حدث بالأونة الأخيرة و هم بالطبع عرفوا الحقيقة لأن لا أحد يعرف مقدرتهما سواها هي...

-أنا أخذت العنوان من قمر ... و جيت عشان أقولك حاجة مهمة

قالتها ريتا و هي تقترب نحو داليا التي ربطت ذراعيها و نظرات الاحتقار كانت تشع من عينيها...

-و جاية ليه ... عايزة توّصلي أخبارنا تاتي لضُرغام؟

لم تكن تعرف ريتا من أين عرفا أنها من أفشت سرهما لكنها توّقت أنهما سيستنتجا هذا الأمر لأن هذا السر لم يكن يعرفه إلا رفاقهم و هي، و بالطبع هي الوحيدة التي ستقشي سرهما، و قد واجهتها قمر كذلك بالأمر و اعترفت لكنها ألحت عليها كي تذهب إلى داليا و تُحذرهما من شيءٍ خطيرٍ يجب أن تعرفه قبل فوات الأوان...

إقتربت ريتا نحوها أكثر لعلها تستسمحها كي تعفو عنها ما إن تُدرك دوافعها:

-أنا عارفة إني غلط لما قولت لضُرغام عليكم .. بس صدقيني أنا مكنتش أعرف إنه هيعمل حاجة مش كويسة ... هو قالي إنه عايز يساعد مراته و أنا اتخدعت بكلامه

تنهدت داليا ثم جلست قبالتها على الفراش بملامح لا تزال جامدة تحمل بعض الغضب مما فعلت، فهي و إن تم خداعها كان يجب أن تُخبرهم أولاً، لا أن تقشي سرهما من وراءهما...

-طب جاية ليه؟؟

سألته بفضولٍ و رغبة في نسيان ما مضى، اعتذلت ريتا بجلستها كي تُخبرها باهتمام:

-أنا قرئت أكثر عن تنقل الأرواح ... و عرفت إن إنتو الوحيدين إلیي تقدر و تفتحو البوابة

عقدت داليا حاجبيها بحيرة و هي تسأل:

-بوابة إيه؟

-بوابة العالم الثاني ... البوابة إلیي بتطلع منها كل الأرواح

إزدادت الحيرة على وجه داليا و هي تسألها:

-مش فاهمة ... إحنا إيه علاقتنا بالموضوع ده

اعتذلت ريتا في جلستها كي تُفسر لها أكثر:

-العالم بتاعنا فيه أكثر من بوابة ... و كان الفراعنة بيتكلمو عنهم، و سجلو وجود البوابات دي على الورق البردي ... كانوا بيقولو إن في بوابات بتنقل الناس لكواكب بعيدة و عوالم مُختلفة عن الأرض ... و كان كبير الكهنة " رع " بيقول إنه يقدر يطلع بروحه السما عن طريق دايرة معدنية سموها بعد كدة بالبوابة النجمية...

حدقت بمُنْتَصَف عيني داليا كي تُخبرها بأهمية قُصوى:

-البوابات النجمية تنتقل الإنسان من مكان لمكان .. أو من زمان لزمان ... بس أنا مش بتكلم عنها .. أنا بتكلم عن البوابة إللي بتنقل الأرواح ... و إللي ميقدرش يشوفها غير الأرواح

سألته داليا باستنتاج:

-يعني إحنا نقدر نشوفها ؟

أومات ريتا رأسها و هي تُجيب:

-أيوة .. و إنتو تقدر و تفتحوها

-إزاي؟؟

سألته داليا فأجابت بتفسير:

-البوابة بتفتح وقت خسوف القمر ... هو ده الوقت الوحيد إللي تقدر و تفتحو فيه البوابة...

استدارت لُتُخرج كتابًا كان بحوزتها و تمده نحو داليا كي تشرح لها:

-و إنتو أرواح مبيكنش عندكم القدرة إنكم تحسو بأي حاجة ولا تلمسوها ... بس وقت خسوف القمر هتلاقو مكان تقدر و فيه تحسو بكل حاجة المكان ده بيبقى موازي لشُعاع القمر....

أدارت بعض الصفحات بكتابها كي تُري داليا مثلاً على ما تقول، توقفت عند إحدى الصفحات كي تُعطي الكتاب إلى داليا و تُخبرها:

-الطلاس دي لو كتبتوها على المكان إللي تقدر و تمسكوه هتلاقو البوابة اتفتحت

بقيت عيناها تُحملقان بتلك الطلاسم تحاول أن تفهم ماهيتها و ما علاقتها بكل تلك التعقيدات، ألهذا الحد هي مميزة، أم أنها تُشكل خطراً على الجميع و هي لا تعلم، تفقدت صفحات الكتاب لوهلة ثم وجهت أنظارها نحو ريتا كي تسألها:

-و إنا إيه إلهي يخلينا نفتح البوابة

وضعت ريتا يدها على رسغ داليا كي تُخبرها بجديّة:

-إنّو مش هتفتحوها ... إنّو هتقفلوها لو اتفتحت

بقيت عوالم التيه مُرتسمة على وجه داليا حتى فسرت ريتا مقصدها:

-في أرواح متنقلة كتير زيكم ... و مش كلهم كويسين ... في منهم ممكن يفتح البوابة و يخرج أرواح منها ... و لو دا حصل العالم ممكن ينتهي....

وضعت يدها على يد داليا لعلها تُحذرها بحديثها:

-بس في كتير بردو زيكم ... و هما إلهي عليهم يقفلو البوابة لو اتفتحت

وثبت بعد هذه الجملة لتدلي آخر كلماتها قبل أن ترحل:

-أنا قولت لازم أقولكم عشان تاخدو بالكم ... و هسيب الكتاب ده معاكي عشان تفهمي أنا قصدي إيه كويس

ودُعتها بعد تلك الجملة ثم رحلت عن الحجرة لتترك داليا وحدها و هذا الكتاب بين يديها و الذي إجتمع مع الأفكار التي طفتت تراودها و نُشتت عقلها أكثر...

أغلقت الكتاب بعد فترة لتضعه جوارها و تثب من موضعها تحاول العثور على هاتفها و هي تحدث نفسها بصوتٍ مُنخفض:

-أنا لازم أقول لإسلام ... فين التليفون

أوقفت بحثها ما إن تذكرت ما يفعله إسلام معها حينما يُريد إخبارها بشيءٍ غاية في الأهمية، سرعان ما رسمت بسمة خبيثة على ثغرها و هي تردف بتقرير:

-لأ ... مش هتصل بيه...

يجلس أمام مكتبه و أمامه العديد من الأوراق و التحاليل التي ينهك بفحصها و كتابة بعض الملاحظات عليها، كان سمير قبالتة يستشير به بإحدى الأمور الطبية التي تساعد على معالجة مرضاه وحده دون تدخل من يكبره سنًا و مهارة...

أثناء حديثهما المليء بالعلمية و الجدية، دلفت داليا المكتب بهدوء و من جهة الباب، بقيت تتحرك خطواتٍ بطيئة لاحظها إسلام فابتسمت له ابتسامة مرحبة جعلته يردف بتفاجؤ:

-داليا !! ... غريبة يعني أول مرة تزوريني في العيادة

اتسعت بسمة داليا و كانت على وشك الانفجار بالضحك خاصة و هي ترمق نظرات سمير الحائرة...

-قُدي طيب ... إحنا خلاص خلصنا

قالها إسلام و هو يُشير على المقعد الآخر المقابل له، وجه بعدها الحديث نحو سمير ليُخبره بأمرٍ:

-قوم يا سمير و سيبنا لوحدنا

ظن سمير أن إسلام قد أصابه مسٌ من الجنون، فلا يوجد أحد بالحجرة حتى يُخبره إسلام أن يتركهما وشأنهما؛ ارتسمت عوالم التيه على وجه سمير و هو يقول:

-يا دكتور_

قطعه إسلام بإصرار:

-يلا يا سمير ... سبنا لوحدنا

أدلى سمير الحقيقة مرة واحدة:

-يا دكتور مفيش حد في المكتب

اتسعت حدقتنا إسلام في ذهول لأنه لو هلة ظن أن داليا بالفعل داخل مكتبه، لكنه الآن علم الحقيقة، خاصة عندما وجدها تنفجر من الضحك على هيئته المتفاجئة...

أطبق على شفتيه بغضبٍ من خداعها له لأول مرة، بعدها أشار على سمير ليقول:

-طب إمشي دلوقتي يا سمير و هنبقى نكمل بعدين

أوما سمير بموافقة ثم ترك المكتب و لازالت عوالم الحيرة مُرتسمة على شفتيه، ما إن رحل حتى جلست داليا على المقعد قبالتها ثم فردت قدميها على الطاولة الصغيرة التي أمامها كي تجلس باسترجاء أكثر...

-خير ... جاية تملي فراغك؟

قالها بغضبٍ دفين فوجدتها تنفي برأسها و تُجيبه:

-تسء ... في حاجة مُهمة عايزة أقولها لك

لا زال الغضب يلوح على كلماته و هو يقول:

-و هي الحاجة المهمة دي مكنش ينفع تتقال في التليفون؟

أرخت ظهرها للوراء و هي ترد عليه مُقلدة إياه:

- هو أنا مقولتكش ... مش إحنا ممكن نبقي متراقبين

أوماً إسلام بهمهمة بعد أن تيقن أنها تُقلده أو ربما تنتقم لتسببه بالعديد من المشاكل لها خاصة بموقع عملها، مرّت برهة قصيرة من الصمت قطعها إسلام بسؤاله الحاد:

-في إيه؟

اعتدلت داليا بجلستها كي تُخبره بجدية:

-أنا قابلت ريتا إنهاردة ... و قالتلي حاجة غريبة أوي

انتبهت حواسه لحديثها فسألها بأهمية:

-قالتك إيه؟

إقتربت داليا بجذعها نحوه كي تُخبره:

-كلمتني عن البوابة....

دقات الساعة تمر ببطء و هو جالس على مكتبه يواصل وظيفته التي تُرغمه على التعامل مع المجرمين و القنلة، فكل هذا في سبيل حماية الوطن و الدفاع عن أحبائه كما أحب منذ نعومة أظافره...

واصل العبث بالأوراق التي أمامه حتى اقتحم الحجرة واحد من زملاءه يؤدي التحية العسكرية أولاً ثم يتحدث بسرعة:

-احنا جاننا خبر بيقول ان الدكتور سليم دويدار رجع من السفر

اتسعت حدقتا لؤي و هو يثب من موضعه لينتشل سلاح الناري ثم يقول:

-طب يلا نتحرك ... لازم نقبض عليه قبل ما يهرب...

حلّ الليل و لازال العمل يسير على قدمٍ و ساقٍ في مركز الشرطة خاصة بعد أن قُبض على سليم فور هبوط طائرته و حتى قبل أن يخط بقدميه خارج المطار، ها هو الآن يجلس في حجرة ضيقة شديدة الرقابة لا يوجد بها سوى السواد و طاولة معدنية و مقعدين من الخشب العتيق، كانوا يعلمون أنه من الممكن ان يفقد حياته في أية لحظة خاصة بعد أن فشل العلماء في استخراج تلك القنبلة المزروعة داخل رأسه، فمحاولاتهم لإزالتها ربما تؤدي بحياته نهائياً و لن يستطيعوا استجوابه...

لهذا السبب أنت قمر فوراً ما إن استدعاها لؤي و وصاها بالحديث معه بسرعة قبل ان تكتشف المنظمة اعتقاله و تقوم بتفجيرها، فكانت تسير جواره بالردهة تستمع إلى تـوصياته التي تلاها عليها بصرامة و بعض اللين:

-الأول نسأله عن إللي بيعمله و مين إللي بيساعده، لأننا لو عرفنا مين إللي بيموّله هنقدر نوقف شغلّه الشمال...

توقف عن السير ليلتفت لها و هو يُدلي آخر كلماته:

-بعدها إسأليه بسرعة عن المنظمة و المقر بتاعها ... و خليكى فاكرة ان فاتح إتقتل بعد ما جيه بتلات ساعات ... يعني المنظمة خلال ساعة بالظبط هتعرف الخبر و هتخلص عليه ... عشان كدة لازم كل حاجة تمشي بسرعة

أومأت رأسها إيجاباً ثم دلفت الحجرة رفقة لؤي الذي سيشاركها تلك التحقيقات كما يفعل دائماً...

جلسا على مقعدين من الخشب و أمامهما سليم مباشرة يرمقهما بعوالم مُضجرة يريد من داخله ان يُلقنهما درساً قاسياً، كان الصمت هو الطاغ على الحجرة بعد ان رفض سليم الحديث كما تـوقع لؤي تماماً، فربما الحديث عن تلك المنظمة يُعد خطراً على

أقاربهم خاصة بعد ان تأكدوا أن زوجة فاتح يتم تهديدها بأبناءها حتى لا تفتح فاهها
عن ما تستمع إليه من زوجها فاتح الذي لقي حتفه...

سرفت قمر نفساً عميقاً ثم أطلقتته قبل ان تستخدم قُدراتها و تجعل سليم يتغيب عن
العالم تماماً، و لأنها تعلم أنه مُدمناً للكحول فطلبت من بعض الأطباء ان يتأكدوا ان
جسده خالٍ من تأثير الكحول حتى تستطيع تنويمه...

تغيب سليم عن العالم و ما حوله فاستغلت قمر الفرصة بسرعة و سألته بصوتٍ
هاديء:

-مين إيلي بيوافق على العمليات الغير شرعية إيلي بتعملوها ؟

أجابها سليم بانتشاء:

-أنا ... أنا إيلي بوافق .. و أنا إيلي بعملها

تدخل لؤي ليسأله باندفاع:

-و إيه إيلي بيخليكم تعملو عمليات زي دي ؟

-الفلوس ... بنخلي الناس تدفعلنا فلوس كتير تمن العملية ... و تمن الأعضاء إيلي
بتتباع

كانت نتابعه قمر باهتمام ثم تسأل بهدوء:

-طب و المُنتجات المُسرطنة ... إزاي بتدخلوها البلد من غير جمارك ؟

-في واحد من الداخلية بيساعدنا ... و طبعا كل حاجة بحسابها

قطب لؤي حاجبيه بحدة و هو يسأل:

-و مين إللي بيساعدكم ؟

-اللوا عبد الصبور ... بيساعدنا ندخل المنتجات من غير جمارك، و من غير ما حد يعرف إنها مُسرطنة

تسارعت أنفاس لؤي ما ان استمع إلى تلك الحقيقة بأذنيه، كانت قمر كذلك في حالة من الصدمة تُبادل حدقتيها ما بين لؤي الذي من الممكن أن ينفجر في أية لحظة و بين سليم الذي مع الأسف يُخبرهم الحقيقة، حقيقة ان والد لؤي ربما يضحى خائناً!!

كانت شرارت الغضب تتطاير من عيني لؤي و هو يسأل بهدوء حافظ عليه جاهداً:

-و إيه المُقابل؟؟

كان يتمنى ان يضحى المُقابل شيئاً آخر عدا المال، فلو علم أن والده يرتكب الجرائم من أجل المال وقتها ستهتز صورته و ربما يمحيه من حياته تماماً...

آجابه لسليم بتغيب و كانت اجابته هذه المرة قاتلة:

-مقابل إننا نغطي على إللي عملنا زمان ... و اننا طلعلنا شهادة ميلاد لولد مش ابنه ... و اننا خبينا إن هو مش بيخلف!!

الفصل الخامس و العشرون (دمار)

يا أيتها الدموع اللعينة، لما تتعمدين الانطلاق في الأوقات التي أمثل فيها أنني الجدار الذي لن ينهدم مهما كانت الأوجاع، و لما تخشين التحرر من تلك المحاجر عندما تأتيني الرغبة في الاستسلام للمشاق، فحتى أبسط حقوقي و هي البكاء لا يُمكنني التحكم بها...

توقف الزمن عند هذه اللحظة، فكأن العالم توقف عن الدوران و هو جالس مكانه يخشى أن يتحرك مجدداً حتى لا يُدمر ما حوله، فالنيران بداخله كانت كفيلة بإحراق بلدة بأكملها...

بقي جالساً مكانه و شريط من الذكريات يمر أمام عينيه منذ نعومة أظافره حتى هذه اللحظة ... حياة هادئة سعيدة مليئة بالدفاء و الراحة ... لكنها كانت راحة مُزيفة، بل و حياة مُزيفة أيضاً..

كم هو صعب أن تكتشف في وهلة أن الواقع الذي تعيشه ما هو إلا أكذوبة كبيرة، أو مسرحية يتم تمثيلها بحرفية حتى ظن المُتفرج أنها حقيقية، لكنه ينصدم ما إن يُغلق الستار و يُرغم على العودة إلى الواقع، يُرغم على ترك حُلمه الوردي ليهبط على عالمٍ يمتطيه الكذب و الخداع، فكلهم خائنون ... كلهم مُخادعون...

كان هذا ما يدور بذهنه قبل أن يترك المقعد بعُنفوانٍ دفع معه الطاولة بحدة ليتحرك بعدها خارج الحجرة بأكملها..

لاح الذهول على ملامحها و هي تتابع ردة فعله بشفقة تجعلها تتصلب مكانها و لا تدري ما الذي تقوله، فقط أرادت أن تُكذب ما يقوله و تُخبره أنه ربما يخدعها و أن التنويم المغناطيسي لم ينجح معه من الأساس، لكنها تعود و تُذكر نفسها أنها لا يجب أن تخدعه كما خدعه البقية، فأسوأ ما يُصيب المرء هو التعرض للخداع خاصة من أقرب الناس إليك.

تركت مقعدها هي الأخرى لتركض وراءه بين أروقة مركز الشرطة تحاول أن تناديه بصوتٍ مُرتفع لكنه لا ينتبه إليها و كأنها لا تتحدث من الأساس...

-لؤي استني...-

قالتها بنفاد صبرٍ ما إن توقفت أمام سيارته لتمنعه من استقلالها و المضي إلى وجهة ربما لا تعرفها لكنها مُتيقنة أن نهاية طريقه لن يضحى جيداً..

صُوبت حدقتها على عينية الحمراء التي جاهدت كي تحبس الدموع داخلها، يبدو أنها كانت دموع الغضب التي اجتمعت بدورها مع دموع الضيق، حيث خرج صوته حاداً غليظاً و هو يُبعدها عن طريقه بطريقة فظة لم يعتدها أبداً، فالغضب هو من يتحكم به الآن و ربما يجعله يرتكب أموراً يندم على ارتكابها فيما بعد..

-سبيني يا قمر...-

تشبثت بذراعه كي يتوقف عن التحرك و ينصت لمواساتها:

-لؤي اسمعني ... أكيد عمو كان مجبور_

قطع حديثها بنبرة هجومية:

-مفيش حد كان مجبور ... كلهم كدابين

دفع يدها بحدة ثم استقل سيارته لينطلق بها بسرعة دون أن ينتبه إلى تُوّسلاتها، فما إن رحل بعيداً عنها حتى بدأت تقرض أظافرها بقلق لا تعرف ماذا تفعل و كيف تُهديء ثورانه، بل تدعو أيضاً بقرارة نفسها أن يمر هذا اليوم على خير دون أن يحدث أي حوادث..

بعد برهة من التّفكير وجدت سيارة أجرة تمر من أمامها فانتهزت الفرصة و أشارت بيدها حتى توقفت سيارة الأجرة فاستقلتها و انطلقت بها إلى وجهة تعرفها جيداً و تعرف أن لؤي سيذهب إليها...

يُحرك أنامله المُجعدة على ذاك الإطار القديم الذي يحوي بداخله العديد من الذكريات،
تفحص الصورة بعينه لوهلة و كم كان يُود أن يعود إلى تلك الذكريات الهادئة حيث
الدفء و العائلة السعيدة، فقد تملكه الشيب و لا يعلم إلى متى سيحيا لينعم بمثل تلك
الأيام مُجددًا...

أحس بيدٍ حنونة تهبط على ظهره ثم تقف بجواره لتنتشل منه الإطار بهدوءٍ كي
تضعه بالصندوق و تتأمله في ذات الوقت، بقيا لفترة من الزمن في حالة من الهدوء
قطعتها نداء بنبرة قلقة:

-تفكر هيعرف الحقيقة ؟ ... كل يوم الكدبة بتكبر-

أحاطها بذراعه ليحتويها بداخله و يُحاول طمأنتها رغم القلق الجامح بداخله:

-مينفحش يعرف_

اعترضته ببعض الهجوم:

-بس إحنا هتكذب لحد إمتي ؟

ظل عبد الصبور صامتًا لا يعرف الإجابة حتى اخترقهما صوت لؤي الذي أتى في
تلك اللحظة و معه عوالم الغضب الذي غلفه بالانكسار و الخذلان:

-ما ترد عليها ... هتكذبو لحد إمتي

انقبضت أساريهما و هما يلتفتا ليقابلا عيناها الحمراء و صوته المُتجلجل، بقيا لفترة
في حالة من الصمت قطعتها نداء و هي ترسم ابتسامة زائفة على ثغرها تبعثها
بصوتٍ حنون يحمل ارتجافة بسيطة:

-لؤي !! ... إنت ... إنت خلصت شغل

إقتربت خطوتين نحوه فابتعد بدوره عنهما و لا زالت عوالم الحقد تلوح على وجهه:

-محدث يقرب مني...-

وجه عينيه نحوهما ليوصل بانكسار:

-أنا لما الدنيا بتيجي عليا و كل حاجة تطريق فوق دماغي كنت أول حاجة بعملها
إني أترمي في حُضنكم أنا كنت مستعد أعمل أي حاجة عشانكم ... ليه في الآخر
تعملو فيا كدة؟؟

صرخ بآخر كلماته مما جعل الرهبة تتدفق بداخلهما و الدموع تكاد تُزين وجنتا ثناء
من شدة خوفها لما هو آتٍ، بالطبع هناك ما يعرفه و يجعله يتصرف بتلك الطريقة...

تشجع عبد الصبور و تقدم خطوة نحو لؤي ليُحاول التهدئة من روعه و كي يفهم
سبب تصرفاته أو يتأكد مما يشك به:

-أقعد يا بني و فاهمنا إيه إلهي حصل-

قالها بعفوية و صوتٍ هاديء جعل لؤي يزداد غضبًا و هو يصرخ بكليهما:

-متقوليش يا ابني ... إنتو مش أهلي-

سرق أنفاسه و جاهد كي يسجن دموعه و هو يوجه الحديث نحو عبد الصبور بعتاب:

-أنا كان المفروض اجيب قوات و أخليهم يقبضو عليك ... كان المفروض تبقى في
السجن من زمان ... بس حتى دي مش قادر أعملها مش قادر أبلغ عنك رغم
إنك واحد مُجرم

صرخ مجددًا بوجهه مما جعل عبد الصبور يتأكد من الأسرار التي انكشفت للأسف،
حاول إحاطته بذراعه لكن لؤي لم يسمح له فاكتفى بالتبرير لنفسه بندم:

-أنا كنت مجبور اعمل كدة ... مكنش هينفع حد يعرف إنك مش ابني ... وقتها
مكنش هتبقى ظابط و مكنش هتحقق حلمك ... أنا عملت كدة عشان مُستقبلك

لم يتحمل لؤي المزيد من التبريرات فهتف بصوتٍ مُرتفع:

-كفاية تبريرات بقى كفاية ... أنا عايز أعرف أنا مين ... و ليه مقولتوش إنكم
متبيني

هنا تدخلت ثناء لتُخبره الحقيقة بوجه مُغرورق بالدموع، فطالما خشيت تلك اللحظة
التي ستقلب مستقبلاً بأكمله:

-إحنا مش متبينيك ... إنت اتولدت هنا

لاح التيه على وجهه و هو يسأل:

-إزاي؟؟ ... و أهلي فين؟؟

وضعت يدها على كتفه و هو تُخبره بحنان:

-أقعد و إحنا هنفهمك كل حاجة

استجاب لها و جلس على الأريكة كالإنسان الآلي، جلست ثناء قبالتة و جوارها عبد
الصبور يحني رأسه بخجلٍ من مواجهة قرّة عينه...

ترددت ثناء قبل أن تأخذ نفساً عميقاً أدلت معه الحقيقة:

-زمان قبل ما أنا و عبد الصبور نتجوز ... كان في بنت غلبانة اتخطفت و هي عيلة
ستاشر سنة ... عبد الصبور كان بيحقق في قضيتها بعد ما لقو البنت مرمية في
الشارع و حالتها صعبة

وجهت نظرة عابرة نحو عبد الصبور لتجده يُشجعها على المواصلة رغم خوفه مما
هو قادم، أعادت نظرها نحو لؤي لتواصل:

-عبد الصبور فضل ماسك قضيتها لغاية ما اتقفلت ضد مجهول عشان مكنش في أدلة، رغم إن البنت كانت عارفة مين إللي خطفها بس مكنتش قادرة تقول، عبد الصبور بس إللي عرف هو مين، و للأسف معرفش يثبت عليه حاجة..

أخذت نفسًا عميقًا ثم واصلت أمام عينا لؤي المُترقبة:

-بعدها عدت أيام و اسابيع، و أنا و عبد الصبور عملنا الفرحة ... هو كان قايلي قبل ما نتجوز إنه مش بيخلف، و مع ذلك اتمسكت بيه و رضيت بقضاء ربنا لغاية ما ... في ليلة الدُخلة لقينا حد بيخبط على بابنا ... لما فتحنا لقينا البنت دي قدامنا ... كان اسمها ليلى، و كان وشها مخطوف و بطنها كبيرة ... قالتلنا إنها حامل ... من إللي خطفها ... و إن أهلها إتبرؤ منها عشان سُمعتهم مكنتش تعرف غير الظابط إللي كان ماسك قضيتها ... استجدت بينا عشان نساعدنا ... و هي صعبت عليا فدخلناها البيت ... فضلت عندنا اربع شهور لغاية ما خلّفت ... جابت ولد

تقاطرت بعض الدموع على وجنتيها فجففتهم لتواصل الحديث و هي تنظر له:

-كان جسمها ضعيف فمستحملتش و ماتت بعد ما خلّفت علطول ... عبد الصبور قالي نؤدي ابنها في ملجأ، بس أنا مقدرتش ... قولت إنك هدية و جاتلنا من عند ربنا...

وضعت يدها على راحتي لؤي الساخنتين كما وجهه الذي لم يتوقف عن الغليان،
أكملت الحديث بصوتٍ مُتهدج نادم:

-أنا إللي قولت لعبد الصبور يسميك على اسمه ... و لما الدكتور ده كان بيهدده
إضطر يعمله إللي هو عايزه عشان خاطرِك ... مكنش ينفع حد يعرف إنك _

قطعها بصوتٍ مبحوح و يده تُنتزع من بين راحتيها بحدة:

-إني ابن حرام مش كدة؟؟ ... مكنش ينفع حد يعرف إني جيت غلطة

حاولت اعتراضه بأعينٍ حمراء و وجهٍ يكاد ينفجر بالبكاء:

-لأ إنت مش غلطة ... إنت أهم حاجة بالنسبانا

دفع يدها بحدة ثم وثب من مقعده ليتحرك بعدها بسرعة حتى ترك المنزل بأكمله مُتجاهلاً صوت ثناء التي كانت تناديه بلا فائدة، ولا عبد الصبور الذي يتابع ما يحدث في صمتٍ لا يعرف ماذا يفعل بتلك الورطة و كأنه استسلم إلى ما سيحدث...

توقفت سيارة الأجرة أسفل البناية المُراد لتترجل منها قمر و تهول بسرعة إلى داخل البناية ثم تستقل المصعد إلى الطابق المُراد دون أن تلاحظ لؤي الذي يتحرك أمامها ليستقل سيارته و يذهب بعيداً رغبة في نسيان ما حدث و حقيقة كونه عالية على والدته الحقيقية التي تُوفيت بسببه...

وجدت باب المنزل الخاص بلؤي موارباً فدفعته لتدلف المنزل بترو و تجد ثناء مُجهشة بالبكاء و عبد الصبور يتحرك في كل مكانٍ برأس يكاد ينفجر..

اتسعت حدقتيها بقلقٍ ثم جالت بعينيها في كل مكانٍ رغبة في العثور على لؤي لكن محاولاتها باءت بالفشل، إقتربت خطوتين من ثناء لتسألها بقلق:

-هو لؤي فين؟؟

كفكفت ثناء دموعها ما إن لاحظت وجود قمر و أدركت أنها طوق النجاة الوحيد لقرة عيناها، وضعت راحتها على خاصة قمر كي تُخبرها بين شهقاتها و ألمها الدفين:

-روحيله يا بنتي ... هو مش هيسمع حد غيرك

انفطر قلبها على حالتها و آرادت بشدة أن تساعد لكنها لا تعلم حتى أين ذهب...

-هو راح فين؟

تشدقت ثناء بين دموعها:

-معرفش ... معرفش

واصلت البكاء بعدها مما جعل قمر تزداد ضيقًا و قلقًا، لكنها أيضًا تحاول التفكير في الأماكن التي من الممكن أن يضحى بهم لؤي، فلطالما كانت ذاكرتها ضعيفة، لكنها الآن يجب أن تصب تركيزها و تعسر ذهنها جيدًا قبل أن يتوه لؤي في متاهة و لا تعرف مكانه أبدًا..

بعد فترة من التفكير قررت أن تذهب إلى مكانٍ ربما يضحى به لؤي لأنه أخذها أكثر من مرة إلى ذلك المكان و أخبرها أنه من أفضل الأماكن بالنسبة إليه..

ربتت على كتف ثناء لثطمئنها بحديثها:

-متقلقيش يا طنط ... أنا هدور عليه...

أمواج و أعاصير تلوج بداخله عازمة على تحطيم جداره الذي أضحى هشًا بسبب ما يحدث، لطالما أراد أن يُصبح كذاك العصفور الذي يقف على إحدى الصخور ليرتشف من تلك المياه الهادئة، أراد أن يُحلق عاليًا في السماء و يبتعد عن كل هذا...

تتأرجح قدماه بتر و أعلى سفحة المياه لعلها بتلك الحركات قد تُقلل بعضًا من اضطراباتة، كاد عقله يلتهمه من كثرة التفكير مما جعله يمسك رأسه بكتنا يديه و بداخله يصرخ : توقف أيها العقل اللعين، يجب أن تدعي أن حياتك مثالية لتواصل الحياة...

لطالما أحب أن حياته تمتليء بالإثارة و المغامرة، فعلى الأقل يجد هدفًا مما يفعله، أما الآن ... فهو لا يعرف كيف يواصل حياته، لا يعرف كيف يتستر على مجرمٍ كان بالأصل والده، لا يعرف كيف يُخبر الجميع أنه لقيط أتى هذا العالم بالخطأ...

أرعى رأسه للوراء كمحاولة لإزاحة تلك الأفكار اللعينة، فكلما هزمته أفكاره، كلما أصبح أسيرًا لها و عذبتة بنيرانها...

أسند راحته على الجسر الخشبي الذي يجلس عليه ثم أغلق عينيه وفتحهما لعل الهدوء يأتيه بتلك الحركة.

أحس بخطواتٍ هادئةٍ تقترب نحوه و صوتٍ عذبٍ يعشق الإنصات إليه:

-كنت متأكدة إنني هلاقيك هنا-

جلست قمر بجواره لتجد عوالمه باهتة تجعله يتحلى بالصمت و لا يُجيبها حتى، بقيت فترة تُحدق بعينيه الغائمتين حتى أرذفت بمواساة:

-أنا عارفة إن الموضوع صعب ... بس هما أكيد كان عندهم أسباب...-

لايزال الصمت يلوح عليه و هي تتحدث و تواسيه بكل ما أوتيت من قوة و هو لا يستمع لها حتى..

بعد أن لاحظت أن محاولاتها باءت بالفشل إقتربت منه أكثر لتضربه ضربة بسيطة على كتفه كمحاولة لتلطيف الأجواء بدلاً من المواساة، قررت أن تستخدم أسلوب الابدال و الحديث معه بأمور أخرى تجعل الابتسامة تفترش جسده و تحل محل الضيق.

-خلاص بقي فك وشك...-

لم يتحدث أيضاً فأرذفت بمرح:

-طب تعرف بقي ... أنا قبل كدة كنت هروح أعمل تحليل دم من ورا أهلي عشان أتأكد إن أنا بنتهم ... أصل وقتها كنت بتفرج على مسلسل تُركي كان فيه بطلة بردو اكتشفت إن عيلتها مش عيلتها و إنهم بدلوها في المُستشفى

رسمت على وجهها الضيق الزائف و هي توصل الحديث:

-بس للأسف معرفتش-

ارتسمت ابتسامة بسيطة على وجهه ما إن لاحظ تعبيراتها المضحكة و حديثها عن الجنون الذي كانت تفعله في صغرها، لاحظت ابتسامته البسيطة فابتسمت هي الأخرى بانتصارٍ ثم إقتربت منه أكثر ليحاوطها هو بذراعه و يسمح لها بإلقاء رأسها على كتفه لتشاركه مشاهدة الغروب كزوجين حبيين...

واصلت الحديث عن نفسها كي يتشتت عقله أكثر:

-كنت عايزة أقولك كمان إني سيببت الشغل ... أصل أنا مش هخلي حد يمشي كلامه عليا ... بس مش عارفة هعمل إيه بعد كدة، دا أنا ما صدقت لقيت الشغلانة دي

ابتعدت عنه لتواصل بلهفة:

-إيه رأيك أفتح سنتر للطاقة الإيجابية زي ريتا؟ ... ولا أروح أشتغل معاها و خلاص ... ولا أقولك، أنا هفضل في البيت لغاية الفرح ... بلا شغل بلا نيئة، مش بيجي من وراه غير الهم_

قطع ثرثارها ببسمة هادئة على ثغره ألصقها بصوتٍ رخيم:

-الحمد لله إنك موجودة ... عشان إنتِ الحاجة الحقيقية الوحيدة إلي في حياتي

كانت الطبول تُقرع داخل فؤادها مما جعل ابتسامتها تتسع و تعاود اسناد رأسها على كتفه و مشاهدة السماء أثناء ردها:

-تعرف إن دي أول مرة حد يقولي فيها إن أنا مهمة ... أصلهم طول الوقت يقولولي إني مليس لازمة ... حتى المُدرسين إلي كانوا بيدوني في المدرسة، كانوا_

قطع ثرثارها صوت الهاتف الخاص بلؤي الذي كان يصدح عاليًا؛ أخرج لؤي الهاتف من حوزته ليرسم الجدية على وجهه و هو يُجري تلك المكالمة التي بدت في غاية الأهمية..

-إيه !! .. تمام .. أنا جاي حالًا

أغلق المكالمة بغضبٍ يلوح على قسماته فسألته قمر بقلق:

-في إيه؟

أجابها و هو يثب من مكانها و يستعد للرحيل:

-سليم دوديار إتقتل...

إنطفاً الضوء حالما اختفت الشمس و حل محلها القمر ببريقه الساحر و نجومه المتلألئة جواره.

تقف قمر أمام سراجها تُعدل من وضع حجابها و لازالت أفكارها تدور حول ما حدث لزوجها و كيف تجعله يتدارك هذا الأمر و يواصل حياته، تعلم جيداً أنه لن يستطيع مواصلة حياته بصورة طبيعية، فهناك شيءٌ انكسر بداخله و لا يمكن تصليحه أبداً خاصة إذا كان سبب الانكسار هم الأهل، و من ظن يوماً أنهم مصدر الأمان و الحماية بحياته...

انتهت من وضع حجابها لتترك حجرتها و تتجه نحو باب المنزل كي ترحل و تُقابل أصدقاءها كما اتفقت معهم مُسبقاً.

انتبهت إلى والدتها المُنهكة بتقطيع الخُضار بالمطبخ لتطهو بهم إحدى الأكلات...

-ماما .. هو ينفع أسألك سؤال؟؟

قالتها و هي تقترب خطواتٍ نحو والدتها لتقف معها داخل المطبخ الذي لا تتعدي مساحته بضع أمتار، فكانت قمر تستند على الطاولة بظهرها و جوارها والدتها تُقطع الجزر على لوحٍ من الخشب و تُهمهم بمعنى أنها تستمع إلى ما ستقوله...

-هو أنا مش بنتكم؟

عقدت نجمة حاجبها بحيرة من سؤال ابنتها الغريب و الأحقق بأن واحد...

-مش بنتنا إزاي؟؟

فسُرت قمر حديثها أكثر:

-يعني إنتو مش جاييني من الملجأ و بتخدعوني و بتقولولي إني بنتكم؟

تنهدت نجمة بنفاد صبرٍ ثم أجابتها:

-و إيه لازمته السؤال ده؟..

استدارت قمر لتستند بمرفقيها على الطاولة و تنتشل قطعة من الجزر لتأكلها و هي تُفسر سبب سؤالها بتلقائية:

-مفيش .. أصل في حد أعرفه اكتشف إن أهله بيخدعوه و إن هو مطلعش ابنهم

استرقت والدتها السمع جيداً حتى نهش الفضول أحرشها و هي تسأل:

-دا مين ده ؟ ... حد نعرفه ؟

أجابت قمر بسرعة:

-أه ... ده _

بترت باقي حديثها ما إن أدركت ما كادت تتفوهه، فهي من أولئك الثرثارين الذين لا يبقون السر أبداً، و قد أوقعها هذا في العديد من المشاكل ... هذه المرة لن تستطيع أن تفشي سره أمام عائلتها خاصة والدتها، فربما إذا عرفت الحقيقة ستجبرها على تركه و هي لن تستطيع فعل ذلك، لهذا السبب تراجعت عما كادت تقوله و هي تبتعد عن الطاولة:

-إيبه ... لأ، مش حد نعرفه ... دي شخصية من المسلسل إلبى بتابعه

استندت مجددًا على الطاولة لتسأل للمرة الثانية:

-ها قوليلي بقى و متكديش عليا ... أنا بنتكم بجد ولا متبيني ؟

زفرت نجمة الهواء من جوفها ثم عاودت تقطيع الجزر و هي تُجيبها بسخرية:

-مش بنتنا يا حبيبتى ... أصل عيلتنا مكنش فيها واحد أهبل

أدركت قمر أو والدتها تسخر من حديثها لذلك شعرت ببعض الغيظ و هي تتحدث:

-على فكرة ده مش أسلوب ... المفروض تقوليلي الحقيقة بطريقة تانية غير كدة_

فاض الكيل بنجمة من تلك الثرثرة التي تقاطعها أثناء عملها و تسأل أسئلة حمقاء لا تدري من أين أتت بها، رفعت السكين أمام وجه قمر لتحادثها بتوبيخ:

-إطلي من نفوخي يا قمر و سبيني أكمل إلبى بعمله ... و أنا هلاقيها منك ولا من إخوانك

زفرت قمر الهواء من فمها بضيقٍ ثم انتشلت قطعة من الجزر من أمام والدتها قبل أن ترحل من المنزل مع كلماتها المتذمرة:

-يووه ... هو ليه مفيش حد بيجاوبني ؟

دببت على الأرض بقدميها بينما كانت نجمة توصل التقطيع و تتحدث بقرارة نفسها :

-ربنا يهديك يا بنتي...

كانت الأوضاع مرحلة بذاك المنزل على عكس ما يحدث مع الآخرين، حيث كانوا يجتمعون بالمنزل الخاص بمُعترِ إحتفالاُ ببدءه لمشروعه الجديد و الذي هو شركة صغيرة للتنقل تُشبه سيارات الأجرة و لكن بطريقة حديثة تستخدم التكنولوجيا...

لم يكن بالمنزل سوى كل من مُعترِ و كوكي و كذلك إسلام و داليا، فقد كانوا يلعبون لعبة " بدون كلام " و كان يقف إسلام قبالة داليا يحاول أن يشرح لها الفيلم المكوّن من كلمتين حتى تحاول معرفته قبل انتهاء الوقت...

كان يشير بإصبعه على نفسه فكانت داليا تقول بشك:

-الكلمة الأولى ... إيه؟؟ ... إسلام؟؟

نفى إسلام برأسه فحاولت مجدداً:

-راجل؟؟

نفى مجدداً فسألت:

-ذكر؟؟

حاولت أكثر من مرة و هو لا يزال ينفي برأسه حتى نفذ صبرها فقالت:

-خلاص قول الكلمة الثانية

وافق إسلام على حديثها ليرسم علامة اثنين بأصابعه ثم يُشير عليها مما يجعلها تسأل

:

-أنثى؟؟

نفى برأسه فوضعت يدها على ذقنها تُفكر لو هلة قبل أن تسأل مجدداً:

-ست؟؟

بقيت تحاول العثور على الإجابة الصحيحة لفترة طويلة قطعها معتر بصوت عالٍ:

-خلاص .. الوقت خلص

ما إن أدلى مُعتر بتلك الجملة حتى أردف إسلام بضيق:

-إزاي مش عارفة سُكر مُر ... دا فيلم سهل جدًّا

لاح الغضب على وجه داليا و هي تردف:

-سُكر مُر !! ... و إنت ليه بتشاور عليا في آخر كلمة؟؟ ... قصدك إن أنا مُر؟؟

نفى إسلام حديثها بقوله:

-لا مش قصدي عليكى ... قصدي على الجواز

شبهت بصوت عالٍ وضعت معه يدها على ثغرها لتردف بعدها بغضبٍ قد ازداد
أضعافًا:

-إنت قصدك إن جوازك مني كان مُر

حاول تهدئتها مجددًا بصورة تجعل ما يقوله عاديًا رغم أنه يُصيبها بالحنق:

-هو إحنا أساسًا إتجوزنا ... دا يدوبك كتبنا الكتاب ... أنا كنت بعمل كدة عشان
تفهمي بس مش أكثر

تداركت داليا حديثه لأنها تعلم أنها لن تصل معه إلى حل، فدائمًا ما تصفه بالمتعنت
صلب الرأس الذي يرسم مُعتقداتٍ خاطئة و لا يقبل النقاش بها أو تغييرها، و ربما
هذه ستضحى عقبة بزواجهما لكنها تستطيع تفاديها جيدًا..

-و بالنسبة بقى لكلمة سُكر ... كُنت بتشاور على نفسك ليه ؟

أجابها ببساطة و نبرة مُتعالية:

-عشان أنا سُكر

أطبقت على شفتيها بغضبٍ من تعاليه لكنها لم تنبس ببنت شفة لأن مُعترز وثب من مكانه ليقطع جدالهما بتقرير:

-اسكتو بقى عشان همثل

كان يحمل معه البطاقة التي سيقراً منها اسم الفيلم ثم يضع البطاقة جانباً كي يبدأ التمثيل لكوكي الجالسة أمامه تنتبه جيداً إلى ما سيقوله، بدأ بالإشارة على نفسه أولاً ثم أشار على كوكي التي أدركت الفيلم من أول وهلة فقالت بحماس:

-أنا لحبيبي

هلل مُعترز بانتصار عانق معه كوكي التي استطاعت معرفة الإجابة بسهولة، أما عن داليا فكانت تراقبهما من بعيد و تقول لإسلام بتذمر:

-شايف .. عرفو الفيلم من أول عشر ثواني .. مش زيك... بتشاور على نفسك و بتقول سُكر

قلدت حركاته مع آخر جملة و ما كاد يُجيبها حتى وجدوا باب المنزل يصدح عاليًا؛ و ثبوا من أماكنهم ليفتحوا لذاك الزائر الذي لم يكن سوى قمر...

قابلوها بسعادة و تُرحاب رغم الجمود و الضيق الباديان على وجهها مما أصابهم ببعض القلق..

-مالك يا بنتي ... و فين لوي؟؟

سألتها داليا بقلق لكن قمر لم تُجبها و إرتمت على الأريكة تحاول أن تحجب عنهم الحقيقة لكن لسانها الصريح يمنعها.

-لؤي ... لؤي...-

زادت تهتهتها من قلقهم فجلسوا حولها يستفسرون عما حدث بأسئلتهم عن لؤي و أين هو...

تنهدت بالنهاية بنفاد صبرٍ و قررت الإفشاء بسرهِ رغم أنها متأكدة أن لؤي سيضجر منها، لكنها أيضاً متأكدة أنها ستنفجر إن لم تُخبر أحدهم بالحقيقة..

-بصراحة بقي ... لؤي عرف حاجة مكنش المفروض يعرفها ... و أنا السبب

جلس إسلام على المقعد قبالتها ليسألها بفضولٍ و بعض القلق:

-عرف إيه؟؟-

تنهدت قمر مجدداً قبل أن تقص عليهم كل ما حدث منذ أن ألقوا القبض على سليم حتى المواجهة التي حدثت ما بين لؤي و والديه و التي أخبرتها ثناء إياها، فما إن انتهت من الحديث حتى لاحظت عوالم الصدمة المُرتسمة على وجوههم و التي تبعها مُعترز باستنتاجه:

-يعني لؤي ابن غير شرعي؟؟-

بقيت الأسئلة تتناقل بينهم مما جعل قمر تُدرك أنها ارتكبت خطأ جثيماً...

-دا لؤي هينفخني

قالتها بقرارة نفسها أمام الأسئلة التي تحوم حولها و التي أوقفها بتقرير:

-أنا عايزاكم تروحو تواسوه .. عشان ميحسش يعني إنه لوحدهِ و كدة ... ممكن؟؟-

سألتهم بتوَّسل فكان ردهم غاية بالوُد و الترحيب:

-أكيد ... هو فين بس الأول؟؟

كان هذا سؤال إسلام و الذي أجابت عليه بسرعة و صدق:

-في الشقة بتاعتنا إللي في العُمارة دي...

حياتنا هي بناية يتم بناءها على أرضٍ و عرة، حيث تتكالب الصخور على تلك البقعة الضيقة حتى تأتي الصخرة التي تهدم البناية بأكملها، الصخرة التي تثبت أن تلك البناية لم يكن مُفترض لها أن تُبنى في تلك البُقعة،،،

هكذا أضحى عليه الأمر و هو وحيد بمنزله البسيط يجلس بهدوءٍ على أريكة البهو مُنكس الرأس مُتهدل الأكتاف يؤنب نفسه على كل ما حدث، فبخلاف تستره على مُجرمٍ تسبب أيضًا بخسارة رجلٍ مهمٍ كاد يساعده على الوصول إلى أعضاء تلك المُنظمة...

أرخی رأسه للوراء لعله يستسلم للنوم و يهرب من ذاك العالم، لكن جرس المنزل أصدر ضجيجًا بالأرجاء جعله يترجل من الأريكة و يهم بفتح الباب لذاك الزائر بأعينٍ مُقتضبة...

وجد أمامه كل من إسلام و معتز يرسمان ابتسامة هادئة على ثغريهما يليهما كل من كوكي و داليا لكن قمر وقتها قد استأذنت لغرض ما لا يعرفوه..

أزاحه إسلام عن وجهه ليدلفوا المنزل رغماً عن أنف لؤي، إرتمى إسلام على الأريكة بأريحية و إرتكن بقيتهم إلى مقاعد تجوب بأركان المنزل حالما يأتي لؤي الذي لم يُعطِ لهم بالأعلى الرغم من أن بداخله بعض الضيق من مجيئهم في تلك اللحظة..

-إيه يا لول مالك ؟ ... نسيك ساعتين يحصل كل ده

قالها إسلام بمرح ليفتح الحديث معه بطريقة ودودة قابلها لؤي بلامبالاة و لم ينطق ببنت شفة.

لم يستسلم إسلام و أحاطه بذراعه بعد أن لاحظ عوالم الضيق المُرتسمة على وجهه..

-ما خلاص يا لول بقى .. فيها إيه لما تطلع مش ابن أبوك و أمك

انتبه لؤي لحديثه و هذا ما قد أشعره بالغضب لأن من المفترض أن يضحى هذا سرًا.

-هو مين إالي قالكم ؟

قالها ببعض الغضب و الذي جعلهم يمتنعون عن الإجابة و يتبادلوا النظرات فيما بينهم، بعد بُرهة من الصمت استنتج لؤي ببعض الغل الدفين:

-أه .. أكيد قمر

لم يؤكدوا استنتاجه و بقوا في حالة الصمت حتى تدخل مُعترز ليُغير الحديث و يعاود مواساته:

-إبيه ... إسلام معاه حق ... يمكن إنت متكونش ابنهم الحقيقي بس على الأقل كانوا واقفين في ضهرك ... أنا أمي ميتة و أبوية تقريبًا ميعرفش عني حاجة

أنهى حديثه بصدق ليُرسل إلى لؤي أنه ليس الوحيد من يتعرض للخُذلان، أضافت داليا على حديث مُعترز كمحاولة لمواساة لؤي:

-و في ناس تانية أهلهم متطلقين و بيتشخطو من بيت لبيت و في محاكم الأسرة

أضافت كوكي هي الأخرى على نفس نمط المواساة:

-و في إلهي مامته مية و بيتشحط من بلد لبلد

لم يجد إسلام ما يقوله لأنه الوحيد الذي لديه عائلة سوية تفهمه و تدعمه مما يُصيبه ببعض الضيق لرغبته في بعض الإثارة بحياته، اكتفى بتربيته على كتف لؤي و تفسير حديثهم:

-أهو شوفت ... كلنا بنعاني مش إنت لوحدك

لم يُبدِ لؤي أي من التعبيرات سوى أنه دفع إسلام بعيداً عنه ليقول:

-سيبوني لوحدني لو سمحتم

لم يستسلم إسلام و أراد رسم الابتسامة رغماً عن أنفه:

-إحنا مش هنسيبك إلا لما تضحك...

أصر لؤي على قراره بضيق:

-يا إسلام خلاص ابعده عني

عانده إسلام و هو يحاوطه مجدداً و يقترح بمرح:

-طب استنى أقولك نُكْتة ... مرة واحد إتجوز واحدة صينية شال بيها الشاي

إنفجروا بالضحك على دعابته حتى تدخل مُعْتز ليقول دعابة أخرى لعل لؤي يبتسم تلك المرة:

-مرة سحابة قالت للسحابة إلهي جنبها ما تيجي نرتبط .. راحت قالتها خينا سحاب أحسن

قهقهوا مجدداً على دعابته ليرد إسلام مرة أخرى:

-طب مرة واحدة اسمها ساندي دخلت هندسة بقيت ساندي متر

اقتظ المكان بالضحك حتى كادت أوجههم تأخذ اللون الأحمر، لم يتوقف إسلام عن إلقاء الدعابات حتى كاد لؤي يفيض ذرعاً و يرغب بلكمه على وجهه حتى يصمت..

-مرة ترزي مشي في حطة مقطوعة راح مخيبتها

قهقهوا مجدداً فعاود إلقاء دعابة أخرى حتى يبتسم لؤي و لو قليلاً:

-طب مرة_

كعم لؤي فمه بعد أن فاض الكيل به و من نكاته السمجة من وجه نظره..

-أقسم بالله لو قولت نكتة تانية لآكون رامي نفسي من الشباك

ترك فم إسلام الذي استجاب إلى طلبه و لا يزال هناك رغبة بداخله لجعل هذا المتصالب يضحك، أحاطه بذراعه رغم اعتراض لؤي و طفق يُبرر لتصرفاتهم..

-إيه يا لول ... الحق عليا يعني إني مش عايزك تبقى متضايق

أردعه لؤي بكلماتٍ حادة:

-مبقتش متضايق ... بقيت عايز أنتحر

ما كاد إسلام يُجيبه حتى استمعوا إلى صوت الجرس يصدح عاليًا؛ ترك مُعترز مقعده بسرعة ليفتح لذاك الزائر حتى ظهرت أمامهم قمر و معها كل من عبد الصبور و ثناء يوجهان أبصارهما إلى الأرض و التردد يُسيطر على أجسادهما مما هو قادم، فقد ألحت عليهما قمر بأن يتحدثا مع لؤي و يؤكد له كم أنهما يُحبانه...

أفسح لهم المجال ليتوغلوا المنزل و تتوغل معهم قمر كذلك، ترك إسلام الأريكة ليستأذن بعدها هو و بقيتهم كي يتركوا لؤي وحده مع عائلته و قمر التي أضحت جزءاً منها...

لم يُعرهم الانتباه في البداية حتى جلست ثناء بالقرب منه على الأريكة تضع يدها على يده بحنانٍ استشعرت معه برودة كفه و الضيق الذي يغمر كيانه...

-أنا عارفة إننا غلطنا ... بس عشان خاطري حط نفسك مكانا...

أضاف عبد الصبور على حديثها و هو يجلس جواره من الجهة الأخرى:

-والله كنا عايزين نقولك الحقيقة ... بس مكناش عايزين نوصل للحظة دي ... مش عايزين نشوف الكسرة إالي في عنيك

خرج صوت لؤي خافتاً يحمل كمًا من الألم:

-يا ريتكم كنتو قولتو من بدري ... على الأقل أبقى عارف أنا مين ... و مُكنتش دخلت شرطة

أنكس عبد الصبور رأسه بندم تبعه بقوله:

-أنا إالي غلطان مش إنت ... مكنش المفروض أتعاون مع إالي اسمه سليم ده و أنا عارف إنه مُجرم و لو عايزني أسلم نفسي و أعتزل من الداخلية أنا معنديش مانع_

قطعه لؤي باعتراض أبرز حبه الدفين الذي يكنيه لكليهما:

-لأ ... خلاص سليم إتقتل ... و أنا مش هقدر أشوفك مسجون بسببي

تدخلت ثناء بالحديث لتردف بأمل:

-يعني إنت مسامحنا؟؟

أجابها لؤي بنفس نبرته الهادئة التي لا تحمل أي من المعاني:

-للأسف مقدرش أتضايق منكم ... طول عُمركم كنتو واقفين جنبني ... بس في نفس الوقت في حاجة جواية بتقول إن وجودي بينكم غلط

عارضته ثناء باندفاع بسيطة:

-إنت عُمرك ما كُنت غلطة ... إنت الهدية إلهي ربنا بعتها لنا من السما

أحاطته بذراعها لتُقربه عنها حتى يرتمي برأسه على كتفها لعله يصب ضيقه عليه و يتناسى الحقيقة المرة، بقوا لفترة في حالة من السكينة و بعض الحُزن الدفين حتى تدخلت قمر كمحاولة لتلطيف الأجواء..

-كفاية نكد بقي ... دا حتى الفرح بتاعنا كمان ثلاث أيام

انتشلت مقعداً لتجلس عليه أمام لؤي مباشرة كي تُخبره بلهفة:

-ده أنا محضراك حته دين مفاجأة في الفرح هتدعيلي بعدها

رفع لؤي رأسه من على كتف ثناء كي يسأل قمر بفضول:

-مفاجأة إيه؟؟

نصبت قمر قامتها و هي تُجيب بحماس:

-قررت إننا نعمل الفرح كله بالهندي ... يعني بدل ما تلبس بدلة فرح .. هتلبس لبس هندي و أنا كمان هلبس زيك

اعترض لؤي اقتراحها ببعض الإصرار:

-هندي إيه !! ... و نعمل هندي ليه أصلاً؟؟

تذمرت قمر بعض الشيء من استخفافه بقرارها:

-لا مليس دعوة أنا عايزة الفرح بتاعي يبقى هندي ... عايزاه يكون مُختلف عن كل الأفراح إلي اتعملت

اعترضها مجددًا لكن هذه المرة ببعض الحدة:

-مفيش فرح هيبقى هندي الفرح بتاعنا هيبقى عادي زي ما خططنا...

تتغلغل الأغنية الهندية ذات الصيحة الهادئة أركان تلك القاعة ذات النقوش على الجدران و الطاولات الأنيقة التي إجتمعت بدورها مع الورود و الأزهار المنتقا بعناية، تجلس قمر على مقعدٍ فسيح بردءاها الأحمر الداكن و المُطرز بحُبيباتٍ من الفضة المتخالطة مع الذهب و النقوش على حوافه بخلاف حجابها الذي أخذ نفس لون الرداء مع وشاحٍ من الشيفون ينسدل على ظهرها تعلوه قطعة من الذهب تحمل شكل هلالٍ مقلوب، كانت كالبدر بوجهها المُشرق و كالفراشة بانسيابيتها و سعادتها التي حلقت في الأفاق...

يجلس لؤي جوارها يرتدي سُترة ذهبية تصل إلى ركبتيه مع تلك النقوش البسيطة التي زينتها و بنطاله ذا اللون الأحمر الداكن كي يتوافق مع ما ترتديه قمر، كان يبدو عليه بعض الاضجار من تلك الملابس لكنه ما إن يرى ابتسامتها حتى تنقشع أوزار الضيق في أقل من لحظة كي يندمج معها في ذاك الزفاف..

-البدلة هتاكل منك حنة

قالتها قمر بابتسامة واسعة فأجابها ببعض التذمر:

-مش كنا لبسنا لبس فرح عادي أحسن

أصرت قمر على قرارها بنفس راضية لا يتخللها الندم:

-لأ كدة أحسن ... أنا أصلاً كنت عايزة أخلي الفرح فرعوني .. بس للأسف ملقتش
لبس فرعوني للمحجبات

أنهت حديثها بضيق بينما كان لؤي يحمد ربه على عدم تنفيذ خطتها الأولى و الاكتفاء
بهذا الزفاف غريب الأطوار...

بعد بُرهة من الصمت إقتربت قمر بضع إنشآت من لؤي كي تتحدث معه بلهفة و هي
تُشير بإصبعها على إحدى المعازيم:

-تعالى بقى ما أعرفك على عيلتي ... شايف إللي هناك ده ؟

أوما لؤي إيجاباً فأكملت:

-ده خالو سُهيل أخو ماما ... و مراته بقى تبقى عمتي عذراء أخت بابا

عقد لؤي حاجبيه بحيرة استفهم معها:

-هي مش إللي هناك دي كانت عمك جوزاء ؟

نفت قمر حديثه بتبرير:

-لأ عمتي جوزاء تبقى أختها التوأم ... و على فكرة بقى ماما تبقى بنت عم بابا

همهم بتفهم ثم سأل بعدها ببعض الفضول:

-هو ليه كلكم اسماء كواكب؟؟ ... يعني ليه هلال و نجمة و سُهيل و عذراء و
جوزاء؟؟

فسُرت له قمر:

-أنا هقولك ... أصل جدو فكري كان عالم فلك ... عشان كدة خلف ولدين سماهم
مُشترى و نعش ... و كتب في وصيته إن ولاده يكملو المسيرة و يسمو عيالهم
اسماء كواكب..

رمقها بغرابة تنظلي على وجهه و بداخله يقول أن تلك العائلة تزداد غرابة يومًا عن
الأخر...

بقي في حالة من الصمت قطعنها قمر و هي تجذب ذراعه و تردف بتقرير:

-يلا نقوم نرقص....

انتهى حفل الزفاف و اشتد سواد الليل عليهم و كذلك السكون الذي يزداد كلما رحل
المعازيم، لم يبقى بالقاعة سوى لؤي و قمر و والداهما و كذلك إسلام الذي ترك
القاعة ليتنعم ببعض النسيم ... يضع إصبع الخبز داخل فمه بعد أن دثره بين أصابعه
و كأنه يُدخن السجائر...

شعر بطيف أحدهم يقف جواره فأدرك فورًا أنها داليا، فدائمًا ما تُشاركه وحدته أينما
كانا..

-بتعمل إيه؟؟

أجابها و هو يزيغ ببصره:

-ولا حاجة

وضع إصبع الخبز داخل فمه فلاحظته داليا و شعرت ببعض الحيرة أثناء سؤالها:

-و إيه البُقسماط ده .. جبته منين دا البوفيه قافل بقاله كتير

برر إسلام و هو ينظر إلى إصبع الخبز بين يديه:

-لا ما أنا أخذته قبل ما يقفل .. أصل أنا مش بشرب سجائر و كنت عايز أبقى زي
توماس شيلبي خصوصاً بالبدلة إللي أنا لابسها دي

رسمت بسمه على ثغرها من تصرفاته التي تداركتها بعد فترة لتردف بلهفة:

-إحنا عايزين فرحنا يبقى كدة

سألها باستفسار:

-يبقى هندي؟؟

-لا يبقى مميز ... عايزين نعمل...

دار الحديث بينهما عن الزفاف لفترة قصيرة قطعها مجيء سيارة سوداء ضخمة
توقفت أمامهما مباشرة ليترجل منها حفنة من المثلثين ينقضون عليهما و يحاولون
تكميمهما و إرغامهما على دخول السيارة...

حاولت داليا الصراخ لكن المثلث نثر نوعاً من المٌخدر عليهما جعلهما يغيبا عن الوعي
ليستطيعا وضعهما بالسيارة...

حدث هذا على مرأى و مسمع مُعتر الذي لمحهما من بعيد و ركض نحوهما كمحاولة
لإنقاذهما لكن للأسف كان الأوان قد فات..

تصاعدت ضربات قلبه في خوفٍ جعله يُهرول مجدداً داخل القاعة حيث يقف لؤي
أمام قمر و جوارهما كل من والدا لؤي وكوكي و كذلك والدا قمر اللذان كانا بالقاعة
لكن لا يظهران الآن كما شمس و شهاب اللذان كانا يؤدعا قمر قبل أن تنتقل إلى
منزلها هي و لؤي، كان يوجد أيضاً كل من يسرا و خالد اللذان كانا ينتظرا إسلام كي
يُصافحاه قبل العودة إلى منزلهما، أما أبناءهما فقد رحلا للتو مع والدا إسلام لرغبتهما
الشديدة في النوم، فقد كانت هذه هي اللحظة الأخيرة بالزفاف...

هرول مُعترز نحو هذا التجمع الذي يضمهم جميعًا ليُخبرهم بصوتٍ مُرتفع يشوبه القلق:

-إحقوا يا جماعة ... داليا و إسلام اتخطفو

كان يلهث إثر الركض و إثر تلك الكلمات التي أصابت الرهبة في نفوسهم، تقدم لؤي نحوه بعوالم مُقتضبة قلقة لعله يستفسر أكثر عما حدث، لكنه ما كاد يخطو خطوة واحدة حتى دوي صوت الزجاج المُتهشم أركان القاعة...

إنحنى جميعهم ليتفادوا هذا التهشم الذي تبعه إلقاء شيء ما على الأرض ... رفع لؤي جذعه ليرى سبب ما حدث، فما إن وقعت عيناه على ذلك الشيء أمامه حتى فغر فاهه بصدمة و صاح بأعلى ما لديه..

-قُبلة!!

و في أقل من ثانية كان الانفجار يدوي في القاعة و الذي تبعه الدمار في كل مكان !!

...

الفصل السادس و العشرون (تم دفنهم)

هكذا هي حياتنا ... نصارع و نُصارع حتى يطولنا النجاح، لكننا نجدها تُفنى قبل أن نصل إلى خط النهاية...

رؤية مُشوشة إجتمعت مع حجرة مُظلمة و رأس ثقيل... قيود أُحكمت على أطرافهما تمنعهما من الجراك بعد أن استيقظا و وجدا نفسيهما داخل حُجرة صغيرة لا يوجد بها سوى السواد، فما الذي أتى بهما هنا و ما سبب وجودهما بتلك الحجرة المُكفهرة، هذا ما لا يستطيعا معرفته أبداً، فلا يتذكرا سوى تلك الأيدي الثقيلة التي أحاطت بهما و تلك الرائحة التي أصابتهما الاغماء حتى انتهى بهما الأمر هنا، فأما سيضحي مصيرهما الموت أو التعذيب... أو حتى سيتركنا لتتعفن أجسادهما بذاك المكان...

هذا ما كان يجول بخاطرهما بعد أن آفاقت و وجدت إسلام يركع على ركبتيه جوارها لا يزال مغشياً عليه لكنه بعد فترة آفاق و حرك رقبته التي أحدثت بعض الطقطقات...

-إسلام ... إنا فين؟؟

سألته بذعرٍ فأجابها بتيهٍ التفت معه في كل رُكنٍ بالحجرة:

-معرفةش ... بس الأکید إنا مخطوفين

سخرت من استنتاجه بقولها:

-لا يا راجل ... تصدق كنت فكرانا جاين نتفسح

ما كاد يرد على سُخريتها حتى وجدا باب الحُجرة ينفتح ليتوغل منه رجل ذو هيبة طاغية و خطوات يعرفها صاحبها جيداً..

كان ضُرغام هو من توغل الحُجرة بخطواتٍ هادئةٍ أصابتهما بالرهبه خاصة و هو يحمل غليونه و يُدخن منه بوجهيهما مع تلك النظرات المقيتة التي يُلقيا عليها...

رسم بسمة خبيثة على ثغره جعلتهما يزدردا ريقهما بهلع ليتأكدا أن ما سيحدث لن
يضحي هيناً بالمرّة، فهما هالكان لا محالة، ركع ضُرغام على رُكبتيه قبالتهما ليُردف
بدهاء:

-أسفين على الطريقة إلي جيناكم بيها بس وعد مني هتكون آخر مرة
بعدها مش هنشوف وشكم تاني

كان التهديد بادٍ على صوته لكن إسلام أراد ملاعبته بالحديث فسأل:

-إنت هتسافر؟؟

نفي ضُرغام سؤاله بمُكر:

-توء ... إنتو إلي هتسافرو ... و هتسافرو مكان بعيد أوي

أراد إسلام استفزازه باستنتاجِ أبله:

-هتؤدينا أستراليا ... حلو أنا كان نفسي أروحها من زمان

كبت ضُرغام الغضب بداخله ثم وثب من الأرض لِيُنهي الحديث بمُكر كما بدأه:

-لأ ... هتروحو عند شخص عزيز عليا ... و خسرتَه بسببكم

أنهى الحديث بأعينٍ جاحظة و نظرة نارية أثناء قوله:

-هتدفعو تمن موت بطة غالي أوي

تسمرت أجسادهما بصدمة مما أتّلي على مسامعهما، فما إن ترك ضُرغام الحجرة
حتى أردفت داليا بغير تصديقٍ و صدمة:

-بطة ماتت !! ... إزاي؟؟ ... ده كدة هيبقى آخر يوم في عُمرنا

أضاف إسلام على حديثها بذهول:

-إحنا قتلنا بطة!!-

عارضته داليا بحدة رغبة في تكذيب الواقع:

-متقولش كدة إحنا مقتلناهاش ... إحنا نقلنا روحها للرفيق الأعلى-

قطب حاجبيه بسخرية من حديثها و هو يقول:

-ما كدة يعني قتلناها-

هتفت بوجهه بحدة ازدادت أكثر:

-لا متقولش كدة ... أنا مستحيل أكون قتلت حد-

أخفضت وجهها و كادت الدموع تتقاطر من عينيها كلما فكرت بالأمر و بأن هذه هي نهايتهم المأساوية:

-إحنا أكيد هنموت هنا أنا مش مصدقة إزاي أصحابنا سابونا نتخطف-

أردعها إسلام بمزاح يتنافى مع ضيق الموقف:

-سابونا لو كس-

تبع حديثه بقهقهة خافتة أصابتها بالضجر و هي تقول:

-هو وقت هزار يا إسلام ... بقولك إحنا هنموت-

اعتذر إسلام مُبرراً لذاته:

-منا قولت آخر قلشاية قبل ما أموت

أفأفت بضيق و كانت على وشك البكاء لكنها أردفت كمحاولة للتخفيف من حدة المأزق:

-بس عارف يا إسلام ... أحسن حاجة إننا هنموت مع بعض و هنخذ قصة حُبنا زي روميو و جولييت

أردعها إسلام بسُخريته المعهودة:

-هنخذ حُبنا إيه يا داليا هو في حد يعرفنا؟؟

قطع حديثهما شخص يفتح الباب و يتوغل الحجرة ببنيته الضخمة و طوله الفاره، ظنا أنه سيأتي و ينتشلهما كي يذهبا إلى نهايتهما الأليمة، لكن ما حدث أنه توقف أمام إسلام ليرميه بنظرة مُستحقرة مدُّ معها حفنة من الأوراق نحو إسلام ليُخبره بنبرة غليظة:

-هو مش إنت دكتور؟؟

أوما إسلام إيجابًا فأعطاه الرجل الورقة و هو يواصل بأمر:

-إكتبلنا رويته بالأدوية دي ... يلا

أشار بسلاحه على رأس إسلام بعد أن فك وثاق يديه و أمره بكتابة أنواع من الأدوية الممنوعة حتى يبتاعوها من الصيدلية، لبَّى إسلام طلباتهم خوفًا من التهديد ثم أعطاهم الأوراق لينتشلها الرجل بحدة و يُعاود ربط وثاقه مجدداً قبل أن يترك الحجرة...

ما إن رحل الرجل حتى سألت داليا بغير تصديق:

-إنت ضربتلهم رويته؟؟

طمأنها إسلام بقوله:

-لا متقلّيش .. بدلت التيمو " نوع من الممنوعات " بمنوم

أردفت بأريحية و غير تصديق من عقلانيته:

-الحمد لله طلع فيك حاجة عدلة بس ممكن لو أخذو المنوم و صحيو يكتشو
إلي عملته و يقتلوك

سألته ببعض القلق فوجدته يُجيبها بثقة:

-دا لو صحيو

قطبت حاجبيها و هي تسأله بحيرة:

-ليه إنت مش قولت كتبتلهم منوم

فسر إجابته بثقة و فخر من ذاته:

-أيوة أنا كتبت منوم ... بس منوم للأبد

أغلقت عينيها بيأس من تصرفاته المُختلفة، فحتى و إن كانت نهايته قريبة لا يتوقف
عن تلك التصرفات المُختلفة، كانت تدعو بقرارة نفسها لبرهة حتى باغتتها فكرة ربما
تُسعفهما بتلك المُعضلة، رفعت رأسها لتسأل إسلام بلهفة:

-إسلام ... بتفكر في إلي بفكر فيه ؟

رمقها إسلام و هو يُجيب بغير تصديق:

-إيه ده !! ... إنتِ كمان بتفكري في الشاورما!!

لاح الغضب على وجهها و هي تقول:

-شاورما إيه يا إسلام هو وقته ... أنا جاتلي خطة نقدر نهرب بيها من هنا

انتبه لحديثها و هو يسأل:

-خطة إيه؟؟

-هاتلي ودنك أقولك الخطة عشان محدش يسمعنا

قطب حاجبيه و هو يبتعد عنها بضع إنشاتٍ بخوف:

-إنتِ عايزة ودني في إيه؟؟

طمأنته بحديثها الحاد قليلاً:

-يا إسلام مش هاكلها ... قَرَّب بس عشان أقولك الخطة

لَبَّيْ إسلام رغبتها ليقترب بأذنيه نحوها كي ينصت إلى همساتها بإمعان، فما إن انتهت حتى رسم بسمة إعجاب على ثغره من تلك الخطة التي سيُنفِذها فوراً....

صوت صريرٍ يدوي بأذنيه مع بعض الجروح الطفيفة التي يشعر بحرقتها، حاول الاعتدال في جلسته ليرمق هذه القاعة التي امتلأت بالأدخنة و الأتربة إثر هذا الدمار و تلك القنبلة الصغيرة التي انفجرت...

أحس بتَهشُّم عضلاته و هو يحاول الاعتدال و يبحث بعينيه عن أقاربه و معارفه:

-قمر .. قمر

ناداها باجهاڊ ما ان وجد واحد من النُدل ملقي على الأرض و الدماء تنسل من رأسه بغزارة، فربما الانفجار جعل جسد هذا المسكين يرتمي برأسه على مادة صلبة ألقته صريعاً، هذا المنظر جعل خوفه يزداد على قمر و يتجاهل ذاك الجرح الطفيف الذي يعتلي جبهته كي يبحث عنها، ما كاد يتحرك خطوة حتى استمع إلى صوت هامس يقول:

-لؤي...-

التفت برأسه حيث مصدر الصوت ليجد قمر مُستلقية بالقرب منه و الأتربة تملأ جسدها مع جرح طفيف على وجنتها إثر شظايا الزجاج التي تناثرت في كل مكان، حاولت الاعتدال في جلستها كي تسأل بقلق:

-هو في إيه؟؟-

قطع لؤي حديثها و هو يُشير على فمه بإصبعه كي تتوقف عن الحديث، فقد استشعر أقدامًا تتحرك أمامه و ظل سلاح انعكس على الأرض أشار إليه بأن هناك دُخلاء على القاعة أو مجموعة إرهابيون يريدون إضمار الفساد و القضاء عليهم، احتدت عوالم لؤي ثم فرد ذراعيه نحو قمر كي يحميها مما سيحدث..

-هو فين الباقيين؟؟-

سألته قمر بصوت هامس يكاد يُسمع و ما كاد لؤي يُجيبها بهمس حتى استمعا إلى صوت المُلثم يقول عبر اللاسلكي:

-لو لقيتو حد عايش إقتلوه .. حوّل-

تبع هذه الجملة مهمة صُدرت من مالك القاعة الذي كان ملقي على حافة السُّلم و كان على وشك القيام، لكن الرجل المسكين قد تلقى رصاصة اخترقت رأسه حالما أدرك المُلثم أنه على قيد الحياة...

إزدردت قمر ريقها برُعب من هُوّل الموقف و كانت على وشك أن تفقد وعيها من
الخوف لكن لؤي حاول طمأنتها و تحذيرها من التحرك حتى لا يلحظ المُلثم
وجودهما...

-أنا لازم ألاقي ماما و بابا-

قالتها بصوتٍ هامسٍ اختلط بدموعها المكبوتة، حاول لؤي تهدئة روعها بحديثه
الصارم و الهامس:

-خليكي هنا ... أنا هشوفهم-

أومأت رأسها في صمتٍ بينما أمعن لؤي التحديق بالملثم بأعينٍ ملاءها الغضب، فما
هي إلا بضعة ثوانٍ حتى..

وثب من الأرض بسُرعة لينقض على الملثم من الورا حتى دفعه دفعة قوية أدت إلى
سقوط الرجل على الأرض، شهقت قمر بذعرٍ و هي تُراقب ما يحدث من بعيد لكنها
شعرت ببداية أحدهم توضع على كتفها من الخلف مما أصابها بالقشعريرة و الخوف..

انقبضت أساريرها لوهلة لكنها هدأت ما إن رأت كوكي وراءها يبدو على ملامحها
الذعر خاصة شعرها البرتقالي المُشعث و الأتربة التي ملاءت ملابسها و التي
اجتمعت مع جروحٍ على مرفقيها..

-كوكي !! ... إنتِ كويسة؟؟-

أومأت كوكي برأسها لكن الدموع بدأت تتمركز على وجنتيها و هي تقول:

-أيوة .. بس..-

انهمرت دموعها مما جعل فؤاد قمر ينقبض و هي تسألها:

-هو في إيه؟؟ ... مُعترِ كويس؟-

ازداد بكاء كوكي و هي تقول:

-زیزو مش عایز یصحی

واصلت البكاء و هي تُشير على البقعة التي يرقد عليها مُعترز غائبًا عن الوعي و فوقه طاولة ثقيلة تُعيق حركته، هرعت قمر بسرعة نحو مُعترز و تبعتها كوكي بقلب يزداد ذعرًا، وضعت قمر يدها على كتف مُعترز لِتُحرك جسده بحدّة لعله يستيقظ..

-مُعترز ... مُعترز..

نادته بصوتٍ هامسٍ لكنه لم يُجيبها مما جعل كوكي تتخبط أكثر بالبكاء، حاولت قمر رفع الطاولة بمساعدة من كوكي حتى أبعدها تمامًا عن جسد مُعترز و عاودوا تحريكه مجددًا دون أية فائدة...

-هنعمل إيه؟؟

سألته كوكي بين دموعها المُنهمة بينما كانت قمر تتحسس نبضات معترز لتجدها تنبض بخفوتٍ يجعل هناك بصيص من الأمل:

-متقلقيش .. في نبض ... إحنا بس محتاجين حاجة نفوقه بيها

أومأت كوكي برأسها إيجابًا و أخذت تجوب بعينيها أركان الحُجرة حتى عثرت على زجاجة بلستيكية من المياه مُلّقة بالقرب من الطاولة، تحركت على ركبتيها و كفيها حتى وصلت إلى تلك الزجاجة التي انتشلتها و أعطتها إلى قمر التي فتحت الزجاجة بدورها لتنتثر بعضًا من قطرات المياه على وجه مُعترز حتى يفيق...

بعد عدة محاولات فتح عينيه ببطء ليرمقهما أمامه يزفرا الهواء بأريحية، حاول الاعتدال في جلسته لكن الثقل كان يجتاحه و كذلك كان كاحله يؤلمه بشدة و كأن أصابه التواء ما إثر وقوعه، جلس على ركبتيه يطمئن على حالهما حتى وجد كوكي تنفض عليه و تأخذه في عناقٍ أبرزت مدى خوفها عليه خاصة بدموعها التي انفجرت و أغرقت بها ملابسه..

أحاطها هو الآخر بذراعه لئيربت على ظهرها لعل بكاءها يهدأ قليلاً:

-خلاص متعيطيش أنا كويس

أبعدها عنه لينظر إلى عينيها الحمراء و يحاول تهدئتها بصوت هامس، كفكفت هي دموعها و كادت تحادثه مُجدداً لئُعرب له عن مدى خوفها عليه، لكن تلك اللحظة الهائلة قطعها صوت رصاصة كادت تخترقهم لكنهم تفادوها بأعجوبة و هم يحنون جذعهم لأسفل...

أعادتهم تلك الرصاصة إلى الواقع فأردفت قمر بذعر:

-مش وقت مُحن لازم نمشي من هنا بسرعة...

بالعودة إلى لؤي كان وقتها يجلس فوق المُلثم بأعين غاضبة و أيدٍ تحاول انتزاع السلاح من عليه، أطلق المُلثم طلقات عشوائية في كل مكان لعل رصاصة منهم تُصيب لؤي و تُبعده عن طريقه، نزع لؤي القناع عن وجه المُلثم ليُسدد له لكمة تلو الأخرى جعلت وجهه يمتليء بالدماء حتى غاب عن الوعي من كثرة اللكمات...

وثب لؤي من الأرض لينزع السلاح عن المُلثم متجاهلاً قبضته المجروحه إثر تلك اللكمات التي سددها، هرؤل بعدها حيث وجد كل من يُسرا و خالد يتكومان عند إحدى الأركان غائبا عن الوعي، ركع على ركبتيه قبالتهما كي يبدأ بإفاقتهما كي يرحلا بسرعة عن هنا..

-خالد ... يا خالد

بدأ بخالد أولاً فقام بهزه بعُنف حتى أفاق و حاول النهوض كي يجعل يُسرا هي الأخرى تستيقظ، فما إن آفاقت حتى سألت:

-هو في إيه؟؟ ... مين إللي رمى القنبلة؟؟ ... و إسلام و داليا فين؟؟

تذكرت آخر ما قاله معتر عن أن أحدًا قام باختطافهما لذلك انتابها القلق على شقيقها و زوجته خوفًا من أن يمسهما أي مكروه، آجابها لؤي مُفسرًا ما يحدث باختصارٍ و استنتاج:

-في حد عايز يقتلنا ... و تقريبًا هو نفسه إالي خطفهم ... عشان كدة لازم تخرجو من هنا بسرعة

أتاه صوت قمر التي هرولت اتجاههم هي و كوكي و مُعتر:

-أنا لازم أدور على ماما و بابا و شهاب و شمس

كان صوتها مُفعم بالإصرار الذي أضافت عليه يُسرا:

-و أنا مش همشي قبل ما أعرف إسلام فين

قطع جدالهم صوت طلقات نارية يصحبها أصوات المثلثون و هم يقتربون نحوهم، اغتابهم الذعر و الهلع و هم يتراجعون للوراء و يتتحون بجذعهم تجنبًا لهذه الطلقات

...

تكسوا جميعهم خلف لؤي الذي أمسك السلاح و أطلق منه طلقاتٍ عشوائية لم تُصب أحد لكنها كانت بمثابة تحذيرٍ للمثلثين من الإقتراب، التقت لؤي نحوهم ليردف بصرامة:

-إمشو من هنا بسرعة ... حاول تدوروا على إسلام و داليا و أنا هدور على أهلي و أهل قمر و هحاول أخرجهم من هنا

تدخلت قمر بإصرار:

-أنا هفضل مع لؤي ... روحو إنتو

أوماو رؤوسهم ثم ابتعدو عن لؤي و قمر التي كانت تتلفت حولها بحثًا عن عائلتها..

كانت حدقتا لؤي مصوّبة على فوهة السلاح يتربقّب ذاك المُلثم الذي ينسل الدرج و يتحرك أمامه ببطء و أعين تشخص في كل مكان بحثًا عن أي أحد... توقفت أقدام المُلثم عند رجلٍ يبدو عليه الكبر لكنه غائب عن الوعي و الدماء الغزيرة تنسل من قدمه إثر المصابيح الكهربائية الضخمة التي سقطت و تهشمت عليه، كان جواره سيّدة بنفس عُمره ربما تُمثل أنها غائبة عن الوعي مع إقتراب هذا المُلثم نحوهما....

اتسعت حدقتا لؤي من هؤل الصدمة خاصة ما إن رأى المُلثم يصوب فوهة السلاح على الرجل:

-بابا!!-

اجتاحه الغضب الشديد و رفع السلاح مصوّبًا إياه على الرجل، لكن لسوء حظه كان المُلثم يقف خلف إحدى العواميد و لا يظهر منه سوى فوهة السلاح و جزء من قدمه، هذا ما سيجعل التصويب عليه أمرًا مستحيلًا، لذلك قرر ترك موضعه و التوجه إلى ذاك المُلثم ليُلقنه درسًا و يُفتك به...

ما كاد يتحرك حتى أمسكته قمر من مرفقه كي يتوقف و يرى إشارة عينيها المصوّبة نحو مجموعة من المُلثمين يقتربون من جسد عبد الصبور، مما يعني أن محاولة لؤي للفتك بهم ستضحى مُستحيلة:

-مش هتقدر عليهم لوحدك ... انا عندي فكرة-

أشارت بعينها نحو مُكبر الصوت حتى فهم لؤي ما ترمي إليه، وجدها تتحرك بهدوء دون أن تُحدث صوتًا بأقدامها حتى وصلت إلى مُكبر الصوت و فتحتة بسرعة على أغنية عشوائية قامت برفع صوتها إلى أعلى الدرجات حتى يتشتت المُلثمون بتلك الأغنية التي جعلتهم يلتفتون بجذعهم ليروا من قام بتشغيلها...

تحرك لؤي بنفس تلك اللحظة مُستغلًا عدم مقدرة المُلثمون على سماعه إثر هذا الضجيج، ما إن وصل إلى بُقعة نائية حتى أطلق رصاصة اخترقت صدر أحد المُلثمين و أصابتهم بالذعر...

رفعوا أسلحتهم استعدادًا لإطلاق النيران تجاه مصدر تلك الرصاصات التي كان يطلقها لؤي ثم يختبئ حتى قضى على اثنين منهم، اتجه الاثنان الآخران إلى مصدر الصوت حتى انفض التجمع حول والدا لؤي فهروا نحوهما بسرعة...

-بابا ... بابا إنت كويس؟؟

قالها لؤي بذعرٍ و هو يهز جسد عبد الصبور و ينزع المصابيح الكهربائية التي سقطت على قدمه، التفت بعدها نحو والدته حتى تأكد أنها على خير، وضع عبد الصبور يده على كتف لؤي مع ايماءة بسيطة من رأسه يُطمئنه من خلالها بسبب عجزه عن الحديث، حاول لؤي رفعه عن الأرض بمساعدة من والدته التي بدا الذعر على وجهها...

أسند والده على ذراعه ليسير معه بضع خطواتٍ قطعها واحد من الملتئمين يصبو فوهة سلاحه على رأسه مباشرة...

بالعودة إلى قمر التي كانت تقف عند مُكبر الصوت تكاد الأغنية تُفجر طبلة أذنها من شدتها، ابتعدت عن مُكبر الصوت بضع خطواتٍ قبل أن تفقد القدرة على السمع، لكنها ما إن ابتعدت حتى استطاعت تمييز صوتٍ تعرفه جيدًا ينادي باسمها بصوتٍ يكاد يُسمع:

-قمر .. يا قمر..

تلقت حولها حيث مصدر الصوت حتى رأت يداً تخرج من المرحاض تُشير إليها كي تأتي، أدارت قمر وجهها في عدة اتجاهات لتتأكد أن الطريق آمن ثم هروا بسرعة إلى المرحاض حتى اقتحمته لتجد شمس و شهاب أمامها بصحة جيدة دون أن تتسخ ملابسهم حتى..

-إيه إلهي حصل يا قمر؟؟ ... إحنا سمعنا صوت إنفجار

كان وضع قمر مزرئياً يختلف تمامًا عنهما، لكنها حمدت ربها أنهما بخير و أنهما لم يكونا متواجدين وقت الإنفجار:

-إنتو هنا من إمتي؟؟

سألتهما بفضول فأجابت شمس:

-أنا كنت في الحمام و شهاب كان مستتيني بس لقيتو فجأة بيدخل الحمام بسرعة
بعد ما سمع لؤي يقول إن في قنبلة ... هو إيه الموضوع بالظبط و مين الناس دي
؟؟

ربتت قمر على كتفها و هي تحاول إجابتها:

-إحنا منعرفش حاجة ... بس لازم تمشو من هنا بسرعة

-طب إنتو بلغتو البوليس؟

سألتها شمس فأجابت:

-لأ ... مش لاقيين موبيل

تدخل شهاب و هو يرفع هاتفه:

-أنا معايا موبيل

-برافو عليك

قالتها قمر بفخر و هي تنتشل الهاتف من شهاب كي تُجري مكالمة طارئة، ما إن
أنهت المكالمة حتى أعطت الهاتف لشهاب و أخبرتهما بصراحة:

-يلا نمشي من هنا

استجابا لحديثها ففتحت قمر باب المرحاض لترحل منه أولاً و يتبعها كل من شمس و شهاب بأعينٍ تتلفت في كل مكان، لم يتحركوا سوى بضع خطوات حتى وجدوا واحد من المُلثمين يقطعهم بفوهة السلاح التي كان يصُوبها على رأس قمر...

شبهت شمس بخوف لكن قمر حافظت على صلابتها و هي تُمعن التحديق بأعين المُلثم إلى أن...

وجدوا جسده يرتمي على الأرض بعُنفٍ أصابهما بالذهول، لم تبالِ قمر بذهولهما و أشارت لهما بالمضي قِدمًا على أن تُخبرهما بتلك القدرة التي لديها فيما بعد، كادوا يتحركون مجددًا لكن شهاب أوقف مسيرتهم و هو يُشير على جسد المُلثم و يقول:

-قمر ... أنا عندي فكرة

انتبهت قمر لحديثه و إشارته على جسد المُلثم مما جعلها تفهم مقصده جيدًا و تُعجب بتلك الفكرة...

على جهة أخرى استطاع كل من كوكي و مُعنز، يُسرا و خالد التحرك بالرواق حيث صعدا السلم العريض الذي ينتصف القاعة و الذي أوصلهم إلى الطابق الثاني حيث يوجد به المزيد من الطاولات و المقاعد الخالية و بعض الحُجر المُتدثرة بالأركان، كانوا يبحثون عن طريقة يهربوا بها من أولئك المُلثمون و طريقة أخرى يستطيعوا من خلالها العثور على داليا و إسلام، حيث كان مُعنز يهتف بتذمر:

-مخيمر مش بيرد ... هو الوحيد إللي ممكن يعرف داليا و إسلام فين

أردفت كوكي بثقة:

-أنا ممكن أعمل track على موبيل مخيمر و أعرف مكانه ... يمكن يكون في نفس المكان إللي هما فيه

أضاف خالد على حديثها بطريقته المُعتادة:

-سنحتاج إلى حاسوب .. و لا وجود للحواسيب سوى في غرفة المراقبة

أوقفت يسرا مسيرتهم لنُخبرهم بثقة:

-أنا عارفة غرفة المراقبة فين ... تعالو ورايا

اتبعوا خطواتها لأنها الوحيدة التي تجوّلت بالقاعة بسبب فضولها الجامح و ذاكرتها الحديدية التي تساعدنا على حفظ الأماكن بسهولة، تحركوا وراها بضع خطوات قطعها صوت تعميم السلاح المُصوّب على وجوههم خاصة مُعترز الذي تقدم مسيرتهم بعد أن تجاهل كاحله المُلتوي حتى يتخلصوا من تلك المُعضلة...

كانوا يتراجعون إلى الوراء حتى اصطدموا بمُثلثٍ آخر يُصوّب سلاحه على خالد الذي كان بأخر مسيرتهم يرفع يده لأعلى كما فعل معترز أمام أولئك الملتئمين الذين يكتنفونهم من كل جانب يقسمون على الفتك بهم...

أنهى المكالمة ليتحرك بخطواتٍ سريعة توقفت عند زعيمه و سيده الذي يُلبي طلباته، وضع الهاتف بجيبه ليردّف بجدية:

-ضُرغام بيه ... إحنا بعتنا رجالتنا الفرّح زي ما قولت_

قطعه ضُرغام ليستفسر بسرعة:

-جيبتو العيال إالي كانوا بيساعدوهم؟؟

نفى الرجل برأسه و هو يُجيب:

-أسه بس_

قطعه ضُرغام بنبرة حادة تحمل الإصرار و الحقد:

-لو معرفتوش تجيبوهم خلصو عليهم ... و خليهم يحجزولي الطائرة عشان
هسافر ... و إتخلصو من الاتنين إلی جوا

أوما الرجل مُلبياً طلباته ثم هرع بعدها تجاه الحُجرة التي يقبع بها كل من إسلام و داليا، كان من ضمن مُخططاته و الأوامر التي وُجّهت له، ان يأخذهما إلی مكانٍ ناءٍ و يُفرغ رصاصتين برأسيهما ثم يدفنهما بعيداً عن أعين العامة...

وضع يده على المقبض كي يفتح الباب بعُنف حتى وجد أمامه كل من إسلام و داليا ملقيان على الأرض لا يبدو عليهما أي معالم للحياة، ما إن رآهما على هذا الوضع حتى ركض نحوهما بسرعة يتفحص نبضات قلوبهما لعلهما يدعيا الموت كي يهربا من العقاب، لكنه ما إن وضع يده على نبض إسلام و كذلك داليا حتى تأكد أنهما ميتان، فلا وجود لأي نبض بكليهما...

سُرعان ما أخرج هاتفه ليُجري مكالمة غاية في الأهمية:

-ضُرغام بيه ... الاتنين اتخلصنا منهم...

كان هناك جوز من الأعين يُراقب ما يحدث برُكن من الحجرة لكن لا أحد يستطيع رؤيتهما، حيث تقف داليا بروحها بجوار إسلام وفقاً للخطة التي أرادها تنفيذها قبل أن يلقيا حتفهما، تشبّثت داليا بذراع إسلام و كانت تُشير على الرجال الذين يجذبون أجسادهما و تسأل:

-هنعمل إيه دلوقتي؟؟

أجابها إسلام ببعض الثقة:

-هيكون هنعمل إيه ... هنستنى لما يرمو أجسامنا في حته بعيدة و بعدين نرجع تاني ... مش دي كانت خطتك

أومات داليا برأسها لتؤكد على حديثه:

-أيوة صح .. طب تعالى نشوف هيروحو فين

جذبتة من نراعه ليتركا الحُجرة و يتحركا داخل القصر ذي الثُراث الحديث و اللوحات التي ملاءت الجُدران، تخطيا كل هذا دون أن يتقحسا معالم القصر لعدم وجود وقت لهذا، فلا يوجد سوى وقت قليل بالكاد يسعهما الهرب به..

هرولا خلف الرجال حتى تركا القصر بأكمله و طفقا يتجولا بالطريق المحفوف بالحدائق و الأشجار رغبة في معرفة إلى أين سيذهب الحراس بأجسادهما ... لكن فجأة...

قطع طريقهما رجل متوسط الطول ذا شعرٍ داكن أملس و بشرة ناصعة البياض تجتمع مع عينين بُنيتين و جسدٍ مُتناسق، اعترض هذا الرجل طريقهما و كأنه يراها مما جعل الحيرة تغتابهما، كان كذلك يحمل خنجرًا أثريًا عليه نقوش غريبة، إقترَب أكثر نحو إسلام حتى أَرَدَف بِمُكْر و لغة أجنبية:

-أين تذهبون يا رُفاق ... هكذا ستفوتكما المُتعة

عقد إسلام حاجبيه بحيرة سأل معها:

-إنت مين؟؟ ... و تعرفنا منين؟؟

أنته الإجابة من خلفه و من صوتٍ أنثوي يعرفه جيدًا:

-مش هو إللي يعرفكم ... دا أنا ... و أعرفكم أوي كمان

التفت كليهما نحو هذا الصوت حتى اتسعت حدقتيهما في ذهول قالا معه بصوتٍ واحد:

-بطة... !!

كم هو صعب على المرء أن يشهد نهايته بعينيه، بل و لا يقدر حتى على الهرب منها،
فما يشعر به يُشبه بالضبط ما يشعر به من يقفز من بناية شاهقة و ينتظر التحام جسده
بالأرض حتى يُفارق الحياة، لكن الوضع هنا أكثر صعوبة، فهو لن يخسر حياته فقط،
بل حياة أعز الأشخاص لديه أيضاً...

تسمر جسده أمام فوهة السلاح المصوّبة ما بين رأسه و رأس والده، لم يبدو على
وجهه أي من إمارات الخوف رغم أن بداخله بركان من الهلع، فهو لم يعتقد قط أن
يُظهر خوفه أمام الجميع، اعتاد على مواجهة خوفه مهما كانت الصعاب..

مدّ ذراعه أمام والده كي يمنع عنه الضربة، كما اختبأت ثناء خلف ظهر عبد الصبور
و كانت أعينها مُغرورقة بالدموع، كان يتراجع لؤي خطواتٍ بطيئة للوراء و الرجل
يتقدم بدوره و يقوم بتعمير سلاحه استعدادًا لإطلاق النار، لكن فجأة...

هوي شيءٍ صلب على رأس الرجل جعله يسقط على الأرض ليظهر من ورائه مُلثم
آخر يحمل قطعة من الأنتيك و يرفعها لأعلى مما يدل على أنه من ضرب زميله
الْمُلثم...

لا زالت عوالم لؤي جامدة و هو يرمق ما يحدث بريية حتى نزع المُلثم جزءًا من
قناعه لتظهر قمر أمامهم بعد أن أبدلت ملابسها مع ذاك المُلثم مثلما أخبرها شهاب..

-متقلقوش أنا قمر ... في باب ورا ممكن يهربو منه ... أنا لقيت شمس و شهاب و
عرفت أهربهم_

قطعها لؤي باستفسارٍ و قلق:

-طب فين حماتي و حمايا ؟

أحنت قمر جذعها لتجذب جسد المُلثم الغائب عن الوعي و تجره على الأرض أثناء
إجابتها:

-مكانوش موجودين ساعة القنبلة ... أعتقد هما في مكان متداري .. بس أنا هتدور عليهم

كان يتحرك لؤي وراءها و عبد الصبور مُستندًا على كتفه و خلفه ثناء حتى توقفا عند المرحاض، القت قمر بجسد الرجل كي تقول بأمر:

-غير هدومك يا لؤي عشان متكشفش .. و أنا هاخذ طنط و عمو عند الباب الثاني

أعجب لؤي بفكرتها فقرر تنفيذها و ترك عبد الصبور يستند على كتف ثناء كي يتبعها قمر نحو بر الأمان، قبل ان يبتعد لؤي عنه أمسكه عبد الصبور من ذراعه كي يُحذره بحنان:

-لؤي ... خُد بالك من نفسك ... أنا صحيح مش أبوك الحقيقي بس_

قطعه لؤي باعتراضٍ و تربيطة على كتف عبد الصبور أبرزت مدى حُبه و تعلقه به:

-لأ إنت أبوية ... و هتفضل أبوية ... و إن شاء الله كل حاجة هتعدي

ارتسمت بسمة مُمتنة على ثغر عبد الصبور و لم يمنع جسده من معانقة لؤي كما عانقته والدته هي الأخرى من شدة خوفها، أبعده لؤي والدته عنه بحنانٍ كي يُخبرهما بتقرير:

-يلا .. لازم تمشو من هنا بسرعة

ابتعدا عن لؤي الذي دلف المرحاض بدوره ليُبدل بزته الهندية بأخرى سوداء تخص الملتمين، بينما غطت قمر وجهها مجددًا لتتحرك خلف كل من ثناء و عبد الصبور المُستند عليها بسبب جرحه حتى يصلا إلى بر الأمان و ما هي إلا لحظات قليلة حتى استمعوا إلى صوت سيارات الشرطة تصدح بالأجواء...

لحظة نهاية أخرى كانت تتكلل تلك البقعة بعد أن أحاطهم الرجال من كل جانب، حيث تراجعوا خطواتٍ للوراء حتى التصقت كوكي بظهر مُعترز و كذلك يُسرا التي التصقت

بظهر زوجها و كلتاهما مُلتصقتان ببعضهما يدعيًا بقرارة نفسيهما أن يُخلصهما الله من تلك المُحنة، كان العرق يتصبب من جبينهم و أعينهم تتلقت في كل مكانٍ بحثًا عن مخرج منهم...

كان جوارهم سور متوسط الطول و أسفل ذلك السور كانت بقية القاعة لكن المسافة ما بينهم و بين الأرض قد تعدت الخمسة أمتار، أما جوارهم من الناحية الأخرى، فكان يوجد بعض الحُجر المُغلقة، ربما هي حُجر العُمال التي من ضمنهم حُجرة المراقبة...

لم يكن لديهم مُتسع من الوقت كي يفكروا بحلٍ لتلك المُعضلة، فإذا إنتظروا أكثر من هذا، فسوف يضطروا لتوديع تلك الحياة للأبد، التف خالد بعينيه للوراء ليجد مُعتر ينظر إليه و يسترفد نظراته التي حملت الحل في طياتها، سُرعان ما رفع مُعتر صوته و هو يقول:

-كُله يُوّطي-

تبع حديثه بهجومه على المُلثم الذي أمامه بجذع مُنخفض كما فعل خالد بالضبط، أما عن كوكي و يُسرا فكلتاها ركضتا بُسرة بحثًا عن حُجرة المراقبة، رفع خالد من صوته و هو يهجم على المُلثم و يقول:

-سنسحقكم أيها الأوغاد-

انقض على المُلثم حتى جعله يسقط على الأرض و يسقط هو فوقه، أقبض على سلاح المُلثم بأعين غاضبة و وجهٍ أحمر من شدة ما يبذل من جُهد، فهو يجلس فوق المُلثم و يدها تمسكا السلاح بالعرض بينما يمسكه المُلثم من الجهة الأخرى و كلاهما يحاولا أخذ السلاح من الآخر...

و لأن خالد كان يجلس على المُلثم استطاع بمهارة أن يدفع السلاح بعيدًا عندما ألقاه على الأرض خلف المُلثم بعدة إنشآت، حاول أيضًا تكبيل حركة المُلثم لكنه فشل بهذا عندما شعر بلكمة تهبط على وجنته جعلت أنفه يسيل منها الدماء، استغل المُلثم تأوّه و استطاع أن يثب من الأرض و يدفع خالد بعيدًا عنه بغوغائية..

لم يستسلم خالد و وثب من الأرض ليلتفت وراءه لعله يُجادل ذاك المُلثم مجدداً، لكن للأسف ليس كل ما يشتهيهِ المرء يُدرِكهُ، فحركته البطيئة في المكوث من الأرض سمحت للمُلثم باستعادة سلاحه و تصوبيهِ مُجدداً نحو خالد...

على جهة أخرى كان يمسك مُعترز السلاح من مُلثم آخر و كلاهما أيضاً يحاولا الحصول على ذاك السلاح و التخلص من الآخر، و من شدة جدالهما أطلق المُلثم طلقاتٍ عشوائية أصابت السقف بأماكن مُتفرقة، تحامل مُعترز على نفسه كي يدفع المُلثم أكثر و يُطيح به، لكنه للأسف تفاجأ بركلة على معدته جعلت ظهره يتقوّص بألم و يستغل المُلثم الفرصة كي يصوّب سلاحه على رأس مُعترز مباشرة...

تراجع خالد للوراء و المُلثم الآخر يتقدم نحوه بسلاحه المُصوّب ناحيته، اصطدم ظهر خالد بظهر مُعترز الذي كان يتراجع هو الآخر من المُلثم الذي فشل بالقضاء عليه، كانت نهايتهما محتومة في تلك اللحظة فكان كلاهما يرفعا أيديهما باستسلام ثم أنزلاها في نفس اللحظة التي أتهما فيها فكرة أخرى قد تنجدهما من تلك المُعضلة...

ففي أقل من ثانية أخرى تكاتف ذراعهما و انحنى مُعترز بجذعه كي يرتفع خالد عن الأرض و يركل المُلثم الذي أمامه بقدمه ركلة جعلت السلاح يسقط من يده، ترك مُعترز ذراع خالد لينقض هو على المُلثم على أمامه بغضب قد وصل إلى ذُروتِهِ...

انقض خالد على المُلثم من ظهره لِيُحيطه بذراعيهِ و يشد الخناق على رقبتِهِ، رفع المُلثم مرفقه حتى هوى به على وجه خالد كي يبتعد عنه و يسمح له باستعادة سلاحه مُجدداً، أمسك خالد وجهه بألم لكن هذه المرة لم يسمح لذاك المُلثم بالانتصار مجدداً، تجمدت الدماء بعروقه و هو ينقض على المُلثم كالأسد و قد كان المُلثم في تلك اللحظة يقف عند منطقة تقترب من مُعترز الذي كان يتعارك مع المُلثم الآخر...

صاح خالد صيحة غاضبة و هو يدفع المُلثم بعُنف تجاه زميله المُلثم الآخر، و من قوة الدفعة و قُرْبهم من حافة السور، سقط المُلثمان من تلك المنطقة المُرتفعة و اصطدمت أجسادهما بالأرض...

اتسعت حدقتا مُعترز و هو يرمق جسديهما بالأسفل مع بركة الدماء المُتدفقة أسفلهما، إقترب خالد نحوه ليقف جوارهِ و يستمع إلى استفسار مُعترز:

-هما ماتو؟؟

آجابه خالد بتيه و عدم تصديق لما حدث:

-لا أعلم ... لكنك أحسنت صنعا

أنهى حديثه بتريبتة على كتف مُعترز جعلته يشعر بالحيرة، فمذ متى و خالد يمدح أفعاله؟؟

بادله بتريبتة أخرى و كلماتٍ هادئةٍ ممتنة:

-و إنت كمان

تحرك بعدها عدة خطواتٍ لكن التواء كاحله قد ازداد أكثر مما جعل قدمه تتورم و الألم يُفتك به، لم يقدر على التحرك خطوة أخرى و انحنى بجذعه و هو يتأوه من الألم..

إقترب منه خالد ليطمئن عليه فأخبره مُعترز بين تأوّه:

-شكلها إتلوت

أحاطه خالد بذراعه ليسمح له بالاستناد عليه ثم يسيرا بأركان الرُدْهة لكن خالد لمح السلاح الملقى على الأرض فانتشله فوراً ليدافعا به عن نفسيهما...

كانت كوكي تقف أمام إحدى الغرف و وراءها يُسرا بعد أن أكدت لها أن هذه هي حُجرة المراقبة، لكن لسوء حظهما لا يستطيعا فتح الباب لأنه مؤصّدٌ بإحكام، بعد بُرْهة من الوقت وجدا كلاً من خالد و مُعترز يقتربا نحوهما، حيث كانت الدماء تنسل من وجه خالد خاصة أنفه و مُعترز يستند على كتف خالد و هذا ما أصابهما بالحيرة...

-مُعترز و خالد !! ... دي نهاية العالم ولا إيه؟؟

قالتها يسرا بحيرة لكنهم تداركوا الأمر لينتبهوا إلى الباب الذي أخبرتهم كوكي أنه مؤصدٌ و لا يستطيعوا اختراقه، ابتعد خالد عن مُعترز و أمرهم بالابتعاد عنه كي يُشهر سلاحه أمام الباب و يطلق رصاصة اخترقت القفل و أدت إلى فتح الباب...

قرر خالد و مُعترز أن يبحثا عن لؤي كي يُساعدهما بهذه الضائقة، بينما دلفت يسرا حُجرة المراقبة هي و كوكي التي اتجهت فورًا نحو الحواسيب كي تفتحها و تبدأ العبث بها، كانت قد أخذت الهاتف الخاص بمُعترز كي يطمئن عليها نظرًا لكونها لا تمتلك هاتفها الذي وضعته بالحقيبة التي لا تجدها البتة و كذلك الحال بالنسبة لیسرا...

أمعنت كوكي التحديق بالحاسوب كي تستخرج الرقم الخاص بمخيمر و تقوم بمراقبته حتى تعلم أين هو بالضبط، و لماذا لا يستطيعوا الوصول إليه، هل قام بخداعهم هو الآخر؟؟ ... أم أنه يتعاون مع ضُرغام من البداية و يخدعهم طيلة هذه الفترة؟؟ ... كل تلك الأفكار كانت تدور حول رأسها و هي تبحث بالحاسوب بتركيزٍ عميق...

كانت يسرا تتجوّل بحُجرة المراقبة حتى لاحظت جزانة صغيرة كان بابها مواربًا، فتحت الخزانة لتجد بداخلها ثيابًا تخص حُرّاس الأمن، أمسكت تلك الملابس بيديها ثم حدقت برداء الزفاف الذي ترتديه و الذي يُعيق حركتها، فكيف سُدّافع عن ذاتها و هي ترتدي حذاءً بالكاد تستطيع التحرك به حتى توّرمت قدميها؟؟؟

إقتربت بتلك الملابس نحو كوكي لثُعطيها بعضًا منها و تقول:

-كوكي إحنا لازم نغيّر هدومنا ... مش هنعرف نهرب بالهدوم دي

وافقت كوكي على حديثها و هي تصوّب حدقتيها نحو الحاسوب، سرعان ما بدلت يسرا ملابسها و ربطت شعرها بالوشاح الذي ارتدته مع رداء الزفاف لكنها غيّرت طريقة الربطة لتضحى أكثر أريحية، لا تزال كوكي تبحث بذاك الحاسوب حتى طفح الكيل بها فقالت:

-يووه ... مش عارفة الاقيه ... مش عارفة أجيب عنوانه

كانت الدموع تُغرق وجنتيها بسبب شعورها بالفشل، فهي لا تُحب هذا الشعور أبدًا خاصة لو كان الوضع شائكًا كوضعهم، لاحظت يُسرا لمحّة اليأس بحديثها فاقتربت نحوها لعلها تُشجعها بصوتٍ داعم:

-جربي تاني يمكن تتجحي ... أنا عارفة إنك هتقدري-

زفرت كوكي الهواء من فمها بضيق ثم أمسكت الهاتف مُجددًا لتبحث عن الرقم الخاص بمخيمر و تُعيد الكرة للمرة المئة، فتحت الجوال بيأسٍ تحوّل إلى الصدمة فجأة ما إن رأت تلك الرسالة المُرسلة على الهاتف الخاص بمُعتز:

-مخيمر!!-

اعتدلت بجلستها أمام حيرة يُسرا التي أرادت الاستفسار عن سبب تغيّر حالها...

-مخيمر بعث رسالة بيقول إن داليا و إسلام في القصر بتاع ضُرغام ... و بعث كمان العنوان

أنهت حديثها بابتسامة واسعة حملت الأمل في طياتها، انتقلت سعادتها إلى يُسرا التي ابتسمت هي الأخرى ثم وأدت بسمتها كي تردف بسرّعة و تقرير:

-طب يلا بسرّعة غيري هدومك عشان نروح نقولهم...

كانت تجوب بعينيها في كل مكان بحثًا عن والديها، تفاقم القلق و الخوف داخلها كلما مرّ الوقت و هما مُختفيان، فقد ظنّت لو هولة أن مكروهاً قد أصابهما خاصة بعد ان أتت الشرّطة و بدأت الطلقات بالتبادل ما بين الملتمين و رجال الشرّطة الذين أنهوا حياة الكثير من الملتمين و فقدوا أيضًا بعضًا من رجالهم...

تحني جذعها لأسفل لتتفادي الطلقات النارية بكل ما أوتيت من قوة، حيث أنها في مرة من المرات كادت تتلقى رصاصة بصدرها لولا أنها اختبأت أسفل الطاولة باللحظة الأخيرة...

بقيت تتحرك بخطواتٍ هادئةٍ على حواف القاعة حتى اخترق أذنها صوت همهماتٍ
تتبعث من إحدى الحُجرات، أدركت لوهلة أن تلك الهمهمات تخص والديها، و هذا
يعني أنهما كانا ببقعةٍ تبتعد عن كل هذا، و الأغرب أن تلك البقعة هي المطبخ الخاص
بالقاعة...

ارتاح قلبها لوهلة و هي تضع يدها على المقبض و تفتح الباب لتجد هذا المنظر الذي
كاد يُصيبها بالجنون..

حيث كان والدها يحتسي الشاي بهدوءٍ و نجمة قبالتها تحتسي الشاي هي الأخرى و
كلاهما يتحدثان بمرحٍ و يُقهقهان بحرارةٍ كما لو كانا بعالمٍ آخر...

تسمرت قمر مكانها لا تعرف ماذا تقول، لاحظت نجمة هيئتها الغربية لكنها تجاهلت
هيئتها لترد بمرح:

-إزيك يا قمر ... معلش يا حبيبتي أبوكي قالي تعالي نشرب شاي و نستغل إن
البوفيه فاضي و لسة في أكل بايت...

أضاف هلال على حديثها و هو يسترخي بظهره للوراء و يرتشف من شايه:

-تعالي يا حبيبتي إشربي شاي معانا قبل ما جوزك ياخذك معاه البيت

بقيت قمر في حالة من الصمت لأنها مُتيقنة أنها إذا تفوّهت ببنت شفة فربما ستصرخ
بكليهما و هي فتاة صالحة تبر بوالديها، أرادت نجمة الاستفسار عن هيئتها الغربية
فسألت:

-هو ايه يا قمر إللي إنت لابساه ده ؟ ... و فين فُستان الفرحة بتاعك

و أخيراً عادت قمر إلى الواقع كي تسألها بنتيه:

-هو إنتو مش عارفين إللي حصل؟؟

أخذ هلال رشفة من الشاي و هو يُجيب ببرود و لامبالاة:

-إحنا سمعنا صوت حاجات بتفرقع و ضرب نار ... هو إنتو مشغلين فيلم أو مسلسل برة؟؟

أومأت قمر رأسها بهدوء و هي تُجيب والدها بسخرية:

-أه يا بابا ... مشغلين مسلسل كلبش

حوّلت نبرتها إلى الجدية و هي تقول:

-لازم تمشو من هنا بسرعة ... يلا تعالو ورايا

قالت آخر جُملة و هي تجذب كوب الشاي من يد والدها و تضعه على الطاولة ثم تجذبه من ذراعه كي يترك مكانه..

-يا بنتي أنا لسة مخلصتش الشاي

واصلت قمر جذبه هو و والدتها و هي ترد عليه:

-لما ترؤحو يا بابا ابقى إشرب براحتك ... لكن دلوقتي لازم نمشي من هنا

انتابهما القلق لو هلة و هما يتبعان خطوات قمر التي تقدمت مسيرتهما و كانت أول من يخرج من الحُجرة بالغطاء الذي تُغطي به وجهها، ما إن فتحت الباب حتى وجدت سلاحًا يُشهر على رأسها لكن صاحب السلاح لم يكن سوى واحد من الضباط بعد أن ظن أنها واحد من المُلثمين...

رفعت قمر يديها باستسلام ثم رفعت الغطاء عن وجهها لثري الضابط أنها فتاة و أنها ليست فردًا من المُلثمين و يجب أن تذهب مع أبويها إلى بر الأمان، أوما الضابط إيجابًا و أشار لها إلى مكانٍ آمن ثم قام بحمايتها حتى استطاعت قمر أن تتحرك هي و

والديها حتى وصلوا إلى الباب الخارجي و الذي يقف أمامه لؤي ينتظرها و يؤمن الطريق من أجل مجيئها...

زفر الهواء من فمه بأريحية بعد أن لمح مجيئها هي و أبايها في صحة جيدة، إقتربت منه و هي تشير إلى والديها و تطلب منهما ترك القاعة دون مناقشتها في أي من الأمور، فهي متأكدة تمامًا أنهما لا يعلما أبدًا ما يحدث و هي لا تريد إخبارهما الحقيقة حتى لا يقلقا عليها...

بعد أن تأكد لؤي أن كلا العائلتين قد تركا القاعة بأمان حتى رسم ابتسامة مُتغزلة على ثغره تبعها حديثه الذي أبرز مدى إعجابه بما فعلته زوجته الأسطورية..

-بس إيه الحلاوة دي !! ... إنتِ كدة هتقعدينا في بيوتنا

غمز لها بعينه مما أصابها ببعض الحرج و هي تقول بكبرياء:

-مش للدرجة يعني .. دي أقل حاجة عندي

إقترب منها خطوة أخرى حتى وضع يده على كتفها ليُخبرها بنبرة لعوب:

-طب إيه ... مش دي كانت ليلة الدُخلة ولا أنا بيتهيألي؟؟

توُردت وجنتيها بحرج من وقاحته التي لأول مرة تراها، كادت تُجيبه بخجل لكنها تذكرت أمرًا هامًا لا تعلم كيف غفلت عنه..

تلاشت عوالم الخجل من عليها ليحل محلها عوالم الذعر و هي تقول:

-لؤي إحنا نسيناهم...

فتحت يُسرا باب الحجرة لتجد أمامها كلاً من خالد و مُعتز يرمقاهما بنظراتٍ غريبة خاصة بتلك الملابس التي يرتديهاها، هرعت كوكي نحوهما لتردف باندفاع:

-إحنا عرفنا مكان إسلام و داليا...-

-طب يلا بسرعة نروح نقول للوي

قالها مُعترز ليتحركوا بعدها بسرعة رغبة في الهرب بأسرع ما يُمكن قبل أن يعترضهما مُلثم آخر، لكن الرياح تأتي بما لا تشتهيهِ السُفن، فما كادت مسيرتهم تتحرك حتى اعترضهم ثلاثة من المُلثمين يقفون أمامهم مباشرة...

تراجعوا خطواتٍ للوراء حتى التصقوا بالحائط يزدردون لعابهم في رُعب، هذه المرة حتمًا ستضحى نهايتهم و لا مجال أبدًا للمقاومة..

رسم خالد عوالم الجمود على وجهه و هو يرفع السلاح الذي معه على أحد المُلثمين رغبة في إضمار الرهبة بنفوسهم، فهو متأكد أنه لن يستطيع إطلاق النيران على واحد منهم...

كاد المُلثم يطلق النيران و كاد خالد يطلق هو الآخر و العرق يتصبب من جبينه، لكن فجأة...

خرجت طلقة عابرة اخترقت الجدار و أصابت المُلثمون بالرغبة، فتلك الرصاصة لم تخرج من سلاح خالد، بل خرجت من سلاح رجال الشرطة الذين يتكاثرون بكل مكان، استغل خالد انشغال المُلثمون بتلك الرصاصة لينقض على المُلثم الذي أمامه و يضربه بالسلاح الذي معه ضربه جعلته يسقط على الأرض أصيب واحد من المُلثمين برصاصة اخترقت صدره آتية من الشرطة، أما المُلثم الثالث فقام مُعترز بالانقضاض عليه و نزع السلاح من يده....

تحركوا بخطواتٍ سريعة بعيدًا عن أولئك الملثمين قبل أن يفيقوا مجددًا، فكانت تتحرك كوكي وراء خالد مباشرة و جوارها يُسرا ثم مُعترز بنهاية المسيرة...

أفاق واحد من المُلثمين من غفلته لكنه لم يكن معه سلاحًا ليُفتك بهم، وثب من الأرض يُريد إخماد غضبه و تلقينهم درسًا قاسيًا، كانت يُسرا هي فريسته التي قرر أن يُهددهم بها بالخنجر الذي كان داخل بنطاله، سرعان ما انقض على يُسرا من الخلف مما

جعلها تطلق صرخة عالية و هي تجد المُلثم يُحيطها بذراعه و يُقرب نسل الخنجر من رقبته...
رقبتها...

تصابت أجسادهم بهلع من ذاك الموقف و خاصة خالد الذي أراد الانقضاض عليه، رفع مُعترز سلاحه أمام المُلثم و كذلك فعل خالد رغبة في تهديده و ارغامه على ترك يُسرا و شأنها.

لم يُبالِ المُلثم بهم و قرَّب الخنجر أكثر من رقبته حتى شهقت كوكي بذعر بعد أن ظنَّت أن صديقته حتمًا ستلقي حتفها بتلك اللحظة، لكن ما حدث فاق جميع توقعاتهم...

وجدوا يُسرا تفتح ركبتيها و تنخفض تدريجيًا بجذعها حتى استطاعت أن تصل إلى رُكبة المُلثم التي برزت من بين رُكبتها، و بحركة ماهرة جذبت رُكبة المُلثم مما جعله يسقط للوراء و يقع الخنجر من يده، هرؤلت يُسرا نحوهم بُسرة لكن المُلثم لم يتركها و شأنها و وثب من موضعه لينقض على يُسرا مجددًا حتى كاد ينزع عنها حجابها...

أردعته يُسرا بمهارة أصابتهم بالذهول حينما أمسكت يده بإحدى يديها و باليد الأخرى ضربته على وجهه بمرفقها ضربة جعلت أنفه ينكسر، لم تتوقف عند هذا الحد بل قامت أيضًا بركله بمهارة باستخدام قدمها حتى اصطدم جسده بالجدار و سقط فورًا على الأرض مغشيًا عليه...

استدارت يُسرا نحوهم لتجدهم يُحدقون بها بتيه و من بينهم كانت تقف قمر هي و لؤي يرمقون ما حدث ببلاهة و إعجابٍ بالغ، لاحظت يُسرا شرودهم ففسرت لهم...

-دا كراتيه ... كنت بتمرن و أنا صُغيرة

أوماوا رؤوسهم بذهولٍ قطعه يُسرا و هي تتقدم المسيرة و تردف بتقرير:

-يلا بُسرة نلحقهم...

انسلوا الدرجات و بقيوا يحتمون بالجدار حتى استطاعوا أخيراً ترك القاعة ليهرولوا بالحديقة، استقل مُعتر سيارته و جواره يجلس خالد، و بالخلف تجلس كلاً من يُسرا و كوكي و قمر، أما عن لؤي، فقد أخبرهم انه سيأتي ببعض الدعم كي يستطيع إلقاء القبض على ضُرغام و تحرير أصدقاءهم...

حقيبة سوداء كبيرة تفترش الفراش الواسع ليوضع داخلها العديد من الملابس بواسطة شخصٍ يبدو عليه الارتباك لكنه غلفه بغُلافٍ من الصرامة و الغضب، انتهى من وضع ثيابه ليغلق الحقيبة و ينزعها عن الفراش ليجرها على الأرض استعداداً لتترك الحجرة..

تحرك بضعة خطواتٍ حتى وصل إلى باب الحجرة ليجد مخيمر أمامه يرميه بنظراتٍ تحمل لمحة من الغل الدفين، لم ينتبه ضُرغام لتلك النظرات و أخبره بصرامة:

-يلا روح جهز شنطتك ... لازم نمشي من هنا بسرعة

تخطاه مع آخر كلماته لعل مخيمر سيُنفذ الأوامر ككل مرة، لكن الحقيقة أن مخيمر قد ضاق ذرعاً و سئم من تلك التحكّيمات التي تُفرض عليه منذ اللحظة التي فقد فيها والده و أصبح ضُرغام هو من يتولّى زمام الأمور...

-أنا مش عايز أسافر

باغته مخيمر بذاك القرار الذي صدم ضُرغام و جعله يلتفت وراءه ليواجه مخيمر بحدة:

-لأ هتسافر غصبٍ عنك ... البوليس شوية و هيدور علينا

عارضه مخيمر بسبابته الموجهة نحو ضُرغام:

-البوليس بيدور عليك إنت ... أنا مليش دعوة باللي بتعمله

ترك ضُرغام الحقيبة مكانها على الأرض ليتحرك بخطواتٍ هادئةٍ و نظراتٍ ناريةٍ نحو مخيمر الذي يرمقه بحقدٍ أعرب عن النيران التي تشتعل بداخله منذ فترةٍ طويلةٍ، توقف ضُرغام أمامه مباشرةً ليتحدث معه بهدوءٍ إدعى معه الخوف على شقيقه:

-أنا و إنت واحد يا مخيمر-

قطع مخيمر حديثه بصُراخٍ حمل ما يجيش به قلبه:

-لأ مش واحد ... إحنا عُمرنا ما كُنا واحد ... إنت طول الوقت بتستعر مني و حابسني هنا جنبك عشان محدش يعرف إنني أخوك

حافظ ضُرغام على هدوءه و هو يضع يده على كتفٍ مخيمر كي يُخبره بحنانٍ زائفٍ :

-أنا حابسك هنا عشان خايف عليك ... إللي زيك ملهمش مكان هنا ... و هو ده إللي يحاول أفهمهولك، عشان كدة كُنت عايز أنقلك من الجسم ده

أحس مخيمر بالاهانة التي غلفت حديثه و هذا ما جعل ثقته تهتز و هو يقول بكسرة:

-و أنا فيا إيه عشان كل ده ؟؟ ... أنا بني آدم عادي و مش بعمل حاجة غلط

خرجت قهقهة ساخرة من جوف ضُرغام كانت كالسهام بالنسبة لمخيمر الذي شعر بالاحتقار و الالهانة، أحاطه ضُرغام مجدداً بذراعه و يده التي أمسكت عنق مخيمر من الخلف كي يجعله ينصت جيداً لحديثه الحاد الذي تبع قهقهته الساخرة:

-الناس مش هتشوف كدة إنت بالنسبالهم ش*ذ ... يعني منبوذ من المُجتمع، حتى لو إنت شخص مُحترم و مش بتعمل حاجة غلط ... هيفضل شكلك مكروه في المجتمع ده محدش عارف إنت بنت ولا ولد

كادت الدموع تترقرق على وجنتي مخيمر و هو ينصت إلى ذلك الحديث الذي يُذكره بأنه منبوذ بالعالم، فليس هذا ذنبه أن يُخلق بتلك الشذوذ بجسده، ليس ذنبه أن يضحى

مشوِّهاً لا يستطيع المرء معرفة جنسه الحقيقي، حتى شقيقه الذي يحمل نفس دمه ينبذ منه كما المُجتمع بالضبط...

-أنا بعمل كل حاجة عشان مصلحتك ... كنت عايز أنقل روحك عشان متتعذبش في حياتك

فاض الكيل بمخيمر فدفع ضُرغام بعيداً عنه كي يهتف بوجهه:

-و أنا قولتلك قبل كدة إن الطريقة دي مش هي الحل و أديك شوفت بنفسك إيه إلی حصل لبطة في الآخر

تدفقت الدماء بعروقه عندما ذكر أمامه ما حدث لزوجته العزيزة، و من شدة غضبه أمسك بتلابيب مخيمر كي يتوقف عن الحديث و ينصت إلى حديثه الغاضب:

-إلي عملو كدة في بطة دفعو التمن غالي ... و زمانهم بيتحاسبو في الآخرة

ارتجفت أوصال مخيمر خوفاً من حديثه الذي برهن أن ضُرغام أرسل أصدقاءه إلى التهلكة، حاول أن يستفسر أكثر بصوتٍ مُرتجف:

-إ ... إنت عملت إيه ؟

رسم ضُرغام بسمة شيطانية على ثغره و هو يُجيب:

-عملت إلی كان لازم يتعمل ... خلصت عليهم كلهم

تنفس مخيمر الصُعداء ما إن تيقن مما فعله ضُرغام، فما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى انفجر كالقنبلة الموقوتة ليدفع ضُرغام بعيداً عنه مع هتافه الغاضب:

-إنت إزاي عملت كدة ؟؟ إنت مستحيل تكون بني آدم

حافظ ضُرغام على بروده و هو يُجيب:

-أيوة أنا مش بني آدم ... و كلنا مش بني آدمين...

إقترب خطوة نحو مخيمر الذي يرمقه بغلي و أعين حمراء كاللهب، توقف قبالته
مباشرة ليُفسر له بدهاء:

-إحنا عايشيين في غابة ... يعني البقاء للأقوى ... عشان كدة مفيش مكان للناس
الضعيفة و الجبانة ... و أنا مش عايزك تبقى واحد منهم زي أبوك...

وجه بصره للأسفل بضع ثوان ثم أعادها مجدداً نحو مخيمر ليواصل الحديث بأسفٍ
زانف:

-أبوك كان زيك كدة بالظبط ... مكنش عارف يشوف المُستقبل، كان دايماً يشوف
إلي تحت رجله و بس ... عشان كدة كان لازم يموت ... و إلا إحنا إلي كنا موتنا

اتسعت حدقتنا مخيمر في صدمة قال معها بصوتٍ خافتٍ مُرتجف:

-إن ... إنت قتلت بابا؟؟

أكد ضُرغام على حديثه ببرود:

-هو إلي مكنش عايز يساعدي، دايماً فاكِر إن هو الصّح و إن إحنا غلط ... لو
مقتلتوش مكنتش هعرف أحقق إلي أنا عايزه

سيطر الغضب على مخيمر و قد وصل إلى ذروته في تلك اللحظة، فشقيقه لم يرتكب
أية جريمة و حسب، لقد حرمه من والده، و أرغمه على حياة لا يتمنى أن يعيشها
أبدًا، وجد نفسه ينقض على ضُرغام بغوغائية ليلكمه على وجهه و يجعله يسقط على
الأرض...

بصق ضُرغام الدماء من فمه و هو مُستلقٍ على الأرض، حاول الاعتدال و الوثوب
لكنه وجد مخيمر قد انتشل السلاح من جيب شقيقه بالخفاء و طفق يشهره على وجه
ضُرغام بعروقٍ تنفر من جسده نتيجة الغضب...

ما إن وجد ضُرغام هذا المنظر أمامه حتى أطلق ضحكة ساخرة حملت معها الاستخفاف، وثب بعدها على الأرض ليقف قبالة مخيم مباشرة و يواصل القهقهة بسخرية حتى ازداد مخيم غضبًا...

-هتقتني؟؟ ... بقى دي أخرت إلي عملته معاك؟

حافظ مخيم على صلابته و هو يقول:

-إنت عُمرِك ما عملتلي حاجة عدلة

شدد مخيم من مسكته للسلاح أمام نظرات ضُرغام الساخرة التي قال معها:

-تمام .. إقتلني ... يلا إنت مستني إيه

فتح ضُرغام ذراعيه بتحدٍ أمام مخيم الذي بقي صامدًا على الرغم من جسده الذي لم يتوقف عن الارتجاف، بقيت حرب النظرات بينهما لفترة قصيرة حتى تشجع مخيم و ضغط على المزناد...

كان يتوقع أن رصاصة ستخرج من ذاك السلاح و تُصيب ضُرغام مباشرة، لكن ما حدث أنه وجد السلاح فارغًا من الرصاص مما جعل ضُرغام يُقهقه بحرارة على سذاجته...

-مش قولتلك إنك زي أبوك..

قال هذه الجملة و هي يُخرج خزينة الرصاص من جيبه، فهو كان يعلم من البداية أن السلاح الذي انتشله مخيم لم يكن يحتوي على أي رصاصات..

أخفض مخيم ذراعه تزامنًا مع اقتراب ضُرغام منه لينتزع عنه السلاح و يضع الخزينة داخله، كان مخيم مُغيب عن العالم في تلك اللحظة بعد أن أدرك كم أنه ساذج، فقد أحس بشعور الذنب يلتهمه فقط لأنه فكر بقتل شقيقه...

عاد من شروده على صوت تعمير السلاح القريب من رأسه و الموجه من ضُرغام
تلك المرة...

-أنا قولتلك قبل كدة إن مفيش مكان للي زيك

كاد يُطلق الرصاص من سلاحه لكن اخترق أذنه صوت سيارات الشرطة تتوقف أمام
المنزل كي تُحيط به من كل جانب، تلفت ضُرغام حوله بتيه و الرعب بدأ يأكل
أوصاله، اما عن مخيم فلم يتوقف عن الضحك بسخرية على حاله حتى أردف
بُخبث:

**-صحيح نسيت أقولك ... أنا بلغت عنك و قولتلم على المكان إلي خطفت فيه
إسلام و داليا ... و كمان ادبتهم كل الأدلة إلي بتثبت التجارب المخالفة للقانون إلي
بتعملها في المعمل ... يعني خلاص نهايتك قُربت**

تغلغل الغضب طيات ضُرغام خاصة بعدما تلقى الطعنة ممن ظن أنه ضعيفاً، لم
يدري بنفسه و هو يلکم مخيم لكمة قوية جعلته يبصق الدماء من فمه و يسقط على
الأرض، رفع سلاح ليوجهه نحو صدر مخيم ثم يردف بحقد:

-و انا قولتلك إن مكانك مش هنا..

تبع حديثه بضغطة على المزناد و اطلاقه لرصاصة اخترقت معدة مخيم و جعلت
الدماء تتدفق منه بغزارة، وضع ضُرغام السلاح بجيبه كأنه لم يفعل شيئاً، و ما كاد
يهم بالهرب حتى وجد الشرطة تقتحم منزله بعد أن حطمت الباب و أشهرت الأسلحة
على رأسه مباشرة...

تقدم لؤي مسيرتهم ليقف أمام ضُرغام الذي كان يُحاول الهرب، حادثه لؤي بنبرة
خبثة قد اعتادها:

-رايح فين؟؟ ... مش الأصول إنك تستقبل ضيوفك...

-بطة!!!-

قالها بصوتٍ واحدٍ غلفته الصدمة و هما يرياها أمامهما مباشرة، فكيف عادت من الموت؟؟ أو أنها لم تمت من الأساس ... أم أن هذه روحها التي ماتت و عادت لتنتقم منهما... لكنهما لا يستطيعا رؤية أرواح الموتى، هم فقط يرون أرواح اللذين كانوا من الأرواح المُنتقلة ... إذا من هذه؟؟

كل تلك الأسئلة كانت تحوم حول رأسهم مما كان سيُصيبهما بالجنون، وجداها تتقدم نحوهما و يتقدم الرجل المصاحب له من الخلف، حيث كانت تقترب هي نحو داليا و يقترب الرجل المجهول نحو إسلام...

-إنت عايزة إيه؟؟-

قالتها داليا بحدة، فقابلتها بطة ببرودٍ حمل معه الرغبة في الإنتقام:

-أنا إيلي المفروض أسأل السؤال ده ... إنتو كنتم عايزين مني إيه؟؟-

أجابتها داليا ببعض الارتباك:

-إحنا مكانش قصدنا نأذيكي ... إحنا بس كنا خايفين ترجعو تعملو البحث تاني

قهقهت بطة بسخرية من حديثها، ثم إقتربت بضع خطوات حتى وقفت أمام داليا مباشرة لثحادثها بتهديد:

-أهو خوفكم ده هو إيلي هيكتب نهايتكم...

أشارت بعدها للمجهول الذي معها ليكتنف إسلام و يُحيط رقبتة بذراعه، استدارت داليا لترى ما يحدث حتى وجدت إسلام أمامها و ذاك المجهول يُقرب نصل الخنجر من رقبتة...

-إنتو بتعملو إيه .. مش هتقدرو تآدوننا و إحنا أرواح

وضعت بطة يدها على كتف داليا مما أصابها بالقشعريرة نتيجة رهبتها، لاحت السُخرية على وجه بطة و هي تُشير للمجهول كي يغرس نصل الخنجر بذراع إسلام الذي تأوه بصوتٍ عالٍ رغم أن ذراعه لم تذرف أي من الدماء، فقد أحس بسكاكين تخترق ذراعه و تُصيبه بألمٍ بالغ..

بقي يتأوه من الألم و هو يمسك ذراعه الذي فقد الإحساس به، اما عن داليا فكانت ضربات قلبها تدق بسرعة حتى كادت تذرف شللاً من الدموع...

-إنتو عايزين إيه؟؟-

قالتها بين شهقاتها فوجدت بطة تقترب منها كي تهمس بأذنها و تجبرها على رؤية إسلام الذي كان يتعذب من تلك الضربة...

-عايزة أنتقم عايزة أمحيكو من الوجود...-

كان من المُفترض أن تنهدم حصونه في تلك اللحظة، فالشرطة تسد باب المنزل و الأسلحة مُصوّبة على وجهه مباشرة، لكنه مع ذلك لا يزال كبريائه و تعاليه يمنعانه من الاستسلام بهذه السهولة، فالموت أكرم له من أن يخضع لأولئك الملاعين من وجهة نظره...

تقدم لؤي خطوتين ناحيته و كاد يُخرج الأصفاد من جيبه ليُكبل بهم ضُرغام، لكن ما حدث أنه وجد ضُرغام يرسم بسمة مأكرة على ثغره تبعها بقهقهة بسيطة تراجع معها خطوة للوراء أثناء قوله:

-مشكلتكم إنكم فاكرين كل حاجة بتيجي بسهولة..-

و في أقل من ثانية ظهر رجاله الذين كانوا يُحيطون البوابة من الخارج، كما أخرج ضُرغام سلاحه و أطلق منه رصاصة كانت من المُفترض أن تخترق رأس لؤي لولا أنه تفادها لتخترق رأس واحد من رجال الشرطة و تُلقيه صريعاً...

هتف لؤي بغضبٍ و هو يرى زميله يلقي حتفه و بقية الرجال يكتنفونهم و يُشهبون الأسلحة عليهم، أمسك لؤي سلاحه و كاد يلتفت مجددًا نحو ضُرغام لئلقنه درسًا لكن للأسف لم يجده أمامه و كأن الأرض انشقت و ابتلعتة...

تولى رجال الشرطة أمر رجال ضُرغام كما أتى المزيد من أفراد الشرطة ليتكالبوا على رجال ضُرغام حتى أطاحوهم و كبلوهم، كان لؤي في تلك اللحظة يركض في القصر بحثًا عن ضُرغام إلى أن وقعت عينيه على جسد مخيمر المُتسطح أرضًا و الدماء تنسل منه...

ركع على ركبتيه يتحسس نبضه بقلبٍ مُضطرب لكنه ارتاح ما إن استشعر نبضًا ضعيفًا عندما وضع يده على رقبته، كان يعلم أنه إذا بقي على هذه الحالة فسيلقى حتفه لا محالة، لذلك سارع بحمله و الرحيل من المنزل و هو يأمر زملاءه بصوتٍ مُرتفع:

-اطلبوا الإسعاف بسرعة...-

على جهة أخرى داخل السيارة التي يجلس داخلها بقيتهم، كانت قمر تنتظر من النافذة و القلق يُفتك بها، فقد آرادت أن ترى ضُرغام و هو يتم القبض عليه لكن لؤي منعهم من ذلك خوفًا عليهم...

لم يترك القلق بقيتهم و جعلهم ينقلون أبصارهم في كل مكانٍ رغبة في معرفة ما يحدث داخل القصر، و هل تم القبض على ضُرغام أم أنه هرب ككل مرة...

-أنا خلاص مش قادرة ... لازم أنزل أشوف إيه إللي بيحصل ... مش معقول كل ده بيقبضو على ضُرغام!!-

قالتها قمر بنفاد صبرٍ فحاولت يسرا تهدئتها بتذكير:

-لؤي قال لو نزلنا هيبقى خطر علينا-

قطع حديثها صوت طلقات نارية تتبادل من داخل القصر مما زاد قلقهم أضعافًا، أردفت كوكي برهبة:

- هو إيه الصوت ده؟؟

لم يجدوا إجابة يقولونها لكن قمر لم تترك النافذة و بقيت تُحدق بإمعانٍ حتى لمحت طيف أحدهم يتحرك من خلف القصر..

-ضُرغام!!

قالتها باستنتاجٍ حمل معه الثقة، تبعت حديثها بإصرارٍ فتحت معه باب السيارة:

-لازم ألحقه قبل ما يهرب

أمسكتها يُسرا من رسغها لتُخبرها بتقرير:

-طب استني ... كلنا هنجي معاكي...

صوتها كفحيح الأفعى السامة قبل أن تنتهك فريستها، فيبدو أن رغبتها في الإنتقام ستظهر الآن و ستُفتك بهم لا محالة، حافظت داليا على صلابتها و هي تستقبل هذا التهديد دون أن تُذرف من الدموع قطرة واحدة، فهي اقسمت على ألا تضعف مُجددًا مهما ضغطت عليها الظروف...

كان إسلام في تلك اللحظة يُحاول الدفاع عن نفسه رغم أنه فقد الإحساس بذراعه و كأنها مبتورة، دفعه الرجل المجهول كي يتحرك أمامه بينما جذبت بطة ذراع داليا لتتحرك أمامها دون أن تعترض...

تحركوا معهم باستسلام لقدرهم الذي لا يعرفوا حتى ما هو، بعد بُرهة قصيرة من السير أحسوا بشخصٍ آخر يُهرول نحوهم بسرعة البرق حتى...

ظهر أمامهم طفلاً صغيراً يبدو بالعاشرة من عمره، و على الرغم من صغر سنه إلى أن نظرة الغضب بعينيه كانت كفيلة بهدم بناية بأكملها، انقض هذا الصبي على المجهول من ظهره حتى أوقع الخنجر من يده..

انتهزت داليا الفرصة و هوت بمرفقها على رأس بطة لتدفعها بعيداً عنهم ثم تتحرك بسرعة تجاه إسلام كي تنتشله من الأرض و يهربا بأقصى ما لديهم...

-هيا تحركوا بسرعة...-

قالها الصبي الصغير بلغة أجنبية جعلتهم يزدادون حيرة من أمره، فمن أين أتى و كيف يراهم، حقاً لا يجدوا أية إجابة ... اكتفوا بالركض وسط الحشائش داخل حديقة واسعة لا يظهر أولها من آخرها، لكن سكون الليل و سواده جعل من تلك الحديقة أشبه بغابة مليئة بالأفاعي و الضباع...

أثناء ركضهم أرادت داليا كبح فضولها و معرفة من هذا الصبي و من ذاك المجهول، لذلك سألت بلغة إنجليزية كي يفهمها الصبي:

-من أنت؟؟ ... و لماذا تساعدنا؟

هدأت وتيرة ركضهم ما إن ابتعدوا عن بطة و المجهول الذي معها، استدار الصبي الصغير ليحدثهما بصدر يعلو و يهبط من شدة الركض..

-أنا لا أساعدكما ... أنا فقط أريد الإنتقام

قطب إسلام حاجبيه بحيرة ليهم بسؤاله بعدها:

-الإنتقام من من؟

-منهم جميعهم ... و أولهم جايمس ... ذاك الرجل الذي كان يحاوطك

تبادلت النظرات بين داليا و إسلام لأنهما ظنا أن ذاك الاسم ليس غريبًا عليهما، كادوا يسألونه المزيد من الأسئلة لكنه اختصر عليهم بحديثه الذي فسّر كل شيء...

-جايمس هو أول من تنقلت روحه و قد علمت أنه أصيب بمرضٍ خطير و قبل أن يلقي حتفه قرر أن يتحرر من جسده نهائيًا، مما أوهم الجميع أنه لقي حتفه بالفعل جايمس ليس بشخصٍ جيدٍ أبدًا ... و لهذا كان من المُفترض أن تُبتر أطرافه، حتى يتوقف عن أفعاله الشنيعة ... لكن هؤلاء الملاحين لا يهتمون بالقدر حتى و لو كان الثمن أرواح بريئة

كان حديثه يحمل الحقد و الكراهية مما جعلهم يزدادون ريبة و يرغبون بمعرفة سبب إنتقامه منهم...

-و من أنت؟؟ ... و ما دخلك بما يفعلونه

استدار الصبي ليواجههم مجددًا كي يُجيبها:

-أدعى زاندر ... و أنا الذي أرغموه على ترك جسده لذاك الحقير...

غلقت الدموع حديثه و هو يسترسل:

-كان من المُفترض أن أحيأ حياة طبيعية و ألهو مع الأطفال بسني ... لكنهم أتوا لينتزعوا طفولتي قِصرًا كان من المُفترض أن يقتلونني ... لكن من شدة خوفي وجدت روعي تتحرر من جسدي لأدرك بعدها أن ما فعلوه بي جعلني أستطيع فعل ذلك...

تنفس الصعداء ثم توقف عن السير ليُتحدث بآلم:

-عندما تحررت روعي اعتقدوا أنني فارقت الحياة .. فقاموا بدفن جسدي ... و لأنني لم أستطيع اخبارهم، تركتهم يدفنونني بعيدًا عن الجميع ... و كأنني خُرذة بالية...

رفع رأسه لينهي الحديث بحقد:

-منذ تلك اللحظة و أنا أطوف بكل مكانٍ حولهم ... و أراقبهم أينما ذهبوا لعلني في يومٍ من الأيام أستطيع الإنتقام منهم

استدار مجدداً ليتحرك أمامهم و يتبعا خطاه حتى سأل إسلام باستفسار:

-ما الذي تنوي فعله ؟

أجابه زاندر و هو يواصل السير:

-يجب أن تعودوا إلى أجسادكم ... أعلم أنكم لم تُفارقوا الحياة، فقد رأيت بعض الرجال يحملون أجسادكم التي لم يبدو عليها الموت

سأله إسلام مجدداً بفضول و رغبة في المعرفة:

-و كيف استطاعوا جرحي بذاك الخنجر و أنا من الأرواح ؟

أجابه زاندر بثقة:

-هذا الخنجر مصنوع من نبتة تُدعى " عين العفريت " .. تحتوي على مادة سامة تستطيع التوغل إلى الأجساد المعنوية و تُصيبه بشللٍ جزئي ... لكن لا تقلق سيزول مفعلوها بعد فترة

تدخلت داليا لتسأله بفضول:

-و ما الذي ستفعله أنت؟؟ ... بعد أن نُعيدنا إلى أجسادنا

توقف زاندر عن السير ليلتفت لها و يقول:

-سأفتح البوابة و أعيدهم إلى مكانهم الأصلي

اخترق حديثهم صوتٌ مألوف يأتي من وراء زاندر، فكان هذا الصوت يقول بدهاء...

-يا هذه الصدفة ... هذه بالضبط كانت خطتنا

التفت زاندر وراءه ليجد جايمس أمامه بعد أن أضى شابًا بالعشرين من عُمره،
أحنى جايمس جذعه ليضحي مواجهًا لزاندر كي يُشهر الخنجر أمام وجهه مع بسملة
خبيفة اعتلت ثغره تبعها بحديثٍ استقزازي...

-اشتقت إليك يا عزيزي زاندر أردت أن أتشرك على منحي جسدك لأواصل به
حياتي

أطبق زاندر على شفثيه بغضب و لم يتحرك ساكنًا، كاد يتقدم إسلام نحو زاندر لكنه
استمع إلى صياح داليا التي كانت تحاول التملص من قبضة بطة...

التف إسلام وراءه ليجد بطة تُحيط داليا بذراعها و تُقرب نصل الخنجر من رقبتها
حتى لا يتحرك إسلام خطوة أخرى...

لم يكبح زاندر غضبه هذه المرة و انقض مجددًا على جايمس كي ينتقم منه لكن
جايمس باغته بحركة مفاجئة جعلت الخنجر ينغرس بمعدته مما جعله يتأوه بصوتٍ
مرتفع ثم يتقوّص بظهره قبل أن يسقط على الأرض فاقدًا القدرة على الحركة و كأنه
أصيب بشللٍ جُثماني رغم عدم وجود و لو ذرة دماءٍ و واحدة...

شهق إسلام بصدمة مما يحدث و لم يقدر على التقدم خطوة واحدة، تخطا جايمس
جسد زاندر الملقي على الأرض ليتقدم نحو إسلام حتى وقف أمامه مباشرة يُشهر
الخنجر أمام وجهه....

أما عن داليا فقد لاحظت خسوف القمر الذي بدا واضحًا أمامها، و هذا ما جعل
رهبتها تزداد أكثر، لكنها أخفت ارتباكها أثناء انصاتها لهمسات بطة الماكرة...

-كُنْتِ مستنية اللحظة دي من زمان ... اللحظة إلي أشوفكم فيها بتختفون من العالم

أطبقت داليا على شفيتها و هي تُحادثها بصرامة:

-إحنا مش خايفين منك

قهقهت بطة بسُخرية من حديثها ثم دفعتها أمامها و هي تقول:

-للأسف مفيش حل تاني ... ياما نهايتكم هتبقى زي الولد ده..

أشارت على زاندر مع آخر حديثها رغبة في تهديدهما لينصاعا لمطلبها، دفعت داليا أمامها حتى وجدوا انعكاس القمر واضحًا على حفنة من الرمال، ركعت داليا على ركبتها رغماً عنها و بطة تقف وراءها مباشرة تُشهر الخنجر أمامها كي تُلبي داليا رغباتها...

لم تُجادلها داليا هذه المرة و قررت أن تستجيب لها و تحاول العثور على حفنة الرمال التي تستطيع لمسها، بقيت تتحسس التربة الخصبية بيديها أمام شعاع القمر دون أن تشعر بلمس الرمال المُتشرية بالرطوبة ... لكن فجأة...

رسمت بسمة خبيثة على ثغرها ما إن وجدت تلك الرمال أخيرًا؛ تقدمت أكثر نحو تلك الرمال و تحركت بطة وراءها كي تُعطيها ورقة تم صنُعها من مادة غريبة تُشبه الجلد، لكنها كانت تحتوي على بعض الطلاسم التي نقشتهم داليا على هذه التربة...

ما إن انتهت من النقش حتى أحسوا بالأرض تهتز من حولهم و كأن زلزالاً مُدمرًا يضرب الكرة الأرضية، خرج ضوء ساطع من تلك الكلمات تبعها رياح عاتية ضربت ظهورهم و كادت تجعلهم يطيرون من أماكنهم...

التفتوا جميعهم نحو مصدر الهواء ليجدوا أمامهم هالة ضخمة شقت السماء و داخلها خليط من ضوء ساطع يكاد يعمي بصيرتهم، سقط فك إسلام بذهولٍ أمام تلك المُعجزة و كذلك داليا التي تصلبت أهدابها أمام ما حدث، فهذه هي البوابة التي يتحدثون عنها، ها هي مفتوحة أمامهم كما أخبرتهم الأساطير بالضبط...

رسمت بطة بسمة ماكرة على ثغرها ثم وضعت يدها على رقبة داليا لتجذبها من قلنسوة ملابسها كي تجعلها تثب عن الأرض بحدة...

-يلا قومي...-

قالتها بحدة ثم وجهت الحديث نحو جايمس لتأمره بصرامة:

-سنلقي بهم داخل هذه البوابة-

دفع جايمس إسلام من ذراعه و كذلك فعلت بطة مع داليا حتى أضحوا قريبين من البوابة و على بُعد خطواتٍ من دخولها و الإختفاء عن هذا العالم، لكن فجأة....

تتصاعد ألسنة اللهب داخله و هو يركض بأقصى ما لديه رغبة في الهرب من ذلك القصر، فعلى الرغم من أنه خسر مملكته و نصفه الآخر إلى أنه أخذ جزءاً من ثورته بعد أن ظن أن رجاله فتكوا بكل من في القاعة و عندما تأكد أن إسلام و داليا السبب في هذا كله إنتهى أمرهما و انتقلا للرفيق الأعلى، أو هكذا اعتقد و هو يركض بين الحشائش عازماً على الوصول إلى سيارته و الهرب إلى مكانٍ آخر على أن يستجمع قوته و يعود مجدداً ليُدمرهم جميعاً...

هوت ظنونه أَرْضاً ما إن وجد مُعترِز أمامه مباشرة يعترض طريقه بالسلاح الذي يُشهره على ضُرغام خاصة عند الرأس، تراجع ضُرغام بضعة خطواتٍ للوراء ليصطدم جسده بخالد الذي أشار هو الآخر بسلاح أخذه من المُلثمين كما فعل مُعترِز و صُوب فوهته على رأس ضُرغام من الخلف...

-إلى أين أيها الوغد؟... ألا تعلم أن الثعلب و إن كان مأكراً فإنه يقع بالنهاية فريسة بين يدي الصياد؟-

قالها خالد بمُكرٍ لكن ضُرغام لم يتزعزع رغم أنهم أحاطوا به من كل جانب، فكانوا يقفون بدائرة انتصفها ضُرغام بغضبٍ قد يجعله يحرق مُدناً بأكملها...

أخرج سلاحه ليووجهه نحوهم مُمرراً إياه على كل واحدٍ منهم و هو يردف بثقة حملت معها التهديد:

-إبعدو و إلا هفرغ الخزينة عليكم واحد واحد-

لم يتحرك أي منهم حتى كاد ضُرغام يضغط على المِزناد و ينتهي منهم، تشجعت قمر و طففت تتحرك خطواتٍ هادئةً تجاه ضُرغام و عيناها مُنصبتان على عينيه حتى تجعله يستميل إلى نظراتها و يُمعن التحديق بها و بجرأتها...

فما هي إلا لحظاتٍ حتى خارت قواه و ألقى السلاح على الأرض ليسقط وراءه غائباً عن الوعي...

شقت البسمة ثغر قمر و هي تهتف بانتصارٍ كما هَلل بقيتهن و هن يضربن كفوفهن بكف قمر فخراً بما فعلته، فما قد تم القبض على ضُرغام بعد أن حوّل يوم زفافهم إلى كابوسٍ آفاقوا منه أخيراً ... ما تبقى الآن هو شيء واحد فقط ... و هو البحث عن إسلام و داليا...

لن تكن لتسمح بأن تضحي هذه اللحظة هي نهايتها، فلا زال هناك ما تُريد فعله بتلك الحياة قبل أن تفارقها، و ما يزيدُها عزيمة هو أنها لا تُريد الموت بتلك الطريقة، صحيح أنها لن تشعر بألم، لكنها لن تسمح لها بالانتصار عليهما، ليس بعد كل هذا...

تبادلت نظراتها هي و إسلام الذي أشار إليها بعينيه مما جعلها تُرجع مُرفقها للوراء كي يصطدم بأنف بطة التي تأوّهت بألمٍ جعل الخنجر يسقط من يدها، لم تتوقف داليا عند هذا الحد و التفتت لتتنقض على بطة و كل منهما يدفع الآخر تجاه البوابة، فأما ستدلفها داليا و أما بطة ... أو ستخرقها كلتاهما...

كان الحال سيان بالنسبة لإسلام الذي ركل جايمس على معدته ثم قبض على يده التي تحمل الخنجر كمحاولة لإبعاده عن صدره، كان عراكم قريباً من البوابة خاصة داليا

التي إحمر وجهها من كثرة الضغط و الغضب، و كذلك إسلام الذي يتعارك جوارها حتى اخترق الخنجر ذراعه و كاد يخترق معدته و يُصيبه بالشلل...

تشوُّش بصره لدقائق لكن الرؤية اتضحت لتسمح له بمشاهدة هذا العراك الناشب أمامه، رفع رأسه بثقل تحامل معه على ذاته ليثب عن الأرض و يُحاول إنقاذهم ... فهو لم يعد ذاك الطفل الذي من حقه المرح و اللهو، أضحى كبيراً الآن على الرغم من جسده الصغير ... فكما سلبوا منه حياته و انتهكوا طفولته البريئة، عليه أن يُلقنهم درساً ... عليه أن ينتقم حتى و لو كان هذا آخر ما يفعله، فلا فائدة من تجوله في العالم كسرابٍ لا يراه و لا يسمعه أحد ... ها هي الفرصة أمامه كي يُلقنهم درساً و يجب عليه انتهازها جيداً...

تحامل على نفسه أكثر و استخدم غله الدفين و الرغبة في الانتقام و التي تجعل قوة المرء تزداد أضعافاً، فما إن وثب من الأرض حتى انقض عليهم كوحشٍ كاسرٍ يقسم على التهام فريسته، دفع جسد جايمس دفعة قوية جعلت جسده يصطدم بجسد بطة المجاور له، أطلق صرخة عالية حملت معها الغضب و هو يدفع جايمس نحو البوابة

..

انتهزت داليا الفرصة و دفعت جسد بطة الذي التصق بجسد جايمس ليسقط كلاهما داخل البوابة و تنتفض أجسادهم للوراء...

كانوا يتنفسون الصعداء كمحاولة لتهديئة نبضات قلبهم المتصاعدة و أطرافهم المرتجفة، فقد طنوا أن تلك هي نهايتهم لكن يبدو أن اللقد رأي آخر، بعد فترة وجيزة من الصمت و محاولة تنظيم أنفاسهم، وثبت داليا بسرعة لتمحو تلك الطلاسم كي تغلق البوابة خوفاً من عودة بطة مُجدداً، لكنها قبل أن تتحرك وجدت زاندر يثب هو الآخر و يمنعها باللغة الأجنبية التي لا يتحدث سواها...

-انتظري ... سأرحل أنا أيضاً

وثب إسلام من الأرض يمسك كتفه الذي أصابه الخنجر للمرة الثانية أثناء العراك، وجه بصره نحو زاندر ليسأله بلغة يفهمها:

-لماذا سترحل؟

إقترب زاندر من البوابة ثم أجابه قبل أن يخترقها:

-لقد أدت مهمتي ... يجب أن تعودوا إلى أجسادكم و تتوخو الحذر جيداً..

لَوْح بيده كي يُودعهم:

-إلى اللقاء .. و لا تنسوا اغلاق البوابة

لَوْحاً له بتوديع حتى أدثر زاندر جسده داخل البوابة ليختفي من أمامهما تماماً، هرعت داليا نحو الطلاسم لتمحوها بسرعة كي تنغلق البوابة و تنطفئ تلك الهالة المُتوهجة و تعود الأوضاع كما هي..

تحرك إسلام صوبها بسرعة ليجذبها من ذراعها كي يعودا إلى موضع أجسادهما؛ ركضا على الرمال الرطبة و أعينهما تتلفت في كل مكان حتى عثرا أخيراً على أولئك الرجال الذين كانوا يجذبون جسديهما...

كان التهليل يُغطي دواخلهما و هما يقتربا أكثر نحو الرجال حتى...

تصلبت أهدابهما و تلاشت سعادتهما ليسمحاً للصدمة أن تتوغل أجسادهما مما يحدث أمام عينيهما...

-إنطق يلا ... إسلام و داليا فين؟؟

صرخ لؤي بتلك الجملة و هو يمسك بتلابيب ضُرغام بعد أن تم تكبيله، كذلك أنت الاسعاف لتنتشل جسد مخيمر و ملاءت الشرطه ارجاء المنزل كي تقوم بتفتيشه كما أمرهم لؤي لعلمهم يجدوا المزيد من الأدلة ضد هذا الوغد...

بقي لؤي يُحرکه بعُنْفٍ و يسأله عن مكانهما و ضُرغام يبتسم له باستفزازٍ و يَأبى الحديث، از احته قمر بعيداً كي تتدخل هي فوافق لؤي فوراً و تركها تقف أمام ضُرغام و تُمعن التحديق بعينيه إلى أن أرغمته على التغيب و الانعزال عن العالم ... بعدها سألته بصوتٍ هاديء:

-إسلام و داليا خطفتوهم فين؟؟

كانت عيناه تُحدقان بالخواء و هو يُجيبها بانتشاء:

-إسلام و داليا ماتو ... و ... دفناهم!!

الفصل السابع و العشرون (النهاية)

و ما كُنت ممن يؤمنون بالقدر حتى اكتشفت أن حياتي حفنة من الأقدار، فلا اختار ما أفعله و لا أستطيع أن ارفضه...
التحمت قدماهما بتلك الرمال الرطبة و ذلك المشهد يتمثل أمامهما، حالة من الصدمة تلبستهما عندما أرغما على مشاهدة نهايتهما.

تصاعدت ضربات قلبها و كادت الدموع تُذرف من عينيها، ركضت بأقصى ما لديها نحو الرجال الذين يقومون بردم الحفرة على أجسادهما التي غطتها رمال سميكة تمنعهما من الوصول له...

هتفت داليا بأعلى صوتٍ لها:

-وقفو...-

بقيت تصرخ و تتحايل عليهم لكن لا حياة لمن تُنادي، فالرجال لا يسمعونها و لا يعرفوا أنها تراهم يدفنونها أحياءاً.

واصلت داليا الصُراخ بهستيرية حتى أوقفها إسلام بصوتٍ هاديء رغم النيران التي تشتعل بقلبه:

-داليا هما مش سامعنا-

جذبها إسلام بعيداً حتى تُهديء من روعها، اسند ظهره عند إحدى الأشجار حتى وجدها تتهاوى على الأرض و الدموع تنهمر من عينيها كودقٍ في ليلة شتاءٍ قارصة، ارتمى إسلام جوارها على الأرض و كأنه حُطام بناية ضربها زلزالٌ مُدمر..

كادت الدموع تنزلق من عينيها لكنه منعها من الهطول و قرر أن يستسلم لذاك الواقع، فلم يعد هناك أمل من عودتهما مُجدداً، حتى أصدقائهما من الممكن أن يبأسوا من العثور عليهما، و لا يعلموا إلى متى سيبقيا بذاك الجسد المَعنوي...

-هو كدة خلاص؟؟ ... إحنا هنبقى زي زاندر؟؟

قالتها بلكنة مكسورة تشدقت بدموعها و تذكرها لما قاله الصبي المسكين و كيف كانت نهايته، فكل الأدلة تُشير أن نهايتهما ستضحى مثله، لم يجد إسلام من الكلمات ما يقولها فتحلّى بالصمت لفترة لم تكن قصيرة لكنه نهاها بصوتٍ نادم:

-كان معاكى حق ... أنا السبب فى كل اللي حصل مكش المفروض أخليكي
توافقى على التجربة

اعترضت حديثه بقولها:

-أنا عملت كدة بمزاجي ... أنا و إنت غلطانين، و شكنا بنتعاقب

انخرطت أكثر بالبكاء ما إن تذكرت:

-بس ماما مش هتعرف تعيش من غيري

واصلت البكاء بحسرة جعلت حصون إسلام تتهاوى لتتنلق قطراتٍ من دمعاته و يحاول أن يزيغ ببصره بعيداً عنها حتى لا تسترقد اليأس بلامحه و تزداد حسرتها، فليس أمامهما سوى الانتظار، و ربما هذا الانتظار سيضحى بلا فائدة، فليس لديهما القدرة حتى على الاستنجاد ... ليس أمامهما سوى الندم و البكاء على الأطلال...

-يعنى إيه اتدفنو ... إنطق

صرخ لؤي بهذه الجملة و هو يمسك بتلابيب ضُرغام بعد أن تملك منه الغضب من كل جانب، أما بقيتهم فكانت الدموع تترقق على وجنتهم بعد أن انصتوا لحديثه الذي يُشير إلى أن أصدقائهم قد فارقوا الحياة...

لم ينبس ضُرُ غام ببنت شفة و بقي في حالة من الصمت حتى ازاحت قمر لؤي مجدداً لتسأله هي بدموع مكبوتة داخلها، لكنها غلُفت ضيقها بغُلافٍ من الثبات كي تسأله بصوتٍ مُتقطع:

-إتدفنوا فين؟؟

أخبرهم ضُرُ غام أنهم دُفنوا بحديقة مُكفهرة بعيدة لكنه لم يُحدد مكانهم بالضبط، فما إن أدلى بتلك الجُملة حتى ركضوا بأقصى ما لديهم صوّب هذا المكان عازمين على رؤية جُنتهما لعل هؤلاء الأوغاد دفنوهما أحياءً، حتى و إن كانا بالفعل قُتلا فيجب أن يتم دفنهما في مكانٍ يليق بهما...

أمسك لؤي واحداً من كلاب الشُرطة و أشممه شيء من رائحة إسلام حيث أخذ عطره الذي كان بحوزة مُعتز، لم يجدوا شيئاً يُساعدهم بالبحث عن داليا لكنهم استنتجوا أن الاثنان دُفنا بنفس البُقعة لذلك قرروا أن يكتفوا بتلك الرائحة التي تخص إسلام و التي حفظها الكلب جيداً...

كم هو غريب أن تنقلب لحظة سعيدة في أقل من ثانية إلى لحظة أخرى لا يفارقها الشقاء، فبداية اليوم كانت السعادة تُحاوط قلوبهما، أما الآن، فهما يجلسان أسفل شجرة قديمة تتكالب عليهما ضروب من اليأس و الندم...

استسلما لقدرهما فاستتدت داليا على كتف إسلام و لا يزال وجهها أحمرًا من كثرة البكاء، تُحدق بعينيها في الخواء كما يفعل إسلام بالضبط، حيث كان كلاهما يتأمل النجوم و السماء الكاحلة لعلهما يتنعما بقليلٍ من الأمان بتلك الليلة الساكنة، فلا ضير في التحليق بأذهانهما عاليًا و يتركها ذاك العالم المليء بالشقاء...

-هنعمل إيه؟؟

قالتها داليا بصوتٍ هاديء بعد أن طالت مُدة جلوسهما لأكثر من ساعتين على بُعد بضعة أمتارٍ من البُقعة التي تم دفنهما بها، أجابها إسلام بتيه:

-معرّش

اقترحت عليه داليا باستسلام:

-تفتكر هنلاقي ناس تانية زينا نقدر نتكلم معاهم؟؟

آجابها ببعض الثقة و الهدوء:

-أكيد هنلاقي كتير زيينا ... بس مش عارف هنلاقيهم إزاي؟؟

تنهدت داليا بعُمقٍ ثم رفعت رأسها عن كتف إسلام كي تحادثه بضيقٍ عاود زيارتها مُجددًا:

-هو إحنا ليه اتخلقتا كدة ؟ ... ليه مكوناش ناس عادية زي بقيت الناس

وجه بصره نحوها لُجيبها بحكمة:

-ربنا مش بيدي حاجة لحد غير لما يكون قدها

سألته باستفسار:

-و تفتكر إحنا قدها؟؟

لم يجد إجابة ليقولها لكنه مع ذلك تنهد و هو يحاول الحديث بطمأنينة:

-إحنا عملنا إلهي علينا

لم يبدُ على وجهه أي من العلامات رغم الطمأنينة التي كانت داخله، لازالت نظرات اليأس و الضيق تلوحان على وجهها و هي تقول:

-ماما و صحابي هيوحشوني ... أنا مش عارفة هعمل إيه و أنا كدة؟؟

كادت الدموع تنبجس من حدقتيها فحاول إسلام تلطيف الأجواء بقوله:

-و أنا كمان كل حاجة هتؤحشني ... بس عارفة إيه أحسن حاجة؟؟

وجهت بصرها نحوه بعلاماتٍ من الجهل فأكمل حديثه بابتسامة هادئة:

-إننا هنبقى مع بعض و هنخذ قصة حُبنا

قُد حديثها بمرح جعلها تبتسم بين دموعها و تعاود الاستناد على كتفه و مشاهدة مشهد الشروق سوياً، حيث كانت السماء تحمل اللون البنفسجي مع خطوط الشمس الذهبية التي بدأت تسطع بالأجواء و تجعل تلك السماء لوحة فنية باهرة....

عاد إسلام إلى الواقع ما إن استمع إلى همساتٍ تُصدر من بعيد، هذه الهمسات ارتفع صوتها مرة واحدة ليوضح بعض الأصوات التي يعرفونها جيداً...

-إحنا دورنا في كل حِثة

قالتها يُسرا بيأسٍ و دموع تكاد تُذرف من عينيها، كان يمسك لؤي الكلب الضخم و يُخبرهم بصرامة:

-لازم نتفرق و ندور تاني ... مش هنمشي من هنا غير و هُما معنا ... سواء عايشين أو ميتين

انتبهت حواسه لتلك الأصوات و هؤلاء الذين اقتحموا الحديقة المُكفهرة بعزيمة و ثبات، أيقظ داليا و انتشلها من بحر يأسها كي يُخبرها بلهفة:

-داليا .. داليا قومي بسرعة

تحركت أقدامهم بضع خطواتٍ قطعها الكلب الذي معهم بنباحه الذي جعلهم يلتفتون له، جذبهم الكلب نحو بُقعة من الرمال فواصلوا السير خلفه حتى توقف عند البُقعة التي دُفن إسلام بها، بقي يشتم تلك الرمال و ينجح مما أكد لهم أن إسلام بتلك البُقعة...

ركع لؤي على رُكبتيه ليتحسس التربة التي كانت رطبة أكثر من بقية الحديقة، هذا يعني أن تلك الرمال تم تقليبها و لا يتم تقليبها إلا في حالة الحفر، بقي يُمسد على التربة حتى عثر على بُقعة أخرى تزداد بها الرطوبة...

وثب بعدها عن الأرض و هو يُشير على تلك البُقعتين و يردف بأمر:

-احفرو هنا ... يلا بسرعة

استجاب مُعتر و خالد لحديثه و أمسكا بالمجاديف ليبدأا الحفر، كذلك ساعدتهم يُسرا و قمر كي ينجزا بسرعة، أما عن كوكي فكانت تمسك لجام الكلب و تقف على مقربة منهم بتوترٍ يملكها الخوف من رؤية صديقتها المُقربة فاقدة لكل معاني الحياة، و بالنسبة للكلب، فهو لم يتوقف عن النباح في بُقعة تقترب من الحفرة التي يحفرونها...

بعد فترة طويلة من البحث اصطدم المِجرف الخاص بمُعتر بجسدٍ ما تزامناً مع عثور خالد على جسدٍ آخر، ركعت يُسرا على ركبتيها لتجذب جسد داليا الذي وجدته بمساعدة من قمر، بينما اتجه خالد نحو معتر ليساعده على رفع جسد إسلام و ابعاده عن تلك الحفرة...

كان الجسدان تتراكم عليهما الأتربة ناهيك عن شحوب و جهيهما و تتلج أطرافهما، كذلك نبضاتهما المتوقفة أكدت لهم أن لا يوجد حياة بهما، أي أنهما فارقا الحياة تماماً

...

تهاوت كوكي على الأرض بالقرب من جسد داليا ثم انخرطت بالبكاء كما فعلت قمر بالضبط:

-داليا ... داليا متسبيناش

قالتها كوكي بين دموعها كما احتضنت قمر جسدها لعلها ستضحى آخر مرة ترى فيها صديقتها، آخر مرة سيتشاركن فيها أحاديثهن المرححة الخاصة بالفتيات، فكيف سيمرحن و هناك ضلع منهن فارق هذه الحياة، و الأشد صعوبة من هذا ... كيف سيُخبرن والدتها بخبر كهذا، بالطبع لن تتحمل و من الممكن أن تفقد حياتها وراءها...

كان الحال سيانٍ بالنسبة لمُعترِ الذي ترقرت دموعه و هو يحمل جسد صديق عُمره الذي لم يتخلى عنه مهما كانت الظروف...

-ارجع يا صاحبي عشان خاطري ... متسبنيش يا اسلام بالله عليك

قالها بين دموعه المُترقرقة كما كان خالد بالضبط، أما عن يُسرا فكانت أكثر تدهورًا عنهم، فهي للتو فقدت صديقة جديدة و فقدت شقيقها الأصغر، أي خُسارتين في يوم واحد...

ركع لؤي قبالة الجسدين بدموعٍ مسجونة داخله، يرمق الجسدين بحسرة و داخله يتآكل من الندم لأنهم تأخروا، فلو قد عثروا عليهما قبل فوات الأوان لما لقيا حتفهما بتلك الطريقة الشنيعة، ازاح دمة خائته و ترقرت على وجنتيه كي يقطع عليهم هذا الحُزن بنبرة مُتقطعة حاول جعلها صارمة:

-يلا نشيلم ... لازم يتدفنو في مكان تاني...

تركض أقدامهم بين الحشائش و الرمال في أقصى سُرعة لديهم، فقد كانا يجلسان في حسرة حتى استمعا إلى بُكاء و أصواتٍ حزينة تُصدر بالقرب منهما، أدرك إسلام أن أولئك بالطبع أصدقائهما و يجب أن يذهبا إليهم قبل فوات الأوان...

توقفا أمام مقبرتهما المجوفة مباشرة ليوحه إسلام نظرة عابرة نحو داليا مُحملة بالأمل و السعادة، فها قد أنجدهما الخالق بعد أن ظنا أن حياتهما تدمرت، ها قد أعطتهما الحياة فُرصة أخرى ليُصححا أخطائهما و يبدأ حياةً جديدةً ببدايةٍ أخرى تخلو من الأخطاء، فهما يعلمان أنهما أخطأا في البداية، و أن الخطأ الذي اقترفاه كاد يؤدي بحياتهما و حياة أصدقائهما، لكن هذه المرة، سيبدلا ما بؤسعهما حتى ينعما بحياةٍ هادئةٍ رغم تلك القُدرة التي لديهم و التي تعلُّما أنها بهذه الخطورة...

خرجت شهقة عالية من جسد داليا عندما عادت إلى جسدها و بدأت أطرافها المُتجمدة بالعودة إلى الحياة مُجددًا، ما إن عادت إلى جسدها حتى بدأت بالسُعال الذي لم يتوقف بسبب تلك الرمال التي دخلت جوفها...

كان الحال سيانٍ بالنسبة لإسلام الذي عاد إلى جسده هو الآخر و بدأ السُعال مثلها بالضبط، فالرمال كانت تُغطي كل إنشٍ بجسدهما و تجعلهما أشبه برجال الأدغال...

-داليا...

قالتها قمر بسعادة و غير تصديق أخذت بعده داليا في عنق كبير متجاهلة تلك الرمال التي بدأت تُغطي ملابسها، انقضت كوكي على داليا هي الأخرى بدموعها التي تحوّلت إلى دموع الفرحة...

-كنا خايفين عليكِ أوي

طمأنتهم داليا بحديثها:

-متقلقوش يا جماعة أنا كويسة...

انقض مُعترز على إسلام ليُكامعه بحُبٍ بالغ كما فعل خالد و لؤي الذي رسم ابتسامة هادئة تحمل الأريحية على وجهه، فلا يُصدق أي منهم أن أصدقائهما عادا إلى الحياة بعد أن غطتهما معالم الموت...

-إيه يا سطا إلی عملته ده ... انا كان قلبي هيقف بسببك

قالها مُعترز و هو يضرب كتف إسلام بمُزاح، قابله إسلام بابتسامة واسعة ربت معها على كتف مُعترز، ثم صافحه خالد و هو يقول بترحيب:

-مرحبًا بك إلى الحياة مُجددًا

بادله إسلام المصافحة لتستمر المصافحات بينهم في حرارة و سعادة قطعها إسلام و هو يحاول الوثوب بمساعدة من خالد و يُسرا لأن كاحل مُعترز لا يزال يؤلمه و لا يستطيع المشي عليه خاصة بعد أن تحامل عليه كثيرًا هذه الفترة...

استند مُعترز على لؤي الذي ساعده على الوثوب كما وثبت الفتيات هي أيضاً و قد لاحظت داليا تلك الملابس الغربية التي يرتدونها، فكانت قمر ترتدي زي أحد الملتمين و يُسرا و كوكي يرتديان ملابس حارس الأمن..

-إنتو كنتو في حفلة تنكرية؟؟

قالتها داليا بمُزاحٍ لتنتبه قمر إلى الرمال التي لطخت رداءها فترد عليها بمُزاح:

-بُصي لنفسك الأول و بعدين اتكلمي

تجمع الفتيات و الرجال ليسيروا جوار بعضهم و قد لاحظ إسلام معالم وجههم المليئة بالجروح و الكدمات و كأنهم كانوا يتعاركون داخل حلبة مصارعة...

-هو إيه إلهي حصل؟؟ ... مالكم متشلفتين كدة ليه؟

استند مُعترز على إسلام ليجيبه باختصار:

-ده حصل حاجات كتير ... الفرحة اتقلب معركة و كنا هنروح فيها

اتسعت حدقتنا اسلام في ذهولٍ تعجب معه مما حدث، تحدثوا باختصار عما حدث في تلك الساعات القليلة و التي كانت حافلة مليئة بالأحداث ليس على إسلام و داليا فقط، بل على جميعهم...

بعد فترة من الحديث و السير أُرذفت قمر بضيق:

-بس عارفين بقى إيه أسوأ حاجة حصلت في ده كله؟؟

سألوها بفضولٍ فأجابت بضيقٍ قد وصل إلى ذروته:

-إن فُستان الفرحة بتاعي باظ و أنا كنت عايزة أورثه لعيالي

أنهت حديثها بصبيانية جعلتهم ينفجرون بالضحك على حديثها الساذج خاصة الفتيات، فعلى الرغم من تلك الأحداث المكفهرة لا يزال المزاح و الضحك يغرق وجوههم ليثبت لهم أن تلك الحياة يسهل مواجهتها مهما كانت الظروف، فدائمًا ما تجد تلك الهالة المضيئة التي تساعدك للوصول إلى بر الأمان ... و بالنسبة لهم، لا يوجد بر أمان طالما هم مُتفرقون و لا يُشكلون فريقًا واحدًا في مواجهة الصعاب، لذلك أقسموا على المحافظة على صداقتهم مهما كان الثمن و مهما كانت الضغوطات...

يجلس وحيداً في حُجرة سوداء داكنة بأعين حمراء كادت تشع لهبًا، فبعد أن كان الحاكم الطاغي على رعيته، أصبح الآن مُكبلاً بالأغلال داخل حُجرة ضيقة يهاجمه وحش الانتظار مما جعل قدماءه تضربا على الأرض بضراوة، لا يوجد على ملامحه أي إشارات للخوف، حيث بدأ مُستعدًا للحظته الأخيرة رغم هذه الذنوب التي اقترفها، فلم تكن تخلو حياته من الجرائم و المكائد، و على الرغم من هذا، لم يُبدِ أي عوالم للندم، فإذا كانت حياته تُعاد مرة أخرى فسيقترب تلك الجرائم و المكائد مراتٍ تلو مراتٍ، مُقتة لذاك العالم الظالم يجعله يؤد الفتك بهم حتى و لو كانت لحظته الأخيرة

...

لم يكن الشر من شيامه أبدأ، فلطالما كان الطفل المُهذب الذي يتفوق دائماً بدراسته، لكن هذا العالم الأسود جعل من ذلك الطفل البريء وحشًا كاسرًا لا يُدرك معاني الإنسانية و لا يعرف طريقًا للرحمة، منذ أن هجرته والدته و أضحى والده يُشكل عيبًا على حياتهما و هو قد تحوّل مئة و ثمانين درجة، مُنذ أن تَلطخت يده بدماء والده بعد أن أوهمه شيطانه بأنه سبب هذه المكائد و حياته لم تعد كما هي ... أصبح كُرهِه للعالم يزداد يومًا عن الآخر حتى أتت تلك اللحظة التي تهاوت بها حصونه و أضحى الاستسلام مصيره....

صوت قُنبلية ضارية دوى صديدها في الأجواء، دماء تناثرت في كل مكانٍ لتحوّل تلك الحُجرة الداكنة إلى حُجرة حمراء تُصيب الشخص بالاشمئزاز ... هُوت جُثته على الأرض بين بركة الدماء هذه تُعلن عن لحظته الأخيرة و طريقة نهايته التي يستحقها

...

بضع أيام و ساعاتٍ مرّت عليهم و جميعهم يُحاولون التعافي من تلك الأحداث، منهم من استقرت حياته و منهم من ظل يُجاهد على فراش المرض بعد أن كامعته مجازر الخُذلان و اليأس...

يجلس بحجرة باهتة المعالم لا ينبعث منها سوى روائح السُقم و الموت، غُرفة مُكفهرة تزداد اضمحلالاً كلما مرّت الساعات و انتصر وحش الوحدة و سكاكين الألم، تحسس معدته بزحرٍ يتغلغل جسده و لهيبٍ يطغي على جرحه، فربما كانت اصابته شديدة و جعلته قعيداً على ذاك الفراش لأيام، إلى أن الجرح الذي يعتمر قلبه لا يتساوى أبداً مع ذاك الجرح الذي بمعدته، تلك الرصاصة التي اخترقت جسده لم تكن كأى رصاصة يتلقاها، بل هي رصاصة محملة بالخيانة و الخُذلان، فلا شيء اصعب من تلقي الطعنة ممن ظننت أنه سيحميك من العالم...

حاول الاعتدال بجالسته ليستند بظهره على مسند الفراش تزامناً مع سماعه لطرقاتٍ هادئة تضرب الباب يصحبها خطوات متأنية تقترب نحوه مع ابتسامة بسيطة تساعده على الاطمئنان...

أزاح لؤي المُقعد ليجلس على مقربة منه يطمئن على حاله أولاً، فلؤي لم ينقطع عن زيارته هو و بقيتهم منذ أن أتاها خبر بإصابته، كم كان مخيمر في أوج سعادته كلما أتته زيارة منهم، حيث وصل إلى مرحلة بحياته تجعله يلجأ للغريب كي يحتمي من أقرانه...

بعد بُرهة من الاطمئنان و الترحيب تنهد لؤي قبل أن يردف بجدية:

-إنت طبعاً عارف إن المعمل إتحجز عليه؟

أوماً مخيمردون أن ينبس بنت شفة لكن نظراته أظهرت ما يضمره قلبه من آلامٍ طاغية، فكان من المُفترض أن تحجز الدولة على ذاك المعمل الذي يجري تجارباً مخالفة للقانون و الإنسانية..

واصل لؤي حديثه بلكنة أخرى مُشعبة بالهفة:

-بس أنا وصتلك على شغل

قطب مخيمر حاجبيه بحيرة حتى فسّر لؤي مقصده بسعادة:

-في معمل تاني كانوا عايزين ناس مُختصين في البيولوجية و التكوين الجيني ...
فانا رشحتك ليهم و هما اختاروك

لم يُبدِ أي من العوالم و كأن كُتلة مُترصبة من الحُزن تُحيط قلبه و تمنعه من الشعور
بالسعادة، تحلّى بالصمت لو هلة أخفض معها رأسه لأسفل مما أوحى للؤي عدم
انبساطه...

-في إيه؟؟ ... هو مش ده إالي كنت عايزه؟؟

سأله لؤي بحيرة جعلت مخيمر يخرج من قوقعة صمته و يردف بصوتٍ خافتٍ مُحملٍ
بالانكسار:

-مينفesh مينفesh أشغل في أي حته محدش هيقدر يتعامل مع واحد زي

كادت الدموع تتقاطر من عينيه ما إن تذكر حقيقة التشوّهات التي تعتمر هيئته و
تمنعه من مواصلة حياته بصورة طبيعية، بدأ يُصدق بالفعل أنه عالية على الجميع مثل
ما قال عنه شقيقه، و الأصعب أن لا دخل له بهذا الأمر، لم يكن سوى مجبوراً أُجبر
على العيش بجسدٍ مشوّه بين عالم يُقيم الإنسان بهيئته الخارجية فقط...

أحس بتربينة على كتفه أيقظته من شروده و جعلته يرفع رأسه بضع إنشاتٍ كي
ينصت إلى حديث لؤي المُشجع:

-مفيش حد هيقولك حاجة ... أنا وصيتهم عليك، و لو حد دسلك على طرف إحنا
كلنا هنُقله ... و خليك فاكّر إن مش الشكل هو إالي هيحدد حياتك هتبقى ماشية
إزاي ... إنت إالي في إيدك تتحكم بنظرة الناس ليك

أنهى حديثه بسبابة موجهة نحو مخيم جعلت الأمل يتدفق بين أضلعه و سعادة كاد
يبرز أثرها على وجهه..

ابتعد عنه لؤي بعد فترة ليرحل من الحجرة كي يُباشِر أعماله، لكنه ما إن تحرك بضع
خطواتٍ حتى استمع إلى صوت مخيم يهتف بامتنان:

-شُكْرًا شُكْرًا على كل حاجة

ارتسمت بسمه هادئة على ثغر لؤي و هو يرد عليه ثم يرحل من الحجرة تاركًا إياه
وحده بعد أن ملاء قلبه يقينًا بأن القادم أفضل و أن الأمل لا يزال موجودًا ينتظر
إشارة منه كي يحضر و يملاء حياته سعادة فأيام البؤس و الشقاء انتهت أخيرًا...

بعد مرور سبعة أشهر...

بدأت حياتهم تعود أدراجها بعد هذه الأيام الطويلة، فكان زفاف إسلام و داليا متوِّجًا
لهذه السعادة التي تكبدتهم تلك الأيام الماضية، قرروا في هذا اليوم أن يقضوا العطلة
سويًا مُنتهزين فصل الصيف الذي أتت بواده لتُلطّف على البرد القاسي الذي ضرب
أجسادهم لأيام، و في ذلك اليوم المُشرق، كان يُغلق إسلام حقيبة السيارة بعد أن حملها
بالحقائب استعدادًا للسفر...

استقل بعدها السيارة بجوار داليا التي كانت تربط الحزام استعدادًا لتلك الرحلة، لم
تكن معالمها خالية من اللهفة و الحماس التي ستزداد وتيرتها حالما يصلا وجهتهما،
قبل أن يتحرك إسلام بسيارته التفت برأسه نحو داليا ليسألها بشك:

-هتنامي بقى زي كل سفريّة ولا هتتكلمي معايا في الطريق و تسليني؟؟

أجابته داليا بثقة:

-لا أنام إيه ... أنا خلاص اتغيرت و مبقتش أنام في المواصلات

رفع حاجبيه بغير تصديقٍ قال معه:

-يعني هنغني و نرغي مع بعض في الطريق؟؟

أومات رأسها إيجابًا بكل ثقة حتى تحرك إسلام بالسيارة...

بعد مرور بُرهة من القيادة سأل إسلام:

-نشغل أغنية إيه بقى؟؟

انتظر الرد بضع ثوانٍ لكن الصمت كان حليفه، عندما ضاق ذرعًا التفت برأسه ليوأجه داليا و يُعاود السؤال:

-ها يا دال-

قطع سؤاله هذا المنظر الذي رآه، فقد كان اللُعب يسيل من فمها الذي كان مفتوحًا مع رأسها التي ارتخت على المقعد بأعين مُغلقة تمامًا، ناداها إسلام أكثر من مرة لكنها لم تُجيبه و لم تتحرك قيد أنملة بعد أن غطت في سُبَاتٍ عميق، عاد إسلام نحو مقود السيارة يضربه بخيبة أملٍ أردف معها بسخرية:

-هو ده إللي اتغيرت ... دا أنا لو خدتها و طلغنا جمسة بدل إسكندرية مش هتاخذ بالها

وضع يده بعدها على المذيع ليصيح بعدها صوت القرآن الهاديء كي يُعينهم على طريق السفر المليء بالصعاب...

تشق السيارة طريقًا صحراويًا محفوفًا بالرمال، حيث كانت تجلس كوكي ببطنها الممتلئة أمامها نظرًا لكونها قد أضحت بالشهر الثامن، أما عن مُعتز فكان يجلس جوارها يبادل نظره ما بينها و بين الطريق تارة أخرى، كان الجو هادئًا داخل السيارة لأنهم لا ينصتون لشيء الآن...

كانت ترتشف كوكي من غُلبة العصير و تشاهد الطريق من النافذة في صمتٍ قطعه نظرات مُعترز الهائمة و ميله البسيط نحوها كي يتغزل بها كما يفعل دائماً:

-تعرفي يا ناجتس إن إنتِ شبه الماية؟؟

قطبت كوكي حاجبيها ما إن انتبهت لسؤاله:

-إشمعنا؟؟

أجابها بأعينٍ تُحدق بها بعشقي جامح:

-أصل إنتو الاتنين مقدرش أعيش من غيركم

رسمت بسمة خجلة على ثغرها و ما كادت ترد على غزله و نظراته الهائمة حتى وجدت شاحنة كبيرة تقترب نحوهما و تكاد تصدم سيارتهما:

-زيزو!!

قالتها بأعينٍ جاحظة و شهقة مُرتفعة جعلت مُعترز يعتدل بسرعة على مقعده و يدعس بقوة على المكابح ليُغير اتجاه السيارة التي كانت على وشك الاصطدام بتلك الشاحنة

...

تفادوا هذا الاصطدام بأعجوبة فكانت كوكي تحاول تنظيم أنفاسها و تمسك معدتها الممتلئة بخوف، أما عن مُعترز فكانت ضربات قلبه تنبض بسرعة البرق لا يُصدق أنهما كادا يفتعلان ذاك الحادث، وجه نظره نحوها ليسألها بقلق:

-حصلك حاجة؟؟

نفث كوكي برأسها و هي لا تزال تمسك معدتها بخوف، بعد بُرهة قصيرة و بعد أن نظما أنفاسهما المُضطربة عاود مُعترز النظر بهيامٍ نحو كوكي ليُواصل ما كان يقوله بغزل:

-كنا بنقول إيه ؟؟

أوقفت كوكي حديثه بنبرة قلقة:

-أنا بقول تركز في الطريق أحسن متعرفش تقول حاجة تانية بعد كدة

واقفها مُعتز ليعتدل بجلسته و يصب تركيزه على الطريق حتى لا يفتعل حادثاً هذه المرة، بعد بُرهة من الصمت أرفف باقتراح:

-تحبي تسمعي إيه ؟؟

ابتسمت كوكي و هو تُجيبه بلهفة:

-أنا بحب the weekend

رد عليها مُعتز ببلاهة:

-و أنا كمان بحبه، بس بحب بردو باقي أيام الإِسبوع

قطبت حاجبيها بحيرة من إجابته ثم صحت ما فهمه بعدها:

-زيزو the weekend دي فرقة موسيقية

أحس ببعض الحرج لو هلة لكنه غطاه بـغلافٍ من التعالٍ كما وصاه إسلام:

-إيه ... اه منا عارف، أنا كنت بهزر معاكي

أنهى حديثه ببسمة أربكتها و جعلتها تبتسم هي الأخرى، وضع بعدها يده على المذراع بعد أن قرر أن يختار الأغنية بنفسه:

-أنا هشغلك أغنية حلوة تليق على السفرية..

و ما هي إلا لحظات و قد صدحت أغنية هادئة تغلغت داخل حصون فؤادهما من جمالها و تناسقها مع تلك الرحلة..

-شط اسكنرية يا شط الهوى ... روحنا اسكنرية .. رمانا الهوى ... يا دنيا هنية،
و ليالي رضية ... أحملها بعينيا شط اسكنرية...

أما داخل تلك السيارة فكان الوضع مُختلف تمام الاختلاف، فكان الهرج و المرج سيذا الموقف هذه المرة، كانت قمر تتناول رقائق البطاطا و تُثرثر و الطعام بجوفها، كان لؤي جوارها يتولى أمر القيادة و ينصت إلى ثرثرتها دون كللٍ أو ملل، فبتلك الدقائق القليلة أضحى يعرف كل شيءٍ عن عائلتها و أقاربها، فهي لم تترك سرًا إلا و أفشته كما تفعل دائمًا...

بعد بُرهة تذكر لؤي أمرًا شديد الأهمية فسألها:

-صحيح إنتِ قولتي لوالدتكِ إننا إتحركنا ؟

شهقت قمر بتذكرٍ ضربت معه جبينها:

-تصدق نسيت ... انا لازم أكلها

تركت كيس الرقائق لتنتشل حقيبتها و تبدأ العبث بها، أدثرت يدها داخل الحقيبة و بدأت تُخرج منها العديد من الأغراض، استمرت على ذلك الوضع ليتحوّل وجهها إلى الضيق لأنها لا تجد الهاتف داخل الحقيبة...

-لؤي أنا شكلي نسيت الموبيل

قالتها باندفاعٍ و ضيق فاقترح عليها:

-دوّري كويس يمكن هنا ولا هنا

زفرت الهواء من فمها بيأس و عاودت العبث داخل الحقيبة دون أية فائدة، فالهاتف لا يوجد داخلها أبداً، ما إن انتهت من البحث حتى قالت بصوت يتفاقم فيه العبوس:

-يا لؤي مش موجود ... أنا نسيتته في البيت

كادت الدموع تترقرق من عينيها و هي تتحدث بتؤسل:

-لؤي لو سمحت ممكن نرجع ... انا مش هينفع اسافر من غير الموبيل

أجابها لؤي بلكنة صارمة حملت بعض الرقة:

-نرجع إيه يا قمر إحنا خلاص داخلين على بوابة اسكندرية

زادت قمر من تؤسلاتها حتى بدت كطفلة صغيرة تلح على والدها من أجل ابتياع الحلوة، بقيت تتؤسل ببضع دموع تنسل من عينيها خاصة بعد أن اتصل لؤي بهاتفها عدة مرات و هاتفها صامت كالعادة، ارضخ لؤي لها في النهاية و قرر العودة إلى القاهرة مجدداً كي تجلب هاتفها، بالطبع عاتبها أولاً لأنها أخبرته أنها أحضرت جميع الأغراض و تأكدت معه من إتمام الحقائب، فالأشياء التي ننساها لا نتذكرها إلا بعد فوات الأوان، و هذا ما يحدث دائماً...

عاد بالسيارة مُجدداً إلى القاهرة حتى بدأت أشعة الشمس تشتد نتيجة إقترابهم من وقت الظهر، حيث كان من مُخططاتهم أن يبدؤوا السفر باكراً حتى تسنح لهم فرصة قضاء اليوم من بدايته، لكن قمر أتت لتخرب جميع المُخططات بعد أن أجبرتها على العودة و معاودة السفر مُجدداً مما سيأخذ المزيد من الوقت...

توقفت السيارة أسفل البناية التي يقطنها و كانت تستعد قمر للترجل من السيارة و إحضار هاتفها الذي تركته بالمنزل...

قبل أن تترجل من السيارة سألها لؤي:

-معاي المفتاح ؟

أجابته قمر بثقة:

-أه معايا

سألها مُجددًا كي يتأكد لأنه يعلم أنها ستتذكر أنه ليس معها عندما تتوقف أقدامها أمام المنزل:

-طب طلعيه وريني

تنهدت قمر بنفاد صبر ثم عبثت بجعبتها لتُخرج منها مفتاحها، أثناء عبثها أحست بشيءٍ ثقيل يندثر بجعبتها، أدخلت يدها أكثر داخل جيب سئرتها الغائر لترى ما هذا الشيء الثقيل الذي لا تتذكر أنها وضعت داخل جيبها...

خرجت شهقة عالية من فمها و هي تُخرج الهاتف من داخل جعبتها بغير تصديق:

-الموبيل !! ... أنا إزاي مدوّرتش هنا

تطاير الغضب من عيني لؤي و هو يهتف بحدة:

-نعم !! ... إنتِ رجعتيني من اسكندرية للقاهرة عشان ناسية الموبيل و في الآخر يطلع في جيبك !!... و بعدين إنتِ عملاه على الصامت ليه؟؟

بررت لنفسها بنبرة مُستعطفة:

-ما انا مش متعوّدة أحطه في جيبى ... ثانيًا أنا بعمله **silent** عشان الرسائل بتزعجني و أنا بسمع أغاني

أطبق على شفثيه بحنقٍ ضم معه قبضته لعلها تكبت شعلة الغضب التي أوقدتها، ضرب على المقود بقبضته فحاولت هي استمالته بنبرة مرحة:

-خلاص بقى متضايقش ... مفيهاش حاجة لما أنسى، ما كلنا بننسى

لم ينبس ببنت شفة لأنه يعلم تلك الحُجة التي دائماً ما تقولها بسبب نسيانها الدائم، فهو يكاد يشك بكونها تعاني من مرضٍ بالذاكرة لأن نسيانها أكثر من مُعدل النسيان الطبيعي عند البشر...

آدار مَقود السيارة لينطلق مجدداً إلى الوجهة المرادة حتى لا يُضَيِّع المزيد من الوقت

...

سماء زرقاء صافية اجتمعت مع بحرٍ قُرْمزي ينعكس عليه أشعة الشمس لتجعله يلمع كاللآليء، في جوف ذاك البحر العريض يوجد العديد من الأشخاص الذين يتمتعون بمياهه العذبة، منهم من يسبح بمهارة و منهم من يتقاذف الكرة في سعادة و مرح، فهذا البحر يمنع البؤس و يُبدله بلحظاتٍ سعيدة تُحفر بالأذهان...

أمام ذاك البحر و ذاك الشاطيء الذي اعتج بالباعة و الأشخاص يوجد سور عريض يطل على البحر مباشرة، و كان الأشخاص منقسمين ما بين الواثب المُنتظر للحافلة و الذي يركض و ينصت للموسيقى مع تلك النسماة العلية...

داخل بناية عريقة تطل على البحر مباشرة لكن يفصل بينها ذاك السور العريض و ممرٌ سريع تتحرك فيه السيارات بسرعة، داخل إحدى طوابق هذه البناية كانت تقف داليا و معها حقائب السفر التي تحاول إدخالها الحُجرة، كان إسلام يحضر بقية الحقائب من السيارة بمساعدة من مُعتز، أما عن كوكي فكانت تجلس أمام الطاولة تأكل من الشطيرة بنهم بعد أن أمرها مُعتز بالراحة التامة من أجل طفلهم الذي تتحتويه بمعدتها...

-قاعدة إنتِ تتفرجي و لا فارق معاكي حاجة-

قالتها داليا بغيرة من كوكي التي تشاهدها تبذل مجهوداً كبيراً بتفريغ الحقائب، لوكت كوكي الطعام بفمها ثم أردفت بتبرير و بعض الغيظ:

-أنا عندي عُذْر don t be jealous... بعدين المفروض قمر تساعدك معرفش
إزاي لسة مجاتش هي و لوي ... دول متحركين قبلنا

قالتها بجهل لأنها لا تعرف حقيقة ما حدث مع قمر..

انتهى إسلام و مُعتز من نقل الحقائق إلى العُرف التي سيتشاركوها في ذاك المنزل
الكبير، فهو عبارة عن شفتين تم فتحهما على بعضهما لتضحى شقة كبيرة تتسع
لجميعهم، ما هي إلا بضع ثوانٍ حتى إنفتح الباب ليتوغل منه كلاً من قمر و لوي
يتجادلان لأنها كانت سبب تأخرهم...

-ما لسة بدري ... إحنا بقينا العصر

قالتها داليا بسخرية و تدمر ما إن وجدت قمر تدلف المنزل و وراءها لوي يجر
الحقائب، أخفت قمر الحقيقة حتى لا تعاود الجدل مع لوي مجدداً بقولها:

-أبوس إيديك متفكرنيش ... عشان أنا و لوي كُنا على تكة و هنطلق

زادت هذه الجملة من فضولهما فسألتها كوكي:

" what happened -ماذا حدث؟"

كادت تهم قمر بالحديث إلى أنها لاحظت توغل لوي المنزل مجدداً فتراجعت عما
كادت تقوله بقولها:

-هبقى أقولكم بعدين ... خلينا نتغدا الأول عشان ننزل خالد بن الوليد

صفت كوكي بلهفة و حماسٍ لما سيفعلاه مساءً، لكن داليا تدخلت بلكنة مُحطمة
للأمال:

-لأ إنت مبسوفة على إيه ... إنت في الشهر التامن، إحنا مش عايزين البيبي ينزل
في الشارع، الأحسن تفضلي هنا مع مُعتز

قطبت حاجبها بتذمرٍ قالت معه:

-يعني إيه الكلام ده ؟؟ ... أنا عايزة آجي معاكم... بعدين الدكتور قالي إن المشي
مفيد للحوامل

تعجبت داليا من لكنتها التي تُشبه لكنة إسلام عندما يُخبرها بواحدة من نظرياته:

-إنتِ إتعديتي من إسلام ولا إيه ... بعدين المشي بيسهل الولادة، و إحنا مش
عايزينك تولدي هنا

رفعت كوكي من نبرتها و هي تهتف بتذمر:

-لا مليش دعوة أنا هاجي معاكم

أحست بأحدهم يُحيطها من وراءها مع قُبلة تتمركز على رأسها فأدركت فوراً أن هذا
مُعترز:

-إعملي إيلي إنتِ عايزاه يا حبيبتي، و لو حسيتي إنك هتولدي، أنا هشيليك و
هوذيكي على أقرب مُستشفى

قالها بحنانٍ و نبرة هائلة جعلت ابتسامتها تتسع و هي تستدير له و تردف بغير
تصديق:

-يعني ينفع أروح معاهم

أجابها بهيامٍ و نبرة مُتغزلة:

-دا لو عايزاني أجيبيك خالد بن الوليد نفسه هجبهولك ... المهم إنك تبقي مبسوفة

شعر مُعترز بيد أحدهم ترتطم على عنقه من الخلف تبعه نبرة إسلام المؤبخة:

-كفاية تلزيق الله يخرب بيتك سبقت سومة العاشق

تحسس مُعتز مكان الضربة ببعض الغضب ثم وجه حديثه نحو إسلام بتهديد:

-و ربنا لأردلك القفة

كاد يهم بضرب إسلام لكن لؤي وقف حائلاً بينهما ليُحادثهما بلكنته الصارمة المُهددة:

-إتهد إنت و هو مش ناقصين فضايح

و هكذا استمرت الأحاديث و المزاح بينهم حتى قطعتم داليا باقتراح وثبت معه من مقعدها:

-بقولوكم إيه يا جماعة ... تعالو نلعب الشايب و إللي يخسر يعزمننا على الغدا ...
قشطة

أيدوا اقتراحها فأخرجت لعبة البطاقات من حقيبتها و جلسوا جوار بعضهم على الطاولة ليتم تفريق الأوراق بينهم كي يبدأ اللعب بروح من المنافسة و التحدي التي تكللتها عواصف المرح و القهقهات العالية، فلا شيء أطف من تلك الأوقات التي نقضيها سويًا دون أن يقطعها رياح الضيق و المشاكل المُستعصية...

ببقعة أخرى و على طاولة مُستديرة اجتمع بها شياطين الإنس من شتى البقاع، كان التوتر هو سيد الموقف خاصة بعد أن قبض على قائدهم و منبع قراراتهم المُدمرة، في الفترة الأخيرة تغيرت العديد من الأمور ... حيث تغيرت البقعة التي يجتمعون بها دائماً قبل أن ينكشف سرهم في مرة من المرات، كذلك رحل العديد من الأعضاء و أتى غيرهم ليضحوا أكثر شراً و مُكرًا...

هذه المرة كان الوضع مُختلفًا، لم يكن الغرض من هذا الإجتماع هو الخروج بقرارات من شأنها أن تعثوا الفساد في البلاد ككل مرة، هذه المرة كانوا ينتظرون مجيء قائدهم الجديد الذي سيتولى شؤونهم من الآن فصاعدًا...

-لما تأخر هذا المُختار ... كيف سيتولى أمورنا و هو لا ينتظم بمواعيده؟؟

قالها إيزاك بتذمر لرغبته الجامحة بأن يضحى هو قائدهم، فهو يرى أنه الأنسب لذاك المنصب خاصة مع طبيعته الماكرة و لأنه أقدمهم، لكن بسبب لسانه السليط لم ينجح بالانتخابات التي انتهت بفوز شخصٍ آخر غيره..

-تمهل أيها المُتسرع فلا أحد يلتزم بمواعيده في تلك البلدة

قالها ماثيو ذي الجنسية الفرنسية ببرودٍ اعتاده، فهم يقتسمون الصفات السيئة بينهم...

تدخل جيفري بالحديث باعتراض:

-ليس من العدل أن يضحى القائد مصريًا أبًا عن جد ... فجميعنا يعرف أن الدوّل العُظمى هي ما تتحكم بتلك الدول النامية ... فكيف لذاك الشخص أن يتحكم بنا؟

أجابه ستيفن بلكنة وقحة:

-تحدث و كأنك من تلك الدوّل المُتقدمة...

أطبق جيفري على شفثيه بغضبٍ من سخرية هذا الذي يحمل الجنسية الروسية على جنسيته الايطالية:

-على الأقل بدولتي يوجد العديد من زُعماء المافيا... أما دَوْلَتك ... فلا يوجد بها سوى النساء

كاد يرد عليه ستيفن و يبدأ العِراك بينهما لكن فيرناندو صاحب الجنسية الاسبانية تدخل بينهما بصوتٍ حادٍ صارم:

-توقفا أيها الأحمقان ... نحن هنا لا نتشارك تدمير دولة واحدة ... نحن نتشارك في تدمير العالم ليحلوا الجولنا ... فلا وقت لهذا الجدل الأحمق

استجابا للكنته الصارمة ليبقى الصمت لوهلة حتى قطع هذا الصمت صوت فيليب ذا الجنسية الألمانية الذي أردف بتقرير و ثقة:

-اعتقد أن قائدنا قد أتى

قالها و هو يرمق الباب مما جعلهم يتجهون بأبصارهم نحو ذاك الرجل الذي يتوغل الحجرة بأقدامٍ تُحدث أصواتاً بسبب الجداء الأسود اللامع الذي يرتديه، ناهيك عن هيبته الطاغية و وقاره الذي اجتمع مع خُصلات شعره البنية و عينيه العسليتين التي بدا عليهما المكر و الدهاء ... كان يراقبهم بنظراتٍ مُستحقرة حتى أزاح المُقعد الذي يترأس الطاولة كي يجلس عليه بهدوء...

دارت حرب النظرات المُترقبة بينهم و التي قطعها الرجل الذي يُدعى طلال و هو أحد أعضائهم الذي تم اختياره حتى يضحى زعيمهم، كانت نبرته مُحملة بالثقة و المكر أثناء حديثه:

-في هذا العالم ... كلما مات مُجرم حل محله مُجرم آخر ... و كلما مات قائد أتى مكانه قائد آخر ... و دائماً ما يضحى القائد الجديد أشد مُكرًا و شرًا...

آعاد ظهره للوراء بضع أمتارٍ كي يحادثهم بشيطانية:

-لذلك عليكم أن تستعدوا جيداً ... فالمعركة ستبدأ الآن ... و تحت قيادتي أنا...

حل الليل بسكونه و نجومه المُرصعة على السماء، أنهكت أجسادهم في هذا اليوم من مشقة السفر و المشي طوال الليل، لم يخلو يومهم من السعادة و المُزاح مما جعل عناءهم عناءً مُحبباً للقلوب...

ها قد أتى وقت النوم الذي سيشحن طاقتهم استعدادًا لبدء يومٍ آخر مليءٍ بالمغامرة و الترفيه، إرتمت داليا بظهرها على الفراش و جوارها إسلام يُشاكسها بالحديث كما يفعل دائمًا، هذه المرة كانت الابتسامة تشق ثغره و هو يقول:

-تعرفي يا داليا ... أنا كانت أمنية حياتي إني أتجوز و أغلس على مراتي زي بابا

اغتاظت من حديثه الذي ظنت لو هلة أنه سيضحى هائمًا كما صديقه، فهي الآن قد علمت لما يُشاكسها طوال الوقت، أطبقت على شفيتها بغیظٍ و هي ترد عليه بنفس طريقته:

-طب تعرف بقي ... أنا كان نفسي أتجوز راجل عجوز و غني عشان يموت قبلي و أورثه ... بس في الآخر إتجوزتك إنت

رماها بابتسامة متعالية قال معها:

-للأسف أمنيتك متحققتش ... أصل أنا صحتي كويسة

أردعته بحدة لتنتقم من مشاكساته:

-لأ ... أمنيتي متحققتش عشان إنت شحات و محلتكش حاجة

تنهد ببعض الحرج من صدق حديثها لكنه غطا حرجه بتعالٍ و ثقة أثناء قوله:

-طب على فكرة بقي ... أنا بكرة أبقي دكتور كبير زي مجدي يعقوب... ده غير إن في نظرية بتقول_

بترت كلماته بنفاد صبر:

-بالله عليك كفاية نظريات ملهاش أي لازمة ... أنا عايزاك تجاوبني على سؤالي بصراحة

أنهت حديثها بأهمية لينتبه لها و هي تقول:

- هو إنت إتجوزتني ليه؟؟ ... و إياك تقول إحنا واحد و إحنا مخلوقين لبعض و الكلام ده عشان ملوش لازمة... أنا عايزة أعرف إيه الحاجة إلی فیا خلیتک تتجوزني

لم يُجبها إسلام و بقي في حالة من الشرود يزيغ ببصره في كل مكان لعل عقله يهديه للإجابة الصحيحة، فعلى الرغم من كونه فظاً غليظ التعامل مع الآخرين، إلى أن بداخله هالة من المشاعر لا يستطيع إخراجها و إظهارها أمام الجميع...

بعد برهة من الصمت وجدته يُجيب أخيراً بهدوءٍ و توترٍ يُنافيان شخصيته:

-عشان الونس ... و عشان حسيت بالراحة و إنتِ معايا ... كمان عشان بحب ضحكك

أنهى حديثه المُختصر بابتسامة جعلتها تبتسم بحرج و تعض على شفرتها الخلفية، كان عدم التصديق يغطي أركانها مما جعلها تمسك الوسادة و تضربه بها بمزاح قالت معه:

-ما إنت بتقول كلام حلو أهو أو مل بتغلس عليا ليه

اصطدمت الوسادة برأسها بطريقة قوية جعلته يتأوه من الألم و هو يقول بتؤبيخ:

-أه ... يا بت هتجيبلي ارتجاج في المخ

اعتذرت له داليا بتبرير:

-أنا أسفة والله افكرتها هتطلع ريش زي الأفلام

تنهد إسلام بنفاد صبر ثم أرخى ظهره على الفراش كي يُنهي هذا الحديث الذي كان سيضحى هائماً لولا تدخلها:

-يلا يا داليا اتخمني

قالها قبل أن يدثر جسده داخل الغطاء و تتبعه داليا هي الأخرى بعد أن تُتمت بتذمر حتى غطت جسدها هي الأخرى استعداداً للنوم ...

أشرقت شمس يومٍ جديدٍ و كانت الشمس ساطعة و السماء زرقاء يتكللها السُحب البارزة المُتشبهة بالقطن و أصوات العصافير التي تُرزق بالأرجاء...

تململت بفراشها بسبب قطرات العرق المُناسبة على جبينها من ذاك القيظ الذي يغمر تلك الحُجرة، جففت قطرات العرق من على جبهتها و هي تهتف بصوتٍ ناعسٍ يحمل التذمر:

-إسلام إفتح التكيف ... إنت قفلته ليه ؟؟

لم يأتيها الرد و بقي القيظ يغمر أرجاء الحُجرة حتى اخترق أنفها رائحة كريهة تُشبه رائحة المياه العكرة، تجعد وجهها بسبب تلك الرائحة التي إزداد قوتها و زرع راحتها..

أفاقت من نومها بتذمرٍ بسبب تلك الرائحة و هذا الجو شديد الحرارة، أحست بوجع يعتمر ظهرها الذي أرجعته للوراء ليُحدث بعض الطقطقات التي تنم عن نومها بطريقة خاطئة، أو أن الفراش لم يكن مُريحاً بما يكفي، كانت الرؤية مشوشة حولها ففركت عينيها لعل الرؤية تتضح أكثر..

اتسعت حدقتها فجأة ما إن رمقت هذا المكان الغريب الذي تجلس داخله، حيث رأت أمامها خزانة بالية من الخشب العتيق و العديد من قطع الملابس و زجاجات الخمر ملقاة في كل مكان، أدارت رأسها في تلك الحجرة حتى اكتشفت أن الفراش الذي تجلس عليه كان فراشاً صغيراً تعلوه طبقة رقيقة من القطن تتسطح عليها ... اما عن تلك الرائحة فكانت تنبعث من نافذة صغيرة زجاجها مُهشم و ما تبقى منه أضحي أبيضاً مُشوشاً من كثرة اتساخه...

انتفض جسدها برعب هبت معه من الفراش لتنادي بصوتٍ مُرتعب:

-إسلام ... يا إسلام..

كادت الدموع تنفر من عينيها عندما ظنت أن شخصًا قام باختطافها بتلك الحُجرة،
تصاعدت ضربات قلبها كلما خطت أكثر داخل هذا المكان الغريب حتى وجدت
أقدامها تدلف المرحاض المُجاور للحجرة بسبب رغبتها الشديدة بالتبول...

كانت نظراتها مُتعجبة من تلك الملابس البالية التي ترتديها و لا تعلم إن كانت لا تزال
بالحُلم أم أن أصدقائها يمزحون معها مزاحًا ثقيلًا، توقف كل هذا ما إن التقت عيناها
بمرآة المرحاض الصغيرة مما جعلها تنتفض و تفتح فاهها بصدمة..

فأمامها رجلٌ قصير القامة خمري البشرة قليل الشعر و نحيل الجسد مع أعين بُنية
صغيرة...

أطلقت صرخة عالية اخترقت الجدران و كادت تُهدمها ... فهي لا تعلم ما الذي
ستفعله؟؟...

(تمت بحمد الله)

تاريخ البداية : 2023 / 6 / 1

تاريخ النهاية : 2023 / 8 / 13

نلتاكم في الجزء الثاني من أرواح مُتنقلة...

